

مَجَانِي الْأَدَبِ

في

حَدَائِقِ الْعَرَبِ

عُنِي بِجَمْعِهِ وَضَبْطِهِ وَتَصْحِيحِهِ

الاب لويس شينخو اليسوعي

الجزء الثالث



طبعة سادسة مصححة

في طبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٩٦

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الحليلة ١٧٤

حقوق طبعه محفوظة للمطبعة

أَبَابُ الْأَوَّلِ فِي التَّدِينِ

فِي كَمَالَاتِهِ تَعَالَى

١ إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ . هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى . خَالِقُ الْأَعْيَانِ
وَالْآثَارِ . وَمَكْوَرُ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ . الْعَالِمُ بِالْخَفِيَّاتِ .
وَمَا تَطْوِي عَلَيْهِ الْأَرْضُونَ وَالسَّمَاوَاتُ . سِوَاهُ عِنْدَهُ الْجَهْرُ وَالْإِسْرَارُ .
وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
الْأَطِيفُ الْخَبِيرُ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَحْكَمَهُمْ بِإِمَامِهِ وَخَصَّهُمْ
بِمَشِيئَتِهِ . وَدَبَّرَهُمْ بِحِكْمَتِهِ . لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي خَلْقِهِمْ مُعِينٌ . وَلَا فِي
تَدْبِيرِهِمْ مُشِيرٌ وَلَا ظَهِيرٌ . وَكَيْفَ يَسْتَعِينُ مَنْ لَمْ يَزَلْ بِمَنْ لَمْ يَكُنْ . لَا
تَلْزَمُهُمْ . وَلَا يُجَاوِزُهُ أَيْنَ . وَلَا يُلَاصِفُهُ حَيْثُ . وَلَا تَعْدُهُ كَمٌ . وَلَا
تَحْضُرُهُ مَتَى . وَلَا تَحْبِطُ بِهِ كَيْفَ . وَلَا تُظْهِرُهُ قَبْلُ . وَلَمْ تَقْتَهُ بَعْدُ . وَلَمْ
تَجْمَعْهُ كُلُّ . وَصْفُهُ لِاصِفَةٍ لَهُ . وَكَوْنُهُ لَا أَمْدَ لَهُ . وَلَا تُخَالِطُهُ الْأَشْكَالُ
وَالصُّورُ . وَلَا تُعَيِّرُهُ إِلَّا نَارٌ وَالغَيْرُ . وَلَا تَجُوزُ عَلَيْهِ الْمُمَاسَّةُ وَالْمُقَارَبَةُ .
وَتَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْأُمْحَاذَاةُ وَالْمُقَابَلَةُ . إِنْ قُلْتَ : أَيْنَ هُوَ . فَقَدْ سَبَقَ
الْمَكَانَ وَجُودَهُ . لَمْ يَفْتَقِرْ وَجُودُهُ إِلَى أَيْنَ . هُوَ بَعْدَ خَلْقِ الْمَكَانِ غَنِيٌّ
بِنَفْسِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَكَانِ . وَكَيْفَ يَحِلُّ فِي مَا مِنْهُ بَدَأَ . وَإِنْ
قُلْتَ : مَا هُوَ . فَلَا مَا هِيَ لَهُ . مَا مَوْضُوعَةٌ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْجِنْسِ . وَالْقَدِيمُ

تعالى لا جنس له ولا لون له ولا وقت له . فهو واحد في ذاته . متفرد
بصفاته . وإن قلت : متى كان فقد سبق الوقت كونه وإن قلت :
كيف هو من كَيْفِ الكيفية لا يقال له كيف . ومن جازت عليه
الكيفية جاز عليه التغير وإن قلت هو . فالهاء والواو خلقه . فما تصور
في الأوهام . فهو بخلافه . ولا تمثله العيون . ولا تخلطه الظنون .
ولا تتصوره الأوهام . ولا يحيط به الألفهام . ولا تقدر قدره الأيام .
ولا يحويه مكان . ولا يقارنه زمان . ولا يحصره أمد . ولا يجمه
عدد . قربه كرامته . وبعده إهانتة . علوه من غير توكل . ومحجبه من
غير تنقل . هو الأول والآخر . والظاهر والباطن . القريب البعيد .
الذي ليس كمثل شيء . وهو السميع البصير وأشهد له بالربوبية وبما
شهد به لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى

(سراج الملوك للطارطوشي)

الدعاء لله

٢ دَعَا عَرَابِيٌّ قَالًا : يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ . وَيَا رُكْنَ مَنْ لَا رُكْنَ لَهُ .
وَيَا مُجِيرَ الضَّعْفَى وَيَا مُنْقِذَ الْهَلَكَى . وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ أَنْتَ الَّذِي سَبَّحَ
لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَيَبَاضُ النَّهَارُ . وَضَوْءُ الْقَمَرِ وَشَمَاعُ الشَّمْسِ . وَخَفِيفُ
الشَّجَرِ وَدَوِيُّ الْمَاءِ . يَا مُحْسِنُ يَا مُجْمِلُ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَسُّ الْمُؤْمِنِينَ
لِلْمُتَكَلِّينَ عَلَيْكَ أَنْتَ شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ وَأَطَّلَعُ عَلَى ضَائِرِهِمْ .
وَسِرِّي لَكَ مَكشُوفٌ . وَأَنَا إِلَيْكَ مَهْوُوفٌ . إِذَا أَوْحَشْتَنِي الْعُرْبَةَ

أَنَسِي ذِكْرَكَ . وَإِذَا أَكْبَتَ عَلَيَّ النُّعُومُ لَجَأْتُ إِلَى الْأَسْتِجَارَةِ بِكَ .
 عَلِمًا بِأَنَّ أَرْزَمَةَ الْأُمُورِ كُلِّهَا بِيَدِكَ وَمَصْدَرَهَا عَنْ قَضَائِكَ . فَأَقْلِنِي
 إِلَيْكَ تَغْفُورًا لِي مَعْصُومًا بِطَاعَتِكَ بَاقِي عُمْرِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 ٣ لَمَّا وَبَى أَبُو بَكْرٍ الْخِلَافَةَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي دَاعٍ فَأَتَمُّوا . اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظٌ فَلْتَنِي لِأَهْلِ طَاعَتِكَ
 بِمُؤَافَقَةِ الْحَقِّ أَبْتِغَاءَ وَجْهِكَ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ . وَأَرْزُقْنِي الْعِلْمَ وَالشَّدَّةَ
 عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَعْمَلْ أَدْعَارَةَ وَالنِّفَاقَ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ مِنِّي لَهُمْ وَلَا أَعْتِدَاءَ
 عَلَيْهِمْ . اللَّهُمَّ إِنِّي شَجِيحٌ فَسَخِّنِي فِي نَوَائِبِ الْمَعْرُوفِ قَصْدًا مِنْ غَيْرِ
 سَرَفٍ وَلَا تَبْدِيرٍ وَلَا رِنَاءٍ وَلَا سَمَةِ . وَأَجْعَلْنِي أَبْتِغِي بِذَلِكَ وَجْهَكَ
 وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ . اللَّهُمَّ أَرْزُقْنِي خَفْضَ الْجَنَاحِ وَابْنَ الْجَانِبِ لِلْمُؤْمِنِينَ .
 اللَّهُمَّ إِنِّي كَثِيرُ الْعَيْبَةِ وَالنِّسْيَانِ فَاهْبِطْنِي ذِكْرَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَذِكْرَ
 الْمَوْتِ فِي كُلِّ حِينٍ . اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عِنْدَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ فَأَرْزُقْنِي
 النَّشَاطَ فِيهَا وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا بِالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا بِعِزَّتِكَ
 وَتَوْفِيقِكَ . اللَّهُمَّ تَنَبِّئْنِي بِالْيَقِينِ وَالْبِرِّ وَالْتَّقْوَى وَذِكْرِ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيْكَ
 وَالْحَيَاءِ مِنْكَ . وَأَرْزُقْنِي الْحُشْرُوعَ فَمَا يُرْضِيكَ عَنِّي وَالْمَحَاسِبَةَ لِنَفْسِي
 وَإِعْلَاحَ السَّاعَاتِ وَالْحَذَرَ مِنَ الشُّبُهَاتِ (العقد الفريد لابن عبد ربه)
 ٤ دَعَا بَعْضُهُمْ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا مَنْ أَحْتَجِبُ بِشِعَاعِ نُورِهِ
 عَنْ نَوَاطِرِ خَلْقِهِ . يَا مَنْ تَسْرَبَلُ بِالْجَلَالِ وَالْكَبْرِيَاءِ وَأَشْتَهَرُ بِالتَّجَبُّرِ فِي
 قُدْسِهِ . يَا مَنْ تَعَالَى بِالْجَلَالِ وَالْكَبْرِيَاءِ فِي تَفَرُّدِ مَجْدِهِ . يَا مَنْ أَنْزَلَتْ

الْأُمُورُ بِأَزْمَتِهَا طَوْعًا لِأَمْرِهِ . يَا مَنْ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مُجِيبَاتٍ
 لِدَعْوَتِهِ . يَا مَنْ زَيْنَ السَّمَاءِ بِالنُّجُومِ الطَّالِعَةِ وَجَعَلَهَا هَادِيَةً لِحِلْفِهِ . يَا مَنْ
 أَنْارَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ الْمَغْلَمِ بِلُطْفِهِ . يَا مَنْ أَنْارَ الشَّمْسِ
 الْمُنِيرَةِ وَجَعَلَهَا مَعَاشًا لِحِلْفِهِ . وَجَعَلَهَا مُزِقَّةً بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِعَظَمَتِهِ .
 يَا مَنْ اسْتَوْجَبَ الشُّكْرَ بِبَشْرِهِ سَحَابَ نِعْمِهِ . أَسْأَلُكَ بِمَعَاوِدِ الْعِزِّ مِنْ
 عَرْشِكَ وَبِكُلِّ أَسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ وَأَسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ
 الْغَيْبِ عِنْدَكَ وَبِكُلِّ أَسْمٍ هُوَ لَكَ أَثْبَتُهُ فِي قُلُوبِ الْخَافِينَ حَوْلَ
 عَرْشِكَ وَأَسْأَلُكَ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي تَجَلَّتْ بِهَا لِلْكَالِمِ مُوسَى عَلَى الْجَبَلِ
 الْعَظِيمِ . فَلَمَّا بَدَأَ شُعَاعُ نَوْرِ الْمُنْجَبِ مِنْ بَهَاءِ الْعَظْمَةِ خَرَّتِ الْجِبَالُ
 مُتَدَكِّكَةً لِعَظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ وَهَيْبَتِكَ وَخَوْفًا مِنْ سَطْوَتِكَ رَاهِبَةً
 مِنْكَ . أَنْتَ اللَّهُ فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ . وَأَسْأَلُكَ بِالْأَسْمِ الَّذِي فَتَقَتْ
 بِهِ رِثْوَةَ عَظِيمِ جُفُونِ الْعِيُونِ لِلنَّاطِرِينَ . الَّذِي بِهِ تُدِيرُ حِكْمَتَكَ
 وَشَوَاهِدُ حُجَجِ أَنْبِيَائِكَ . يَعْرِفُونَكَ بِنَظَرِ الْقُلُوبِ . وَأَنْتَ فِي
 غَوَامِضِ سَوَائِدِ الْقُلُوبِ . أَسْأَلُكَ أَنْ تَحْرِفَ عَنِّي وَأَهْلَ حُرَاةِنِي
 وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَمْعَ الْآفَاتِ وَالْعَاهَاتِ وَالْأَعْرَاضِ
 وَالْأَمْرَاضِ وَالْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ . وَالشُّكَّ وَالْكَفْرَ وَالنِّفَاقَ وَالشَّقَاقَ
 وَالضَّلَالََةَ وَالْجَهْلَ وَالْمَقْتِ وَالنُّغْصَ وَالْمُسْرَ وَالضِّيقَ وَفَسَادَ الصَّبْرِ
 وَحُلُولَ النِّقْمَةِ وَشِمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ وَغَلْبَةَ الرِّجَالِ إِنَّكَ تَسْمِعُ الدُّعَاءَ
 لَطِيفٌ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب في المنادة

يا سَامِعَ الدُّعَاءِ . يَا رَافِعَ السَّمَاءِ . يَا دَائِمَ البِنَادِ . يَا وَاسِعَ العَطَاءِ .
 يَا عَالِمَ الغُيُوبِ . يَا غَافِرَ الذُّنُوبِ . يَا سَاتِرَ العُيُوبِ . يَا كَاشِفَ
 الكُرُوبِ . يَا فَائِزَ الصِّفَاتِ . يَا مُخْرِجَ النَّبَاتِ . يَا جَامِعَ الشَّجَرَاتِ .
 يَا مُنْشِرَ الرِّفَاتِ . يَا فَاتِحَ الصُّبْحِ . يَا مُرْسِلَ الرِّيحِ . فَجْرًا مَعَ
 الرِّوْحِ . يَجْنِي فِي النَّوْحِ . يَا هَادِيَ الرَّشَادِ . يَا مُلَوِّمَ السَّدَادِ .
 يَا رَازِقَ العِبَادِ . يَا مُخَيِّمَ البِلَادِ . يَا مُطَاقَ الأَسِيرِ . يَا جَارَ الأَسِيرِ .
 يَا مُنْجِي الفَقِيرِ . يَا غَازِي العَنِينِ . يَا مَالِكَ النُّوَابِي . مِنْ طَائِعِ
 وَعَاصٍ . دَاعِيَهُ مِنْ مَنَاصٍ . لِلعَبْدِ أَوْ خَلَاصٍ . أُجْرٍ مِنْ التَّجْهِيمِ .
 مِنْ هَوَاهِ العَظِيمِ . مِنْ عَيْشِهِ الأَدِيمِ . مِنْ حَرِّهَا المَقِيمِ . لِمَسْكِنِي
 الجَنَانِ . يَا مُنْجِي الأَمَانِ . فِي مَنَزِلِ تَعَالَى . بِالْحَقِّ قَدْ تَوَالَى . بِالنُّورِ قَدْ
 تَلَالَى . تَلَقَى بِهِ الجَلَالَى
 (ديوان علي)

٦ قَوْلُ الأَصْمَدِيِّ سَمِعْتُ غُلَامًا يُحْمَدُ رَبَّهُ بِأَيَاتِ مِنْ الشُّعْرِ وَهِيَ هَذِهِ :
 يَا فَاطِرَ الخَلْقِ البَدِيعِ وَكَافِلًا رِزْقَ الجَمِيعِ سَحَابُ جُودِكَ هَاطِلُ
 يَا مُسَبِّغَ البَرِّ الجَزِيلِ وَمُسَبِّلَ السِّرِّ الجَمِيلِ عَمِيمُ دَاوَالِكَ طَائِلُ
 يَا عَالِمَ السِّرِّ الخَفِيِّ وَمُنْجِزَ الوَعْدِ الوَفِيِّ قَذَا حُكْمِكَ عَادِلُ
 عَظَمَتِ صِفَاتِكَ يَا عَظِيمُ فَجَلَّ أَنْ يُخْصِي العَنَاءَ عَائِكَ فِيهَا قَائِلُ
 الذَّنْبُ أَنْتَ لَهُ يَمْنِكُ غَافِرُ وَلِتَوْبَةِ العَاصِي بِجَانِكَ قَائِلُ
 رَبُّ رَبِّي العَالَمِينَ بِرَبِّهِ وَتَوَالَهُ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ

كَانَ بَصِيرًا . فَسَمِعَتْ عَفِيرَةً قَوْلَهُ فَقَالَتْ يَا عَبْدَ اللَّهِ عَمَى الْقَلْبِ عَنِ اللَّهِ
أَشَدُّ مِنْ عَمَى الْعَيْنِ عَنِ الدُّنْيَا . وَإِنِّي لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ وَهَبَ لِي كُنْهَ
مَحَبَّتِهِ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ مِنِّي جَارِحَةٌ إِلَّا أَخَذَهَا : (للبيهقي)

قَالَ بَعْضُ الزَّاهِدِينَ مَتَغَزَّلَا فِي حُبِّهِ تَعَالَى :

هَجَرْتُ الْخَلْقَ طَرًّا فِي رِضَاكَ وَبَيْتُ الْعِيَالِ لِي أَرَاكَ
قَلْوٌ قَطَعْتَنِي فِي الْحُبِّ إِرْبًا لَمَّا حَنَّ الْقَوَادُ إِلَى سِوَاكَ
فَالَ غَيْرُهُ :

إِذَا أَمْسَى وَسَادِي مِنْ تَرَابٍ وَبِتُّ مُجَاوِرَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ
فَهَنُونِي أَصِحَّائِي وَقُولُوا لَكَ الْبُشْرَى قَدِمْتَ عَلَى كَرِيمِ
قَالَ آخَرُ :

مَا زَالَ يَخْتَفِرُ الدُّنْيَا بِهَيْمَتِهِ حَتَّى تَرَقَّتْ إِلَى الْآخِرَى بِهِ هِمَّةٌ
رَثُ اللَّبَاسِ جَدِيدُ الْقَلْبِ مُسْتَرٌ فِي الْأَرْضِ مُشْتَهَرٌ فَوْقَ السَّمَاءِ سَمَةٌ
طُوبَى لِعَبْدٍ يُحِبُّ لِلَّهِ مُعْتَصِمٌ عَلَى صِرَاطٍ سَوِيٍّ تَابَتْ قَدَمُهُ
قَالَ ابْنُ الصَّبَّاحِيِّ :

يَا طَالِبَ الطَّيِّبِ مِنَ دَاءٍ أُصِيبَ بِهِ إِنَّ الطَّيِّبَ الَّذِي أَبْلَاكَ بِالدَّاءِ
هُوَ الطَّيِّبُ الَّذِي يُرْجَى لِعَاقِبَتِهِ لَأَمَنْ يُذِيبُ لَكَ التَّرْيَاقَ فِي الْمَاءِ
٩ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لَيْتَكَ لَيْتَكَ أَنْتَ مَوْلَاهُ فَارْحَمِ عِيْدًا فَأَنْتَ مُنْجَاهُ
يَا ذَا الْمَعَالِي إِلَيْكَ مُعْتَمِدِي طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلَاهُ

طُوبَى لِمَنْ كَانَ نَادِمًا أَرْدَا يَشْكُو إِلَى ذِي الْجَلَالِ بَلَوَاهُ
 وَمَا بِهِ عِلَّةٌ وَلَا سَعَمٌ أَكْثَرُ مِنْ حُبِّهِ لِمَرَلَاهُ
 إِذَا خَلَا فِي الظَّلَامِ مُبْتَهَلًا أَجَابَهُ اللَّهُ ثُمَّ لَبَّاهُ
 سَأَلْتَ عَبْدِي وَأَنْتَ فِي كَنْبِي وَكُلُّ مَا قُلْتَ قَدْ سَمِعْتَاهُ
 صَوْتِكَ تَشَاقُّهُ مَلَائِكَةٌ قَدْ نَبِكَ الْآنَ قَدْ تَقَرَّرَنَاهُ
 فِي جَنَّةِ الخُلْدِ مَا تَمَنَاهُ طُوبَاهُ طُوبَاهُ ثُمَّ طُوبَاهُ
 سَلَنِي بِلا خَشْيَةٍ وَلَا رَهَبٍ وَلَا تَخَفٍ إِنِّي أَنَا اللَّهُ
 ١٠ أولُ مقاماتِ الأنتبَادِ هو الأَيْظَةُ مِنْ سِنَّةِ الغُفْلَةِ . ثُمَّ التَّوْبَةُ وَهِيَ
 الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ بِبَدَ الإِيقَانِ . ثُمَّ التَّوَرُّعُ وَالتَّوَسُّوِي لَكِنْ وَرَعَ أَهْلُ
 الشَّرِيعَةِ عَنِ المَحْرَمَاتِ رَوَّعُ أَهْلُ الطَّارِبَةِ عَنِ الشُّبُهَاتِ . ثُمَّ العُجَّاسَةُ
 وَهِيَ تَعْدَادُ مَا صَدَرَ عَنِ الإِنْسَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي
 نَوْعِهِ . ثُمَّ الإِرَادَةُ وَهِيَ الرِّغْبَةُ فِي نَيْلِ المَرَادِ عِ الكَدِّ . ثُمَّ الزُّهْدُ وَهُوَ
 تَرْكُ الدُّنْيَا وَحَقِيقَتُهُ التَّبَرُّعُ عَنِ خَيْرِ المَوْلَى . ثُمَّ الفَقْرُ وَهُوَ تَخَالُفُ القَابِ
 عَمَّا حَاطَتْ عَنْهُ الأَيْدُ . وَالتَّعْقِيرُ مَنْ عُرِفَ أَنَّهُ لَا يَتَدِرُّ عَلَى بَنِيهِ . ثُمَّ
 الصِّدْقُ وَهُوَ اسْتِوَاءُ الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ . ثُمَّ التَّصَبُّرُ وَهُوَ حَمْلُ النَّفْسِ
 عَلَى المَكَارِهِ . ثُمَّ الصَّبْرُ وَهُوَ تَرْكُ الشُّكْوَى وَقَعِ النَّفْسِ . ثُمَّ الرِّضَا
 وَهُوَ التَّلَذُّذُ بِالْبَلْوَى . ثُمَّ الإِخْلَاصُ وَهُوَ إِخْرَاجُ الخَلْقِ عَنْ مَوْلَاهُ
 الحَقِّ . ثُمَّ التَّوَكُّلُ وَهُوَ الأَعْتِمَادُ فِي كُلِّ أُمُورِهِ عَلَى اللَّهِ سُجَّانَهُ وَتَوَهُ إِلَى
 مَعَ العِلْمِ أَنْ الخَيْرَ فِيمَا اخْتَارَهُ
 (لبهاء الدين العاملي)

أَجْرِي يَا سَيِّدِي عَبْدًا فَقِيرًا أَنَاخَ بِبَابِكَ الْعَالِي وَدَارِكَ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَإِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ أَدَا لِعَفْوِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَبْفُو وَيَنْفِرُ
لَيْنَ أَعْظَمَ النَّاسِ الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا وَإِنْ عَظَمَتْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَصَغُرُ

١٣ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْخَطِيبِ مُسْتَفِيرًا :

يَا مَنْ بَرَى مَا فِي الصَّبِيرِ وَيَسْمَعُ أَنْتَ الْمَعْدُ لِكُلِّ مَا يُتْرَقُ
يَا مَنْ بَرَجَى لِشَدَائِدِ كَلِمَاتِهَا يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمَشْتَكَى وَالْمَفْرَعُ
يَا مَنْ خَرَانِ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ أَمِنُ وَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ فَبِالِإِقْتِنَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ
مَا لِي سِوَى فَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ فَلَمَّا رُدِدْتُ قَائِي بَابِ أَقْرَعُ
وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتَفُ بِاسْمِهِ إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرٍ يَمْنَعُ
حَاشَا لِحُجُودِكَ أَنْ يُقْتَطَعَ عَاصِيًا أَلْفَضْلُ أَجْزَلُ وَأَمَوَاهِبُ أَوْسَعُ
١٤ قَالَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَادْفَعْ عَلَيَّ وَجَلَ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
نَخَافُ دُنُوبَنَا لَمْ يَنْبَغْ عَنكَ عَيْبُهَا وَبَرَجُوكَ فِيهَا فَهَوَّ رَاجٍ وَخَائِفُ
فِيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيحَتِي إِذَا نَشَرْتَ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّعَائِفُ
فَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ الْبَرِّ عِنْدَمَا يَصُدُّ ذُؤُوقُ الرُّبِّيِّ وَيَجْنُو الْأَوْلَافُ
لَيْنَ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَاسِعُ الَّذِي أَرْجِي لِإِسْرَافِي قَائِي لِتَأْلِفُ

العالم العقلي

١٥ مِنْ التَّلَوِيحَاتِ عَنْ أَفْلَاطُونِ الْإِلَهِيِّ أَنَّهُ قَالَ: رَبَّمَا خَلَوْتُ بِفَيْسِي
كَثِيرًا عِنْدَ الرِّيَاضَاتِ . وَتَأَمَّلْتُ أَحْوَالَ الْمَوْجُودَاتِ الْمَجْرَدَةِ عَنْ
الْمَادِّيَّاتِ . وَخَلَمْتُ بَدَنِي جَانِبًا وَصِرْتُ كَأَنِّي مُجَرَّدٌ بِلَا بَدَنٍ عَارٍ عَنِ
الْمَلَابِسِ الطَّبِيعِيَّةِ . فَأَكُونُ دَاخِلًا فِي ذَاتِي لَا أَعْقِلُ غَيْرَهَا وَلَا أَنْظُرُ
فِي مَعَادَهَا وَخَارِجًا عَنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ . فَمِثْلُ الَّذِي أَرَى فِي نَفْسِي مِنَ الْحَسَنِ
وَالْإِبْرَاءِ وَالسَّنَاءِ وَالضِّيَاءِ وَالْحَاسِنِ الْغَرِيبَةِ الْعَجِيبَةِ الْأَزِيقَةِ مَا أُنَبِّئُ مَعَهُ
مُتَعَجِّبًا حَيْرَانًا بَاهِتًا . فَأَعْلَمُ أَنِّي جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ الْأَعْلَى الرَّوحَانِيِّ
الْكَرِيمِ الشَّرِيفِ . وَأَنِّي ذُو حَيَاةٍ فَعَالَةٍ . ثُمَّ تَرَقَّيْتُ بِذَهْنِي مِنْ ذَلِكَ
الْعَالَمِ إِلَى الْعَوَالِمِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْحَضْرَةِ الرَّبُّوبِيَّةِ . فَصِرْتُ كَأَنِّي مَوْضُوعٌ
فِيهَا مُعَلَّقٌ بِهَا فَوْقَ الْعَوَالِمِ الْعَقْلِيَّةِ النُّورِيَّةِ . فَأَرَى كَأَنِّي وَاقِفٌ فِي ذَلِكَ
الْمَوْقِفِ الشَّرِيفِ وَأَرَى هُنَاكَ مِنَ الْإِبْرَاءِ وَالنُّورِ مَا لَا تَتَدِيرُ الْأَلْسُنُ
عَلَى وَصْفِهِ وَلَا الْأَسْمَاعُ عَلَى قَبُولِ نَفْسِهِ . فَإِذَا اسْتَعْرَفَنِي ذَلِكَ الشَّانُ
وَقَلْبِي ذَلِكَ النُّورُ وَالْإِبْرَاءُ وَلَمْ أَقْوَعِ عَلَى أَحْتِمَالِهِ هَبَطْتُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى
عَالَمِ الْفِكْرَةِ . فَمِثْلُ الَّذِي حَجَبَتْ الْفِكْرَةُ عَنِّي ذَلِكَ النُّورَ فَأَبْقَى مُتَعَجِّبًا أَنِّي
كَيْفَ اتَّحَدْتُ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ . وَعَجِبْتُ كَيْفَ رَأَيْتُ نَفْسِي مَمْلُوءَةً
نُورًا وَهِيَ مَعَ الْبَدَنِ كَهَيْئَتِهَا . فَعِنْدَهَا تَذَكَّرْتُ قَوْلَ مَطْرِيوسَ حَيْثُ
أَمَرْنَا بِالطَّلَبِ وَالْبَحْثِ عَنْ جَوْهَرِ أَنْفُسِ الشَّرِيفِ وَالْإِرْتِقَاءِ إِلَى
الْعَالَمِ الْعَقْلِيِّ

(لِبهاء الدين)

فَرَا بِشَجَرَةٍ . قَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ
الشَّجَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ فَإِنِّهَا تَقُولُ :

مَنْ رَأَانَا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُوفٍ عَلَى قُرْبٍ زَوَالٍ
فَصُرُوفُ الدَّهْرِ لَا تَبْقَى لَهَا وَلَمَّا رَتَيْ بِهِ صَمَّ الْجِبَالِ
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْحَمْرَ بِالمَاءِ الزَّلَالِ
وَالْأَبَارِيقُ عَلَيْهَا قُدُمٌ وَجِيَادُ الْحَيْلِ تَجْرِي بِالْجَلَالِ
عَمَرُوا الدَّهْرَ بِعَاشٍ حَسَنٍ أَمْنِي دَهْرِهِمْ غَيْرُ عِجَالِ
عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَأَنْهَرُوا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا يَبْدَحَالِ

قَالَ) ثُمَّ جَاوَزَا الشَّجَرَةَ فَرَا بِمَقْبَرَةٍ . فَقَالَ لَهُ عَدِيُّ : أَتَدْرِي مَا
تَقُولُ هَذِهِ الْمَقْبَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنِّهَا تَقُولُ :

أَيُّهَا الرَّكْبُ الْخَبِئِثُ نَعَلَى الْأَرْضِ الْأَعْبِدُونَا
كَمَا أَنْتُمْ كَذَا كَمَا وَكَمَا نَحْنُ تَكُونُونَا

فَقَالَ النُّعْمَانُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجَرَةَ وَالْمَقْبَرَةَ لَا تَتَكَلَّمَانِ . وَقَدْ
عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا أَرَدْتَ عِظْمِي فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا فَمَا السَّبِيلُ الَّذِي
تُدْرِكُ بِهِ النَّجَاةَ . قَالَ : تَدْعُ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ قَالَ :
وَفِي هَذَا النَّجَاةُ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ فَتَرَكَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَنَصَّرَ حِينَئِذٍ
وَأَخَذَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْإِجْتِهَادِ
(للطرطوشي)

ذَلَّةُ الدُّنْيَا وَزَوَالُهَا

١٩ (مِنَ الْمُنْهَجِ) أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَأَذْنَتْ بِوَدَاعٍ . وَإِنَّ

الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِإِطْلَاعِ . أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ . وَغَدَا
السَّبَاقَ وَالسُّبْقَةَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ . أَفَلَا تَأْتِبَ مِنْ خَطِيئَةٍ . قَبْلَ مَنِيَّتِهِ .
الْأَعْمَلَ لِنَفْسِهِ . قَبْلَ يَوْمِ بُوَيْسِهِ . أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ
وَرَأْيِهِ أَجَلٌ . فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ . قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . نَفَعَهُ عَمَلُهُ .
وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ . وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ عَمَلِهِ قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . فَتَذْخِيرَ
عَمَلِهِ . وَضُرَّ أَجَلُهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ . كَمَا تَمَلُّونَ فِي الرَّهْبَةِ .
أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا . وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا . أَلَا وَإِنَّهُ
مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ . وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى . يَجْذِبُهُ
الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أَمِرْتُمْ بِالظَّمَنِ وَدَلَلْتُمْ عَلَى
الزَّادِ . وَإِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ .
تَرَوُّوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدَاً

٢٠ (عَنْ نَوْفٍ الْبِكَالِيِّ) قَالَ: رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ
وَجْهَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنَظَرَ إِلَى النُّجُومِ فَقَالَ: يَا نَوْفُ
أَرَأَيْدُ أَنْتَ أُمُّ رَامِقٍ . قُلْتُ: بَلْ رَامِقٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ: يَا نَوْفُ
طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِينَ فِي الْآخِرَةِ أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا
الْأَرْضَ سِطَاطًا وَرُأْبَهَا فِرَاشًا وَمَاءُهَا طَيْبًا وَالدِّينَ شِعَارًا وَالدُّعَاءَ دِنَارًا .
ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ . (لبهاء الدين)

الراهب الجرجاني مع الشيخ عمر الصيني

٢١ قَالَ الشَّيْخُ عُمَرُ: مَرَرْتُ بِرَاهِبٍ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فَجَرَى بَيْنِي

وَبَيْنَهُ مُوَانَسَةٌ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَاهِبُ لِمَنْ تَعْبُدُ . فَقَالَ : أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي
 خَلَقَ الْعَالَمَ بِمُذَرَّتِهِ . وَأَلْفَ نِظَامِهِ بِحِكْمَتِهِ . وَقَدْ حَوَتْ عَظَمَتُهُ كُلَّ
 شَيْءٍ . لَا تَبْلُغُ الْأَلْسُنُ وَصْفَ قُدْرَتِهِ . وَلَا الْعُقُولُ لُحَّ رَحْمَتِهِ . لَهُ الشُّكْرُ
 عَلَى مَا نَقَلَبَ فِيهِ مِنْ نِعْمَتِهِ الَّتِي صَحَّتْ بِهَا الْأَبْصَارُ . وَرَعَّتْ بِهَا
 الْأَسْمَاعُ . وَنَطَّتْ بِهَا الْأَلْسُنُ . وَسَكَنَتْ بِهَا الْعُرُوقُ وَأَمْتَرَجَتْ بِهَا
 الطَّيَابِعُ . فَقُلْتُ : يَا رَاهِبُ مَا أَفْضَلُ الْحِكْمَةِ . فَقَالَ : خَوْفُ اللَّهِ . فَقُلْتُ :
 وَمَا أَكْمَلُ الْعَقْلِ . قَالَ : مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِقُدْرَتِهِ . قُلْتُ : مَا يُعِينُ عَلَى
 الْتَخَافِ مِنَ الدُّنْيَا . قَالَ : أَنْ تَجْعَلَ بِقِيَّةَ يَوْمِكَ أَنْقِضَاءَ أَمَّاكَ .
 فَقُلْتُ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ عَقَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ فِي هَذِهِ الصَّوْمَعَةِ .
 فَقَالَ : لِأَحَدِ هَذَا السَّبْعِ عَنِ النَّاسِ (وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ) . قُلْتُ :
 مِنْ أَيْنَ تَعِيشُ . قَالَ : مِنْ تَدْبِيرِ اللَّطِيفِ الْحَبِيرِ الَّذِي خَلَقَ الرَّحَى
 وَهُوَ يَأْتِيهَا بِالطَّحِينِ . قُلْتُ : لِمَ لَا تَنْزِلُ إِلَيْنَا وَتَخَالِطَنَا . فَقَالَ : لِأَنَّ
 الْأَشْيَاءَ الْمَوْبِقَةَ بِأَسْرِهَا بَيْنَكُمْ وَالسَّلَامَةَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا تَكُونُ فِي
 الْوَحْدَةِ . قُلْتُ : وَكَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى الْوَحْدَةِ . فَقَالَ : لَوْ ذُقْتَ حَلَاوَةَ
 الْوَحْدَةِ لَأَسْتَوْحِشْتَ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِكَ . قُلْتُ : كَيْفَ لَبِستَ السَّرَادَةَ
 فَقَالَ : لِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَا تَمُّ وَأَهْلُهَا فِي حِدَادٍ . وَإِذَا حَزِنْتُ لَبِستُ
 السَّوَادَ . فَقُلْتُ : كَيْفَ تَذَكُرُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : مَا أَطْرَفُ طَرْفَةَ عَيْنٍ إِلَّا
 ظَنَنْتُ أَنِّي مُتٌ . قُلْتُ : مَا لَنَا نَحْنُ نَكْرَهُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : لِأَنَّكُمْ
 عَمَرْتُمْ دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ . فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ الثَّقَلَةَ مِنْ أَنْعْرَانِ

إِلَى الْحَرَابِ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ عِظْنِي . قَال : أَبْلغُ الْعِظَاتِ النَّظْرُ
إِلَى مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ . وَفِي تَغْيِيرِ السَّاعَاتِ وَالْأَجَلَاتِ . وَإِنْ شِيعَتْ
جَنَازَةٌ فَكُنْ كَأَنَّكَ الْمَحْمُولُ مِثْلَ ذَلِكَ . وَلَا تَأْسَ مِنْ لَا يَنَالُكَ .
وَأَحْسِنُ سِرِّيَّتَكَ . يُحْسِنُ اللَّهُ عَلَانِيَتَكَ . وَأَعْلَمُ أَنَّ مَنْ خَافَ اللَّهَ
أَخَافَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ . وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ خَافَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .
وَأَطْلُبِ الْعِلْمَ لِتَعْمَلَ بِهِ وَلَا تَطْلُبْهُ لِتَبَاهِيَ أَوْ تُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ . وَإِيَّاكَ
وَالْأَهْوَاءَ فَإِنَّهَا مُوبِقَةٌ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ مِنَ الْجَهْلِ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ
مِمَّنْ يَمْدَحُ الْحَسَنَاتِ فَيَتَجَنَّبُهَا وَيَذُمُّ السَّيِّئَاتِ فَيَرْتَكِبُهَا . وَلَا تَشْرَبِ
الْمُسْكِرَ فَإِنَّ عَاجِلَتَهُ غَرَامَةٌ . وَعَاقِبَتُهُ نَدَامَةٌ . وَلَا تُجَالِسْ مَنْ يُشْغَلُكَ
بِالْكَلَامِ وَيُذَيِّنُ لَكَ الْخَطَأَ وَيُوقِعُكَ فِي هَذِهِ الْعُمُومِ . وَيَتَبَرَّأَ مِنْكَ
وَيَتَلَبَّأُ عَلَيْكَ . وَلَا تَتَشَبَّهُ فِي طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ وَلِبَاسِكَ بِالْعِظَمَاءِ
وَلَا فِي مَشِيكَ بِالْجَبَابِرَةِ . وَكُنْ مِمَّنْ يُرْجَى خَيْرُهُ . وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يُخَافُ
شَرُّهُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ ابْتَلَاهُ . وَمَنْ صَبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
وَإِذَا أَعْتَلَّتْ فَأَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ . وَإِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ فَإِنَّهَا
تَرْدَعُ فِي الْقُلُوبِ الضَّغَائِنَ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَبِيبِينَ . وَأَنْظُرْ مَا اسْتَحْسَنَتْهُ
مِنْ غَيْرِكَ فَأَمْتَثِلْهُ لِنَفْسِكَ . وَمَا أَنْكَرْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ فَتَجَنَّبْهُ . وَأَرْضِ لِلنَّاسِ
مَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّهُ كَمَالُ الْوَصَالِ وَالصَّلَاحِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا .
وَقَالَ : إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ لِلَّهِ وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ . ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ إِلَى
صَلَاتِهِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِلَهِنَا تَقَدَّسَ اسْمُكَ يَا بِي . مَلَكُوتِكَ . تَكُونُ

مَشِيَّتِكَ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ . أَرْزُقْنَا الْكَفَافَ يَوْمَ يَوْمٍ .
 أَغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا وَأَثْمَانَا . وَلَا تُدْخِلْنَا فِي التَّجَارِبِ وَخَلَصْنَا مِنْ إِبْلِيسَ
 لِنُسَبِّحَكَ وَنُقَدِّسَكَ وَنُحَمِّدَكَ إِلَى دَهْرِ الدَّاهِرِينَ . ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ
 أَيْضًا : اللَّهُمَّ إِنَّ رَحْمَتَكَ كَمَظْمَتِكَ . اللَّهُمَّ إِنَّ نِعْمَتَكَ أَعْظَمُ مِنْ رَجَائِنَا .
 فَصْنَعُكَ أَفْضَلُ مِنْ آمَالِنَا . اللَّهُمَّ أَجْمَانًا شَاكِرِينَ لِنِعْمَاتِكَ حَتَّى
 تَشْتِغَلَ بِذِكْرِكَ جَوَارِحُنَا . وَتَمْتَلِي قُلُوبِنَا . اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى أَنْ نُحَذَرَ مِنْ
 سُخْطِكَ وَنَبْتَنِي طَاعَتِكَ وَرِضَاكَ . اللَّهُمَّ وَقَفْنَا لِعَمَلٍ بِمَا نَفُوزُ بِهِ مِنْ
 مَلَكُوتِكَ . مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ الْعِزُّ وَالسُّلْطَانُ وَالْمُقَدَّرَةُ . قَالَ
 الشَّيْخُ : فَاسْتَحْسَنْتُ ذَلِكَ مِنْهُ . وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَدْعُوَ لَنَا وَأَنْصَرِفُ
 وَأَنَا مُتَّعِبٌ مِنْ حُسْنِ مَقَالِهِ

٢٢ قَوْلُ قَوْمِ الزَّاهِدِ : رَأَيْتُ رَاهِبًا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ . فَقَالَتْ
 لَهُ : أَوْصِنِي فَقَالَ : كُنْ كَرَجُلٍ أَحْتَوَشْتَهُ السَّبَاعُ فَهُوَ خَائِفٌ مَدْعُورٌ
 يَخَافُ أَنْ يَسْهُوَ فَتَقْرَسَهُ أَوْ يَاهُوَ فَتَنْهَشَهُ . فَأَيْلَهُ لَيْلٌ مَخَافَةٌ إِذَا أَمِنَ فِيهِ
 الْأَغْتَرُونَ . وَنَهَارُهُ نَهَارُ حُزْنٍ إِذَا فَرِحَ فِيهِ الْبَطَّالُونَ . ثُمَّ إِنَّهُ وُلِيَ وَتَرَكَنِي
 فَقُلْتُ : زِدْنِي . فَقَالَ : إِنَّ الظَّمَانَ يَقْنَعُ بِسِيرِ الْمَاءِ

٢٣ إِنَّ الْحَاسَةَ الْجَلِيدِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مَوْفَةً بِرِمْدٍ وَتَحْوَدِ فَهِيَ مَحْرُومَةٌ مِنْ
 الْأَشِعَّةِ الْمَائِضَةِ مِنَ الشَّمْسِ . كَذَلِكَ الْبَصِيرَةُ إِذَا كَانَتْ مَوْفَةً بِالْهَوَى
 وَاتَّبَعَ الشَّهَوَاتِ وَالْإِخْتِلَاطِ بِأَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَهِيَ مَحْرُومَةٌ مِنْ إِدْرَاكِ
 الْأَنْوَارِ الْقُدْسِيَّةِ الْمُحْجُوبَةِ عَنْ ذَوْقِ اللَّذَاتِ الْإِنْسِيَّةِ . وَلِلَّهِ دَرُّ مَنْ قَالَ :

ذَا مَرَّتْ فَعِذَا مُتَّصِبٌ ذَا مُتَّخِضٌ ذَا مُنْجِزٌ
لَا يَفْتَكِرُونَ لِمَا وُجِدُوا لَا يَتَّبِعُونَ لِمَا عُدِمُوا
أَهْوَاءَ نَفْسِهِمْ عَبَدُوا وَالنَّسْرُ لِعَابِدِهَا صَمٌ
(لبها الدين)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْجَمِيرِيُّ :

عَجِبْتُ لِمَتَابِعِ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى وَلِلْمُشْتَرِي دُنْيَاهُ بِالْدِينِ أَنْعَجِبُ
وَأَعْجِبُ مِنْ هُدَيْنٍ مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا سِوَاهُ فَهَوِيَ مِنْ ذَمِّهِ أَخِيبُ
٢٤ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ آدَمَ : أَنْتَ أَسِيرُ الدُّنْيَا رَضِيتَ مِنْ لَذَاتِهَا بِمَا
يَقْضِي . وَمِنْ نَعِيمِهَا بِمَا يَمْضِي . وَمِنْ مُلْكِهَا بِمَا يَنْقُدُ . تَجْمَعُ لِنَفْسِكَ
الْأَوْزَارَ وَلَا تَهْلِكُ الْأَمْوَالُ . فَإِذَا مَتَّ حَمَلَتْ أَوْزَارَكَ إِلَى قَبْرِكَ وَتَرَكْتَ
أَمْوَالَكَ لِأَهْلِكَ . أَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ :

أَبَقَيْتَ مَا لَكَ مِيرَاثًا لِوَارِثِهِ يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا أَبَقَى لَكَ أَلْمَالُ
الْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرُهُمْ فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ دَارَتْ بِكَ الْحَالُ
مَلُوا الْبُكَاءَ فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ وَأَسْتَحْكَمُ الْقَيْلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالَ
قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةٌ أَيْكَةٌ إِذَا أَخْضَرَ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبٌ
هِيَ الدَّارُ مَا الْأَمْالُ إِلَّا فُجَائِعُ عَلَيْهَا وَلَا اللَّذَاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
فَكَمْ سَخَّتْ بِالْأَمْسِ عَيْنًا قَرِيرَةً وَقَرَّتْ عُيُونًا دَمَعُهَا الْآنَ سَاكِبُ
وَلَا تَسْتَغْلِ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَانَ :

أَفِ لِدُنْيَا قَدْ شُغِفْنَا بِهَا جَمَلًا وَعَقْلًا لَاهَوَى مُتَّبِعٌ
 فَتَانَةٌ تَخْدَعُ طُلَّابَهَا فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ بِهَا يَتَّبِعُ
 أَضْفَاتُ أَحْلَامٍ إِذَا حَصَلَتْ أَوْ كَوْمِيضِ الْبَرْقِ مَهْمَا لَمَعَتْ
 ٢٥ (مِنْ خُطْبَةٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا
 أَنْتُمْ خَلْفُ مَاضِينَ وَبَقِيَّةُ الْمُتَقَدِّمِينَ . كَانُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ بَسْطَةً وَأَعْظَمَ
 سَطْوَةً . أُرْجِعُوا عَنْهَا أَسْكَنَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا فَعَدَّرَتْ بِهِمْ أَوْثَقَ مَا كَانُوا بِهَا .
 فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ قُوَّةَ عَشِيرَةٍ وَلَا قِبَلَ مِنْهُمْ بِذَلِّ فِدْيَةٍ . فَارْحَلُوا نُفُوسَكُمْ
 بِزَادٍ مُبْلَغٍ قَبْلَ أَنْ تُؤْخَذُوا عَلَى فِجَاجَةٍ . فَقَدْ غَفَّاتُمْ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ وَجَفَّ
 الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ . فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا . وَبَهِّدُوا لَهَا قَبْلَ
 أَنْ تُعَذَّبُوا . وَتَرَوُّدُوا لِلرَّحِيلِ قَبْلَ أَنْ تُرْجَعُوا . فَإِنَّمَا هُوَ مَوْتِفٌ عَدْلٍ
 وَقَضَاءٌ حَقٍّ . وَلَقَدْ أُبْلَغَ فِي الْإِعْذَارِ . مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْإِنذَارِ
 ٢٦ (وَمِنْ كَلَامِهِ) الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ . وَمَنْزِلُ قُلُومَةٍ وَعِنَاءٍ . قَدْ زُرِعَتْ فِيهَا
 نُفُوسُ السُّعْدَاءِ . وَأَنْتَرَعَتْ بِالْكَرْهِ مِنْ أَيْدِي الْأَشْقِيَاءِ . فَأَسْعَدُ النَّاسَ
 فِيهَا أَرْغَبُهُمْ عَنْهَا . وَأَشْدَاهُمْ بِهَا أَرْغَبُهُمْ فِيهَا هِيَ الْعَاشَةُ إِنْ أَنْتَصَحَهَا
 وَالْمَغْوِيَّةُ لِمَنْ أَطَاعَهَا . وَالْمَالِكُ مَنْ هَوَى فِيهَا . طُوبَى لِعَبْدٍ أَتَى فِيهَا
 رَبَّهُ وَنَهَضَ زَنِيهَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَأَخَّرَ شَهْوَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْمُظَهُ الدُّنْيَا
 إِلَى الْآخِرَةِ . فَيُضِجُ فِي دِمَنِ غَبْرَاءٍ . مُذْهِمَّةٌ ظُلَمَاءٍ . لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ
 يَزِيدَ فِي حَسَنَةٍ . وَلَا أَنْ يَنْقُصَ مِنْ سَيِّئَةٍ . ثُمَّ يُنْشَرُ فَيُخْشَرُ إِمَّا إِلَى

جَنَّةٍ يَدُومُ نَعِيمُهَا أَوْ نَارٍ لَا يَنْقُذُ عَذَابُهَا
 ٢٧ مِنْ كَلَامٍ بَعْضُ الْبَلَاءِ : الدُّنْيَا إِنْ أَقْبَلَتْ بَاتَ . وَإِنْ أَدْبَرَتْ
 بَرَّتْ . أَوْ أَطْنَبَتْ نَبَتْ . أَوْ أَرَكَبَتْ كَبَتْ . أَوْ أَبْهَجَتْ هَجَتْ . أَوْ
 أَسْفَعَتْ عَفَتْ . أَوْ أَيْمَتْ نَعَتْ . أَوْ أَكْرَمَتْ رَمَتْ . أَوْ عَاوَنْتْ وَنَتْ .
 أَوْ مَاجَنْتْ جَنْتْ . أَوْ سَامَحَتْ مَحَتْ . أَوْ صَالَحَتْ لَحَتْ . أَوْ وَصَلَتْ
 صَلَتْ . أَوْ بَالَعَتْ لَعَتْ . أَوْ وَفَرَتْ قَرَتْ . أَوْ زَوَّجَتْ وَجَتْ . أَوْ
 نَوَّهَتْ وَهَتْ . أَوْ وَهَتْ لَهَتْ . أَوْ بَسَطَتْ سَطَتْ (لِبِهَاءِ الدِّينِ)
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

ذَهَبَ الدِّينَ عَلَيْهِمْ وَجَدِي وَبَقِيَتْ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ وَخَدِي
 مَنْ كَانَ بَيْنَكَ فِي التُّرَابِ وَبَيْنَهُ شَبْرَانِ فَهُوَ بِغَايَةِ البَعْدِ
 لَوْ بُعِثَتْ لِلخَلْقِ أَطْبَاقُ الثَّرَى لَمْ يُعْرِفِ المَوْلَى مِنَ العَبْدِ
 مَنْ كَانَ لَا يَطَأُ التُّرَابَ بِرِجْلِهِ يَطَأُ التُّرَابَ بِنَاعِمِ الحَدِّ
 ٢٨ وَقَدْرُوِي أَنْ عَلِيًّا كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ هَذِهِ الأَيَّاتُ :

أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ سُومٌ وَلَا زَالَ المَسِيءُ هُوَ الظُّلُومُ
 إِلَى الدِّيَانِ يَوْمَ الدِّينِ نَمَضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الخُصُومُ
 سَتَعَلَمُ فِي الحِسَابِ إِذَا التَّقِينَا عَدَا عِنْدَ المَلِيكِ مِنَ الظُّلُومُ
 سَتَنْقَطِعُ اللِّذَازَةُ عَنِ أَنَاسِ مِنَ الدُّنْيَا وَتَنْقَطِعُ الهَنُومُ
 لِأَمْرِ مَا تَصَرَّفَتِ اللَّيَالِي لِأَمْرِ مَا تَحَرَّكَتِ النُّجُومُ
 سَلِّ الأَيَّامَ عَنِ أُمَّرٍ تَقَضَّتْ سَخِرِكَ المَعَالِمُ وَالرُّسُومُ

تُرُومُ الْخُلْدِ فِي دَارِ الْمَنَابَا فَكَمَّ قَدْرَامَ مِثْلِكَ مَا تُرُومُ
تَمَامٌ وَلَمْ تَنْمِ عَنْكَ الْمَنَابَا تَذَبْهُ لِلدُّنْيَا يَا نُورُومُ
لَمَوْتٍ عَنِ الْفَنَاءِ وَأَنْتَ تَفْتَنِي فَمَا شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا يَدُومُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

عَجِبْتُ لِمَنْ جَدَّ فِي شَأْنِهِ لِحِرِّ الرَّجَاءِ وَنَارِ الْأَمَلِ
يُؤْمِلُ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ وَيَضْحَكُ مِنْهُ دُنُو الْأَجَلِ
يَقُولُ سَأَفْعَلُ هَذَا غَدًا وَذُونَ غَدٍ لِلْمَنَابَا عَمَلُ
قَالَ آخَرُ :

عَجِبْتُ لِمَقْتُونٍ يُخَافُ بَعْدَهُ لِيُورِثُهُ مَا كَانَ يَجْمَعُ مِنْ كَسْبِ
حَوَا مَالَهُ ثُمَّ اسْتَهْلُوا إِمْبَرَهُ بِبَادِي بُكَاءِ نَحْتَهُ ضَحِكُ الْقَلْبِ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَاللَّهِ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا تَبَجَى عَيْنَا وَيَأْتِي رِزْقُهَا رَغَدًا
مَا كَانَ مِنْ حِقِّ حُرِّ أَنْ يَذِلَّ لَهَا فَكَيْفَ وَهِيَ مَتَاعٌ يَضْحَكُ غَدًا
قَالَ آخَرُ :

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ فَالْجُهُولُ الْجُهُولُ مَنْ يَضْطَفِيهَا
مَا مَضَى فَاتَ وَالْمُؤْمِلُ غَيْبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا

٢٩ أورد ابن خلكان للحسن بن علي الخازن :

عَنْتُ الدُّنْيَا لِطَالِبِهَا وَأَسْتَرَا حَ الزَّاهِدُ الْأَطْنُ
كُلُّ مَلِكٍ نَالَ زُخْرُفَهَا حَسْبُهُ مِمَّا حَوَى كَفَنُ

يَهْتَبِي مَالًا وَيَتْرُكُهُ فِي كِلَا الْحَالَيْنِ مُفْتَنٌ
 أَمَلِي كَوْنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ مُرْتَمِنٌ
 أَكْرَهُ الدُّنْيَا وَكَيْفَ بِهَا وَالَّذِي تَتَّخُو بِهِ وَسَنٌ
 لَمْ تَدُمْ قَلْبِي عَلَى أَحَدٍ فَلِمَآذَا أَلْهَمُّ وَالْحَزَنُ

وَأَشَدَّ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ :

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشَرَ وَإِنَ أَمَّ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابِرُ
 وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْأَكْرَامُ مُلُوكُ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
 وَأَخُو الْحِصْنِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلَةٌ تَجْبِي إِلَيْهِ وَالْحَابِرُ
 شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا فَلَطَّيِرٍ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ
 لَمْ يَهَبْهُ رَبُّ الْمُنُورِ فَبَادَأَ الْمَلِكُ عَنْهُ قَبَابَهُ مَهْجُورُ
 قَالَ غَيْرُهُ :

تَأْمَلُ فِي الْوُجُودِ بَعَيْنِ فِكْرٍ تَرَى الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ كَالْحِيَالِ
 وَمَنْ فِيهَا جَمِيعًا سَوْفَ يَنْتَبِي وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ
 قَالَ آخَرُ :

دُنْيَاكَ شَيْنَانٍ فَأَنْظُرْ مَا ذَلِكَ الشَّيْئَانِ

مَا قَاتَ مِنْهَا فَحْلُومٌ وَمَا بَقِيَ فَأَمَانِي

٣٠. اسْتَشَدَّ التَّوَكَّلُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ . فَقَالَ : إِنِّي لَتَلِيلُ

الرِّوَايَةِ فِي الشَّعْرِ . فَقَالَ : لَا بُدَّ . فَأَشَدَّهُ :

بَاتُوا عَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ غَلَبُ الرِّجَالِ فَاَمْ تَنْقَعُهُمُ الْقُلُلُ

وَأَسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عِزِّ عَن مَّعَاقِلِهِمْ
 نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِّن بَعْدِ مَا دَفِنُوا
 أَيْنَ أَوُجُوهُ آلِي كَانَتْ مُنْعَمَةً
 فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ
 قَدْ طَالَمَا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَا شَرِبُوا
 وَطَالَمَا كَثُرُوا الْأَمْوَالَ وَأَدَّخَرُوا
 وَطَالَمَا شَبَدُوا دُورًا لِتُحْصِنَهُمْ
 أَضْحَتْ مَسَاكِنُهُمْ وَحَشَا مُعْطَلَةٌ
 سَلَّ الْخَلِيفَةَ إِذْ وَافَتْ مَنِيئَهُ
 أَيْنَ الْكُنُوزُ الَّتِي كَانَتْ مَفَاحِمَهَا
 أَيْنَ الْعَبِيدُ الَّتِي أَرْضَدْتَهُمْ عُدَا
 أَيْنَ الْفَوَارِسُ وَالْعِلْمَانُ مَا صَنَعُوا
 أَيْنَ الْكُفَاةُ الَّتِي يَكْفُوا خَلِيفَتَهُمْ
 أَيْنَ الْكُمَاةُ أَمَا حَامُوا أَمَا غَضِبُوا
 أَيْنَ الرُّمَاهُ الَّتِي تُمْنَعُ بِأَسْهُمِهِمْ
 هَيَّاتَ مَا مَنَعُوا ضَيْمًا وَلَا دَفَعُوا
 وَلَا الرُّشَى دَفَعْتَهَا صَاحٍ وَبَدَلُوا
 مَا سَاعَدُوكَ وَلَا وَاسَاكَ أَقْرَبَهُمْ
 مَا بَالُ قَبْرِكَ لَا يَنْشَى بِهِ أَحَدٌ

وَأَوْدَعُوا حُفْرًا يَابِسًا مَا نَزَلُوا
 أَيْنَ الْأَسِيرَةُ وَالْتِيحَانُ وَالْحَلَلُ
 مِّن دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكَلَلُ
 تِلْكَ أَلْوَجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتَلُ
 فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا
 فَخَلَّفُوهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ وَأَرْتَحَلُوا
 فَفَارَقُوا الدُّورَ وَالْأَهْلِينَ وَأَتَقَّلُوا
 وَسَاكِنُوهَا إِلَى الْأَجْدَاثِ قَدَّرَحَلُوا
 أَيْنَ الْجُنُودُ وَأَيْنَ الْحَيْلُ وَالْحَوْلُ
 تَوَّاهُ بِالْعَصَبَةِ الْمُقَوِينَ لَوْ حَمَلُوا
 أَيْنَ الْعَدِيدُ وَأَيْنَ الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ
 أَيْنَ الصَّوَارِمُ وَالْخَطِيئَةُ الذُّبُلُ
 لَمَّا رَأَوْهُ صَرِيحًا وَهُوَ يَنْتَهِلُ
 أَيْنَ الْحِمَاةُ الَّتِي يُحْمَى بِهَا الدُّوَلُ
 لَمَّا أَتَتْكَ سِهَامُ الْمَوْتِ تَنْتَضِلُ
 عَنْكَ الْمَنِيَّةُ إِذْ وَاقَى بِهَا الْأَجَلُ
 وَلَا الرُّشَى نَفَعَتْ شَيْئًا وَلَا الْحَيْلُ
 بَلْ أَسْلَمُوكَ لَهَا يَابِسًا مَا فَعَلُوا
 وَلَا يَطُورُ بِهِ مِّن بَيْنِهِمْ رَجُلٌ

مَا بَالُ قَصْرِكَ وَحَشَا لَا أُنَيْسَ بِهِ يَشَاكَ مِنْ كَفَيْهِ الرُّوعُ وَالْوَهْلُ
 مَا بَالُ ذِكْرِكَ مَنْسِيًّا وَمُطْرَحًا وَكَلْمَهُمْ بِأَقْتِسَامِ الْمَالِ قَدْ سُغِلُوا
 لَا تُنْكِرَنَّ فَمَا دَامَتْ عَلَى مَلِكٍ وَلَا أَنَاخَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ وَالْوَجَلُ
 وَكَيْفَ يَرُجُودَ وَامِ الْعَيْشِ مُتَّصِلًا وَرُوحَهُ بِحِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلُ
 وَجِسْمُهُ لِلْبَانَاتِ الرَّدَى غَرَضُ وَمُلْكُهُ زَائِلٌ عَنْهُ وَمُنْتَقِلُ
 (وَتُرْوَى هَذِهِ الْقَصِيدَةُ فِي دِيْوَانِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ)

حفظ للحراس

٣١ قَالَ الْمُعَلَّى الصُّوفِيُّ: شَكَّوتُ إِلَى بَعْضِ الزُّهَادِ فَسَادًا أَجِدُهُ فِي
 قَلْبِي. فَقَالَ: هَلْ نَظَرْتَ إِلَى شَيْءٍ فَتَأَقَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُكَ. وَأُتِ: نَعَمْ.
 قَالَ: أَحْفَظْ عَيْنَيْكَ فَإِنَّكَ إِنْ أَطَلَقْتَهُمَا أَوْقَعْتَكَ فِي مَكْرُوهٍ. وَإِنْ
 مَلَكَتَهُمَا مَلَكَتَ سَائِرَ جَوَارِحِكَ. (قَالَ) مُسَلِّمُ الْخَوَاصِّ مُحَمَّدُ بْنُ
 عَلِيِّ الصُّوفِيِّ: أَوْصِنِي. فَقَالَ: أَوْصِيكَ بِتَهْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِكَ كَلَاهِ.
 وَإِيَّارٍ مَا يَجِبُ عَلَى مَحَبَّتِكَ. وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ إِلَى كُلِّ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ طَرْفُكَ
 وَشَوْقَكَ إِلَيْهِ قَلْبُكَ. فَإِنَّهُمَا إِنْ مَلَكَكَ لَمْ تَلِكْ شَيْئًا مِنْ جَوَارِحِكَ
 حَتَّى تَبْلُغَ بِهَا مَا يُطَالِبُكَ بِهِ. وَإِنْ مَلَكَتَهُمَا كُنْتَ الدَّاعِي لهُمَا إِلَى مَا
 أَرَدْتَ. فَلَمْ يَعْصِيَاكَ أَمْرًا وَلَا يُرَدَّاكَ قَوْلًا. (قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ):
 إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْقَلْبَ أَمِيرَ الْجَسَدِ وَمَلِكَ الْأَعْضَاءِ. فَجَمِيعُ
 الْجَوَارِحِ تَتَقَادُ لَهُ وَكُلُّ الْخَوَاصِّ تُطِيعُهُ وَهُوَ مُدِيرُهَا وَمُصَرِّفُهَا وَقَائِدُهَا
 وَسَائِقُهَا وَإِيرَادَتُهُ تَنْبِثُ وَفِي طَاعَتِهِ تَقَابُ. وَوَزِيرُهُ الْعَقْلُ. وَعَاضِدُهُ

أَتَمُّهُمُ . وَرَأَيْدُهُ الْعَيْنَانِ . وَطَلِيمَتُهُ الْأَذْنَانِ . وَهَمَّا فِي النَّقْلِ سَوَاءٌ لَا
يَكْتُمَانِهِ أَمْرًا وَلَا يَطْوِيَانِ دُونَهُ سِرًّا (يريد العين والأذن)

الدهر وحوادثه

٣٢ لَقِيَ رَجُلٌ حَكِيمًا فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى الدَّهْرَ قَالَ يُخْلِقُ الْأَبْدَانَ
وَيُجَدِّدُ الْأَمَالَ وَيُقَرِّبُ الْمُنِيَّةَ . وَيُبَاعِدُ الْأَمْنِيَّةَ قَالَ : فَمَا حَالُ أَهْلِهِ .
قَالَ : مَنْ ظَفَرَ مِنْهُمْ لَبَبٌ . وَمَنْ قَاتَهُ نَعِيبٌ . قَالَ : فَمَا يُنْبِي سِنَّهُ .
قَالَ : قَطَعَ الرَّجَاءَ مِنْهُ . قَالَ : فَأَيُّ الْأَصْحَابِ أَيْرٌ وَأَوْفَى . قَالَ : الْعَدْلُ
الصَّالِحُ وَالْتَقْوَى . قَالَ أَيُّهُمْ أَضْرُّ وَأَرْدَى . قَالَ : النَّفْسُ وَالْهَوَى . قَالَ :
فَأَيْنَ الْخُرْجُ . قَالَ : سُلوْكُ الْمَنَهِجِ (زهر الآداب للقيرواني)

٣٣ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَمَّا الدَّهْرُ مَا أَكْدَرَ صَافِيَهُ وَأَخْيَبَ رَاجِيَهُ .
وَأَعْدَى أَيَّامَهُ وَلِيَالِيَهُ . وَقِيلَ : يَسَارُ الدَّهْرُ فِي الْأَخْذِ أَسْرَعُ مِنْ
يَمِينِهِ فِي الْبَدْلِ . لَا يُعْطِي بِهَذِهِ إِلَّا أَرْتَجِعَ بِتِلْكَ . وَقَالَ آخَرُ : الدَّهْرُ
لَا يَوْمُنَ يَوْمَهُ . وَيُخَافُ غَدَهُ . يُرْضِعُ تَدْيِيَهُ وَيُجْرَحُ يَدَهُ . وَقِيلَ :
الدَّهْرُ يَفْرُوْهُ وَيَسُوْهُ مِنْ حَيْثُ يَسُرُّ . وَقَالَ آخَرُ الدَّهْرُ لَا تَنْتَهِي
فِيهِ الْمَوَاهِبُ . حَتَّى تَخْلَعَهُ الْمَصَائِبُ . وَلَا تَصْفُو فِيهِ الْمَشَارِبُ . حَتَّى
تُكْدِرَهَا الشَّوَابُ . (وَفِي فَضْلِ ابْنِ الْمُعْتَرِ) : هَذَا زَمَانٌ مُتَلَوْنُ الْأَخْلَاقِ
مُتَدَاعِي الْبَدَائِنِ . مُوقِظُ الشَّرِّ مِنْمِ الْخَيْرِ . مُطْلِقُ أَعْنَةِ الظُّلْمِ . حَابِسُ
رُوحِ الْعَدْلِ . قَرِيبُ الْأَخْذِ مِنَ الْإِعْطَاءِ وَالْإِكْفَاءِ مِنَ الْبَهْجَةِ
وَالْمَطْوَبِ مِنَ الْبِشْرِ . مُرُّ الثَّمَرَةِ بِعِيدِ الْمُحْتَجِّ . قَابِضُ عَلَى النَّوَسِ

بِكُرْبَتِهِ . مُنِجٌ عَلَى الْأَجْسَامِ بِوَحْشَتِهِ . لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِالشَّكْوَى . وَلَا
يَسْكُتُ إِلَّا عَلَى غَضَصٍ وَبَلْوَى . (وَمِثْلُهُ فَضْلٌ لِلصَّاحِبِ) : الزَّمَانُ
حَدِيدُ الظُّفْرِ . لَيْمُ الظُّفْرِ . حُلُوُّ المُوْرِدِ مَرُّ المَصْدَرِ . آثَرُهُ عِنْدَ المَرءِ كَأَثَرِ
السِّيفِ فِي الضَّرْبِيَّةِ وَاللَّيْثِ فِي الثَّرْيَسَةِ . (وَلشَّمْسِ المَعَالِي قَابُوسِ) :
الدَّهْرُ شَرٌّ كُلُّهُ . مَفْصَلُهُ وَمَجْمَلُهُ . إِنْ أَضْحَكَ سَاعَةً أَبْكَى سَنَةً . وَإِنْ
أَتَى بِسَيِّئَةٍ جَعَلَهَا سَنَةً . وَمَنْ أَرَادَ مِنْهُ غَيْرَ هَذَا سِيرَةً . أَرَادَ مِنَ الْأَعْمَى
عَيْنًا بَصِيرَةً . وَمَنْ أَبْتَنَى مِنْهُ الرِّعَايَةَ . أَبْتَنَى مِنَ النُّوْلِ الهِدَايَةَ
(طَرَائِفُ اللطَافِ للقدسي)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَالَمَا طَالَ جِرْصُ النَّاسِ فِي حَذَرٍ عَلَى الْحَيَاةِ فَضَاعَ الْجِرْصُ وَالْحَذَرُ
قَدْ غَرَّهُمْ زُخْرُفُ الدُّنْيَا وَبَهَجَتَهَا نَعَمَ الْفُصُونُ وَلَكِنْ بِسَمَا الْغَمْرِ
قَالَ آخَرُ :

مَا أَنْتَ إِلَّا كَزَرْعٍ عِنْدَ خُضْرَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَفَاتِ مَحْصُودُ
فَإِنْ سَلِمْتَ مِنَ الْأَفَاتِ أَجْمَعِهَا فَأَنْتَ عِنْدَ كَمَالِ الْأَمْرِ مَحْصُودُ
قَالَ بَعْضُهُمْ يَذْكُرُ فِجَائِعَ الدَّهْرِ :

وَأَصْبَحْتُ كَأَلْبَازِي المُنْتَفِ رِيْشُهُ يَرَى حَسْرَاتِ كَلَّمَا طَارَ طَائِرُ
يَرَى خُرْقَاتِ الجَوِّ يَخْرُقْنَ فِي المَوَا فَيَذْكُرُ رِيْشًا مِنْ جَنَاحِيهِ وَافِرُ
وَقَدْ كَانَ دَهْرًا فِي الرِّيَاضِ نَعْدَا عَلَى كُلِّ مَا يَهْوَى مِنَ الصَّيْدِ قَادِرُ
إِلَى أَنْ أَصَابَتْهُ مِنَ الدَّهْرِ نَكْبَةٌ فَأَصْبَحَ مَحْصُوصَ الجَنَاحِينَ خَابِرُ

قَالَ غَيْرُهُ :

فِي الدَّهْرِ تَحَيَّرَتِ الأُمَمُ وَالْحَاصِلُ مِنْهُ لَهُمْ أَلَمٌ
بِعَجَائِبِهِ وَوَصَائِبِهِ أَمْوَاجُ زَوَاخِرِ تَأْتِطِمُ
وَالعُمُرُ يَسِيرُ سِيرَ الشَّمْسِ فَلَيْسَ تَعْرِ لَهُ قَدَمٌ
قَدَمَانِ لَهُ يَسْعَى بِهِمَا فَضْحَى وَدَجَى ضَوْءُ ظُلَمٍ
وَالنَّاسُ بِجُلْمِ جَهَالَتِهِمْ فَإِذَا ذَهَبُوا ذَهَبَ الحِلْمُ
صَمٌّ بِكُمْ عَمِي بِهِمْ نَعَمْ قَسِمَتْ لَهُمْ نَعَمْ
فُرُقُوا فِرْقًا فِرُقُوا فِرْقًا وَمَضُوا طُرُقًا لَا تَلْتَمِمْ

قَالَ آخَرُ :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا سَلَمٌ فَيَقْدِرُ مَا يَكُونُ صُعُودُ المَرءِ فِيهِ هُبُوطُهُ
وَهَيَّاتُ مَا فِيهِ يَزُولُ وَإِنَّمَا شُرُوطُ الَّذِي يَرَقَى إِلَيْهِ سَقُوطُهُ
فَمَنْ كَانَ أَعْلَى كَانَ أَوْفَى تَهَشُّمَا وَفَاءً بِمَا قَامَتْ عَائِيهِ شُرُوطُهُ

ذَكَرَ المَوْتَ

٣٤ قَالَ ابْنُ المَعْتَرِ :

نَسِيرٌ إِلَى الأَجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامَنَا تُطَوَى وَهِنَّ مَرَاجِلُ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ المَوْتِ حَقًّا فَإِنَّهُ إِذَا مَا مَخَّطَتْهُ الأَمَانِيُّ بَاطِلُ
فَمَا أَقْبَحَ التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الصَّبَا فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ شَائِلُ
تَرَحَّلُ مِنَ الدُّنْيَا زَادَ مِنَ التَّقَى فَعُمُرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ

وَقَالَ أَبُو العَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ المَوْتِ :

كَانَ الْأَرْضَ قَدْ طَوَّيْتَ عَلَيَّا وَقَدْ أَخْرَجْتَ بِمَا فِي يَدَيَّا
 كَأَنِّي صِرْتُ مُنْفَرِدًا وَحِيدًا وَمُرْتَهَنًا لَدَيْكَ بِمَا عَلَيَّا
 كَانَ الْبَاكِاتِ تَلِيَّ يَوْمًا وَلَا يُغْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
 ذَكَرَنَ مَنِّي فَنَعَيْتَ نَفْسِي أَلَا أَسْعِدُ أَخِيكَ يَا أَخِيَّا
 وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ:

أَتَلَهُو بَيْنَ بَاطِيَةِ وَزِيرٍ وَأَنْتَ مِنَ الْهَلَاكِ عَلَى شَفِيرٍ
 فَيَا مَنْ غَرَّهُ أَمَلٌ طَوِيلٌ يُؤَدِّيهِ إِلَى أَجَلٍ قَصِيرٍ
 أَتَفْرَحُ وَالْمَنِيَّةُ كُلُّ يَوْمٍ تُرِيكَ مَكَانَ قَبْرِكَ فِي الْقُبُورِ
 هِيَ الدُّنْيَا فَإِنْ سَرَّتْكَ يَوْمًا فَإِنَّ الْحُزْنَ عَاقِبَةُ السُّرُورِ
 سَتَسَلُّ كُلَّ مَا جَمَعْتَ مِنْهَا كَعَمَارِيَةٍ تُرَدُّ إِلَى الْمَعِيرِ

٣٥ وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ إِبْرَاهِيمَ:

ضَعُوا خَدِّي عَلَى لِحْدِي ضَعُوهُ وَمِنْ غَفْرِ التُّرَابِ فَوَسِّدُوهُ
 وَشُثُّوا عَنْهُ أَكْثَفَانَا رِقَاقًا وَفِي الرَّمْسِ الْبَعِيدِ فَغَيِّبُوهُ
 فَلَوْ أَبْصَرْتُمُوهُ إِذَا تَقَضَّتْ صَبِيحَةٌ تَالِثٌ أَنْكَرْتُمُوهُ
 وَلَوْ سَأَلْتُ نَوَاطِرُ مُقَاتِيهِ عَلَى وَجَنَاتِهِ لَرَفَضْتُمُوهُ
 وَقَدْ نَادَى الْبَلِيَّ هَذَا فُلَانٌ هَلُمُّوا فَأَنْظَرُوا هَلْ تَعْرِفُوهُ
 خَلِيئِكُمْ وَجَارِكُمُ الْمُنَدَى تَقَادَمَ عَهْدُهُ فَاسْتَبْرَهُ
 قَالَ بَعْضُهُمْ:

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مُدْرِكُهُ وَالْقَبْرَ مَسْكِنَهُ وَالْبَيْتَ مُخْرِجُهُ

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ يَتَّقِ
 أَنْ تَتَّقِي أَفْضَلَ شَيْءٍ فِي الْعَمَلِ
 خَافُوا الْجَحِيمَ إِخْوَتِي لَعَلَّكُمْ
 قَدْ قِيلَ فِي الْأَمْثَالِ لَوْ عَلِمْتُمْ
 مَا يَزْرَعُ الزَّارِعُ يَوْمًا يَحْصُدُهُ
 فَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ وَتُوبُوا
 يَوْمَ الْحِسَابِ صَاثِرًا إِلَى الْهُدَى
 أَرَى جَمَاعَ الْبِرِّ فِيهِ قَدْ دَخَلَ
 يَوْمَ الْبِقَاءِ تَعْرِفُوا مَا سَرَّكُمْ
 فَأَنْتَضُوا بِذَلِكَ إِنْ عَقَلْتُمْ
 وَهَذَا يُقَدِّمُ مِنْ صِلَاحٍ يَحْمَدُهُ
 فَأَمُوتُ مِنْكُمْ فَأَعْلَمُوا قَرِيبُ
 (الْأَغَانِي)

٣٩ قَالَ بَعْضُهُمْ :

حَتَّامَ أَنْتَ بِمَا يُهَيْكُ مُشْتَعِلُ
 تَمْضِي مِنَ النَّهْرِ بِالْعَيْشِ الدَّمِيمِ إِلَى
 وَتَدْعِي بِطَرِيقِ الْقَوْمِ مَعْرِفَةً
 فَأَنْهَضُ إِلَى ذُرْوَةِ الْعُلْيَاءِ مُبْتَدِرًا
 فَإِنْ ظَفِرْتَ فَقَدْ جَاوَزْتَ مَكْرَمَةً
 وَإِنْ قَضَيْتَ بِهِمْ وَجْدًا فَأَحْسَنُ مَا
 عَنْ نَجْحِ قَصْدِكَ مِنْ نَحْرِ الْهَوَى تَمَلُّ
 كَمْ ذَا التَّوَانِي وَكَمْ يَغْرِي بِكَ الْأَمَلُ
 وَأَنْتَ مُنْقَطِعُ وَالْقَوْمُ قَدْ وَصَلُوا
 عَزْمًا اتَّرَقَى مَكَانًا دُونَهُ زُحَلُ
 بَقَاؤُهَا بَيْتَاءَ اللَّهِ مُتَّصِلُ
 يُبَالُ عَنْكَ قَضَى مِنْ وَجْدِهِ الرَّجُلُ
 ٤٠ قَالَ بِيَهَاءِ الدِّينِ الْعَامِلِي فِي كِتَابِ رِيَاضِ الْأَرْوَاحِ :

أَلَا يَا خَانِضًا بِنَحْرِ الْأَمَانِي
 أَضَعْتَ الْعُمَرَ عِصْيَانًا وَجَهْلًا
 مَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ وَأَنْتَ غَافِلُ
 إِلَى كُمْ كَأَلْبِهَانِمِ أَنْتَ هَانِمِ
 هَذَاكَ اللَّهُ مَا هَذَا التَّوَانِي
 فَمَهْلًا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ مَهْلًا
 وَفِي تَوْبِ الْعَمَى وَالنَّبِيِّ رَافِلُ
 وَفِي وَقْتِ الْغَسَائِمِ أَنْتَ نَانِمِ

وَطَرَفَكَ لَا يُرَى إِلَّا طَمُوحًا وَتَنَفُّكَ لَمْ تَرَ إِلَّا جُمُوحًا
 وَقَلْبِكَ لَا يُفِيقُ عَنِ الْمَعَاصِي فَوَيْلَكَ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي
 بَلَالُ الشَّيْبِ نَادَى فِي الْمَفَارِقِ بِحَيٍّ عَلَى الذَّهَابِ وَأَنْتَ غَارِقِ
 بِيَجْرِ الْإِثْمَ لَا تُصْنِي لِمَوَاعِظِ وَإِنْ أَطْرَى وَأَطْنَبَ فِي الْمَوَاعِظِ
 وَقَلْبِكَ هَائِمٌ فِي كُلِّ وَادٍ وَجَهَنكَ كُلَّ يَوْمٍ فِي أَرْزَادِ
 عَلَى تَحْصِيلِ دُنْيَاكَ الدُّنْيَا مُجِدًّا فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْعِشَاءِ
 وَجَهْدِ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا شَدِيدٌ وَلَيْسَ يَنَالُ مِنْهَا مَا يُرِيدُ
 وَكَيْفَ يَنَالُ فِي الْأُخْرَى مَرَامَهُ وَلَمْ يَجْهَدْ لِمَطْلَبِهَا قُلَامَهُ
 ٤١ قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ زَهَيْرٌ :

نَزَلَ الْمَشِيبُ وَإِنَّهُ فِي مَفَرِّقِي لَأَعَزُّ نَازِلُ
 وَبَكَيْتُ إِذْ رَحَلَ الشَّبَابُ بُ فَاءِ آهِ عَلَيْهِ رَاجِلُ
 يَا فَلا نُ وِلِي أُقُولُ وِلِي أُسَائِلُ
 أَتُرِيدُ فِي السَّبْعِينَ مَا قَدْ كُنْتَ فِي الْعِشْرِينَ فَاعِلُ
 هَهَيَاتَ لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثَ عَاقِلُ
 قَدْ كُنْتَ تُعْذِرُ بِالصَّبَا وَالْيَوْمَ ذَاكَ الْعُذْرُ زَائِلُ
 مَنِّتَ نَفْسَكَ بِاطِّلا وَإِلَى مَتَى تُرَضَى بِبَاطِلُ
 قَدْ صَارَ مِنْ دُونِ الَّذِي تُرْجُوهُ مِنْ مَرَحِ مَرَّاجِلُ
 ضَيَّعْتَ ذَا الزَّمَنِ الطَّوِيلِ وَلَمْ تَفْزُ فِيهِ بِطَائِلُ

الْبَابُ الثَّلَاثُ فِي الْمَرَاثِي

رثا. داود الطائي

٤٢ لَمَّامَاتِ دَاوُدَ الطَّائِي تُكَلِّمُ ابْنَ السَّمَاءِ مَثْنِيًا عَلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ
دَاوُدَ نَظَرَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ آخِرَتِهِ فَأَعْشَى بَصَرَ الْقَابِ بَصَرَ الْعَيْنِ
فَكَانَهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَا إِلَيْهِ تَنْظُرُونَ . وَكَأَنَّكُمْ لَمْ تَنْظُرُوا إِلَى مَا إِلَيْهِ
نَظَر . وَأَنْتُمْ مِنْهُ تَعْجَبُونَ وَهُوَ مِنْكُمْ يَعْجَبُ . فَلَمَّا رَأَىكُمْ مَفْتُونِينَ
مَعْرُورِينَ قَدْ أَذْهَلَتِ الدُّنْيَا عُمُوكُمْ وَأَمَاتَتْ بِحُجَّتِهَا قُلُوبَكُمْ اسْتَوْحَشَ
مِنْكُمْ . فَكُنْتَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ حَسِبْتَهُ حَيًّا وَسَطَ أَمْوَاتٍ . يَا دَاوُدُ مَا
أَعْجَبَ شَأْنَكَ بَيْنَ أَهْلِ زَمَانِكَ أَهْنَتْ نَفْسَكَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ إِكْرَامَهَا
وَأَتَعَبْتَهَا وَإِنَّمَا تُرِيدُ رَاحَتَهَا . أَخَشَّتِ الطَّعْمَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ طَيِّبَهُ .
وَخَشَّتِ الْمَلْبَسَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ لَيْتَهُ . ثُمَّ أَمَتَّ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ وَفَبَرَّتَهَا
قَبْلَ أَنْ تُقْبَرَ . وَعَدَّتْهَا قَبْلَ أَنْ تَعْدَبَ سَجَّتْ نَفْسَكَ فِي بَيْتِكَ وَلَا
مُحَدِّثَ لَهَا لَوْلَا جَلِيسٌ مَعَهَا . وَلَا فِرَاشٌ مَحْتَكٌ وَلَا سِتْرٌ عَلَى بَابِكَ . وَلَا
قَلَّةٌ تُبْرِدُ فِيهَا مَاءَكَ وَلَا صَحْفَةٌ يَكُونُ فِيهَا غَدَاؤُكَ وَعَشَاؤُكَ . يَا دَاوُدُ مَا
تَشْتَهِي مِنَ الْمَاءِ بَارِدَهُ وَلَا مِنَ الطَّعَامِ طَيِّبَهُ وَلَا مِنَ اللِّبَاسِ آيِنَهُ بَلَى
وَلَكِنْ زَهَدَتْ فِيهِ لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ . فَمَا أَضْرَمَ مَا بَدَلْتَ وَمَا أَحْقَرَ مَا
رَزَمْتَ فِي جَنْبِ مَا رَغِبْتَ وَأَمَلْتَ . لَمْ تَقْبَلْ مِنَ النَّاسِ عَطِيَّةً وَلَا مِنْ

الإخوان هدية فلما أتت شهرك ربك بفضلك وأبسك رداء عمك .
فلو رأيت من حضرك علمت أن ربك قد أكرمك (لابن عبد ربه)

رثاء الاسكندر

٤٣ مختار من قول الحكماء عند وفاة الإسكندر لما جعل في تابوت
من ذهب تقدم إليه أحدهم فقال : كان الملك يخبأ الذهب وقد
صار الآن الذهب يخبأه . وتقدم إليه آخر فقال : قد طاف الأرضين
وملكها ثم جعل منها في أربعة أذرع . (ووقف عليه آخر) فقال :
أنظر إلى حلم النائم كيف انقضى إلى ظل الغمام وقد أنجلي .
(ووقف عليه آخر) فقال : ما لك لا تقل عضواً من أعضائك وقد
كنت تستقل ملك العباد . (وقال آخر) : ما لك لا ترغب بنفسك
عن ضيق المكان وقد كنت ترغب بها عن رخب البلاد (وقال آخر) :
أما هذا ألمت كثيراً من الناس لئلا يموت وقد مات الآن . (وقال
آخر) : ما كان أقمج إفراطك في التجر أمس مع شدة خضوعك
اليوم . (قالت بنت دارا) : ما علمت أن غالب أبي يغلب . (وقال رئيس
الطباخين) : قد نضدت النضائد وألقت الوسائد ونصبت الموائد
ولست أرى عبيد المجلس

(للقيرواني)

٤٤ قال ابن عبد ربه يرثي ولده :

واكبداً قد تقطعت كبدي قد حرقتها لواعج الكمد
ما مات حي لميت أسفاً أعذر من والد علي ولي

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ جَاوِرِي جَدَاتَا دَقَنْتُ فِيهِ حُشَاشَتِي بِيَدِي
 وَتَوَرِّي ظُلْمَةَ الْقُبُورِ عَلَى مَنْ لَمْ يَصِلْ ظَلَمَهُ إِلَى أَحَدٍ
 مَنْ كَانَ خِلْوًا مِنْ كُلِّ بَائِقَةٍ وَطِيبَ الرُّوحِ طَاهِرَ الْجَسَدِ
 يَا مَوْتَ يَحْيِي لَقَدْ ذَهَبَتْ بِهِ أَيْسَ بِزُمَيْلَةٍ وَلَا نَكِيدِ
 يَا مَوْتَهُ لَوْ أَقَلَّتْ عَثْرَتُهُ يَا يَوْمَهُ لَوْ تَرَكَتَهُ لِنَدِ
 يَا مَوْتُ لَوْ لَمْ تَكُنْ تَعَاجِلُهُ لَكَانَ لَا شَكَّ بَيْضَةَ الْبَلَدِ
 أَوْ كُنْتَ رَاخِيَةً فِي الْعِنَانِ لَهُ حَاذِ الْأَمَلَا وَأَحْتَوِي عَلَى الْأَمَدِ
 أَيُّ حُسَامٍ سَلَبْتَ رَوْنَقَهُ وَأَيُّ رُوحٍ سَلَلْتَ مِنْ جَسَدِ
 وَأَيُّ سَاقٍ قَطَعْتَ مِنْ قَدَمِ وَأَيُّ كَفِّ أَرَلْتَ مِنْ عَضُدِ
 يَا قَمْرًا أَحْجَفَ الْخُسُوفُ بِهِ قَبْلَ بُلُوغِ السَّوَادِ فِي الْأَمَدِ
 أَيُّ حَشَا لَمْ يَذُبْ لَهُ أَسْفَا وَأَيُّ عَيْنٍ عَلَيْهِ لَمْ تَجِدِ
 لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلْدُ فَجِئْتَ يَا صَبْرُ فِيهِ وَالْجَلْدِ
 لَوْ لَمْ أَمُتْ عِنْدَ مَوْتِهِ كَعَمْدًا لَحِقَ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ كَمْدِي
 يَا لَوْعَةً لَا يَزَالُ لِأَعْيُنِنَا يَقْدَحُ نَارَ الْأَسَى عَلَى كَبْدِي

٤٥ وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:

لَا بَيْتَ يُسْكَنُ إِلَّا فَارَقَ السَّكَنَا وَلَا أُمَّتًا قَرَحًا إِلَّا أُمَّتًا حَزَنَا
 لَهْفِي عَلَى مَيِّتٍ مَاتَ السُّرُورُ بِهِ لَوْ كَانَ حَيًّا لِأَحْيَا الدِّينِ وَالسُّنَنَا
 إِذَا ذَكَرْتُكَ يَوْمًا قُوتٌ وَاحْرَزَنَا وَمَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْقَوْلُ وَاحْرَزَنَا
 يَا سَيِّدِي وَمُرَاحَ الرُّوحِ فِي جَسَدِي هَلَّا دَنَا الْمَوْتُ مِنِّي حِينَ مِنْكَ دَنَا

حَتَّى يَمُرَّ بِنَا فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ لَحْدٍ وَيَلِيسَنَا فِي وَاحِدٍ كَفْنَا
 يَا أَطِيبَ النَّاسِ رُوحًا ضَمَّهُ بَدَنٌ أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ ذَاكَ الرُّوحَ وَالْبَدَنَا
 لَوْ كُنْتُ أُعْطِي بِهِ الدُّنْيَا مَعَاوِضَةً مِنْهُ لَمَا كَسَّانَتِ الدُّنْيَا لَهُ ثَمَنًا
 ٤٦ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ فِي الْأَمِينِ :

طَوَى الْمَوْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْمُنِيَّةَ نَاشِرٌ
 وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتَ وَحَدَهُ قَلَمٌ يَبْقَى لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحْذِرُ
 لَنْ عَمَرْتُ دُورًا يَمُنُّ لَا أَحِبُّهُ لَقَدْ عَمَرْتُ مِمَّنْ أَحِبُّ الْمُقَابِرُ
 وَمَاتَ ابْنُ لِأَعْرَابِيٍّ فَأَشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ يُكْنَى
 بِهِ فَقِيلَ لَهُ لَوْ صَبَرْتَ لَكَانَ أَكْبَرَ لِقَوَائِكَ . فَقَالَ :

بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ عَبَّاتُ حُضُوطَهُ بِيَدِي وَفَارَوْنِي بِمَاءِ شَبَابِهِ
 كَيْفَ أَسْلُوُهُ وَكَيْفَ أَنْسَى ذِكْرَهُ وَإِذَا دُعِيتُ فَإِنَّمَا أَدْعَى بِهِ
 وَقَالَ آخِرُ بَيْتِي أَخَاهُ

أَخٌ طَالَمَا سَرَّنِي ذِكْرُهُ فَقَدْ صِرْتُ أَشْجَى إِلَى ذِكْرِهِ
 وَقَدْ كُنْتُ أَعْدُو إِلَى قَصْرِهِ فَقَدْ صِرْتُ أَعْدُو إِلَى قَبْرِهِ
 ٤٧ قَالَتِ الْخَنَسَاءُ تَرْتِي أَخَاهَا :

أَعْيَنِي جُودًا وَلَا تَجْمَدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لَعَنَ الْوَدَى
 أَلَا تَبْكِيَانِ الْجُرِيَّ الْجُودَا أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا
 طَوِيلُ التَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَا دِ سَادَ عَشِيرَتِهِ أَمْرَدَا
 يُجْمَلُهُ الْقَوْمُ مَا غَالَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَصْفَرَهُمْ مَوْلَدَا

جَمُوعُ الضُّيُوفِ إِلَى بَابِهِ بَدَى انْفِضَلَ الْكَسْبِ أَنْ يُحْمَدَا
 وَقَالَتْ أُخْتُ الْوَلِيدِ بْنِ طَرِيفٍ تَرَى أَخَاهَا الْمَذْكُورَ :
 أَيَا شَجَرَ الْحَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
 فَتَى لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ اللَّهِ وَلَا أَمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَا وَسُوفٍ
 فَقَدَانَاهُ فَهَدَانِ الرَّبِيعِ فَلَيْتَنَا قَدَيْنَاهُ مِنْ سَادَاتِنَا بِالْوَفِ
 خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ إِذَا عَدَا وَأَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفٍ
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقَفَا فَإِنِّي أَرَى الْمَوْتَ وَقَعَا بِكُلِّ شَرِيفٍ

قَالَ ابْنُ مَعْتُوقٍ بَدَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
 حُزْنِي عَلَيْهِ دَائِمٌ لَا يَنْقُضِي وَتَصْبِرِي مِنِّي عَلَيَّ تَعَدَّرَا
 وَارْحَمْتَاهُ لِصَارَخَاتِ حَوْلِهِ تَبْكِي لَهُ وَلَوْجِهَهَا لَنْ تَسْتُرَا
 مُبْقَى عَلَى وَجْهِ التُّرَابِ تَنْظُهُ دَاوُدُ فِي الْغُرَابِ حِينَ تَسُورَا
 لَهْفِي عَلَى الْمَاوِي الصَّرِيعِ كَأَنَّهُ قُرْهُوِي مِنْ أَوْجِهِ فَتَكُورَا
 لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْأَبْنَانِ تَقَطَّعَتْ لَوْ أَنَّهَا اتَّصَلَتْ لَكَانَتْ أَبْجُرَا
 لَهْفِي عَلَى الْعَبَّاسِ وَهُوَ مُجْنَدَلٌ عَرَضَتْ مَنِيَّتُهُ لَهُ فَتَعَدَّرَا
 لِحِقِ الْغُبَارِ جَيْبُهُ وَلَطَالَمَا فِي شَاوِهِ لِحِقِ الْكِرَامِ وَغَبَّرَا

٤٨ وَقَالَ الْأَضْمَعِيُّ :

لَعَمْرُكَ مَا الرِّزِيَّةُ قَدْ مَالَ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرٌ
 وَلَكِنَّ الرِّزِيَّةَ قَدْ حُرِّ وَقَالَ الصَّفَدِيُّ :

يَا غَائِبًا فِي التَّرَى تَبَلَى مَحَاسِنُهُ اللَّهُ يُؤَلِّيكَ غُفْرَانًا وَإِحْسَانًا
 إِنْ كُنْتَ جُرِعْتَ كَأْسَ الْمَوْتِ وَاحِدَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ أَذُوقُ الْمَوْتَ أَحْيَانًا
 رَأَى بَعْضُ الشُّعْرَاءِ التَّمَاضِيَّ الْبَاقِلَانِيَّ الْبِصْرِيَّ :
 أَنْظُرْ إِلَى جَبَلٍ تَمْشِي الرِّجَالُ بِهِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْقَبْرِ مَا يَجُودِي مِنَ الصَّافِ
 وَأَنْظُرْ إِلَى صَارِمِ الْإِسْلَامِ مُعْتَمِدًا وَأَنْظُرْ إِلَى دُرَّةِ الْإِسْلَامِ فِي الصَّدْفِ
 قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي خَلِيلٌ مُودِعٌ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَبْقَى بغيرِ خَلِيلٍ
 وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَجِيءَ مِنِّي وَيُفْرِدَ مِنِّي صَاحِبِي وَدَخِيلِي
 قَالَ آخِرُ بَرِيٍّ أَخَاهُ :

كَأَنِّي يَوْمَ فَارَقْتَنِي حَيْبٌ رُزْتُ ذَوِي الْمَوَدَّةِ أَجْمِينًا
 وَكَانَ عَلَى الزَّمَانِ أَخِي حَيْبٌ مِينًا لِي وَكُنْتُ لَهُ يَمِينًا
 فَإِنْ يَفْرَحُ بِمَضْرَعِهِ الْأَعَادِي فَمَا نَلَفِي لَهُمْ مُتَخَشِّعِينَ
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ الصَّوَلِيُّ بَرِيٍّ ابْنًا لَهُ مَاتَ يَافِعًا مُتَرَعِّعًا :

كُنْتَ السَّوَادَ لِمَلَّتِي فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاطِرُ
 مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْتَ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَادِرُ

٤٩ كَانَ ابْنُ بَسَّامٍ بَرِيٍّ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى الْأَمَّجِيمِ :

قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ يَا عَلِيُّ مُسَلِّمًا وَلَكَ الزِّيَارَةُ مِنْ أَقَلِّ الْوَاجِبِ
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ حَمَلْتُ عَنْكَ زُرَابَهُ فَلَطَالَمَا عَنِي حَمَلَتْ نَوَائِبِي
 قَالَ الْعُتْبِيُّ فِي ابْنِ لَهُ تُوفِي صَغِيرًا :

إِنْ يَكُنْ مَاتَ صَغِيرًا فَالْأَسَى غَيْرُ صَغِيرٍ
كَانَ رِيحَانِي فَأَمْسَى وَهُوَ رِيحَانُ الْقُبُورِ
غَرَسْتَهُ فِي بَسَاتِينِ أَيْدِي الدُّهُورِ

قَالَ مُتَمِّمُ بْنُ نُؤَيْدَةَ يَرَى أَخَاهُ مَالِكًا:

لَمَّا لَأَمَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبَكَاءِ رَفِيقِي لِتَذْرَافِ الدَّمُوعِ السَّوَافِكِ
فَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ لَقَبْرِ نَوَى بَيْنَ اللُّوَى فَالِدَ كَادِكِ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا فَدَعَنِي قَهْدًا كَكَلِّهِ قَبْرُ مَالِكِ
قَالَ آخِرُ:

لِكُلِّ أَنْاسٍ مَقْبَرٌ بِفِنَائِهِمْ فَهَمُّ يَنْقُصُونَ وَالْقُبُورُ تَرِيدُ
وَمَا إِنْ يَزَالُ رَسْمٌ دَارَ قَدْ أَخْطَقَتْ وَبَيْتٌ لَمِتَ بِالْفَنَاءِ جَدِيدُ
هُمُ جِيرَةُ الْأَحْيَاءِ أَمَا جَوَارِهِمْ قَدَانٍ وَأَمَّا الْمُلتَقَى فَبَعِيدُ
•• قَالَ الْغَطَمَشُ الضَّبِّيُّ:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنِّي أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى وَالْأَخْلَاءُ تَذْهَبُ
أَخْلَاءُ لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابِكُمْ عَتَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى الْمَوْتِ مَعْتَبُ
قَالَ آخِرُ:

أَجَارِي مَا أَرْدَاذُ إِلَّا صَبَابَةٌ إِلَيْكَ وَمَا تَرْدَادُ إِلَّا تَنَابِيًا
أَجَارِي لَوْ نَفْسٌ قَدَتْ نَفْسَ مَيْتٍ فَدَيْتِكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي وَمَالِيًا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَمْلَأَكَ حِقْبَةً فَحَالَ قَضَاءِ اللَّهِ دُونَ رَجَائِيَا
أَلَا قَلِمْتُ مِنْ شَاءِ بَعْدَكَ إِنَّمَا عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

٥١ قَالَ أَبُو الشَّعْبِ الْعَبْسِيُّ فِي خَالِدِ الْقَسْرِيِّ وَهُوَ أَسِيرٌ:
 أَلَا إِنَّ حَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَهَالِكًا
 لَعْمَرِي لَئِنْ عَمَّرْتُمُ السَّجْنَ خَالِدًا
 لَقَدْ كَانَ يَبْنِي الْمَكْرَمَاتِ لِقَوْمِهِ
 فَإِنْ تَسَجَّنُوا الْقَسْرِيَّ لَا تَسَجَّنُوا اسْمَهُ
 قَاتَ صَفِيَّةَ الْبَاهِلِيَّةِ :

كُنَّا كَعُصْنَيْنِ فِي جُرُثُومَةٍ سَمَقًا
 حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَالَتْ فُرُوعُهُمَا
 أَخْنَى عَلَى وَاحِدِي رَبِّبَ الزَّمَانِ وَمَا
 كُنَّا كَأَنْجَمِ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ
 ٥٢ وَقَالَ التَّمِيمِيُّ فِي مَنْصُورٍ :

لَهْفِي عَلَيْكَ كَلَهْفَةٍ مِنْ خَائِفٍ
 أَمَّا الْهُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ
 عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابَهُ
 يُدْنِي عَائِكَ لِسَانَ مَنْ لَمْ تُولِهِ
 رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتِهِ
 قَالَ النَّاسُ مَا بَدَأَهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ
 عَجَبًا لِأَرْبَعِ أَذْرَعٍ فِي خَمْسَةِ

(الحماسة لابي تمام)

أَلْبَابُ الرَّابِعِ فِي الْحِكْمِ

٥٣ قِيلَ : لَا تَسْتَصْرِغَنَّ أَمْرَ عَدُوِّكَ إِذَا حَارَبْتَهُ . لِأَنَّكَ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ لَمْ تُحْمَدَ وَإِنْ ظَفَرَ بِكَ لَمْ تُعْذَرَ . وَالضَّعِيفُ الْمُحْتَرَسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيُّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمَغْتَرِّ بِالْعَدُوِّ الضَّعِيفِ . وَقِيلَ : الْعَدُوُّ الْمُحْتَقَرُ رُبَّمَا أَشَدَّ . كَالْفَضَنِ النَّضْرُ رُبَّمَا صَارَ شَوْكًا . وَقِيلَ : لَا تَأْمَنَنَّ الْعَدُوَّ الضَّعِيفَ أَنْ يُورِطَكَ . فَالْمُحْتَمِحُ قَدْ يُقْتَلُ بِهِ وَإِنْ عَدِمَ السِّنَانَ وَالرُّجَّحَ . قَالَ الْمَوْسَوِيُّ :

أَفْقِيلُ يَضْبِرُ وَهُوَ أَعْظَمُ مَا رَأَيْتَ مِنَ الْبَعُوضِ
٥٤ يُقَالُ إِنَّ ابْنَ الْقَرِيَّةِ دَخَلَ عَلَى الْحِجَابِ وَقَالَ لَهُ : مَا الْكُفْرُ . فَقَالَ :
الْبَطْرُ بِالنِّعْمَةِ وَالْيَأْسُ مِنَ الرَّحْمَةِ . فَقَالَ : مَا الرِّضَاءُ . فَقَالَ : الْفُنُوعُ
يُعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكَاثِرَةِ . فَقَالَ : مَا الصَّبْرُ . فَقَالَ :
كَلِمَةُ الْغَيْظِ وَالْإِحْتِمَالِ لِمَا لَا يَرَادُ . فَقَالَ : مَا الْحِلْمُ . فَقَالَ : إِظْهَارُ
الرَّحْمَةِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ وَالرِّضَاءُ عِنْدَ الْغَضَبِ . فَقَالَ : مَا الْكِرَامُ . فَقَالَ :
حِفْظُ الصَّدِيقِ وَقَضَاءُ الْحُقُوقِ . فَقَالَ : مَا الْحَمِيَّةُ . فَقَالَ : الْوُقُوفُ
عَلَى رَأْسِ مَنْ هُوَ دُونَكَ . فَقَالَ : مَا الشُّجَاعَةُ . فَقَالَ : الْحَمَلَةُ فِي وُجُوهِ
لِلْأَعْدَاءِ وَالْكَفَّارِ . وَالثَّبَاتُ فِي مَوَاضِعِ الْفِرَارِ . وَإِرْضَاءُ الرِّجَالِ .
قَالَ : مَا الْعَدْلُ . قَالَ : تَرْكُ الْمُرَادِ . وَصِحَّةُ السِّيَرَةِ وَالْإِعْتِقَادِ . فَقَالَ :

مَا إِلَّا نَصَافٌ . قَالَ : الْمَسَاوَاةُ عِنْدَ الدَّعَاوَى بَيْنَ النَّاسِ . فَقَالَ : مَا
 الذُّلُّ . قَالَ : الْمَرَضُ عِنْدَ خُلُوقِ الْيَدِ وَالْإِنْكَسَارُ مِنْ قَلَّةِ الرِّزْقِ . فَقَالَ :
 مَا الْحِرْصُ . قَالَ : حِدَّةُ الشَّهْوَةِ عِنْدَ الرَّجَاءِ . فَقَالَ : مَا الْأَمَانَةُ . قَالَ :
 قَضَاءُ الْوَاجِبِ . فَقَالَ : مَا الْحَيَاةُ قَالَ : التَّرَاخِي مَعَ التُّدْرَةِ . فَقَالَ :
 مَا التَّهَمُّ . قَالَ : التَّفَكُّرُ وَإِذْرَاكُ الْأَشْيَاءِ عَلَى حَقَائِقِهَا (للغزالي)

٥٥ (قَائِلَةٌ جَامِعَةٌ وَلَمْعَةٌ سَاطِعَةٌ وَمَمَالَةٌ نَافِعَةٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
 طَالِبٍ) قَالَ : لِلْمُؤْمِنِ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثُونَ حَقًّا لَا بَرَاءَةَ لَهُ مِنْهَا
 إِلَّا بِالْأَدَاءِ أَوْ الْعَفْوِ . يَغْفِرُ زَانَتَهُ . وَيَرْحَمُ عِبْرَتَهُ . وَيَسْتُرُ عَوْرَتَهُ . وَيَقْبَلُ
 عَثْرَتَهُ . وَيَقْبَلُ مَعْدِرَتَهُ . وَيَرُدُّ غِيْبَتَهُ . وَيُدِيمُ نَصِيحَتَهُ . وَيَحْفَظُ حُتْمَتَهُ .
 وَيَرْعَى ذِمَّتَهُ . وَيَعُودُ مَرْضَتَهُ . وَيَشْهَدُ بَيْتَهُ . وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ . وَيَقْبَلُ
 هَدِيَّتَهُ . وَيُكَافِي فِي صَلَاتِهِ . وَيَشْكُرُ نِعْمَتَهُ . وَيُحْسِنُ نَصْرَتَهُ . وَيَحْفَظُ
 حُرْمَتَهُ . وَيَقْضِي حَاجَتَهُ . وَيَقْبَلُ شَفَاعَتَهُ . وَلَا يُخَيِّبُ مَقْصِدَهُ . وَيُسَمِّتُ
 عَطْسَتَهُ . وَيُرْشِدُ ضَالَّتَهُ . وَيُرُدُّ سَلَامَتَهُ . وَيُطِيبُ كَلَامَهُ . وَيَبْرِئُ نِعَامَهُ .
 وَيُصَدِّقُ أَقْسَامَهُ . وَيَنْظُرُ ظَالِمًا يَرُدُّهُ عَنْ ظُلْمِهِ وَمَظْلُومًا بِإِعَانَتِهِ عَلَى
 وِفَاءِ حَقِّهِ . وَيُوَالِيهِ وَلَا يُعَادِيهِ . وَلَا يُخَذِّلُهُ وَلَا يَشْتُمُهُ . وَيُجِبُّ لَهُ مِنْ
 الْخَيْرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ . وَيَكْرَهُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ فَلَا يَتْرُكُ
 وَاحِدًا مِنْهَا إِلَّا طَالَبَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (الترغيب للاصبهاني)

٥٦ قَوْلُ حَكِيمٍ : الْمُؤْمِنُ شَرِيفٌ ظَرِيفٌ لَطِيفٌ لَا لَعَانَ وَلَا نِغَامَ . وَلَا
 مُتَغَابٌ وَلَا قَتَاتٌ . وَلَا حَسُودٌ وَلَا حَقُودٌ . وَلَا بَخِيلٌ وَلَا مُخْتَالٌ . يَطْلُبُ

مِنَ الْخَيْرَاتِ أَغْلَاهَا . وَمِنَ الْأَخْلَاقِ أَسْنَاهَا . إِنْ سَلَكَ مَعَ أَيْلٍ
 الْآخِرَةَ كَانَ أَوْرَعَهُمْ . غَضِيضُ الطَّرْفِ . سَخِيُّ الْكَفِّ . لَا يَرُدُّ سَائِلٌ .
 وَلَا يَبْغُلُ بِنَائِلٍ . مُتَوَاصِلُ الْأَحْزَانِ مُتَرَادِفُ الْإِحْسَانِ . يَزِنُ كَلَامَهُ
 وَيَجْرُسُ لِسَانَهُ . وَيُحْسِنُ عَمَلَهُ وَيُكَثِّرُ فِي الْحَقِّ أَمَلَهُ . مُتَأَنِّفٌ عَلَى مَا فَاتَهُ
 مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . كَأَنَّهُ نَظَرُ إِلَى رَبِّهِ مُرَاقِبٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ . لَا يَرُدُّ
 الْحَقَّ عَلَى عَدُوِّهِ . وَلَا يَقْبَلُ الْبَاطِلَ مِنْ صَدِيقِهِ . كَثِيرُ الْأَعْوَةِ قَلِيلُ
 الْمَوْتَةِ . يَعْطِفُ عَلَى أَخِيهِ عِنْدَ عِشْرَتِهِ بِمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِ ضَعْفِهِ . فَهَذِهِ
 صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ الْخَالِصِينَ (للاميري)

٥٧ (مِنْ كَلَامِ الْمَلُوكِ الْجَارِي عَجْرَى الْأَمْثَالِ :) قَالَ أَرْدَشِيرُ إِذَا
 رَغِبَتِ الْمَلُوكُ عَنِ الْأَمْدَلِ رَغِبَتِ الرَّعِيَّةُ عَنِ الطَّلَعَةِ . (أَفْرِدُونُ) الْأَيَّامُ
 صَحَائِفُ آجَالِكُمْ فَخَالِدُوهَا أَحْسَنَ أَعْمَالِكُمْ . (أَنْبُشِرُونَ الْمَلِكُ) إِذَا
 كَثُرَ مَالُهُ مِمَّا يَأْخُذُ مِنْ رِعْيَتِهِ كَانَ كَمَنْ يَبْنِي بَيْتَهُ بِمَا يَقْتُلُهُ مِنْ
 قَوَاعِدِ بَنِيَانِهِ . (أَبْرُويزُ) أَطِعْ مَنْ فَوْقَكَ يُطِيعَكَ مَنْ دُونَكَ . قَالَ ابْنُ
 الْمُنْتَزِرِ :

كَمْ فُرْصَةٌ ذَهَبَتْ فَعَادَتْ غُصَّةً لَشَجِيٍّ بِطُولِ تَأْوُفٍ وَتَتَدَمَّرُ
 لِمَا عَزَمَ الْمَنْصُورُ عَلَى الْقَتْلِ بِأَبِي مُسْلِمٍ فَرَزَعَ مِنْ ذَلِكَ عَيْسَى بْنُ
 مُوسَى فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا تَدَبُّرٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَعَبَّلَا
 فَأَجَابَهُ الْمَنْصُورُ :

إِذَا كُنْتَ ذَارِيًّا فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا
وَلَا تَهْمَلِ الْأَعْدَاءَ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ وَبَادِرْهُمْ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا غَدًا
(الْمُعْتَصِمُ) إِذَا نَصَرَ الْهَوَى بَطَلَ الرَّأْيُ (للقيرواني)

٥٨ (قَالَ أَيُّوبُ بْنُ الْقُرَيْبِ) : النَّاسُ ثَلَاثَةٌ عَاقِلٌ وَآمِقٌ وَقَاجِرٌ .
فَالْعَاقِلُ الدِّينُ شَرِيعَتُهُ وَالْحِلْمُ طَبِيعَتُهُ وَالرَّأْيُ الْحَسَنُ سَجِيَّتُهُ . إِنْ سُئِلَ
أَجَابَ . وَإِنْ نَطَقَ أَصَابَ . وَإِنْ سَمِعَ الْعِلْمَ وَعَى . وَإِنْ حَدَّثَ رَوَى .
وَأَمَّا الْأَمْقِيُّ فَإِنْ تَكَلَّمَ عَجِلَ . وَإِنْ حَدَّثَ وَهَلَ . وَإِنْ أَسْتَنْزَلَ عَنْ رَأْيِهِ
زَلَّ . فَإِنْ حُمِلَ عَلَى الْفَسِيحِ حَمِلَ . وَأَمَّا الْقَاجِرُ فَإِنْ أَتَمَّنْتَهُ خَانَكَ . وَإِنْ
حَدَّثْتَهُ شَانَكَ . وَإِنْ وَثِقْتَ بِهِ لَمْ يَرَعَكَ . وَإِنْ أَسْتَكْتَمْتَ لَمْ يَكْتُمْ .
وَإِنْ عَلِمَ لَمْ يَتَلَمَّ . وَإِنْ حَدَّثَ لَمْ يَفْهَمْ . وَإِنْ فُتِمَ لَمْ يَفْقَهْ .

٥٩ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى هِشَامٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْفَظْ عَنِّي أَرْبَعَ
كَلِمَاتٍ فِيهِنَّ صَلَاحٌ مُلْكِكَ وَاسْتِقَامَةٌ رِعَايَتِكَ . قَالَ : مَا هُنَّ . قَالَ :
لَا تَعْدِ عِدَّةً لَا تَتَّقِي مِنْ نَفْسِكَ بِإِتْجَازِهَا . وَلَا يَفْرَتَكَ الْاِرْتِقَى وَإِنْ
كَانَ سَهْلًا إِذَا كَانَ الْعُنْحَدَرُ وَعَرًّا . وَأَعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَأَتَّقِ
الْعَوَاقِبَ . وَأَنَّ الْأُمُورَ بَغَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ . قَالَ عَيْسَى بْنُ دَاوُدَ :
فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْمُهْدِيِّ وَفِي يَدِهِ أُمَّةٌ قَدِ رَفَعَهَا إِلَيَّ فِيهِ . فَأَمْسَكَهَا
وَقَالَ : وَيْحَكَ أَعْدَى عَلِيٍّ فَتَأْتِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْبَغْ لُحْمَتَكَ . فَقَالَ :
حَدِيثُكَ أَعْجَبُ إِلَيَّ (للقرظيني)

أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ سُمُّ قَاتِلٌ وَأَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ دِرْيَاقُهَا . الدُّنْيَا سُمُّ قَاتِلٌ

وَالزُّهْدُ فِيهَا دِرْيَاقُهُ . وَالْمَالُ سُمُّ قَاتِلٌ وَالزَّكَاةُ دِرْيَاقُهُ . وَالْكَلَامُ
 سُمُّ قَاتِلٌ وَذِكْرُ اللَّهِ دِرْيَاقُهُ . وَمُلْكُ الدُّنْيَا سُمُّ قَاتِلٌ وَالْعَدْلُ دِرْيَاقُهُ
 ٦٠ قَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّوْمُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ . صَوْمُ الْعُمَمِ وَصَوْمُ
 الْخُصُوصِ وَصَوْمُ خُصُوصِ الْخُصُوصِ . فَأَمَّا صَوْمُ الْعُمَمِ فَهُوَ كَفُّ
 الْبَطْنِ عَنِ الشَّهْوَةِ . وَأَمَّا صَوْمُ الْخُصُوصِ فَهُوَ كَفُّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
 وَاللِّسَانِ وَالْيَدِ وَالرِّجْلِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْآثَامِ . وَأَمَّا صَوْمُ
 خُصُوصِ الْخُصُوصِ فَصَوْنُ الْقَلْبِ عَنِ الهمومِ الدُّنْيَا وَالْأَفْكَارِ
 الدُّنْيَوِيَّةِ وَكَفُّهَا عَمَّا سِوَى اللَّهِ بِالْكَلِمَةِ (الكنز المدفون)

٦١ (فصل) من نوادر بزرجمهر حكيم القرس (قال) : تصعني
 النُّصْحَاءُ وَوَعظني الوُعَاظُ شَفَقَةٌ وَنصيحةٌ وَتأديباً فلم يعظني أحدٌ مثل
 شيبى وَلَا تصعني مثل فكري . ولقد استنصت بنور الشمس وضوء
 القمر فلم استضي بضياء أضوا من نور قلمي . وماكنت الأحرار
 والعبيد فلم يملكني أحدٌ ولا قهرني غير هواي . وعاداني الأعداء
 فلم أر أعدى إلي من نفسي إذا جهلت وأحترزت لنفسي بنفسي من
 الخلق كلهم حذراً عليها وشفقةً فوجدتها شرَّ الأَنْفُسِ لِنفسها .
 ورأيت أنه لا يأتيها الفساد إلا من قبلها وزاحتني الضايق فلم يزحمني
 مثل الخلق السوء ووقعت من أبعـد البعد وأطول الأطول فلم أقع في
 شيء أضر علي من لساني . ومشيت على الجمر ووطئت على الرءضاء
 فلم أر ناراً أحر علي من غضبي . إذا تمكّن مني وطالبني الطُّلابُ فلم

يُذِرْكُنِي مُدْرِكٌ مِثْلُ إِسَاءَتِي . وَنَظَرْتُ مَا أَلْدَاءُ الْقَاتِلُ وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِينِي
فَوَجَدْتُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّي سُجَّانَهُ . وَأَتَمَمْتُ الرَّاحَةَ لِنَفْسِي فَلَمْ أَجِدْ
شَيْئًا أَرْوِحَ لَهَا مِنْ تَرْكِهَا مَا لَا يَغْنِيهَا . وَرَكِبْتُ الْبِحَارَ وَرَأَيْتُ الْأَهْوَالَ
فَلَمْ أَرْهُوَ لَا مِثْلَ الْوُقُوفِ عَلَى بَابِ سُلْطَانِ جَائِرٍ . وَتَوَحَّشْتُ فِي
الْبَرِّيَّةِ وَالْجِبَالِ فَلَمْ أَرْ أَوْحَشَ مِنْ قَرِينِ السَّوَدِ . وَعَالَجْتُ السَّبَاعَ
وَالضَّبَاعَ وَالذَّبَابَ وَعَاشَرْتُهَا وَعَاشَرْتَنِي وَغَلَبْتَهَا فَغَلَبَنِي صَاحِبُ الْخَلْقِ
السَّوَدِ وَأَكَلْتُ الطَّيِّبَ وَشَرِبْتُ الْمُسْكَرَ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَلَذَّ مِنَ
الْعَافِيَةِ وَالْأَمْنِ . وَتَوَسَّطْتُ الشَّيَاطِينَ وَالْجِبَالَ فَلَمْ أَجْزَعْ إِلَّا مِنَ
الْإِنْسَانِ السَّوَدِ . وَأَكَلْتُ الصَّبْرَ وَشَرِبْتُ الْمُرَّ فَلَمْ أَرْ شَيْئًا أَمْرًا مِنَ
الْفَقْرِ . وَشَهِدْتُ الْحُرُوبَ وَلَقَيْتُ الْجُيُوشَ وَبَاشَرْتُ السُّيُوفَ وَصَارَعْتُ
الْأَقْرَانَ فَلَمْ أَرْ قَرْنًا أَغْلَبَ مِنَ الْمَرَاةِ السَّوَدِ . وَعَالَجْتُ الْحَدِيدَ وَنَقَلْتُ
الصَّخْرَ فَلَمْ أَرْ حِمْلًا أَثْقَلَ مِنَ الدِّينِ . وَنَظَرْتُ فِيمَا يَذِلُّ الْعَزِيزُ وَيَكْسِرُ
الْقَوِيُّ وَيَضَعُ الشَّرِيفَ فَلَمْ أَرْ أَذْلًا مِنْ ذَوِي فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ . وَرُشِقْتُ
بِالنَّشَابِ وَرُجِمْتُ بِالْحِجَارَةِ فَلَمْ أَرْ أَنْفَذَ مِنَ الْكَلَامِ السَّوَدِ يَخْرُجُ مِنْ
فَمِ مُطَالِبٍ بِحَقِّ . عَمَّرْتُ السِّجْنَ وَشَدِدْتُ فِي الْوِثَاقِ وَضُرِبْتُ
بِعَمْدِ الْحَدِيدِ فَلَمْ يَهْدِمْنِي شَيْءٌ مِثْلَ مَا هَدَمَنِي النَّمُّ وَالْهَمُّ وَالْحُزْنُ .
وَأَصْطَنَعْتُ الْإِخْوَانَ وَأَتَخَبْتُ الْأَقْوَامَ لِامْعَدَّةِ وَالشِّدَّةِ وَالنَّائِبَةِ فَلَمْ
أَرْ شَيْئًا أَخِيرَ مِنَ الْكَرَمِ عِنْدَهُمْ . وَطَلَبْتُ الْغِنَى مِنْ وُجُوهِهِ فَلَمْ أَرْ
أَغْنَى مِنَ الْقَنُوعِ . وَتَصَدَّقْتُ بِالنَّخَازِيرِ فَلَمْ أَرْ صَدَقَةً أَنْفَعَ مِنْ رَدِّ ذِي

ضلالة إلى هدى . ورأيت الوحدة والغربة والمذلة فلم أر أدل من
مقاساة الجار السوء . وشيدت البیان لأعز به وأذكر فلم أر شرفاً
أزرق من اصطناع المعروف . وليست الكسب الفاخرة فلم ألبس شيئاً
مثل الصلاح . وطلبت أحسن الأشياء عند الناس فلم أر شيئاً أحسن
من حسن الخلق

٦٢ (فصل) من حكم شائق الهندي من كتابه الذي سماه "متنخل
الجواهر للملك ابن قباص الهندي : يا أيها الوالي اتق عثرات
الزمان وأخش تساط الأيام ولوم غيبة الدهر . وأعلم أن الأعمال
جزاء فأتق العوافب وللأيام غدرات فكن على حذر والزمان متباب
متول فأحذر تغلبه . ليم الكرة فخف سعوته . سريع الغيرة فلا تامن
دولته . وأعلم أن من لم يداو نفسه من سقام إلا ثم في أيام حياته
فما أبعد من الشفاء في دار لا دواء له فيها . ومن أذل حواسه
وأستعبدها فيما يقدم من خير نفسه بان فضله وظهر نبهه . ومن لم
يضبط نفسه وهي واحدة لم يضبط حواسه وهي خمس . وإذا لم
يضبط حواسه مع قاتلها وذلتها صعب عليه ضبط الأعوان مع كثرتهم
وخشونة جانبهم . فكانت عامة الرعية في نواحي البلاد وأطراف
المملكة أبعد من الضبط . فليبدأ الملك بسطانه على نفسه فليس من
عدو أحق من أن يبدأه بالقهر من نفسه . ثم يشرع في قهر حواسه
الخنس . لأن قوة الواحدة منهن دون صومجلبتها قد تأتي على النفس

الْقَوِيَّةِ الْحَذِرَةِ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَتْ خَمْسَ أَنْفُسٍ عَلَى وَاحِدَةٍ . وَأَعْلَمُ
 أَنَّ إِكْلَ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَرًّا أَيْسَ الْأُخْرَى فَأَفْهَرَهَا تَسْلَمُ مِنْ شَرِّهَا .
 وَإِنَّمَا يَهْلِكُ الْحَيَوَانُ بِالشَّهَوَاتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْفَرَّاشَ يَكْرَهُ الشَّمْسَ
 فَيَسْتَكِنُ مِنْ حَرِّهَا وَيُنْجِبُهُ ضِيَاءُ النَّارِ فَيَدْنُو مِنْهَا فَتُحْرِقُهُ . وَالظَّبْيُ نَدَى
 نِفَارِ قَلْبِهِ وَشِدَّةِ جِرْصِهِ يَنْصَبُ لِسَمَاعِ الْمَلَأِهِ فَيَمَكِّنُ الْقَانِصَ مِنْ
 نَفْسِهِ . وَالسَّمَكُ فِي الْبَحْرِ تَحْمُهُ لَذَّةُ الطَّعْمِ أَنْ يَبْتَلِعَهُ فَتَحْصُلُ السَّنَارَةُ
 فِي جَوْفِهِ فَيَكُونُ فِيهِ حَتْفُهُ

٦٣ يُحْسِنُ بِالْمَلِكِ أَنْ يُشَبَّهَ تَصَارِيفَ تَدْبِيرِهِ بِطَبَاعِ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ :
 الْغَيْثِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالرِّيحِ وَالنَّارِ وَالْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَالْمَوْتَ . فَأَمَّا
 شَبَّهُ (الْغَيْثِ) فَتَوَاتُرُهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ وَمَنْفَعَتُهُ لِجَمِيعِ السَّنَةِ
 كَذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُعْطِيَ جُنْدَهُ وَأَعْوَانَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ تَقْدِيرًا
 لِتَمَّتَةِ السَّنَةِ . فَيَجْعَلُ رَفِيقَهُمْ وَوَضِيعَهُمْ فِي الْحَقِّ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَهُ
 عَزَائَةً وَاحِدَةً كَمَا يَسْرِي الْمَطَرُ بَيْنَ كُلِّ أَكْثَمَةٍ وَشَرْفٍ وَغَائِطٍ
 مُسْتَقِلٍّ . وَيَقْرَأُ كَلَامًا مِنْ مَائِهِ بِمَقْدَرِ حَاجَتِهِ . ثُمَّ يَسْتَجِيبِي الْمَلِكُ فِي
 الثَّمَانِيَةِ أَشْهُرًا حُقُوفَهُ مِنْ غَلَاتِهِمْ وَخَرَاجِهِمْ كَمَا تَجِيبِي الشَّمْسُ بِحَرِّهَا
 وَحِدَةً فِعْلًا نَدَاوَةَ الْغَيْثِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ الْإِمْطَارِ . وَأَمَّا شَبَّهُ (الرِّيحِ)
 فَإِنَّ الرِّيحَ لَطِيفَةٌ الْمَدَاخِلَ تَسْرُحُ فِي جَمِيعِ الْمَنَافِذِ حَتَّى لَا يَفُوتَهَا مَكَانٌ
 كَذَلِكَ الْمَلِكُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَلَّى فِي قُلُوبِ النَّاسِ بِجَوَاسِيئِهِ وَعِيُونِهِ
 لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا حَتَّى يَبْرِفَ مَا يَأْتُرُونَ بِهِ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ .

وَكَا لَقَمْرِي إِذَا أُسْتَهْلَ نَامَهُ فَأَضَاءَ وَأَعْتَدَلَ نُورُهُ عَلَى الْخَلْقِ وَسُرَّ النَّاسُ
بِضْوَانِهِ . يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ بِبَهْجَتِهِ وَزِينَتِهِ وَإِشْرَاقِهِ فِي مَجَاسِدِهِ وَإِنْسَانِهِ
رَعِيَّتَهُ بِبِشْرِهِ فَلَا يَخْصُ شَرِيْفًا ذُوْنَ وَضِيعٍ بِمَدْلِهِ . (وَكَا لِنَارِ) عَلَى أَهْلِ
الدَّعَاةِ وَالنَّسَادِ . (وَكَا لِأَرْضِ) عَلَى كِتْمَانِ السِّرِّ وَالْإِحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ
وَالْأَمَانَةِ . (وَكَا قَابَةَ الْمَوْتِ) فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ يَكُونُ ثَوَابُهُ لَا يُعْصَرُ
عَنْ إِقَامَةِ حَدِّ وَلَا يَتَجَاوَزُهُ . (وَكَا لِمَاءِ) فِي لِينِهِ لَمَنْ لَا يَنْهَهُ . وَهَدْمِهِ
وَأَقْتِلَاعِهِ عَظِيمِ الشَّجَرِ لَمَنْ جَادَبَهُ

(للطارطوشي)

اشعار حكيمية

٦٤ قَالَ ابْنُ عَرَبِشَاه :

السَّيْلُ يَدْلَعُ مَا يَلْقَاهُ مِنْ شَجَرٍ بَيْنَ الْجِبَالِ وَمِنْهُ الْعَجْرُ يَنْفَطِرُ
حَتَّى يُوَافِيَ عِبَابَ الْبَحْرِ تَنْظَرُهُ فَدِ اضْمَعَلَّ فَلَا يَبْقَى لَهُ أَثْرُ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَأَشْرُكَاءُ انْمَارٍ تَبْدُو حِينَ تَقْدَحُهُ شَرَارَةٌ فَإِذَا بَادَرَتْهُ خَمْدًا
وَإِنْ تَوَازَيْتَ عَنْ إِطْفَائِهِ كَسَالًا أَوْرَى قَبَائِلَ تَشْوِي الْقَابَ وَالْكَبِدَا
فَلَوْ تَجَمَّعَ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ لَمَا أَفَادُوكَ فِي إِخْمَادِهَا أَبَدًا
وَقَالَ أَيْضًا :

أَرَى النَّاسَ يُوَلُّونَ الْغَنِيَّ كَرَامَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِرِفْعَةِ مِقْدَارِ
وَيَلُوونَ عَنْ وَجْهِ الْفَقِيرِ وَجُوهَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَهْلًا أَنْ يُلَاقَى بِإِكْبَارِ
بُنُو الدَّهْرِ جَاءَتْهُمْ أَحَادِيثُ جَمَّةٍ فَمَا صَحَّحُوا إِلَّا حَدِيثَ ابْنِ دِينَارِ

٦٥ قَالَ غَيْرُهُ :

لَا تَعَامِلْ مَا عِشْتَ غَيْرَكَ إِلَّا
ذَلِكَ عَيْنُ الصَّوَابِ فَأَلْزَمَهُ فِيهَا
بِالَّذِي أَنْتَ تَرْتَضِيهِ لِنَفْسِكَ
تَبْتَغِيهِ فِي كُلِّ أَبْنَاءِ جِنْسِكَ
قَالَ آخَرُ :

لَا يُعْجِبُكَ حُسْنُ الْقَصْرِ تَنْزِلُهُ
لَوْ زِيدَتْ الشَّمْسُ فِي أَبْرَاجِهَا مِئَةً
فَضِيلَةُ الشَّمْسِ لَيْسَتْ فِي مَنَازِلِهَا
مَا زَادَ ذَلِكَ شَيْئًا فِي فِضَائِلِهَا
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الْأَكْبِيرَ إِذَا هَوَى وَأَطَاعَهُ
مِثْلُ السَّفِينَةِ إِنْ هَوَتْ فِي لُجَّةٍ
قَوْمٌ هَوَوْا مَعَهُ فَضَاعَ وَضِعْمًا
عَرِقَتْ وَيَفْرَقُ كُلُّ مَنْ فِيهَا مَعًا
قَالَ آخَرُ :

إِزْرَعْ جَمِيلًا وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ
إِنَّ الْجَمِيلَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ
فَلَا يَضِيعُ جَمِيلٌ أَنْيَمَا زُرِعَا
فَلَيْسَ يَحْصُدُهُ إِلَّا الَّذِي زُرِعَا
قَالَ أَبُو أَحْمَدَ بْنِ مَاهَانَ الْخُرَازِمِيُّ :

إِفْضِ الْحَوَائِجَ مَا اسْتَطَعْتَ
فَلْتَحْزِرْ أَيَّامَ النَّفْسِ
تَوَكَّنْ لَهُمْ أَخِيكَ فَارِخْ
يَوْمٌ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجُ

٦٦ قَالَ الْقَطَائِمِيُّ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ
وَقَدْ تَنْبُتُ عَلَى قَوْمٍ حَوَائِجُهُمْ
وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ
مَعَ التَّرَاحِي وَكَانَ الرَّأْيِيُّ لَوْ عَجِلُوا
وَقَالَ آخَرُ :

وَيَسْتَلِمْ بِالْأَشْرِ الْمُنْتَهِيْنَ تَوَسَّعَتْ
 مَوَارِدُهُ صَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ
 فَمَا حَسَنُ أَنْ يَعْدِرَ الْمُرَّةَ نَفْسَهُ
 وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَازِرُ
 وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ:

لَأَنْ أَرْجِيَّ عِنْدَ الْعُرِيِّ بِالْخَلْقِ
 وَأَجْتَرِيَّ مِنْ كَثِيرِ الزَّادِ بِالْعَلْقِ
 خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِنِّي
 مَعْمُودَةً لِلنَّاسِ فِي عُنُقِي
 إِنِّي وَإِنْ قَصُرْتُ عَنْ هِمَّتِي جِدَّتِي
 وَكَانَ مَا لِي لَا يَشْوِي عَلَيَّ خُلُقِي
 تَارِكُ كُلِّ أَمْرٍ كَانَ يَلِزِمُنِي
 عَارًا وَيُشْرِعُنِي فِي الْمُنْهَلِ الرَّثِي
 ٦٧ وَقَالَ أَيْضًا:

مَاذَا يَكْلِفُكَ الرُّوحَاتِ وَالذُّلْجَا
 أَلْبَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا نَزَكِبُ الْحَجَا
 كَمْ مِنْ فَتَى قَصُرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ
 أَلْفَيْتَهُ بِسَهَامِ الرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا
 إِنْ الْأُمُورَ إِذَا أُسِدَّتْ مَسَالِكُهَا
 فَالْصَّبْرُ يَفْتَقُ مِنْهَا كُلَّ مَا أَرْتَجَا
 لَا تِيَّاسَنَ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالِبَةٌ
 إِذَا أُسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى قَرَجَا
 أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ
 وَهَدْمِينَ الْقَرَعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا
 قَدَّرَ لِرَجُلِكَ قَبْلَ الْخَطْوَةِ وَضَعَهَا
 فَمَنْ عَلَا زَلْقًا عَنْ غِرَّةِ رَجُلَا
 وَلَا يُفْرِتُكَ صَفْوُ أَنْتَ شَارِبُهُ
 فَرُبَّمَا كَانَ بِالْبُكْدِيِّ مُهْتَرَجَا
 ٦٨ قَالَ الْمُتَنَبِّيُّ:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ
 وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
 وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا
 وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَائِمُ
 قَالَ آخَرُ:

قَسْرُ الْفَتَى يُذْهِبُ أَنْوَارَهُ كَمَا أَصْفَرَارُ الشَّمْسِ عِنْدَ الْمَغِيبِ
 إِنْ غَابَ لَا يُذَكِّرُ بَيْنَ الْوَرَى وَمَا آهَ فِي قَوْمِهِ مِنْ نَصِيبِ
 يَجُولُ فِي الْأَسْوَاقِ مُسْتَحْتَمًا وَفِي الْأَقْلَابِ يَكْبِي بِدَمِّهِ صَيْبِ
 وَاللَّهِ مَا الْإِنْسَانُ فِي أَهْلِهِ إِذَا بُلِيَ بِالْفَقْرِ إِلَّا غَرِيبِ
 قَالَ نَاهِضُ الْكِلَابِيِّ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمَعَ الْقَوْمِ يُخْشَى وَأَنَّ الْقِدْحَ حِينَ يَكْرُنُ فَرْدًا
 قَالَ آخِرُ :

مَا مِنْ الْخَزْمِ أَنْ تُقَارِبَ أَمْرًا تَطْلُبُ الْبُعْدَ مِنْهُ بَعْدَ قَالِي
 فَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِأَشْيَاءَ فَانظُرْ كَيْفَ مِنْهُ الْخُرُوجَ بَعْدَ الدُّخُولِ
 ٦٩ كَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى ابْنِهِ حُسَيْنٍ

أَحْسِنُ إِلَيَّ وَاعِظْ وَوَدِّبْ فَأَفْهَمُ فَإِنَّ الْعَاقِلَ الْمَتَادِبِ
 وَأَحْفَظْ وَصِيَّةَ وَالِدِ مُتَحَنِّنِ يَمْدُوكَ بِالْآدَابِ كَيْلًا تَعْطِبُ
 أَبْنِيَّ إِنَّ الرِّزْقَ مَكْفُولٌ بِهِ فَعَالِيكَ بِالْإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ
 لَا تَجْعَلَنَّ أَمْوَالَكَ كَسْبَكَ مُفْرَدًا وَتَتَّقِ الْهَلْكَ فَاجْعَلْنِ مَا تَكْسِبُ
 كَفَّلَ الْإِلَهِ بِرِزْقِ كُلِّ بَرِيَّةٍ وَأَمْوَالَ عَارِيَّةٍ تَحْيِي وَتَذْهَبُ
 وَالرِّزْقُ أَسْرَعُ مِنْ تَلْفَتِ نَاطِرٍ سَبَبًا إِلَى الْإِنْسَانِ حِينَ يُسَبِّبُ
 وَمِنْ السُّيُولِ إِلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا وَالطَّيْرِ لِلْأَوْكَارِ حِينَ تَصُوبُ
 أَبْنِيَّ إِنَّ الذِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظُ فَمَنْ الَّذِي بَعْظَاتِهِ يَتَادَّبُ

وَأَعْبُدْ إِلَهَكَ ذَا الْمَعَارِجِ مُخْلِصًا
 وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ غُشِيَةٍ
 يَا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَذَابِهِ
 إِنِّي أَبُوهُ بِبَثْرَتِي وَخَطِيئَتِي
 وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا
 فَاسْأَلْ إِلَهَكَ بِالْإِنَابَةِ مُخْلِصًا
 وَأَجْهَدْ لَعَلَّكَ أَنْ تَحُلَّ بِأَرْضِهَا
 بِأَدْرِهِوَاكَ إِذَا هَمَمْتَ بِصَاحِجٍ
 وَإِذَا هَمَمْتَ بِسَيِّئٍ فَانْمِضْ لَهُ
 وَالضُّيُوفَ أَكْرَمَ مَا اسْتَطَعْتَ جِوَارَهُ
 وَأَجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إِذَا أَخِيَتْهُ
 وَأَطْلَبَهُمْ طَلَبَ الْمَرِيضِ شِفَاءَهُ
 يُعْطِيكَ مَا فَوْقَ الْمَنَى بِلِسَانِهِ
 وَأَحْذَرِ ذَوِي الْمَلَقِ الدِّمَامِ فَإِنَّهُمْ
 يَسْعَوْنَ حَوْلَ الْمَاءِ مَا طَمِعُوا بِهِ
 وَلَقَدْ نَعَضْتِكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي
 ٧٠ وَكَتَبَ لَهُ أَيْضًا :

عَلَيْكَ يَبْرُ الْوَالِدِينَ كُلِيهْمَا
 وَلَا تَضْحَكَنَّ إِلَّا تَقِيًّا مُهَذَّبًا
 وَبِرِّ ذَوِي الْقُرْبَى وَبِرِّ الْأَبَاعِدِ
 عَفِيفًا زَكِيًّا مُنْجِرًا لِلْمَوَاعِدِ

وَكَلَّ الْأَدَى وَأَحْفَظِ لِسَانَكَ وَأَتَّقِ
 وَتَأْفِسْ بِبَدْلِ الْمَالِ فِي طَلَبِ الْعُلَى
 وَكُنْ وَاثِقًا بِاللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ
 وَبِاللَّهِ فَاسْتَعِمْ وَلَا تَرْجُ غَيْرَهُ
 وَغَضَّرَ عَنِ الْمَكْرُوهِ طَرْفَكَ وَاجْتَنِبْ
 وَلَا تَبْنِ فِي الدُّنْيَا بِنَاءَ مُوْمِلٍ
 وَكُلْ صَدِيقِ آيسٍ فِي اللَّهِ وَدُهُ
 ٧١ وَقَالَ أَيْضًا:

قَدِمَ لِنَفْسِكَ فِي الْحَيَاةِ تَرُودًا
 وَأَهْمَمَ لِلسَّفَرِ الْقَرِيبِ فَإِنَّهُ
 وَأَجْعَلْ تَرُودَكَ الْمَخَافَةَ وَالْتَمَتِي
 وَأَفْنِعْ بِمُوتِكَ فَأَتَمَّاعُ هُوَ الْغَنَى
 وَأَحْذَرِ مَصَاحِبَةَ الْأَلَامِ فَإِنَّهُمْ
 أَهْلُ الْمُوَدَّةِ مَا أَنْتَهُمُ الرِّضَا
 لَا تَنْفَسِ سِرًّا مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى أَمْرِي
 فَكَمَا تَرَاهُ بِسِرِّ غَيْرِكَ صَانِعًا
 لَا تَبْدَأَنَّ بِمَنْطِقٍ فِي مَجْلِسٍ
 فَالصَّمْتُ يُحْسِنُ كُلَّ ظَنٍّ بِالْقَتَى
 وَدَعِ الْمَزَاحَ قَرَبَ أَنْظَةِ مَازِحٍ
 فَلَقَدْ تَفَارَقْتُمَا وَأَنْتَ مُودِعُ
 أَنَايَ مِنَ السَّفَرِ الْبَعِيدِ وَأَشْنَعُ
 فَلَمَّا خَنَقَكَ فِي مَسَائِكَ أَسْرَعُ
 وَالْفَقْرُ مَقْرُونٌ بِمَنْ لَا يَتَنَمَّعُ
 مَمْنُوكَ صَفْوٌ وَوَدَادِهِمْ وَتَصَنَّمُوا
 وَإِذَا مَنَعْتَ فَسَمِّهِمْ أَكَّ مُنْقَعُ
 يَفْشِي إِلَيْكَ سَرَائِرًا يَسْتَوْدِعُ
 فَكُذِّبْ بِسِرِّكَ لَا مَحَالَةَ يَصْنَعُ
 قَبْلَ السُّؤَالِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَشْنَعُ
 وَأَمَلَهُ خَرَفٌ سَفِيهٌ أَرْقَعُ
 جَلَبَتْ إِلَيْكَ بِالْإِبْلَاءِ لَا تُدْفَعُ

وَحِفَاطَ جَارٍ لَا تُضْمَهُ فَإِنَّهُ
وَإِذَا انْتَمَاكَ ذُو الْإِسَاءَةِ عَثْرَةٌ
وَإِذَا أُوثِمْتَ عَلَى السَّرَائِرِ فَاخْفِهَا
لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْحَوَادِثِ إِنَّمَا
وَأَطِيعْ أَبَاكَ بِكُلِّ مَا أَرْضَى بِهِ
٧٢ وَقَالَ أَيْضًا :

صُنِ النَّفْسَ وَأَحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا
وَلَا تُرِينَ النَّاسَ إِلَّا تَجْمُلًا
وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ
يَعْرِضُ غَنِيُّ النَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُنَلَّوْنَ
جَوَادٍ إِذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ أَخَذِ مَالِهِ
فَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ
٧٣ وَمَا أَحْسَنَ مَا أَنْشَدَهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْمَدُوسِ قَالَ :

الْمُرُّ يَجْمَعُ وَالزَّمَانُ يُفْرِقُ
وَلَأَنْ يُعَادَى عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ
فَارْبَابًا بِنَفْسِكَ أَنْ تُصَادِقَ أَحْمَقًا
وَزِينِ الْكَلَامِ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا
وَمِنَ الرَّجَالِ إِذَا اسْتَوَتْ أَخْلَاقُهُمْ
وَيَخَالُ يَرْفَعُ وَالْخَطُوبُ تُزْرَقُ
مَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ
إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقُ
يُبَدِي عُقُولَ ذَوِي الْعُقُولِ الْمُنْعَاقُ
مَنْ يُسَاشِرُ إِذَا اسْتَشِيرَ فَيُطْرِقُ

حَتَّى يَجُلَّ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ
 لَا أَلَيْسَ نَأْوِيَا فِي غُرْبَةٍ
 مَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ
 وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعِيشِ وَإِنَّمَا
 لَوْ يُرْزَقُونَ النَّاسُ حَسَبَ عُقُولِهِمْ
 لَكِنَّهُ فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَيْهِمْ
 وَإِذَا الْجَنَازَةُ وَالْعُرُوسُ تَلَاقَا
 سَكَتَ الَّذِي تَبَعَ الْعُرُوسَ مُبَهَّتَا
 وَإِذَا أَمْرُوهُ أَسَعَتْهُ أَفْعَى مَرَّةً
 بَيْتِي الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَكْذِبًا
 ٧٤ قَالَ دِرْزَنُ عَبْدِ اللَّهِ:

لِكُلِّ ضَيْقٍ مِنَ الْأُمُورِ سَعَةٌ
 مَا بَالُ مَنْ سَرَّهُ مُصَابِكُ لَا
 أَذِدُّ عَنْ حَوْضِهِ وَيَدْفَعُنِي
 قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرَ آكِلِهِ
 وَيَقْطَعُ الثَّوْبَ غَيْرَ لَابِسِهِ
 فَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ
 وَصَلَ جِبَالَ الْبُعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلُ وَأَقْصَرَ الْقَرِيبَ إِنْ قَطَعَهُ
 وَلَا تُعَادِ الْفَقِيرَ عَمَّا أَنْ تَرْكَعَ يَوْمًا وَالِدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

الْبَابُ الْخَامِسُ

فِي الْأَمْثَالِ

فصل من نوادر كلام العرب

٧٥ (مِنْ حِكْمِ أَكْثَمِ بْنِ صَيْفِي) وَهَذَا رَجُلٌ كَانَ لَهُ عَقْلٌ وَحِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ وَتَجْرِبَةٌ . وَقَدْ عَلَّقُوا عَنْهُ حِكْمًا لَطِيفَةً وَأَلْفُوا فِيهَا تَصَانِيفَ . فَمِنْ حِكْمِهِ قَالَ : مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ . أَفْضَلُ مِنَ السُّؤَالِ رُكُوبُ الْأَهْوَالِ . مَنْ حَسَدَ النَّاسَ بَدَأَ بِضَرَّةٍ نَفْسِهِ . الْعَدِيمُ مَنْ أَحْتَاجَ إِلَى أُنَيْمٍ . مَنْ لَمْ يَتَّعِزْ فَقَدْ خَسِرَ . مَا كُلُّ عَثْرَةٍ تُقَالُ . وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُنَالُ . قَدْ يُشْهَرُ السِّلَاحُ . فِي بَعْضِ الْمَزَاحِ . رَبُّ عَيْتِي . شَرٌّ مِنْ رِقِي . أَنْتَ مُزِرٌ بِنَفْسِكَ إِنْ صَحِبْتَ مَنْ هُوَ دُونَكَ . لَيْسَ مَنْ خَادَنَ الْجُهُولَ . بِذِي مَعْقُولٍ . مَنْ جَالَسَ الْجُهَالَ فَلَيْسَتْ عِدَّةٌ لِقِيلٍ وَقَالَ . الْمَزَاحُ يُورِثُ الضَّغَائِنَ . عَثُكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينِ غَيْرِكَ . مَنْ جَدَّ الْمَسِيرَ أَذْرَكَ الْمَقِيلَ . جَارُ الرَّجُلِ الْجَوَادِ كَجَاوِرِ التَّجْرِ لَا يَخَافُ الْعَطَشَ . مَنْ طَلَبَ مِنَ اللَّئِيمِ حَاجَةً . كَانَ كَمَنْ طَلَبَ السَّمَكَ فِي الْمَفَازَةِ . عِدَّةُ الْكَرِيمِ نَقْدٌ وَعِدَّةُ اللَّئِيمِ تَسْوِيفٌ . الْأَنْامُ فَرَايِسُ الْأَيَّامِ . قَدْ تُكْسَرُ الْيَوَاقِيتُ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِيتِ . مَنْ أَعَزَّ نَفْسَهُ . أَذَلَّ فُلْسَهُ . مَنْ سَاكَ الْجُدَدَ أَمِنَ الْعِثَارَ (لِلطَّرطُوشِيِّ)

نبد من كلام الرمخري والبستي

٧٦ مَنْ بَلَغَ غَايَةَ مَا يُحِبُّ فَلْيَتَوَقَّعْ غَايَةَ مَا يَكْرَهُ . لَا تَشْرَبِ السَّمَّ
 أَتَكَالًا عَلَى مَا عِنْدَكَ مِنَ التَّرْيَاقِ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَلْعَنُ إِبْلِيسَ فِي
 الْعَلَانِيَةِ وَيُوَالِيهِ فِي السِّرِّ . عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ .
 الْأَلْطَفُ رَشْوَةٌ مِنْ لَا رَشْوَةَ لَهُ . مَنْ تَاجَرَ اللَّهُ لَمْ يُوكَسْ يَمَّهُ . وَلَمْ
 يُنْجَسْ رِيحَهُ . أَدْوِيَةَ الدُّنْيَا تُقْصِرُ عَنْ سُؤْمِهَا . وَتَسِيْمُهَا لَا يَنْفِي بِسُؤْمِهَا .
 مَنْ زَرَعَ الْإِحْنَ . حَصَدَ الْهِنَ . لَا بُدَّ الْفَرَسِ مِنْ سَوَاطِ . وَإِنْ كَانَ
 بَعِيدَ الشَّوْطِ . شَمَاعُ الشَّمْسِ لَا يُجْفَى . وَنُورُ الْحَقِّ لَا يُظْفَى . أَعْمَالُكَ
 نِيَّةٌ . إِنْ لَمْ تُضَيِّجْهَا بِنِيَّةٍ . لَا يَجِدُ الْآحِقُّ لَذَّةَ الْحِكْمَةِ . كَمَا لَا يَلْتَذُّ
 بِالْوَرْدِ صَاحِبُ الزُّكْمَةِ . طُوبَى لِمَنْ كَانَتْ خَاتِمَةُ عُمُرِهِ كِفَايَتِهِ .
 وَلَيْسَتْ أَعْمَالُهُ بِفَايَتِهِ . أَفْضَلُ مَا أَدَّخَرْتَ النَّوَى . وَأَجْمَلُ مَا لَيْسَتْ
 الْوَرَعُ . وَأَحْسَنُ مَا أَكْتَسَيْتَ الْحَسَنَاتُ . كَفَى بِالظَّفْرِ شَفِيْعًا بِالذَّنْبِ .
 أَحَقُّ النَّاسِ بِالزِّيَادَةِ فِي النِّعَمِ أَشْكُرُهُمْ لِمَا أُوتِيَ مِنْهَا . ظَهَرَ الْعِتَابُ
 خَيْرٌ مِنْ مَكْنُونِ الْحَقْدِ . قَالَ الْجِدَارُ لِلْوَتْدِ : لِمَ تَشْفِينِي . قَالَ : سَلْ
 مَنْ يَدْفِينِي . مَنْ نَصَرَ الْحَقَّ قَهَرَ الْخَلْقَ . رَبِّمَا كَانَ حَنْفُ أَمْرِي فِي مَا تَمَنَّى

ما ضرب به المثل من الحيوان وغيره

٧٧ إِنَّمَا كَانَتْ الْعَرَبُ أَكْثَرَ أَمْثَالِهَا مَضْرُوبَةً بِالْبَهَائِمِ فَلَا يَكَادُونَ
 يَذْمُونَ وَلَا يَمْدَحُونَ إِلَّا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا مَسَاكِنَهُمْ بَيْنَ السَّبَاعِ
 وَالْأَخْنَاشِ وَالْحَشْرَاتِ فَاسْتَعْمَلُوا التَّمِيلَ بِهَا . قَالُوا : أَشْجَعُ مِنْ أَسَدٍ .

وَأَجْبَنُ مِنَ الصَّافِرِ . وَأَمْضَى مِنْ لَيْثِ عَفْرَيْنَ . وَأَخْذَرُ مِنْ غُرَابٍ .
 وَأَبْعَرُ مِنْ عُقَابٍ . وَأَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ . وَأَذَلُّ مِنْ قُرَادٍ . وَأَتَمُّ مِنْ
 فَرَسٍ . وَأَنُومٌ مِنْ فَهْدٍ . وَأَعْقٌ مِنْ صَبٍّ . وَأَجْبَنُ مِنْ صِفْرِدٍ . وَأَضْرَعُ
 مِنْ سِنُورٍ . وَأَسْرَقُ مِنْ زَبَابِيَةٍ . وَأَصْبَرُ مِنْ عُودٍ . وَأَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ .
 وَأَحْنُ مِنْ نَابٍ . وَكَذْبٌ مِنْ فَاخِئْتَةٍ . وَأَعَزُّ مِنْ بَيْضِ الْأُنُوقِ .
 وَأَجْوَعُ مِنْ كَلْبَةِ حَوْمَلٍ . وَأَعَزُّ مِنَ الْأَبْلَقِ الْقَمُوقِ . (الصَّافِرُ
 الصَّغِيرُ مِنَ الطَّيْرِ . وَالْعُودُ الْمَسْنُونُ مِنَ الْجَمَالِ . وَالْأُنُوقُ طَيْرٌ يُقَالُ
 إِنَّهُ يَبْيَضُ فِي الْهَوَاءِ . وَالزَّبَابَةُ الْقَارَةُ تَسْرِقُ دُودَ الْحَرِيرِ . وَفَاخِئْتَةٌ
 طَيْرٌ يَطِيرُ بِالرُّطْبِ فِي غَيْرِ أَيَّامِهِ)

(مَا ضَرِبَ بِهِ الْمَثَلُ مِنْ ذَيْرِ الْحَيَوَانِ) . قَالُوا : أَهْدَى مِنَ النَّجْمِ .
 وَأَجْوَدُ مِنَ الدِّيمِ . وَأَصْبَحُ مِنَ الصُّبْحِ . وَأَسْبَحُ مِنَ الْبَجْرِ . وَأَنُورُ مِنَ
 النَّهَارِ . وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ . وَأَحْمَقُ مِنْ رِجْلَةٍ . وَأَحْسَنُ مِنْ دُمِيَةٍ .
 وَأَزْهٌ مِنْ رَوْضَةٍ . وَأَوْسَعُ مِنَ الدَّهْنَاءِ . وَأَسْرُ مِنْ جَدُولٍ . وَأَضِيقُ
 مِنْ قَرَارِ حَافِرٍ . وَأَوْحَشُ مِنْ مَفَازَةٍ . وَأَثْقَلُ مِنْ جَبَلٍ . وَأَبْقَى مِنْ
 الْوَحْيِ فِي صَمِّ الصَّلَابِ . وَأَخْفُ مِنْ رِيَشِ الْحَوَاصِلِ (لابن عبد ربه)
 ٧٨ أَشْعَارٌ جَارِيَةٌ تَجْرِي الْمَثَلُ وَهِيَ لِشُعْرَاءَ مُخْتَلَفِينَ :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنْ مَنْ لَا أَخَا لَهُ كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْبَا بِنَعِيرِ سِلَاحٍ
 إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الْمَكَايِبِ
 إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ضَلَّتْ وَإِنْ تَهْتَدِ إِلَى الْبَابِ تَهْتَدِي

إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي نَوَالٌ هَجَرْتَنِي وَإِنْ كَانَ لِي مَالٌ فَأَنْتَ صَدِيقِي
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعَلِّمْ طَيِّبَكَ كُلَّ مَا يَسُوكَ أَبَعَدْتَ الدَّوَاءَ عَنِ السُّمِّ
 إِنْ أَخْتَفَى مَا فِي الزَّمَانِ الْآتِي قَسَسَ عَلَى الْمَاضِي مِنَ الْأَوْقَاتِ
 إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلَ النَّصِيحِ قَبُولٌ فَإِنَّ مَعَارِضَ الْكَلَامِ فُضُولٌ
 أَرَى مَاءَ وَيٍّ عَطَشٌ شَدِيدٌ وَلَكِنَّ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ
 إِذَا رَمْتِ أَنْ تُصْفِي لِنَفْسِكَ صَاحِبًا فَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْفِي لَهُ الْوِدَّ أَثْمَبُهُ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يُزْدِي بِقَدْرِهِ إِذَا فِيلَ هَذَا السَّيْفِ أَمْضَى مِنَ الْهَاصِ
 إِنْ الْأُمُورَ إِذَا بَدَتْ لِزَوَالِهَا فَعَلَامَةُ الْأَذْبَارِ فِيهَا تَطَوُّرُ
 إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظَنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوْهَمِ
 إِنْ تَجِدَ عَيْبًا فَسُدَّ الْخَلَالَ جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا
 تَفَرَّقَتْ غَنَمِي يَوْمًا فَقُلْتُ لَهَا يَا رَبِّ سَاطِعًا عَلَيْهَا الذَّبَّ وَالضَّبْعَا
 تَرَقَّبْ جَزَا الْخُنِّي إِذَا كُنْتَ مُحْسِنًا وَلَا تَخْشَ مِنْ سُوءِ إِذَا أَنْتَ لَا تَسِي
 الْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَّصِلًا وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَبِيلَهُ الْأَطْرُ
 ذِكْرُ الْفَتَى عَمْرُهْ اثْنَانِي وَحَاجَتُهُ مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ
 ذُو الْفَضْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ قَدْحِ وَإِنْ غَدَا أَقَوْمَ مِنْ قَدْحِ
 الرَّأْيِ يَصْدَأُ كَالْحَسَامِ إِمَارِضِ يَطْرَا عَلَيْهِ وَصَلَّهُ التَّذْكَيرُ
 سَبَّكَاهُ وَتَحْسَبُهُ لِحِينًا فَأَبْدَى الْكَبِيرُ عَنْ حَبِّ الْحَمِيدِ
 عَفَاكَ غِيٌّ إِنَّمَا عِفَّةُ الْفَتَى إِذَا دَفَّ مِنَ لَذَائِهِ وَهُوَ قَادِرُ
 غَلَامٌ أَتَاهُ اللَّوْمُ مِنْ شَطْرِ نَفْسِهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ شَطْرِ أُمِّ وَلَا أَبِ

فَقَالَ قُمْ قُلْتُ رَجُلِي لَا تَطَاوِعْنِي
 وَلَا تَجْمَلِ الْحُسْنَ الدَّلِيلَ عَلَى أُمَّتِي
 فَالْدُرُّ وَهُوَ أَجَلُّ شَيْءٍ يُقْتَنَى
 قَدِ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ صِدَقًا وَإِنْ كَذِبًا
 لَا يُعْجِبُنَّ مَضِيًّا حُسْنُ بَرْتِهِ
 لَا تَرْجُ شَيْئًا خَالِصًا نَفْعُهُ
 لَا تَتَرَنَّكَ هَذِهِ الْأَوْجُهُ الْغَرْمُ
 لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ رُطْبًا أَنْتَ آكَلُهُ
 لَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
 لَا تَحْمِرَنَّ شَأْنَ الْعَدُوِّ وَكَيْدَهُ
 لَعَلَّ عَتَبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ
 مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبَهَا
 مَا لِقَوِي عَنِ ضَعِيفٍ غِنَى
 مَنْ لَيْسَ يَخْشَى أَسْوَدَ الْأَنْبَابِ إِنْ زَارَتْ
 لَا يَجْمَلُ الْحَقْدَ مَنْ تَلَوَّيْهِ الرَّبُّ
 الْمَرْءُ يَخِيَا بِالسَّاقِ وَلَا عَضُدِ
 نَبِيٍّ كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا
 وَقَدْ يَكْسِفُ الْمَرْءُ مِنْ دُونِهِ
 وَلَا تَقْرَبِ الْأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ

فَقَالَ خُذْ قُلْتُ كَفَيْ لَا تُؤَاتِينِي
 فَمَا كُلُّ مَصْفُورِ الْحَدِيدِ يَمَانِي
 مَا حَطَّ قِيَمَتُهُ هَوَانُ الْغَائِصِ
 فَمَا أَحْتِيَائِكَ فِي شَيْءٍ وَقَدْ قِيلَا
 وَهَلْ تَرُوقُ دَفِينًا جُودَةً الْكَفْنِ
 فَالْقَيْثُ لَا يَخْلُو مِنَ الْفَثِ
 مَ فَيَارُبَّ حَيَّةٍ فِي رِيَاضِ
 لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَا
 حَتَّى يَرِاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
 وَلَرُبَّمَا صَرَخَ الْأَسْوَدُ الثُّغْلَبُ
 وَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَادُ بِأَمَلِ
 أَنِّي بِمَا أَنَا بَاكِ مِنْهُ مَحْسُودُ
 لَا بُدَّ لِلسَّهْمِ مِنَ الرِّيشِ
 فَكَيْفَ يَخْشَى كِلَابَ الْحَيِّ إِنْ نَبَعَتْ
 وَلَا يَنَالُ الْعَلَى مَنْ دَابَعَهُ الْغَضْبُ
 وَلَا يَعْيشُ بِالْقَلْبِ وَلَا أَدَبِ
 تَبْنِي وَنَفَعَلُ مِثْلَمَا فَعَلُوا
 كَمَا يَكْسِفُ الشَّمْسُ جِرْمَ الْقَمَرِ
 حَلَاوَتُهُ تَفْنَى وَيَبْقَى مَرِيهَا

وَلَوْ لَيْسَ الْجِمَارُ ثِيَابَ خَزَى
 وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ
 وَإِنِّي أَرَى فِي عَيْنِكَ الْجِدْعَ مُرَضًّا
 وَمَا أَقْبَحَ النَّفْرِيطَ فِي زَمَنِ الصَّبَا
 وَتَشْتَتُ الْأَعْدَاءُ فِي آرَائِهِمْ
 وَكُلُّ جَدِيدٍ قَدْ يُوَلُّ إِلَى بِلَى
 وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَارًا
 وَمَاذَا أُرْجِي مِنْ حَيَاةٍ تَكْدَرَتْ
 وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الشُّكْرِ جَنَّةَ غَارِسٍ
 وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ
 وَنَارٌ إِنْ تَفَحَّتْ بِهَا أَضَاءَتْ
 وَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُزْنَ لِلْحُزْنِ مَاحِيًا
 وَيُمْكِنُ وَصْلُ الْحَبْلِ بَعْدَ أَنْ تَطَاعَهُ
 وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ
 وَإِذَا كَانَ مُنْتَهَى الْعُمُرِ مَوْتًا
 وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نُصْرَةَ عَبْدِهِ
 وَمَنْ يَتَشَبَّثْ فِي الْعِدَاوَةِ كَفَّهُ
 يَهْوَى الشَّنَاءَ مَبْرُزٌ وَمَقْصَرٌ
 يَقُولُونَ لِي أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
 لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حِمَارٍ
 ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
 وَتَعَجَّبُ إِنْ أَبْصَرْتَ فِي عَيْنِي الْقَدَى
 فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ لِلرَّأْسِ شَاهِلٌ
 سَبَبُ لَجْمِ خَوَاطِرِ الْأَحْبَابِ
 وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا يَبْصِيرُ إِلَى كَانَا
 تَعَبْتُ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
 وَلَوْ قَدَصَفْتَ كَانَتْ كَأَحْلَامِ نَائِمٍ
 وَلَا يَمِيلُ حُسْنُ الصَّبْرِ جَبَّةً لَا يَسُ
 وَلَيْسَ يَكْشِفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رِمَادٍ
 كَمَا خُطِّي فِي الْقِرْطَاسِ سَطْرٌ عَلَى سَطْرٍ
 وَأَمَّا كَيْفَ يَبْقَى بِهِ عُقْدَةُ الرِّبْطِ
 كَمَا أَنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا
 فَسَوَاءٌ طَوِيلُهُ وَالْقَصِيرُ
 كَانَتْ لَهُ أَعْدَاؤُهُ أَنْصَارًا
 بِأَكْبَرِ مِنْهُ فَهَوَّ لَا شَكَّ هَالِكٌ
 حُبُّ الشَّنَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ
 وَلَوْ ظَفَرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي

أَلْبَابُ السَّادِسُ فِي أَمْثَالٍ عَنِ السِّنَةِ الْحَيَوَانَاتِ

البازي والديك

٧٩ بازٍ وديكٌ تنَظَرَا . فَتَالَ الْبَازِي لِلدَّيْكِ : مَا أَعْرِفُ أَقَلَّ
وَفَاءَ مِنْكَ لِأَصْحَابِكَ . قَالَ : وَكَيْفَ . قَالَ : تُؤْخَذُ بِيضَةٍ وَتَحْضُنُكَ
أَهْلُكَ وَتَخْرُجُ عَلَى أَيْدِيهِمْ فَيُطْعِمُونَكَ بِأَيْدِيهِمْ . حَتَّى إِذَا كَبُرَتْ
صِرْتَ لَا يَدُونُ مِنْكَ أَحَدٌ إِلَّا طَرِدَتْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَا وَصَحَتْ .
وَعَلَوْتَ عَلَى حَائِطِ دَارٍ كُنْتَ فِيهَا سِنِينَ طَرْتِ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا . وَأَمَّا
أَنَا فَأُؤْخَذُ مِنَ الْجِبَالِ وَقَدْ كَبُرَ سِنِي فَتُخَاطَبُ عَيْنِي . وَأُطْعَمُ الشَّيْءَ
الْيَسِيرَ وَأَسَاهِرُ فَأَمْنَعُ مِنَ النَّوْمِ وَأُنْسِي الْيَوْمَ وَالْيَوْمِينَ . ثُمَّ أُطْلَقُ
عَلَى الصَّيْدِ وَحَدِي فَأَطِيرُ إِلَيْهِ وَأَخُذُهُ وَأَجِي بِهِ إِلَى صَاحِبِي . فَقَالَ
لَهُ الدَّيْكِ : ذَهَبَتْ عَنْكَ الْحُجَّةُ أَمَا لَوْرَأَيْتَ بَازِيَيْنِ فِي سَفْوَدِ النَّارِ
مَا عُدْتُ لَهُمْ . وَأَنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ أَرَى السَّفَايِدَ مَمْلُوءَةً دُيُوكَا . فَلَا تَكُنْ
حَلِيمًا عِنْدَ غَضَبِ غَيْرِكَ

(لبهاء الدين)

برغوث وبعوضة

٨٠ حكي أَنَّهُ اجْتَمَعَ بَرِغُوثٌ وَبَعُوضَةٌ . فَقَالَتِ الْبَعُوضَةُ لِلْبَرِغُوثِ :
إِنِّي لَا تَعْجَبُ مِنْ حَالِي وَحَالِكَ . أَنَا أَفْصَحُ مِنْكَ لِسَانًا . وَأَوْضَعُ بَيَانًا .
وَأَرْجِحُ مِيزَانًا . وَأَكْبَرُ شَأْنًا . وَأَكْثَرُ طَيْرَانًا . وَمَعَ هَذَا فَقَدْ أَضْرَبِي

الْجُوعُ . وَحَرَمَنِي الْجُوعَ . وَلَا أزالُ عَلِيَّةً مَجْهُودَةً . مُبَعَدَةً عَنِ الطَّرِيقِ .
مَطْرُودَةً . وَأَنْتِ تَأْكُلُ وَتَشْبَعُ . وَفِي نَوَاعِمِ الْأَبْدَانِ تَرْتَعُ . فَقَالَ لَهَا
الْبُرْعُوثُ : أَنْتِ بَيْنَ الْعَالَمِ مُطْنَطِنَةٌ . وَعَلَى رُؤْسِهِمْ مُدْنِدِيَةٌ . وَأَنَا
قَدْ تَوَصَّلْتُ إِلَى قُوَّتِي . بِسَبَبِ سَكُوتِي

اللَّبُوءَةُ وَالغَزَالُ وَالقَرْدُ

٨١ حِكْمِي أَنْ لَبُوءَةٌ كَانَتْ سَاكِنَةً بِغَايَةِ . وَبِحِوَارِهَا عَزَالَ وَقَرْدٌ قَدْ
أَلَقَتْ حِوَارَهَا وَأَسْتَحْسَنَتْ عِشْرَتَهُمَا . وَكَانَ لِتِلْكَ اللَّبُوءَةِ شِبْلٌ صَفِيرٌ
قَدْ شَغَفَتْ بِهِ حُبًّا وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنًا . وَطَابَتْ بِهِ قَلْبًا . وَكَانَ لِجَارِهَا
الْغَزَالِ أَوْلَادٌ صِغَارٌ . وَكَانَتْ اللَّبُوءَةُ تَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ تَبْتِغِي قُوَّتًا
لِشِبْلَيْهَا مِنَ النَّبَاتِ وَصِغَارِ الْحَيَوَانِ . وَكَانَتْ تَمُرُّ فِي طَرِيقِهَا عَلَى أَوْلَادِ
الْغَزَالِ . وَهُنَّ يَأْمَنْنَ بِبَابِ حُجْرِهِنَّ . فَحَدَّثَتْ نَفْسَهَا يَوْمًا بِاِقْتِنَاصِ
وَاحِدٍ فَتَجَبَّلَهُ قُوَّتَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَتَسْتَرْمِجَ فِيهِ مِنَ الذَّهَابِ . ثُمَّ أَقْلَعَتْ
عَنْ هَذَا الْغَزَمِ لِحُرْمَةِ الْجِوَارِ ثُمَّ عَاوَدَتْ الشَّرَّهَ ثَانِيًا مَعَ مَا تَحْجِدُ مِنَ
الْقُوَّةِ وَالْعِظَمِ . وَأَكَّكَ ذَلِكَ ضِعْفُ الْغَزَالِ وَأَسْتَلَامُهُ لِأَمْرِ اللَّبُوءَةِ .
فَأَخَذَتْ ظِيًّا مِنْهُمْ وَمَضَتْ فَلَمَّا عَلِمَ الْغَزَالُ دَاخِلَهُ الْحُزْنَ وَالْقَلْقُ
وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِظْهَارِ ذَلِكَ وَشَكَا لِجَارِهِ الْقَرْدِ . فَقَالَ لَهُ : هَوْنٌ
عَلَيْكَ فَلَعَلَّهَا تُفْلِحُ عَنْ هَذَا وَنَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ مَكَاشِفَتَهَا وَاعْلَمِي أَنْ
أَذْكُرُهَا عَافِيَةَ الْعُدْوَانِ وَحُرْمَةَ الْجِيرَانِ . فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَخَذَتْ ظِيًّا
ثَانِيًا فَلَقِيَهَا الْقَرْدُ فِي طَرِيقِهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَحَيَّاها وَقَالَ لَهَا : إِنِّي لَا آمَنُ

عَايِكَ عَاقِبَةَ الْبَنِيِّ وَإِسَاءَةَ الْجَوَارِ . فَقَالَتْ لَهُ : وَهَلْ أَقْتَنَاصِي لِأَوْلَادِ
الْفَزَالِ . إِلَّا كَأَقْتَنَاصِي مِنْ أَطْرَافِ الْجِبَالِ . وَمَا أَنَا تَارِكَةٌ قُوَّتِي وَقَدْ
سَاقَهُ الْقَدْرُ إِلَى بَابِ بَيْتِي . فَقَالَ لَهَا الْقِرْدُ : هَكَذَا أَغْتَرَّ الْفَيْلُ بِعَظِيمِ
جُشْتِهِ . وَوُفُورِ قُوَّتِهِ فَبَحِثْ عَنْ حَتْفِهِ بِظَالِمِهِ . وَأَوْبِقَهُ الْبَنِيُّ رَغْمَ أَنْفِهِ .
فَقَالَتْ اللَّبُوءَةُ : كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ الْقِرْدُ : ذَكَرُوا أَنَّ قَدْحَةَ
كَانَ لَهَا عَشْرٌ فَبَاصَتْ وَفَرَّخَتْ فِيهِ وَكَانَ فِي نَوَاحِي تِلْكَ الْأَرْضِ فَيْلٌ
وَكَانَ لَهُ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ . وَكَانَ يَمُرُّ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ عَلَى عَشْرِ الشُّبْرَةِ .
فَفِي ذَاتِ يَوْمٍ أَرَادَ مَشْرَبَهُ فَعَمِدَ إِلَى ذَلِكَ الْعُشِّ وَوَطَّئَهُ وَهَشَّمَ
رُكْمَهُ . وَاتَّأَفَّ بِيَضِّهَا وَأَهْلَاكَ فِرَاحَهَا . فَلَمَّا نَظَرَتْ الشُّبْرَةُ إِلَى مَا حَلَّ
بِعُشِّهَا سَاءَهَا ذَلِكَ وَعَامَتْ أَنَّهُ مِنَ الْفَيْلِ . فَطَارَتْ حَتَّى وَقَعَتْ تَلَى
رَأْسِهِ بِأَكِيَّةٍ وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا الَّذِي حَمَلَكَ تَلَى أَنْ وَطَّئْتَ عُشِّي
وَهَشَّمْتَ بَيْضِي وَقَتَلْتَ أَفْرَاحِي وَإِنْسَانِي جَوَارِكَ . أَفَعَلْتَ ذَلِكَ
أَسْتَضْعَافًا بِحَالِي وَقَلَّةَ مُبَالَاةٍ بِأَمْرِي . قَالَ الْفَيْلُ : هُوَ كَذَلِكَ
فَأَنْصَرَفَتْ الشُّبْرَةُ إِلَى جَمَاعَةِ الطُّيُورِ فَشَكَتْ إِلَيْهِمْ مَا نَالَهَا مِنَ الْفَيْلِ
فَقَالَتْ لَهَا الطُّيُورُ : وَمَا عَسَانَا أَنْ نَبْلُغَ مِنَ الْفَيْلِ وَنَحْنُ طُيُورٌ . فَقَالَتْ
لِلْمَقَاعِقِ وَالْفَرَبَانِ : إِنِّي أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسِيرُوا مَعِيَ إِلَيْهِ فَتَنْقُذُوا
عَيْنِي . فَأَنَّا بَعْدَ ذَلِكَ أَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ أُخْرَى . فَأَجَابُوهَا إِلَى ذَلِكَ
وَمَضُوا إِلَى الْفَيْلِ . وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ يَتَجَادَّبُونَهُ بَيْنَهُمْ وَيَنْهَرُونَ عَيْنِي إِلَى
أَنْ فَتَوْوهَا وَبَقِيَ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ وَلَا مَشْرَبِهِ . فَلَمَّا عَلِمَتْ

ذَلِكَ جَاءَتْ إِلَى نَهْرٍ فِيهِ ضَفَادِعٌ فَشَكَتْ مَا نَالَهَا مِنَ الْهَيْلِ . فَقَالَتْ
 الضَّفَادِعُ : مَا حِيلَتْ مَعَ الْهَيْلِ وَلَسْنَا كُفَاءَهُ وَأَيْنَ نَبْلُغُ مِنْهُ . قَالَتْ
 الضَّبْرَةُ : أَحِبُّ مَنْكُنَّ أَنْ تَذْهَبِي مَعِي إِلَى وَهْدَةٍ بِالْقُرْبِ مِنْهُ فَتَقْنَنَ
 تَضِيحْنَ بِهَا . فَإِذَا سَمِعَ أَصْوَاتَكُمْ لَمْ يَشْكُ أَنْ يَهَامَ مَاءٌ فَيَكِبُّ نَفْسَهُ فِيهَا .
 فَأَجَابَهَا الضَّفَادِعُ إِلَى ذَلِكَ فَلَمَّا سَمِعَ الْهَيْلُ أَصْوَاتَهُنَّ فِي قَعْرِ الْكُفْرَةِ
 تَوَهَّمَنَّ أَنْ يَهَامَ مَاءً . وَكَانَ عَلَى جُهْدٍ مِنَ الْعَطَشِ فَجَاءَ . كَبَأًا عَلَى طَلَبِ الْمَاءِ
 فَسَقَطَ فِي الْوَهْدَةِ وَلَمْ يَجِدْ مَخْرَجًا مِنْهَا . فَجَاءَتْ الضَّبْرَةُ تُرْفِرُ عَلَى
 رَأْسِهِ وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمَغْتَرِبُ بَقُوْتِهِ الصَّائِلُ عَلَى ضِعْفِي كَيْفَ رَأَيْتَ عَظِيمَ
 حَيْلِي مَعَ صِفْرِ جُثِّي . وَبِلَادَةِ فَهْمِكَ مَعَ كِبَرِ جِسْمِكَ . وَكَيْفَ رَأَيْتَ
 عَمَاقَةَ الْبُغْيِ وَالْعُدْوَانَ . وَمُسَالِمَةَ الزَّمَانِ . فَلَمْ يَجِدِ الْهَيْلُ مَسَاكًا لِحَوَائِبِهَا .
 وَلَا طَرِيْقًا لِحَطَائِبِهَا . فَلَمَّا انْتَهَى الْقَرْدُ فِي غَايَةِ مَا ضَرَبَهُ لِلْبُؤَةِ مِنْ
 الْمَثَلِ أَوْسَعَتْهُ انْتِهَارًا وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ اسْتِكْبَارًا . ثُمَّ إِنَّ الْفَرَزَالَ انْتَقَلَتْ
 بِمَا بَقِيَ مِنْ أَوْلَادِهَا تَبْتَعِي لَهَا جُحْرًا آخَرَ . وَإِنَّ الْبُؤَةَ خَرَجَتْ ذَاتَ
 يَوْمٍ تَطَابُ صَيْدًا وَتَرَكَتْ شِبَاهًا . فَرَّ بِهِ فَارِسٌ فَلَمَّا رَأَاهُ حَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ
 وَسَلَخَ جِلْدَهُ وَأَخَذَهُ وَتَرَكَ لِحْمَهُ وَذَهَبَ فَلَمَّا رَجَعَتِ الْبُؤَةُ وَرَأَتْ شِبَاهًا
 مَقْتُولًا مَسَلُوخًا رَأَتْ أَمْرًا فَظِيمًا . فَأَمْتَلَاتْ غَيْظًا وَنَاحَتْ نَوْحًا عَالِيًا
 وَدَاخَلَهَا هَمٌّ شَدِيدٌ . فَلَمَّا سَمِعَ الْقَرْدُ صَوْتَهَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْرِعًا فَقَالَ لَهَا :
 وَمَا دَهَاكَ . فَقَالَتِ الْبُؤَةُ : مَرَّ صَيَّادٌ بِشِبْلِي فَقَعَلَ بِهِ مَا تَرَى . فَقَالَ
 لَهَا : لَا تَجْزِعِي وَلَا تَحْزَنِي وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكَ وَأَصْبِرِي عَنْ غَيْرِكِ

كَمَا صَبَرَ غَيْرُكَ عَنْكَ . فَكَمَا يَدِينُ الْفَتَى يُدَانُ . وَجَزَاءُ الدَّهْرِ بِمِيزَانٍ .
 وَمَنْ بَدَرَ حَبًّا فِي أَرْضٍ فَيَقْدِرُ بَذْرَهُ يَكُونُ الثَّمَرُ . وَالْجَاهِلُ لَا يُبْصِرُ
 مِنْ أَيْنٍ تَأْتِيهِ سِهَامُ الدَّهْرِ . وَإِنَّ حَقًّا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَجْزِعِي مِنْ هَذَا
 الْأَمْرِ . وَأَنْ تَتَدَرَّعِي لَهُ بِالرِّضَا وَالصَّبْرِ . فَتَأْتِيَ اللُّبُوءُ : كَيْفَ لَا
 أَجْزَعُ وَهُوَ قُرَّةُ الْعَيْنِ وَوَاحِدُ الْقَلْبِ وَزَهَّةُ الْفِكْرِ . وَأَيُّ حَيَاةٍ تَطِيبُ
 لِي بَعْدَهُ . فَقَالَ لَهَا الْقِرْدُ : أَيَّتَهَا اللُّبُوءُ مَا الَّذِي كَانَ يُعَدِّيكِ
 وَيُعَشِّيكِ . قَالَتْ : لِحُومِ الْوُحُوشِ . قَالَ الْقِرْدُ : أَمَا كَانَ لِيَتْلِكَ
 الْوُحُوشِ الَّتِي كُنْتِ تَأْكُلِينَهَا آبَاءُ وَأُمَّهَاتُ . قَالَتْ بَلَى . قَالَ الْقِرْدُ :
 فَمَا بَالُكَ إِلَّا تَسْمَعُ لِيَتْلِكَ الْآبَاءُ وَلَا الْأُمَّهَاتِ صِيَاحًا وَصَرَخًا كَمَا تَسْمَعُ
 مِنْكَ وَلَقَدْ أَزَلَّ بِكَ هَذَا الْأَمْرَ جَهْلُكَ بِالْعَوَاقِبِ وَعَدَمُ تَفَكُّرِكَ فِيهَا .
 وَقَدْ نَصَحْتُكَ حِينَ حَمَرْتِ حَقَّ الْجَوَارِ . وَالْحَمَّتِ بِنَفْسِكَ أَمَارَ .
 وَجَاوَزْتَ بِقُوَّتِكَ حَدَّ الْإِنصَافِ . وَسَطَوْتَ عَلَى الطِّبَاءِ الضَّعَافِ .
 فَكَيْفَ وَجَدْتَ طَعْمَ مُخَالَفَةِ الصِّدِّيقِ النَّاصِحِ . قَالَتِ اللُّبُوءُ : وَجَدْتُهُ
 مَرَّ الْمَذَاقِ . وَلَمَّا عَلِمَتِ اللُّبُوءُ أَنَّ ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدُهَا مِنْ ظُلْمِ
 الْوُحُوشِ رَجَعَتْ عَنْ صَيْدِهَا وَرَمَتْ نَفْسَهَا بِاللُّومِ . وَصَارَتْ تَقْنَعُ
 بِأَكْلِ النَّبَاتِ وَحَشِيئَةِ الْقَلَوَاتِ (بستان الاذهان للشبراوي)

ساعة

وَهُوَ مَثَلٌ مَنْ يَمْنَعُهُ التَّفَكُّرُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَمْرِ عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِالْحَاضِرِ
 ٨٢ حُكِي أَنَّ سَاعَةً قَدِيمَةً كَانَتْ تَرْكُوزَةً فِي مَطْبَخِ أَحَدِ الدَّهَاقَةِ

مُدَّةَ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ دُونَ أَنْ يَبْدُوَ مِنْهَا أَدْنَى سَبَبٍ يَكْدِرُهُ . غَيْرَ
أَنَّهَا فِي صَبِيحَةِ ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ . وَقَفَّتْ عَنِ الْحَرَكَةِ قَبْلَ
أَنْ يَسْتَيْقِظَ أَصْحَابُ الْمَحَلِّ . فَتَغَيَّرَ مَنَظَرُ وَجْهِهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ وَدُهَشَ .
وَبَذَلَتْ الْعَقَارِبُ جُهْدَهَا وَوَدَّتْ لَوْ تَبَقَى تَلَى حَالَةِ سَيْرِهَا الْأُولَى .
وَعَدَّتِ الدَّوَالِبُ عَدِيمَةَ الْحَرَكَةِ لِمَا شَمِلَهَا مِنَ الْعَجَبِ . وَأَصْبَحَ الثَّقَلُ
وَأَقْفَالًا لَا يُبَدِي وَلَا يُعِيدُ . وَرَامَتْ كُلُّ الْأَنْ تَحِيلَ الذَّنْبَ عَلَى اخْتِيارِهَا
وَطَفِقَ الْوَجْهَ يُبْحَثُ عَنْ هَذَا الْوُقُوفِ . وَبَيْنَمَا كَانَتِ الدَّوَالِبُ
وَالْعَقَارِبُ تُبْرِئُ نَفْسَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا بِصَوْتٍ خَفِيِّ يُبْعَثُ مِنَ الدَّفَاقِ
بِاسْتِفْلِ السَّاعَةِ يَقُولُ هَكَذَا : إِنِّي أَقْرَبُ تَلَى نَفْسِي بِأَنِّي أَنَا كُنْتُ
عِلَّةَ هَذَا الْوُقُوفِ . وَسَأُبَيِّنُ لَكُمْ سَبَبَ ذَلِكَ لِسُكُوتِكُمْ وَإِقْفَاعِكُمْ
أَجْمَعِينَ . وَالْحَقُّ أَقُولُ إِنِّي مَلِيتُ مِنَ الدَّقِّ . فَلَمَّا تَبِعَتِ السَّاعَةُ
مَقَالَتهُ كَادَتْ تَتَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ . وَقَالَ لَهُ الْوَجْهَ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ :
تَبَّا لَكَ مِنْ سِيَاكِ ذِي كَسَلٍ . فَأَجَابَهُ الدَّفَاقُ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ يَا سَبْدِي
الْوَجْهَ : لِأَجْرَمَ أَنَّكَ تُرْضِيكَ هَذِهِ الْحَالُ . إِذْ قَدْ رَفَقْتَ تَلَى نَفْسِكَ
كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لَدَى الْجَمِيعِ . وَأَنَّهُ يَسْهَلُ عَلَيْكَ أَنْ تَدْعُوَ غَيْرَكَ كَمَا لَا
وَتَنْسِبُهُ إِلَى التَّوَانِي . فَإِنَّكَ قَدْ قَضَيْتَ عَمْرَكَ كُلهُ بِغَيْرِ شُغْلٍ وَلَمْ
يَكُنْ لَكَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا التَّخْدِيقُ فِي وَجْهِ النَّاسِ وَالْإِنْشِرَاحُ
بِرُويَةٍ مَا يَحْدُثُ فِي الْمَطْبَخِ . أَرَأَيْتَ لَوْ كُنْتَ وَتَلَى فِي مَوْضِعِ ضَنْكَ
مُظْلِمٍ كَهَذَا . وَتَحْيِزُ حَيَاتِكَ كُلَّهَا بَيْنَ مَحِيٍّ وَذَهَابِ يَوْمًا بِنَدَى يَوْمٍ .

وَعَامًا بَعْدَ عَامٍ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : أَوَلَيْسَ فِي مَوْضِعِكَ طَاقَةٌ تَنْظُرُ
مِنْهَا . فَقَالَ الدَّقَاقُ : بَلَى . وَلَكِنَّهَا مُظْلِمَةٌ . عَلَى أَنَّهُ وَإِنْ تَكُنْ لِي
طَاقَةٌ فَلَا أَتَجَسَّرُ عَلَى التَّطَلُّعِ مِنْهَا . حَيْثُ لَا يُمَكِّنُ لِي الْوُقُوفُ وَلَوْ
طَرَفَةَ عَيْنٍ . وَالْحَاصِلُ أَنِّي مَلَكْتُ هَذَا الْحَالَ . وَإِنْ أَسْتَرِدَّتْنِي شَرْحَاءُ
فَأَنِّي أَخْبِرُكَ بِمَا سَبَّبَ لِي الصَّجَرَ مِنْ شُغْلِي . وَذَلِكَ أَنِّي حَسَبْتُ فِي
صَبَاحِ هَذَا الْيَوْمِ كَمِّيَّةَ الْمِرَارِ الَّتِي أَغْدُو وَأَرْوِحُ فِيهَا مُدَّةَ أَرْبَعِ
وَعِشْرِينَ سَاعَةً . فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيَّ . وَقَدْ يُمَكِّنُ تَحْقِيقُ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ
أَحَدِ الْجُلُوسِ الَّذِينَ فَوْقُ . فَبَادَرَ عَقْرَبُ الدَّقَائِقِ إِلَى الْعَدَدِ وَقَالَ
بِدِيهَا : إِنَّ عِدَّةَ الْمِرَارِ الَّتِي يَنْبَغِي لَكَ فِيهَا الْمَجِيءُ وَالذَّهَابُ فِي هَذِهِ
الْمُدَّةِ الْوَجِيزَةِ . إِنَّمَا تَبْلُغُ سِتًّا وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِئَةِ مَرَّةٍ . فَقَالَ
الدَّقَاقُ : هُوَ هَكَذَا . فَهَلْ (وَالْحَالَةُ هَذِهِ وَقَصَّتِي قَدْ رَفَعَتْ لَكُمْ) يُخَالُ
أَنَّ مُجَرَّدَ التَّفَكُّرِ فِي هَذَا الْعَمَلِ لَا يُوجِبُ عَنَاءً وَتَعَبًا لِمَنْ يُعَانِيهِ . عَلَى
أَنِّي حِينَ شَرَعْتُ فِي ضَرْبِ دَقَائِقِ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي مُسْتَقْبَلِ الشُّهُورِ
وَالْأَعْوَامِ زَالَتْ مِنِّي قُوَّتِي وَوَهَنَ عَظْمِي وَعَزَمِي . وَمَا ذَلِكَ بِغَرِيبٍ .
وَبَعْدَ تَحْيَلَاتٍ شَتَّى عَمَدْتُ إِلَى الْوُقُوفِ كَمَا تَرَوْتَنِي . فَكَأَدَ الْوَجْهُ
فِي أَمْنَاءِ هَذِهِ الْمَكَالَةِ أَنْ لَا يَتِمَّ لَكَ عَنْهُ . وَلَكِنَّهُ كَظَمَ غَيْظَهُ وَخَاطَبَهُ
بِحِلْمٍ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي الدَّقَاقُ الْعَزِيزُ إِنِّي لَفِي تَعَجُّبٍ عَظِيمٍ مِنْ
أَنْقِلَابِ شَخْصٍ فَاضِلٍ نَظِيرِكَ لِشَلِّ هَذِهِ الْوَسَاوِسِ بَعْتَةً . نَعَمْ
إِنَّكَ وَلَيْتَ فِي عَمْرِكَ أَعْمَالًا جَسِيَّةً كَمَا عَمَلْنَا نَحْنُ كُلُّنَا أَيْضًا . وَإِنَّ

التَّفَكُّرُ فِي هَذِهِ الْأَشْغَالِ وَحَدَهُ يُوجِبُ الْعَنَاءَ غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّ مُبَاشَرَتَهَا
 لَيْسَتْ كَذَلِكَ . فَأَلْتَمَسُ مِنْكَ أَنْ تُسَدِّيَ إِلَيَّ مَرْوَفَكَ بِأَنْ تَدُقَّ
 الْآنَ سِتَّ دَقَّاتٍ لِتَضَعِ مَسَدَاقُ مَا قُلْتَ . فَرَضِي الدَّقَّاقُ بِهَذَا وَدَقَّ
 سِتَّ دَقَّاتٍ جَرِيًّا عَلَى عَادَتِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ حَيْثُذِي : نَاشِدُكَ اللَّهُ
 هَلْ أَبْدَى لَكَ مَا بَاشَرْتَهُ الْآنَ نَصَبًا وَتَعَبًا . فَقَالَ الدَّقَّاقُ : كَلَّا فَإِنَّ
 مَلِّي وَتَضَجُّرِي لَمْ يَنْشَأَنَّ سِتَّ دَقَّاتٍ . وَلَا عَن سِتِّينَ دَقَّةً . بَلْ عَن
 الْوَفِّ وَالْوَفِّ الْوَفِّ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : صَدَقْتَ . وَلَكِنَّهُ يُدْبِي لَكَ أَنْ
 تَعْلَمَ هَذَا الْأَمْرَ الضَّرُورِيَّ . وَهُوَ أَنَّكَ حِينَ تَتَكَّرُ فِي هَذِهِ الْأُوفِ
 بِالْحِظَّةِ وَاحِدَةٍ . فَإِنَّ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ مُبَاشَرَةٌ دَقَّةً
 وَاحِدَةً لِأَخِيرٍ . ثُمَّ مَهْمَا لَزِمَكَ بَعْدَهُ مِنَ الدَّقِّ يَفْسَحُ اللَّهُ لَكَ فِي أَجْلِ
 لِإِتْمَامِهِ فَقَالَ الدَّقَّاقُ : أَشْهَدُ أَنَّ كَلَامَكَ هَذَا حَاكٍ فِيَّ وَأَمَّا أَنِّي .
 فَقَالَ الْوَجْهُ : عَسَى بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ نُوَدَّ بِأَجْمَعِنَا إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ
 الْعَمَلِ . لِأَنَّا إِذَا بَقِينَا كَذَلِكَ يَظَلُّ أَهْلُ الْمَنْزِلِ مُسْتَمِرِّقِينَ فِي النَّوْمِ
 إِلَى الظُّهْرِ . ثُمَّ إِنَّ الْأَثْقَالَ آتِي لَمْ تَكُنْ وَصِفَتْ قَطُّ بِالْحِظَّةِ مَا بَرِحَتْ
 تُغْرِي الدَّقَّاقَ عَلَى الشُّغْلِ حَتَّى أَخَذَ فِي مُبَاشَرَةِ خِدْمَتِهِ كَمَا كَانَ .
 وَحَيْثُذِي شَرَعَتْ الدَّوَالِبُ فِي الدَّوْرَانِ . وَطَفَقَتْ الْقَارِبُ تَسِيرُ . حَتَّى
 إِذَا ظَهَرَ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي الْمَطْبَخِ الْمُغْلَقِ مِنْ كَوَّةٍ فِيهِ أَمْتَلَأَ الْوَجْهُ
 ضِيَاءً وَأَنْجَلَى تَعْيِيسُهُ . كَانَ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ . فَأَمَّا صَاحِبُ الْمَنْزِلِ
 فَلَمَّا نَزَلَ إِلَى الْمَطْبَخِ لِيُفْطِرَ فِيهِ . نَظَرَ إِلَى السَّاعَةِ الْمَرْكُوزَةِ فَقَالَ : إِنَّ

السَّاعَةَ الَّتِي بِحَيْبِي تَأَخَّرْتُ فِي السَّيْرِ لَيْلًا بِخَوِّ الْإِثْنَيْنِ دَقِيقَةً

قردٌ وغيلم

وهو مثل من يطلب الحاجة فإذا ظفر بها أضعافها

٨٣ زعموا أن قردًا يقال له ماهرٌ كان ملك الترددة وكان قد كبر
 وحرم . فوثب عليه قردٌ شابٌ من بيت الملكة فتغلب عليه وأخذ
 مكانه . فخرج هاربًا على وجهه حتى انتهى إلى الساحل . فوجد شجرة
 بين قارتتي إليها واتخذها له مقامًا . فبينما هو ذات يوم يأكل من
 ثمرها . إذ سقطت من يده تينةٌ في الماء فسمع لها صوتًا وإيقاعًا . فجعل
 يأكل ويرمي في الماء فأطربه ذلك فأكثر من تطرير التين فيه . وكان
 ثم غيلم كلما وقعت تينةٌ أككها . فلما كثر ذلك ظن أن القرد إنما
 يفعل ذلك لأجابه فرغب في مصادقته وأنس إليه وكلمه . وألف
 كل واحد منهما صاحبه . وطأت غيبة الغيلم على زوجته . فجزعت
 عليه وشكت ذلك إلى جارة لها وقالت : قد خفت أن يكون عرض
 له عارضٌ سوءٌ فأغتاله . فقالت لها : إن زوجك بالساحل قد ألف
 قردًا وألفه القرد . فهو مؤاكله ومشاربه ومجالسه . ثم إن الغيلم انطلق
 بعد مدةٍ إلى منزله . فوجد زوجته سيئة الحالٍ مهمومة . فقال لها :
 ما لي أراك هكذا فأجابته جارتها : إن فرينتك مريضةٌ مسكينةٌ . وقد
 وصفت لها الأطباء قلب قردٍ وليس لها دواءٌ سواه . فقال : هذا أمرٌ
 عسيرٌ من أين لنا قلب قردٍ ونحن في الماء ولكن سأشاور صديقي . ثم

انطلق إلى ساحل البحر فقال له القرد: يا أخي ما حبسك عني . قال
 له الغليم: ما ثبطني عنك إلا حياتي . كيف أجازيك على إحسانك
 إلي وإنا أريد الآن أن تتم هذا الإحسان بزيارتك لي في منزلي .
 فإني ساكن في جزيرة طيبة الفاكهة كثيرة الأثمار . فأركب ظهري
 لأسبح بك . فرغب القرد في ذلك ونزل فامتطى مطا الغليم . حتى
 إذا سبح به ما سبح عرض له قبح ما أضمر في نفسه من العذر فنكس
 رأسه . وقال له القرد: مالي أراك مهتماً . فقال الغليم: إنما همي
 لأنني ذكرت أن قريبتني شديدة المرض . وذلك ينعني عن كثير مما
 أريد أن أبلغك من الأكرام والالطاف . قال القرد: إن الذي
 اعتقد من حرصك على كرامتي يكفيك مؤونة التكلف . قال الغليم:
 أجل . ومضى بالقرد ساعة ثم توقف به ثانية . فسأه ظن القرد وقال
 في نفسه: ما احتباس الغليم وبطوه إلا لأمر . ولست آمناً أن يكون
 قلبه قد تغير علي وحال عن مودتي فأراد بي سوءاً . فإنه لا شيء أخف
 وأسرع تغلباً من القلب . وبي قال: يدني للماقل أن لا ينقل عن التماس
 ما في نفس أهله وولده وإخوانه وصديقه عند كل أمر وفي كل
 لحظة وكلمة . وعند القيام والعود وعلى كل حال . وإنه إذا دخل
 باب الصديق من صديقه ريبة . فليأخذ بالحزم في التحفظ منه وينفذ
 ذلك في لحظاته وحالاته . فإن كان ما يظن حقاً ظفر بالسلامة .
 وإن كان باطلاً ظفر بالحزم ولم يضره . ثم قال للغليم: ما الذي

يَجِدُكَ . وَمَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا كَمَا نَكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى .
قَالَ : يَهْمِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنزِلِي فَلَا تُؤْمِنِي أَمْرِي كَمَا أَحِبُّ لِأَنَّ زَوْجَتِي
مَرِيضَةٌ . قَالَ الْقَرْدُ : لَا تَهَمَّ . فَإِنَّ أَلْهَمَ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَلَكِنْ
الْتَمَسْ مَا يُصْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَعْذِيَةِ . فَإِنَّهُ يُقَالُ :
يَبْذُلُ ذُو الْمَالِ مَالَهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : فِي الصَّدَقَةِ . وَفِي وَقْتِ الْحَاجَةِ .
وَعَلَى الزَّوْجَةِ . قَالَ الْغَيْلَمُ : صَدَقْتُ . وَإِنَّمَا قَالَتِ الْأَطِبَّاءُ : إِنَّهُ لَا دَوَاءَ
لَهَا إِلَّا قَلْبُ قَرْدٍ . فَقَالَ الْقَرْدُ فِي نَفْسِهِ : دَاسُوا تَاهُ لَقَدْ أَدْرَكَنِي الْحِرْصُ
وَالشَّرُّ عَلَى كِبَرِي سَبِي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ مُورَطٍ . وَلَقَدْ صَدَقَ الَّذِي
قَالَ : يَعِيشُ التَّائِعُ الرَّاضِي مُسْتَرِيحًا مُطْمَئِنًّا . وَذُو الْحِرْصِ وَالشَّرِّ
يَعِيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ . وَإِنِّي قَدْ أَحْتَجُّ الْآنَ إِلَى عَقْلِي فِي
الْتِمَاسِ الْخُرْجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ : وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَتَلَدَّنِي
حَتَّى كُنْتُ أَجْمَلُ قَلْبِي مَعِي . وَهَذِهِ سُنَّةٌ فِينَا مَعَاشِرَ الْقَرَدَةِ إِذَا خَرَجَ
أَحَدُنَا لِرِيزَارَةِ صَدِيقٍ لَهُ خَلْفَ قَلْبِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ أَوْ فِي مَوْضِعِهِ . لِنَنْظُرَ
إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرْمِ الْمَزُورِ وَمَا قُلُوبُنَا مَعْنَاهُ . قَالَ الْغَيْلَمُ : وَأَيْنَ قَلْبِكَ
الْآنَ . قَالَ : خَلْفَتُهُ فِي الشَّجَرَةِ فَإِنْ شِئْتُ فَارْجِعْ بِي إِلَيْهَا حَتَّى آتِيكَ
بِهِ . فَفَرِحَ الْغَيْلَمُ بِذَلِكَ وَرَجَعَ بِالْقَرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ
السَّاحِلَ وَثَبَ الْقَرْدُ عَنْ ظَهْرِهِ فَارْتَقَى الشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى الْغَيْلَمِ
نَادَاهُ يَا حَلِيلِي أَجْمَلُ قَلْبِكَ وَأَنْزِلْ فَقَدْ عَشْتَنِي . فَقَالَ الْقَرْدُ . هِيَئَاتِ
وَلَكِنَّكَ أَحْتَلْتْ عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي فَخَدَعْتُكَ بِمِثْلِ خَدِيعَتِكَ . وَأَسْتَدْرَكْتُ

فَارِطَ أَمْرِي . وَقَدْ قِيلَ : الَّذِي يُفْسِدُهُ الْحِلْمُ . لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْعِلْمُ . قَالَ
الْغِيَامُ : صَدَقْتَ . إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يَعْتَرِفُ بِزَلَّتِهِ . وَإِذَا أَذْنَبَ
ذَنْبًا لَمْ يَسْتَحْيِ أَنْ يُؤَدِّبَ . وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ أَمَكَّنَهُ التَّخَلُّصُ مِنْهَا .
كَالرَّجُلِ الَّذِي يَمْتُرُ عَلَى الْأَرْضِ وَعَلَى الْأَرْضِ يَنْهَضُ وَيَعْتَمِدُ . فَهَذَا
مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا (كليله ودمنه)

الضبعة والرجل

٨٤ قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : خَرَجَ فِتْيَانٌ فِي صَيْدِهِ لَهُمْ . فَأَنَارُوا ضَبْعَةً فَفَنَرَتْ
وَمَرَّتْ فَأَتَبَعُوهَا . فَلَجَّتْ إِلَى بَيْتِ رَجُلٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِالسِّيفِ مَسْلُولا .
فَقَالُوا لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَمْنَعُنَا مِنْ صَيْدِنَا . فَقَالَ : إِنِّي أَسْتَجَارْتُ بِي
فَخَلَّوْا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ . فَظَنَرِ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ مَهْزُولَةٌ مَضْرُورَةٌ . فَجَعَلَ يَسْقِيهَا
الْأَبْنَ صَبُوحًا وَمَقِيلًا وَغُبُوفًا . حَتَّى سَمِنَتْ وَحَسُنَتْ حَالُهَا . فَيُنَادِيهَا هُوَ ذَاتَ
يَوْمٍ رَاقِدًا عَدَّتْ عَلَيْهِ فَشَقَّتْ بَطْنَهُ وَشَرِبَتْ دَمَهُ . فَقَالَ ابْنُ عَمِّ لَهُ :
وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يُلَاقِي الَّذِي لَاقَى مُجِيرُ أُمِّ عَامِرٍ
أَعَدَّ لَهَا لَمَّا اسْتَجَارَتْ بِقُرْبِهِ مَعَ الْأَمْنِ الْبَانَ اللَّقَاحِ الدَّرَارِي
فَأَشْبَعَهَا حَتَّى إِذَا مَا تَكَنَّتْ قَرْنَهُ بِأَنْيَابِهَا وَأَظْفَارِ
فَقُلْ لِذَوِي الْمَعْرُوفِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ يُوجِّهُ مَعْرُوفًا إِلَى غَيْرِ شَاكِرٍ

اسد وذئب وغراب وابن آوى وجل

وَهُوَ مَثَلٌ مَنْ يُعَاشِرُ مَنْ لَا يُشَارِكُهُ حَتَّى يَهْلِكَ نَفْسُهُ

٨٥ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجْمَةٍ مُجَاوِرًا لِأَحَدِ الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكَةِ . وَكَانَ

لَهُ أَصْحَابُ ثَلَاثَةٌ : ذِئْبٌ وَغُرَابٌ وَابْنُ آوَى . وَإِنْ رِعَاةً مَرُّوا بِذَلِكَ
 الطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جِمَالٌ . فَتَخَافُ مِنْهَا جَمَلٌ فَدَخَلَ تِلْكَ الْأَجْمَةَ حَتَّى أَتَى
 إِلَى الْأَسَدِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو فِرَاسٍ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ . قَالَ : مِنْ مَوْضِعٍ
 كَذَا . قَالَ : فَمَا حَاجَتُكَ . قَالَ : مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ . قَالَ : تَقِيمُ
 عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالْأَمْنِ وَالْحِصْبِ . فَلَبِثَ عِنْدَهُ زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ إِنَّ
 الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِطَلَبِ الصَّيْدِ فَلَقِيَ فَيْلًا عَظِيمًا . فَقَاتَلَهُ
 قِتَالًا شَدِيدًا وَأَفَلَتْ مِنْهُ مَثَقَلًا مُثَخَّنًا بِالْجِرَاحِ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ . وَقَدْ
 أَنْشَبَ الْفَيْلُ فِيهِ أَنْيَابَهُ . فَلَمْ يَكُدْ يَصِلُ إِلَى مَكَانِهِ . حَتَّى رَزَحَ لَا
 يَسْتَطِيعُ جِرَاكَوْحَرِمَ طَلَبِ الصَّيْدِ . فَلَبِثَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى
 أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا . لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُونُونَ مِنْ فَضَلَاتِ الْأَسَدِ
 وَقَوَاضِيهِ . فَأَجْهَدَهُمُ الْجُوعُ وَالْهَزَالُ . وَعَرَفَ الْأَسَدُ ذَلِكَ مِنْهُمْ
 فَقَالَ : لَقَدْ جُهِدْتُمْ وَأَخْتَجَمْتُمْ إِلَى مَا تَأْكُونُونَ . فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يَهْمُنَا
 أَنْفُسُنَا . لَكِنَّا نَرَى الْمَلِكََ عَلَى مَا نَرَاهُ فَلَدَيْنَا نَجْدًا مَا يَأْكُلُهُ وَيَصْلُحُ بِهِ . قَالَ
 الْأَسَدُ : مَا أَشْكُ فِي نَصِيحَتِكُمْ . وَلَكِنْ أَنْتَشِبُوا لِعَائِكُمْ تُصِيبُونَ
 صَيْدًا فَأَكْسِبِكُمْ وَنَفْسِي مِنْهُ . فَخَرَجَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى
 مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ . فَتَحَّوْا نَاحِيَةَ وَأَثَرُوا فِيهَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا . مَا لَنَا وَلِهَذَا
 الْأَكِيلِ الْمَشْبِ الَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ مِنْ شَأْنِنَا . وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنَا .
 أَلَا زَيْنٌ لِلْأَسَدِ فَيَأْكُلُهُ وَيُطْعِمُنَا مِنْ لَحْمِهِ . قَالَ ابْنُ آوَى : هَذَا مِمَّا
 لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ لِلْأَسَدِ . لِأَنَّهُ قَدْ أَمَّنَ الْجَمَلَ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ .

قَالَ الْغُرَابُ : أَنَا أَكْفِيكُمْ الْأَسَدَ . ثُمَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَقَالَ
 لَهُ : هَلْ أَصَبْتُمْ شَيْئًا . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ يَسْعَى وَيُبْصِرُ .
 وَنَحْنُ فَلَا سَعْيَ لَنَا وَلَا بَصَرَ لِمَا بَيْنَ الْجُوعِ . وَلَكِنْ قَدْ وَفَّقْنَا لِرَأْيِ
 وَاجْتِمَاعِ عَلَيْهِ . فَإِنْ وَافَقْنَا الْمَلِكُ فَتَحْنُ لَهُ مُجِبُونَ . قَالَ الْأَسَدُ : وَمَا
 ذَاكَ . قَالَ الْغُرَابُ : هَذَا الْجَمَلُ أَكَلُ الشَّبِ الْمَتَمَرِّغُ بَيْنَنَا مِنْ غَيْرِ
 مَنَعَةٍ لِنَامِنَهُ وَلَا رَدَّ عَائِدَةٍ . وَلَا عَمَلٍ يُتَبُّ صُلْحَةً . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ
 ذَلِكَ غَضِبَ وَقَالَ : مَا أَخْطَأَ رَأْيُكَ . وَمَا أَعْجَزَ مَقَالُكَ وَأَبْذَكَ مِنْ
 الْوَفَاءِ وَالرَّحْمَةِ . وَمَا كُنْتُ حَقِيقًا أَنْ تُجْتَرِي عَلَيَّ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ
 وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهَذَا الْخِطَابِ . مَعَمَا عَلِمْتَ أَنِّي قَدْ أَمَنْتُ الْجَمَلَ وَجَعَلْتُ
 لَهُ مِنْ ذِمَّتِي . أَوْلَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقُ بَصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ
 أَجْرًا مِنْ أَمْنِ نَفْسًا خَائِفًا وَحَقَّنَ دَمًا مَهْدُورًا . وَقَدْ أَمَّنْتَهُ وَلَسْتُ
 بِالنَّادِرِ بِهِ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنِّي لَا أَعْرِفُ مَا يَقُولُ الْمَلِكُ . وَلَكِنْ النَّاسُ
 الْوَالِدَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْبَيْتِ . وَأَهْلُ الْبَيْتِ يُفْتَدَى بِهِمُ الْقَبِيلَةُ .
 وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْمِصْرِ . وَأَهْلُ الْمِصْرِ فِدَى الْمَلِكِ . وَقَدْ تَرَأْتِ
 بِالْمَلِكِ الْحَاجَةَ . وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا عَلَيَّ أَنْ لَا يَتَكَلَّفُ ذَلِكَ
 وَلَا يَلِيهِ نَفْسِهِ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ أَحَدًا . وَلَكِنَّا نَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ لَنَا وَلِلْمَلِكِ
 فِيهَا صَلَاحٌ وَظَهْرٌ . فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عَنْ هَذَا الْخِطَابِ .
 فَلَمَّا عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ الْأَسَدِ أَتَى أَصْحَابَهُ فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ كَلَّمْتُ
 الْأَسَدَ فِي أَكْلِهِ الْجَمَلَ : عَلَى أَنْ يُجْتَمِعَ نَحْنُ وَالْجَمَلُ لَدَى حَضْرَتِهِ .

فَذَكَرَ مَا أَصَابَهُ وَتَوَجَّعَ لَهُ أَهْتِمَامًا مِمَّا بَأْمَرَهُ وَحِرْصًا عَلَى صَلَاحِهِ .
وَيَعْرِضُ كُلُّ وَاحِدٍ مِمَّنَا نَفْسَهُ عَلَيْهِ . فَيُرَدُّهُ الْآخِرَانِ وَيُسِفُّهُ رَأْيَهُ
وَيُبَيِّنُ الضَّرَرَ فِي أَكْبَاهِهِ . فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ سَلِمْنَا كُلَّنَا وَرَضِيَ الْأَسَدُ
عَنَّا فَعَلُوا ذَلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَ الْغُرَابُ : قَدْ اخْتَبَتِ أَيُّهَا
الْمَلِكُ إِلَى مَا يُقَوِّيكَ . وَتَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ أَنْفُسَنَا لَكَ وَإِنَّا بِكَ نَعِيشُ .
فَإِذَا هَلَكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِمَّنَا بَتَاءٌ بَعْدَكَ . وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ خَيْرَةٍ .
فَلْيَا كُنِّي الْمَلِكُ فَقَدْ طَبْتُ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَأَجَابَهُ الذِّبُّ وَابْنُ آوَى
أَنْ : أَسْكُتْ . فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَكْبَاحِكَ وَلَيْسَ فِيكَ شَيْعٌ . قَالَ ابْنُ
آوَى : لَكِنْ أَنَا أَشْبَعُ الْمَلِكِ . فَلْيَا كُنِّي فَقَدْ رَضِيْتُ بِذَلِكَ وَطَبْتُ
عَنْهُ نَفْسًا . فَرَدَّ عَلَيْهِ الذِّبُّ وَالْغُرَابُ يَقُولُهُمَا لَهُ : إِنَّكَ مُنْتِنٌ قَدِيرٌ . قَالَ
الذِّبُّ : أَنَا لَسْتُ كَكَذَلِكَ . فَلْيَا كُنِّي الْمَلِكُ عَنْ طِيبِ نَفْسِ مَنِي
وَإِخْلَاصِ طَوِيَّةٍ . فَأَعْرَضَهُ الْغُرَابُ وَابْنُ آوَى وَقَالَا : قَدْ قَالَتِ
الْأَطِبَاءُ : مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ . فَلْيَا كُلَّ لَحْمٍ ذِيبٍ . فَظَنَّ الْجَمَلُ أَنَّهُ
إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَكْلِ التَّمَسُّوا لَهُ عُذْرًا كَمَا التَّمَسَّ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ فَيَسْلَمُ وَيَرْضَى عَنْهُ الْأَسَدُ . فَقَالَ : لَكِنْ أَنَا فِي لِلْمَلِكِ شَيْعٌ
وَرِيٌّ . وَلَحْمِي طَيْبٌ هَنِيٌّ وَبَطْنِي نَظِيفٌ . فَلْيَا كُنِّي الْمَلِكُ وَيُطْعِمُ
أَصْحَابَهُ وَحَشْمَهُ . فَقَدْ سَخَتْ بِذَلِكَ طَوْعًا وَرِضًا . فَقَالَ الذِّبُّ
وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى : لَقَدْ صَدَقَ الْجَمَلُ وَتَكْرَمَ وَقَالَ مَا دَرَى . ثُمَّ
إِنَّهُمْ وَثَبُوا عَلَيْهِ وَمَزَقُوهُ

للجدي السالم والذئب النادم

٨٦ حكي أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْبَيْضِ لِذئبٍ وَجَارٌ . وَأَهْلٌ وَجَارٌ .
فَخَرَجَ يَوْمًا لِيَطْلُبَ صَيْدًا . وَنَصَبَ لِذئبِكَ شِبَاكَ الْكَيْدِ . وَصَارَ يَجُولُ
وَيَصُولُ . وَلَا يَقَعُ عَلَى مَحْضُولٍ . فَأَثَرَ فِيهِ الْجُوعُ وَاللُّغُوبُ . وَأَذْنَتِ
الشمسُ لِلْغُرُوبِ . فَصَادَفَ بَعْضَ الرَّعِيَانِ . يَسُوقُ قَطِيعًا مِنَ الضَّانِ .
وَفِيهَا بَعْضُ جِدْيَانِ . فَهَمَّ عَلَيْهَا إِشْدَادَ الْجُوعِ بِالْهُجُومِ . ثُمَّ أَذْرَكَهُ مِنْ
خَوْفِ الرَّاعِي الْوُجُومِ . لِأَنَّهُ كَانَ مُتَمَيِّظًا . وَمِنَ الذئبِ عَلَى مَا شِئْتَهُ
مُتَحَفِّظًا . فَجَعَلَ يُرَاقِبُهُ مِنْ بَعِيدٍ . وَالْجُرْصُ وَالشَّرُّهُ زَيْدٌ . وَالرَّاعِي
سَائِقٌ . وَالذئبُ عَائِقٌ . فَتَخَلَّفَ جَدْيٌ غَيْبٌ . غَفَلَ عَنْهُ الرَّاعِي الذَّكِيُّ .
فَأَذْرَكَهُ الذئبُ الشَّيْطُ . وَأَقْطَعَهُ بِأَمَلٍ بَسِيطٍ . وَبَشَّرَ نَفْسَهُ بِالظَّفْرِ .
وَطَارَ بِالْفَرَحِ وَأُسْتَبَشَّرَ . فَلَمَّا رَأَى الْجَدْيَ الذئبَ . عَلِمَ أَنَّهُ أُصِيبَ
بِیَوْمِ عَصِيبٍ . وَظَفَرَ قَصَابُ الْبِلَادِ مِنْ قُصْبِهِ بِأَوْقَرِ نَصِيبٍ . فَتَدَارَكَ
نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ . وَأَسْتَحْضَرَ حِيلَةَ جَاشِهِ وَحَدْسِهِ . وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُنْجِيهِ مِنْ
تِلْكَ الْوَرْطَةِ الْوَيْلِيَّةِ . إِلَّا مُنِيتُ الْحِدَاعِ وَالْحِيلَةَ . وَأَذْكَرَهُ مُذْكَرِ الْخَاطِرِ .
مَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَكِنْ أَخُو الْحَزْمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلًا بِهِ الْخُطْبُ إِلَّا وَهُوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرٌ
فَتَقَدَّمَ بِجَاشِ صَلِيبٍ . وَقَبَلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْ الذئبِ . وَقَالَ لَهُ مَجْحُوكَ
الرَّاعِي . لِحَنَابِكَ دَاعِي . يُسَلِّمُ عَلَيْكَ . وَقَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ . بِشُكْرٍ
صِدَاقَتِكَ وَشَفَقَتِكَ . وَحَسْمَتِكَ وَمُرَاقَبَتِكَ . وَيَقُولُ قَدْ تَرَكْتُ بِحُسْنِ

إِبَائِكَ . عَادَةَ أَجْدَادِكَ وَأَبَائِكَ . فَلَمْ تَتَعَرَّضْ لِمَوَاشِيهِ . وَحَفِظْتَ
 بِنَظَرِكَ ضِعَافَ حَوَاشِيهِ . وَقَدْ حَصَلَ لِعِضَائِهَا الشَّبَعُ . وَأَمِنْتَ بِجِوَارِكَ
 الْجُوعَ وَالْفَرَع . وَحَصَلَ الْآمَنُ مِنَ الْجُرْعِ . فَسَيَجْمَلُ جِوَارِكَ وَغِيَاضَكَ
 أَحْسَنَ مُسْتَجِمٍ . لِأَنَّ ضِعَافَ مَا شِئْتَهُ شَبِعَتْ وَرَوَيْتَ . وَأَتَمَّشَتْ
 وَقَوَيْتَ . فَأَرَادَ مُكَافَأَتَكَ . وَطَلَبَ مُصَادَقَتَكَ وَمُصَافَاةَكَ . فَأَرْسَانِي
 إِلَيْكَ لِتَأْكُلَنِي . وَأَوْصَانِي أَنْ أَطْرِبَكَ يَا أُنْتِي . فَإِنِّي حَسَنُ
 الصَّوْتِ فِي الْغَنَاءِ . وَصَوْتِي يَزِيدُ شَهْوَةَ الْغَدَاءِ . فَإِنِ اقْتَضَى رَأْيِكَ
 إِلَّا سَعِدُ . غَنَيْتَكَ غِنَاءَ يُسَيِّبِي أَبَا إِسْحَاقَ وَمَعْبُدَ . وَهُوَ شَيْءٌ لَمْ يَظْهَرْ بِهِ
 آبَاؤُكَ وَأَجْدَادُكَ . وَمَا يَنَالُهُ أَغْنَابُكَ وَأَوْلَادُكَ . يُتَوَوَّى كَرَمَكَ .
 وَشَهْوَتَكَ وَقَرَمَكَ . وَيُطِيبُ مَأْكَلَكَ . وَيُسَيِّبِي مَأْمَلَكَ . وَإِنْ صَوْتِي
 اللَّذِيذَ . أَلَذُّ لِلجَانِعِ مِنْ جَدِي حَنِيذٍ . وَخُبْزِ سَمِيدٍ . وَانْعَاطِشَانِ مِنْ قَدَحِ
 نَبِيدٍ . فَرَأَيْكَ أَعْلَى . وَأَمْتَأَلُكَ أَوْلَى . فَقَالَ الذَّبُّ : لَا بَأْسَ وَاللَّكَ .
 فَغَنَّ مَا بَدَأَكَ . فَرَفَعَ الْجُدِي عَقِيرَتَهُ . وَرَأَى فِي الصَّرَاحِ خَيْرَتَهُ .
 وَأَنْشَدَ :

وَعُصْفُورُ الحَشَائِيهِوَى جَرَادَهُ كَمَا عَشِقَ الحُرُوفَ أَبُو جَمَادَةَ
 فَأَهْتَرَّ الذَّبُّ طَرَبًا . وَتَمَائِلَ عُجْبًا وَعَجْبًا . وَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا زَيْنَ النِّعَمِ .
 وَلَكِنَّ هَذَا الصَّوْتُ فِي الْبَمِ . فَأَرْفَعُ صَوْتَكَ فِي الزَّيْرِ . فَقَدْ أَخْجَلْتَ
 الْبَلَابِلَ وَالزَّرَارِيْرَ . وَزِدْنِي يَا مُعْنِي . وَعَنِّ لِي . مَا يَلِي قَوْلِي :
 أَقْرَ هَذَا الزَّمَانُ عَيْنِي بِالْجَمْعِ بَيْنَ الْمُنَى وَبَيْنِي

وَلَيْكُنْ هَذَا يَا سَيِّدَ الْجِدَاءِ فِي أَوْجِ الْحُسَيْنِيِّ . فَأَعْتَمَّ الْجُدِّي الْفُرْصَةَ
وَأَزَاحَ بِيَعِيْطِهِ الْفُصَّةَ . وَصَرَخَ صَرَخَةً أُخْرَى . أَذْكَرَ الطَّامَّةَ الْكُبْرَى .
وَرَفَعَ الصَّوْتَ . كَمَنْ عَايَنَ الْمَوْتَ . وَخَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الْحِجَازِ إِلَى الْعِرَاقِ .
وَكَأَدَ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْأَنْفَتَقُ . وَقَالَ :

نِوَاتِمُّ أَنْظَرُوا حَايَ أَبُو مَذْقَةَ أَكْغَالِي

فَسَمِعَهُ الرَّاعِي يَشْدُو . فَأَنْبَلَ بِالْمَطْرَقِ يَعْدُو . فَاثْمَ يَشْعُرُ الذِّبُّ الذَّاهِلُ .
وَهُوَ بِحُسْنِ السَّمَاعِ غَافِلٌ . إِلَّا وَالرَّاعِي بِالْمَصَا عَلَى قَفَاهُ نَازِلٌ .
فَرَأَى الذِّبُّ الْغَنِيْمَةَ فِي النَّجَاةِ . وَأَخَذَ فِي طَرِيقِ الْحَيَاةِ مَوْتَكَ الْجُدِّي
وَأَقْلَتَ . وَتَجَامِنُ سَيْفِ الْمَوْتِ الْمُصَلَّتِ . وَصَعِدَ إِلَى تَلٍّ يَتَلَقَّتْ . إِذْ
تَقَلَّتْ . وَأَقْعَى يَعْضُ يَدَيْهِ نَدَامَةً . وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ بِاللَّامَةِ . وَيَقُولُ :
أَيُّهَا الْغَافِلُ الذَّاهِلُ . الْأَخْمَقُ الْجَاهِلُ . مَتَى كَانَ عَلَى بِيَمَاطِ السَّرْحَانِ .
أَلْقَبْزُ وَالْأَوْزَانُ . وَأَيُّ جَدِّ لَكَ قَانٍ . أَوْ أَبٍ مُفْسِدِ جَانٍ . كَانَ لَا
يَأْكُلُ إِلَّا بِالْغَانِي . وَعَلَى صَوْتِ الْمَثَلِثِ وَالْمَثَانِي . فَلَوْلَا أَنْتَ عَدَلْتَ
عَنْ طَرِيقَةِ آبَائِكَ . مَا قَاتَكَ لَذِيذُ عَشَائِكَ . وَلَا أَمْسَيْتَ جَانِعًا
تَتَلَوَّى . وَبِحَجْرَةِ قَوَاتِ الْفُرْصَةِ تَتَكَوَّى . ثُمَّ بَاتَ يَحْرُقُ ضَرْسَهُ وَنَابَهُ .
وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ لِمَا نَابَهُ :

وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعُ لِفُرْصَتِهِ حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرُ عَاتِبِ الْقَدَرَا

فَارَةٌ وَهَرٌ

٨٧ كَانَ رَجُلٌ فَقِيرٌ عِنْدَهُ هَرٌّ رَبَاهُ . وَأَحْسَنَ مَأْوَاهُ . وَكَانَ أَقِطٌ قَدْ

عَرَفَ مِنْهُ الشَّفَقَةَ . وَأَلْفَ مِنْهُ الْمُوَدَّةَ وَالْمِلَّةَ . فَكَانَ لَا يَبْرَحُ مِنْ
 مَبِيَّتِهِ . وَلَا يَسْعَى إِطْلَبَ قُوَّتِهِ . فَحَصَلَ لَهُ الْهَزَالُ . وَتَغَيَّرَ حَالُهُ مِنْ
 أَمْرٍ وَحَالٍ . فَلَا عِنْدَ صَاحِبِهِ مَا يُغْدِيهِ . وَلَا لَهُ قُوَّةٌ تَلِي الْأَصْطِبَارِ
 تُغْنِيهِ . إِلَى أَنْ عَجَزَ عَنِ الصَّيْدِ . وَصَارَ يَسْخَرُ بِهِ مِنْ أَرَاذِلِ الْقَارِ عَمْرُو
 وَزَيْدٌ . وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ . مَاوَى لِرَيْسِ الْجُرْدَانِ . وَبِجِوَارِهِ
 مَخْرِنُ سَمَانَ . فَأَجْتَرَأَ الْجُرْدُ لِضَعْفِ أَبِي غَزْوَانَ . وَتَمَكَّنَ مِنْ نَسْلِ مَا
 يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَصَارَ يَمُرُّ عَلَى الْقَطِ آمِنًا وَيُخَوِّكُ عَلَيْهِ . إِلَى أَنْ أَمْتَلَأَ
 وَكْرَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَطَاعِمِ . وَحَصَلَ لَهُ الْفَرَاغُ مِنَ الْمَخَافِ وَالْمَزَاجِمِ .
 فَاسْتَطَالَ عَلَى الْجِيرَانِ . وَأَسْتَعَانَ بِطَوَائِفِ الْقَارِ تَلَى الْأَسْدَوَانَ .
 وَأَفْتَكَّرَ يَوْمًا فِي نَفْسِهِ . فِكْرًا آدَاهُ إِلَى حُلُولِ رَسِيهِ . وَهُوَ أَنَّ هَذَا
 الْقَطُّ وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا قَدِيمًا . وَمُرَابِكًا عَظِيمًا . وَلَكِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي
 الْأَنْتِحَالِ . وَضَعْفَ عَنِ الصَّيْدِ وَالْإِنْتِيَالِ . وَقُوَّتِي إِنَّمَا هِيَ إِسْبَابُ
 ضَعْفِهِ . وَهَذَا أُنْفَعُ إِنَّمَا هُوَ حَاصِلُ بَحْتِنِهِ . وَلَكِنَّ الدَّهْرَ الْغَدَّارَ . لَيْسَ
 لَهُ عَلَى حَالِهِ اسْتِرَارٌ . قَرُبًا يَعُودُ الدَّهْرُ إِلَيْهِ . وَيُعِيدُ صِحَّتَهُ وَعَافِيَتَهُ
 عَلَيْهِ . فَإِنَّ الزَّمَانَ الدَّوَارَ يَنْهَبُ وَيَهَبُ . وَيُنْطِي مَا سَابَ . وَيَجْعُ
 فِيمَا وَهَبَ . كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ وَلَا سَبَبٍ . وَإِذَا عَادَ الْقَطُّ إِلَى
 مَا كَانَ عَلَيْهِ . يَتَذَكَّرُ مِنْ غَيْرِ شَكِّ إِسَاءَتِي إِلَيْهِ . فَيُثُورُ فَاقَهُ . وَيَفُورُ
 حَنَفَهُ . وَيَأْخُذُهُ لِلْإِنْتِقَامِ مِنِّي أَرْقُهُ . فَلَا يَقْرَأُ لِي مَعَهُ قَرَارٌ . فَأَضْطَرُّ
 إِلَى التَّحْوِيلِ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ . وَالخُرُوجِ عَنِ الْوَطَنِ الْمَأْلُوفِ . وَمُفَارَقَةِ

السُّكْنِ الْمَعْرُوفِ . فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِهْتِمَامِ قَبْلَ حُلُولِ هَذَا الْفَرَامِ .
 وَالْأَخْذِ فِي طَرِيقَةِ الْخُلَاصِ . قَبْلَ الْوُقُوعِ فِي شَرِكِ الْاِقْتِصَاصِ
 ثُمَّ إِنَّهُ ضَرَبَ أَمْحَاسًا لِأَسْدَاسٍ . فِي كَيْفِيَةِ الْخُلَاصِ مِنْ هَذَا الْبَاسِ .
 فَأَدَاهُ الْفِكْرُ إِلَى إِصْلَاحِ الْمَعَاشِ . بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي حِرَاشٍ . لِيَدُومَ لَهُ
 هَذَا النَّشَاطُ . وَيَسْتَمِرَّ بِوَاسِطَةِ الصُّلْحِ بِسَاطِ الْاِنْسَاطِ . فَرَأَى أَنَّهُ
 لَا يُفِيدُهُ إِلَّا أَنْ يَزْرَعَ الْجَمِيلَ . مِنْ كَثِيرٍ وَقَلِيلٍ . خُصُوصًا فِي وَقْتِ
 الْفَاقَةِ . فَإِنَّهُ أَجْلَبُ لِلصَّدَاقَةِ . وَأَبْقَى فِي الْوَثَاقَةِ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ
 يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا الْعُقُودُ . وَيَتَأَكَّدُ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْاِتِّفَاقُ مِنَ الْعُقُودِ .
 وَهُوَ أَنْ يَلْتَرِمَ كَبِيرُ الْجِرْدَانِ فِي كُلِّ عَدَاةٍ . مَا يَكْفِيهِ مِنْ طَيِّبِ
 الْغِذَاءِ صَبَاحَهُ وَمَسَاءَهُ . لِأَنَّ الشَّيْخَ قَالَ فِي الدَّرْسِ : خَيْرُ الْمَالِ مَا
 وَقَّتَ بِهِ النَّفْسَ . إِلَى أَنْ يَبْعَ جَسَدَهُ . وَيُرَدَّ عَلَيْهِ مِنْ عَاشِهِ رَغَدَهُ .
 وَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِعُقُودِ الصَّدَاقَةِ وَتَرْكِ الْعِدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ . فَجَمَعَ لَهُ
 مِنَ الْخُبْزِ وَالْجُبْنِ وَاللَّحْمِ الْقَدِيدِ . مَا قَدَرَ عَلَى حَمْلِهِ . وَنَهَضَتْ قُوَّتُهُ
 بِقَلْبِهِ . وَقَدِمَ مَقَامَ الْهَرِّ وَسَامَ عَلَيْهِ سَلَامَ مُكْرِمٍ مُبِرٍّ . وَقَدَّمَ مَا لَدَيْهِ
 إِلَيْهِ . وَتَرَامَى بِكَثْرَةِ الْاِشْتِيَاقِ وَالْتَوَدُّدِ عَلَيْهِ . وَقَالَ : يَعْزُّ عَلِيٌّ . وَيَنْظُمُ
 لَدَيْ . أَنْ أَرَاكَ يَا خَيْرَ جَارٍ . فِي هَذَا الْاِضْطِرَّارِ . وَسَيَكْفِيكَ اللَّهُ هَذَا
 الْجُهْدَ وَالضَّرِيرَ . وَلَكِنَّ الْعَاقِبَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَى خَيْرٍ . فَتَأَوَّلَ الْقَطُّ
 مِنْ تِلْكَ السَّرِقَةِ . مَا سَدَّ رَمَّةَهُ . وَشَكَرَ لَهُ تِلْكَ الصَّدَقَةَ . ثُمَّ قَالَ :
 إِنَّ لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحُقُوقِ . مِثْلَ مَا لِلجَارِ الصَّدُوقِ . عَلَى الجَارِ الشَّفُوقِ .

وَأَرَدْتُ أَنْ يَتَأَكَّرَ الْجَوَارُ بِالمَصَادِقَةِ . وَتَثَبَتِ المَحَبَّةُ بِالمَوَائِقَةِ .
وَإِنْ كَانَتْ بَيْنَنَا عَدَاوَةٌ قَدِيمَةٌ . فَتَرَكْ مِنْ الجَانِبِينَ تِلْكَ الخِصْلَةَ
الذَّمِيمَةَ . وَنَسْتَأْزِبُ العُهودَ . عَلَى خِلَافِ الخُلُقِ المَعْهُودِ . وَهَذَا أَنَا أَذْكَرُ
لَكَ سَبَابًا يَحْمِلُكَ عَلَى تَرْكِ خُلُقِكَ القَدِيمِ . وَيُرْشِدُكَ فِي طَرِيقِ الإِخَاءِ
إِلَى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ . وَهُوَ أَنَّ أَكْثَرَ مَثَلًا . مَا يُغْذِي مِنْكَ بَدَنًا .
فَضْلًا عَنِ أَنْ يُظْهِرَ فِيكَ صِحَّةً وَسَمَنًا . فَإِنْ أَمْنَتْنِي مَكْرَكَ وَرَغِبْتَ فِي
صُحْبَتِي . وَعَاهَدْتَنِي عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِ مَوَدَّتِي . وَأكَّدْتَ ذَلِكَ لِي
بِمُغَانَنَابِ الأَمَانِ حَتَّى اسْتَوَيْتُ بِاسْتِصْحَابِكَ . وَأَبَيْتَ آمِنًا فِي مَحَبَّتِكَ
وَدَهَابِكَ . وَوَكُنْتُ بَيْنَ مَخَالِيكَ وَأَنْبِيَاكَ . فَأَتَيْتُ التَّرَمُّمَ كُلَّ
يَوْمٍ . عِنْدَمَا تَسْتَيْقِظُ مِنَ النَّوْمِ . بِمَا يَسُدُّ خَلَّتَكَ . وَيُبْقِي مُهْجَتَكَ .
صَبَاحًا وَمَسَاءً وَعَدَاءً وَعِشَاءً . فَلَمَّا رَأَى المُرُّ . هَذَا المِرَّ . أَعْجَبْتَهُ هَذِهِ
النِّعَمُ . وَأَطْرَبَهُ هَذَا النِّعَمُ . وَأَقْسَمَ طَائِعًا مُخْتَارًا . لَا إِكْرَاهًا وَلَا
إِجْبَارًا . أَنَّهُ لَا يَسْلُكُ مَعَ الجِرْدَانِ . إِلَّا طَرِيقَ الأَمَانِ وَالإِحْسَانِ .
فَرَجَعَ الجُرْدُ وَهُوَ يَهْدِيهِ الحَرَكَةُ جَدْلَانُ . وَصَارَ يَأْتِي القِطُّ كُلَّ يَوْمٍ
بِمَا التَّرَمُّ بِهِ مِنَ العَدَاءِ وَالعِشَاءِ . إِلَى أَنْ صَحَّ القِطُّ وَاسْتَوَى . وَسَلِمَتْ
خَلَوَاتُ بَدَنِهِ مِنَ الخَوَاءِ . وَقَدْ كَانَ لِهَذَا القِطِّ دِيكٌ صَاحِبٌ قَدِيمٌ .
وَصَدِيقٌ نَدِيمٌ . كُلُّ مِنْهُمَا يَأْنَسُ بِصَاحِبِهِ . وَيَحْفَظُ خَاطِرَهُ بِمِرَاعَاةِ
جَانِبِهِ . فَحَصَلَ لِلدِّيكِ تَعْوِيقٌ عَنِ زِيَارَةِ صَدِيقِهِ . فَلَمْ يَتَّفِقْ لِمَا لِقَاءَهُ .
إِلَّا بَعْدَ أَنْ زَالَ عَنِ القِطِّ ذَلِكَ الشَّقَاءُ . وَحَازَ تَمَامَ الشِّفَاءِ . فَسَأَلَهُ

الدِّيكُ : بماذا زال ذلك الهزال . فأخبره بمخبر الجرذ وأنه صار عنده
 من أعز الأصدقاء الخبيرين الأماناء . فضحك الديك مستغرباً . وطفق
 يصفق بجناحيه متعجباً . فقال له : ممّ تضحك . قال : من سلامة بابنك .
 وأنقيادك لمداهنيك . وحسن صنائعك . إلى غائبك ومخاديتك . ومن
 يأمن لهذا البرم . الواجب قتله في الحِلِّ والحرم . المفسد القاسق .
 المؤذي المنافق . الذي خدعك حتى أمن على نفسه . وأوقعك في
 حبال كيدِهِ وتحمسه . مع أنك لست عنده بمشكور . ولا بالخير
 المذكور . وإنما الذي شاء . وملاً الأسماع . أنك تحل عقده . وتنهض
 عهده . وتكث الأيمان . وتجازي بالسببة الإحسان . فإنه لما لم
 يرمك ، أيسره . أصبح متوقفاً ما يضره . وأعظم من هذا أنه حشر
 ونادى . وجاهرَكَ بالشرِّ وعادى وقال : إنه أحياك بعد الموت . وردك
 بعد القوت . وإنه أولاً فضله عليك . وبره الواصل إليك . لت هزلاً
 وجوعاً . وأعيشت أسبوعاً . وإنه شفاك وعافاك . وصفاك وصافاك .
 وهل تمت أن جرذاً صادق هرة . أو اتفق بينهما مرافقة . فمنا صحة
 القط والفار . كصادفة الماء والنار . فلما سمع القط هذا الكلام . تألم
 خاطره بمض إيلام وقال للديك : جزاك الله عني خيراً . ولكن من
 أخبرك بهذا الخبر . وصدقك ما أثر . قال : لقد غررك الجرذ بلتميمات
 من الحرام . والسحت المنغمس في الآثام . وجعلها لك بمنزلة حبة
 القمح . فلا تشربها إلا وأنت في المسلخ . حيث لا رفيق يتشغم فيك

وَلَا أُنْخِ . وَهُنَاكَ يُعْرَفُ تَحْقِيقُ هَذَا الْكَلَامِ . وَمَا أَطْلَعْنَاكَ عَلَى مَا قُلْتَ
 إِلَّا مِنْ فَرْطِ الشَّفَقَةِ وَالسَّلَامِ . فَتَرَجَّحَ جَانِبُ صِدْقِ الدِّيكِ عِنْدَ الْقَطْرِ
 فَقَالَ فِي خَاطِرِهِ . بَعْدَ مَا أَجَالَ قِدْحَ ضَمَائِرِهِ : إِنَّ هَذَا الدِّيكَ مِنْ حِينِ
 أَنْفَلَتْ عَنْهُ الْبَيْضَةُ . وَسَرَّحَتْ مَعَهُ مِنَ الصَّدَاقَةِ فِي رَوْضَةٍ . مَا رَفَقَتْ
 لَهُ عَلَى كَذِبٍ . وَلَا سَمِعَتْ أَنَّهُ لِيَشِيءُ مِنَ الزُّورِ مُرْتَكِبٌ . فَهُوَ أَبْعَدُ مِنْ
 أَنْ يَخْدَعُ . وَأَجَلٌ مِنْ أَنْ يَغْشَى وَيَتَصَنَّعَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : كَيْفَ أَعْرِفُ
 صِدْقَ هَذَا الْخَبِيرِ . وَهَلْ عَلَى سُوءِ طَوَيْتِهِ دَلَالَةٌ تُنْظَرُ . قَالَ : نَعَمْ .
 وَرَبِّ الْحَرَمِ عِلَامَةٌ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ . وَنَظَرَ إِلَيْكَ . يَكُونُ
 مُنْحَفِضَ الرَّاسِ . مُجْتَمِعَ الْأَنْفَاسِ . مُتَوَقِّعًا حُلُولَ نَائِبَةٍ . أَوْ نُزُولِ
 مُصِيبَةٍ صَائِبَةٍ . مُتَلَفِّتًا يَمِينًا وَشِمَالًا . مُتَخَوِّفًا نَكَالًا وَوَبَالًا . طَائِفًا
 يَتَنَبَّأُ . خَائِفًا يَتَرَقَّبُ . وَذَلِكَ لِأَنَّهُ خَائِنٌ . وَالْحَائِنُ خَائِفٌ وَهَذَا
 أَمْرٌ بَائِنٌ . وَبَيْنَمَا هُمَا فِي الْحَاوِرَةِ . وَالْمُنَاطِرَةِ وَالْمَشَاوِرَةِ . دَخَلَ أَبُو
 جَوَالٍ . وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ . فَرَأَى أَبَا يَثْرَانَ . يُخَاطِبُ أَبَا
 غَزْوَانَ . فَخَسَّ وَقَهَّرَ . وَتَوَقَّفَ وَتَفَكَّرَ . وَهُوَ غَافِلٌ عَمَّا قَضَى اللَّهُ
 وَقَدَّرَ . فَأَشْمَأَزَ لِرُؤْيَيْهِ الدِّيكِ وَأَسْمَعَلَ . وَأَنْتَضَعَ وَأَبْرَأَلَ . فَأَرْتَمَدَ
 الْجُرْذُمِينَ شَيْخِ الدِّيَكَةِ . لَمَّا رَأَى مِنْهُ هَذِهِ الْحَرَكَةَ . وَأَنْتَفَشَ وَأَتْرَوَى .
 وَتَقَبَّضَ وَذَوَى . وَأَلْفَتَ يَمِينًا وَشِمَالًا . كَأَلْطَائِبِ لِلْفِرَارِ مَجَالًا .
 وَأَلْقَطَ بِرَأْقِبِ أَحْوَالِهِ . وَتَيَبَّزُ حَرَكَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ . فَتَحَقَّقَ مَا قِيلَ لَهُ فِيهِ
 وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظْرَ الْمُسْتَقِيمِ . وَهُمْ وَأَكْفَهَرُ . وَرَقَصَتْ سُورَابُهُ وَأَزْبَارُ .

وَأَسَى الْعُهُودَ وَالْأَيَّامَانَ . وَنَبَضَ فِيهِ عِرْقُ الْعِدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ وَالْعُدْوَانَ .
فَوَثَبَ عَلَيْهِ وَأَذْخَاهُ فِي خَبَرِ كَانَ . وَأَخْلَى مِنْهُ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ

الهدهد الغير المتروي

٨٨ ذَكَرُوا أَنَّ اللَّهَ مُجْرِي الْخَيْرِ . عَامَ بَنْضِ عَيْدِهِ الْأَصْلَحَاءَ مَنَاطِقَ
الطَّيْرِ . فَصَاحَبَ مِنْهَا هُدْهَدًا . وَأَزْدَادًا مَا بَيْنَهُمَا تَوَدُّدًا . فَبِي بَنْضِ
الْأَيَّامِ . مَرَّ بِالْهُدْهَدِ ذَلِكَ الْإِمَامُ . وَهُوَ فِي مَكَانٍ عَالٍ . مُتَبَتُّ إِلَى
نَاحِيَةِ الشَّمَالِ . وَهُوَ مَشْغُولٌ بِالسَّبْحِ يُسَبِّحُ اللَّهَ بِلسَانِهِ الْقَصِيحِ فَنَادَاهُ :
يَا صَاحِبَ التَّاجِ وَالْقَبَاءِ وَالذَّبْيَاجِ لَا تَتَمَذَّ فِي هَذَا الْمَيْكَانِ فَإِنَّهُ
طَرِيقُ كُلِّ فِتْنَانَ . وَمَطْرُوقُ كُلِّ صَائِدِ شَيْطَانٍ . وَمَقْعَدُ أَرْبَابِ
الْبِنَادِقِ وَمَرْصَدُ أَصْحَابِ الْجِبَالِ هَاقٍ . فَقَالَ الْهُدْهَدُ : إِنِّي عَرَفْتُ
ذَلِكَ وَأَنْتَ مَسَلَكُ الْمَهَالِكِ قَالَ : فَلَايِي شَيْءٍ عَزَمْتَ عَلَى الْعُهُودِ فِيهِ .
مَعَ عِلْمِكَ بِمَا فِيهِ مِنْ دَوَاهِيهِ . قَالَ : أَرَى صَيًّا وَأَظُنُّهُ غَوِيًّا نَصَبَ لِي
فِتْنًا . يَرُومُ لِي فِيهِ زَخًا . وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَكَائِدِهِ . وَمَنَاصِبِ مَصَائِدِهِ .
وَعَرَفْتُ مَكِيدَتَهُ أَيْنَ هِيَ . وَإِلَى مَاذَا تَنْتَهِي . وَأَنَا أَنْتَرَجُ عَلَيْهِ .
وَأَتَقَدَّمُ لِلصَّحْحِ إِلَيْهِ . وَأَتَعَجَّبُ مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . وَتَعْطِيلِ سَاعَاتِهِ .
فِيمَا لَا يَبُودُ عَلَيْهِ مِنْهُ نَفْعٌ . وَلَا يُفِيدُهُ فِي قَفَاهُ سِوَى الصَّفْعِ . وَأَسْخَرُ
مِنْ حَرَكَاتِهِ . وَأَنْبَهُ مِنْ يَمْرِ عَلَى خُرْعَابِلَاتِهِ . فَتَرَكَهُ الرُّجُلُ وَذَهَبَ .
وَقَضَى حَاجَاتِهِ وَأَنْقَلَبَ . فَرَأَى الْهُدْهَدَ فِي يَدِ الصَّيِّ وَلسَانُ حَالِهِ .
يَلْهَجُ بِمَقَالِهِ :

كَمُضْفُورَةٍ فِي يَدِ طِفْلِ يَهِينِهَا تُقَامِي عَذَابِ الْمَوْتِ وَالطِّفْلِ يَأْمَبُ
 فَلَا الطِّفْلُ ذُو عَقْلٍ يَرِقُ لِحَالِهَا وَلَا الطَّيْرُ مُنْفَكُ الْجَنَاحِ فَيَهْرَبُ
 فَسَادَاهُ وَقَالَ : يَا أَبَاعَبَادٍ كَيْفَ وَقَعْتَ فِي شَرِكِ الصَّيَادِ وَقُلْتَ لِي
 إِنَّكَ وَعَيْتَ . وَرَأَيْتَ مَا رَأَيْتَ . فَقَالَ : أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ الْهُدْهُدَ إِذَا
 نَقَرَ الْأَرْضَ يَعْرِفُ مَسَافَةَ مَا بَيْنَهُ بَيْنَ الْمَاءِ . وَلَا يُبْصِرُ شَعْرَةَ الْخَمْرِ
 وَلَا مَا وَرَاءَهُ . وَنَاهِيكَ قَضِيَّةَ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ . كَيْفَ خُذِلَ لِمَا عَوِي
 وَأَغْتَرَّ وَبَطَرَ . وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِمَّنْ أَشْتَهَرَ أَمْرُهُمْ وَأَنْتَشَرَ . وَأَنَا لَمَّا
 اغْتَرَرْتُ بِمِحْدَةِ بَصْرِي . ذَهَلْتُ عَمَّا يَجُولُ فِي فِكْرِي . فَتَغَطَّتْ حِدَّةُ
 اسْتِبْصَارِي فَوَقَعْتُ فِي فِتْحِ اغْتِرَارِي

مالك الحزين واسمكة

٨٩ كان في مكان مكين . ماوى لمالك الحزين . وفي ذلك المكان
 غياض وعُذْرَانٌ تُضَاهِي رِيَاضَ الْجَنَانِ . وَفِي مِيَاهِهِ مِنَ السَّمَاءِ . مَا
 يَفُوقُ سَابِحَاتِ السَّمَاءِ . فَكَانَ ذَلِكَ الطَّيْرُ . فِي دَعَاةٍ وَخَيْرٍ . يُذَجِّي
 الْأَوْقَاتَ . بِطَيْبِ الْأَقْوَاتِ . وَكُلَّمَا تَحَرَّكَ بِحَرَكَةٍ . كَانَ فِيهَا بَرَكَةٌ .
 حَتَّى لَوْ غَاصَ فِي تِلْكَ الْجِبَارِ وَأَنْتَدِرَانَ لَمْ يَخْرُجْ إِلَّا وَفِي مِنتَارِهِ
 سَمَكَةٌ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْأَنْهَاءِ . تَعَسَّرَ عَلَيْهِ أَسْبَابُ الْغِذَاءِ .
 وَأَرْجَحَ لِقَوْتِ قُوْتِهِ أَبْوَابَ الْعِشَاءِ . فَكَانَ يَطِيرُ بَيْنَ عَالَمِ الْمَلِكِ
 وَالْمَلَكُوتِ . يَطْلُبُ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ مِنَ الْقَوْتِ . فَلَمَّ يُفْتَحْ عَلَيْهِ بَشِيءٌ
 مِنْ أَعْلَى السَّمَاءِ إِلَى أَسْفَلِ الْحُوتِ . وَآمَنَتْ هَذَا الْحَالُ . عِدَّةَ أَيَّامٍ

وَلِيَالٍ . فَخَاضَ يَوْمًا فِي الرَّقْرَاقِ . يَطْلُبُ شَيْئًا مِنَ الْأَرْزَاقِ . فَصَادَفَ
 سَمَكَةً صَغِيرَةً قَدْ عَارَضَتْ مَسِيرَهُ فَأَخْتَطَفَهَا . وَمِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ التَّقَمَهَا .
 ثُمَّ بَعْدَ أَقْتَالِهَا . قَصَدَ إِلَى ابْتِلَاعِهَا . فَتَدَارَكَتْ زَاهِقَ نَفْسِهَا . قَبْلَ
 اسْتِثْرَارِهَا فِي رَمْسِهَا . فَنَادَتْ بَعْدَ أَنْ كَادَتْ أَنْ تَكُونَ بَادَتْ : مَا
 الْبَرْغُوثُ وَدَمُهُ . وَالْعَصْفُورُ وَدَسَمُهُ . أَسْمَعُ يَا جَارَ الرِّضَا . وَمَنْ نَحْمُرْنَا
 فِي صَوْنِهِ أَتَقْضَى . لَا تَعْجَلْ فِي ابْتِلَائِي . وَلَا تُسْرِعْ فِي ضِيَاعِي . قَفِي
 بِمَا نِي فَوَائِدُ وَعَوَائِدُ . عَلَيْكَ عَرَائِدُ . وَهُوَ أَنَّ أَبِي قَدْ مَلَكَ هَذَا
 اسْمَكَ فَالْكَلُّ عَيْدُهُ وَرِعِيَّتُهُ . وَوَجِبُ عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ وَمَشِيئَتُهُ . ثُمَّ
 إِنِّي وَاحِدُ أَبِي . وَأُرِيدُ مِنْكَ الْإِبْقَاءَ عَلَيَّ . فَإِنَّ أَبِي نَذَرَ النُّذُورَ . حَتَّى
 حَصَلَ لَهُ بِوُجُودِي السُّرُورُ . فَمَا فِي ابْتِلَائِي كَبِيرُ فَائِدَةٍ . وَلَا أَسْدُ
 لَكَ رَمَمًا . وَلَا أَشْغَلُ لَكَ مَعِدَةً فَتَصِيرُ مَعَ أَبِي كَمَا قِيلَ : فَأَفْقَرَنِي فِيمَنْ
 أَحَبُّ وَلَا أَسْتَغْنَى فَالْأَوْلَى أَنْ أُقَرَّ عَيْنَكَ . وَأَعْرِفَ مَا بَيْنَ أَبِي وَبَيْنِكَ .
 فَأَكُونَ سَبَبًا لِعُقُودِ الْمُصَادَقَةِ . وَفَاتِحًا لِأَغْلَاقِ الْحُبِّ وَالْمُرَافَقَةِ .
 وَيَحْتَمِلُ لَكَ الْجَمِيلَةَ . وَالْمِنَّةَ التَّامَةَ وَالْفَضِيلَةَ . وَأَمَّا أَنَا فَأَعَاهِدُكَ إِنْ
 أَعْتَمَتْنِي . وَمَنْتَ عَلَيَّ وَأَطْلَبْتَنِي . أَنْ أَتَكْفَلَ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ بِعَشْرِ
 سَمَكَاتٍ بَيْضَ سِمَانٍ وَدِكَاتٍ . نَأْتِيكَ مَرْفُوعَةً . غَيْرَ مَمْنُوعَةٍ وَلَا مَقْطُوعَةٍ
 يُرْسِلُهَا إِلَيْكَ أَبِي مُكَافَأَةً لِمَا فَعَلْتَ بِي مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ مِنْكَ وَلَا وَصَبٍ .
 وَلَا كَدِّ تَحْمَلُهُ وَلَا تَمَبٍ . فَلَمَّا سَمِعَ الْبَلْشُونُ . هَذَا الْعُجُونُ . أَنْغَرَاهُ
 الطَّمْعُ . فَمَا ابْتَلَعَ . بَلَّ سَهَا وَلَهَا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : أَعْيِدِي هَذِهِ الرَّمْزَةَ

فَجَبُرِدٍ مَا قَعَّ فَاهُ بِالْمَهْمَزَةِ . انْمَلَصَتِ السَّمَكَةُ مِنْهُ بِجَمْرَةٍ . وَغَاصَتْ
 فِي الْمَاءِ . وَتَخَلَّصَتْ مِنْ بَيْنِ فَكِّي الْبِلَادِ . وَلَمْ يُحْصِلْ ذَلِكَ الطَّمَاعُ .
 إِلَّا قَطَعَ الْأَطْمَاعِ . وَإِنَّمَا أوردتُ يَا ذَا الدَّرَايَةِ . هَذِهِ الْحِكَايَةَ .
 لِتَتَأَمَّلَ عُنْبِي أَمْرَكَ قَبْلَ الشَّرُوعِ فِيهِ . وَتَتَدَبَّرَ مُنْتَهَى أَوَاخِرِهِ فِي
 مَبَادِيهِ . فَتَدْقِيلَ : أَوَّلُ الْهِكْرِ . آخِرُ الْعَمَلِ

الديك واللعب

٩٠ . كَانَ فِي بَضِّ الْقُرَى لِلرَّئِيسِ دِيكٌ . حَسَنُ الْخُلُقِ وَدِيكٌ .
 مَرَّتْ بِهِ التَّجَارِبُ . وَقَرَأَ تَوَارِيخَ الْأَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَوَعَدَنِي عَلَيْهِ
 مِنْ الْعُمْرِ سِنُونَ . وَأَطْمَاعَ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ عَلَى فُؤُونٍ . وَقَلَسَى
 حُلُوهُ وَمَرَهُ . وَعَانَى حَرَّهُ وَقَرَّهُ . وَقَطَعَ لِشِعَابِ شِبَالِكَ مَصَايِدَ .
 وَتَخَلَّصَ لِابْنِ آوَى مِنْ وَرَطَاتِ مَكَايِدَ . وَرَأَى مِنَ الزَّمَانِ وَبَيِّدَ
 نَوَائِبَ وَشَدَائِدَ . وَحَفِظَ وَقَائِعَ لِبَنَاتِ آوَى وَتَعَالِبَ . وَطَالَعَ مِنْ
 كُتُبِ حِيلِهَا طَلَائِعَ كِتَابِ . وَأَحْكَمَ مِنْ طَرَائِقِهَا عَجَائِبَ غَرَائِبَ .
 فَاتَّفَقَ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ . أَنَّهُ وَتَفَّ عَلَى بَضِّ الْجُدْرَانِ . فَخَطَرَ
 فِي عِطْفِيهِ . وَتَأَمَّلَ فِي نَقْشِ بُرْدِيهِ . فَرَأَى خَيَالَ تَاجِهِ الْهَقِيقِيِّ .
 وَنَظَرَ إِلَى خَدِّهِ الشَّقِيقِيِّ . وَنَضَّ بِرَائِلِهِ الْمُنْشَشِ . وَسَرَاوِيلِهِ الْمُنْشَشِ .
 وَالثُّوبَ الَّذِي رَقَّهُ نَقَاشُ الْفُدْرَةِ مِنَ الْمُقَطَّعِ الْمُبْرَقَشِ . فَأَعْجَبْتَهُ
 نَفْسُهُ . وَأَذَنَ فَاطِرَهُ جِسْمُهُ فَصَارَ يَدِيهِ وَيَجْتَرُّ . وَيَتَصَفَّ
 وَيَخْطُرُ . فَاسْتَهْوَاهُ التَّمَشِّي سُوَيْعَةً . حَتَّى أَبْعَدَ عَنِ الضَّيْعَةِ . فَصَعِدَ

إلى جدار. وكان قد انتصف النهار. فرفع صوته بالأذان. فأذنى
صوته الكتاني والدهان. فسمعه ثعلب. فقال: مطاب. وسارع من
وكره. وحمل شبكة مكره. وتوجه إليه. فراه فسلم عليه. فلما أحس
به أبو القظان. طفر إلى أعلى الجدران. ثم حياة محية الخلان.
وترامى لديه ترامي الإخوان. وقال: أنش الله بدتك وروحك.
وروى من كسات الحياة غبوقك وصبوحك. فإنك أحييت
الأرواح والأبدان. بطيب النعم والصبح في الأذان. فإن لي
زمانا لم أسمع بمثل هذا الصوت. وقاه الله نواب القوت. ومصائب
الموت. وقد جئت لإسأم عليك. وأذكرك ما أسدي من النعم
إليك. وأبشرك ببشارة. وهي أربح تجارة. وأبجح من الولاية
والإجارة. ولم يتفق مثلها في سالف الدهر. ولا يتبع نظيرها إلى
آخر العصر. وهي أن السطان أيد الله بدولته أركان الإيمان.
أمر مناديا فنادى بالأمان والأطمئنان. وإجراء مياه العدل
والإحسان. من حدائق الصنعة والصدقة في كل أستان. وأن
تشمل الصدقة كل حيوان. من الطير والوحش والحيتان. ولا
يقتصر فيها على جنس الإنسان. فيتشارك فيها الوحوش والسباع.
والبهائم والضباع. والأزوى والنعام. والضر والحمام. والضب
والثون. والذباب وأبو قلمون. ويتعاملون بالعدل والإنصاف.
والإنصاف دون الإعساف. ولا يجري بينهم إلا المصادقة. وحسن

الْمُعَاشِرَةَ وَالْمُرَافِقَةَ . فَتُحْمَى مِنْ لَوْحِ صُدُورِهِمْ نُقُوشُ الْعَدَاوَةِ
 وَالْمُنَاقِقَةِ . فَيَطِيرُ الْقَطَامِعُ الْعَمَابِ . وَيَبِيْتُ الْعَصْفُورُ مَعَ الْغُرَابِ .
 وَيَرْعَى الذَّبُّ مَعَ الْأَرْنَبِ . وَيَتَاخَى الدِّيكُ وَالثَّلَبُ . وَفِي الْجُمْلَةِ
 لَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ . فَتَأْمَنُ الْقَارَةُ مِنَ الْمِرَّةِ . وَالْحُرُوفُ مِنَ
 الْأَسَدِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَا . فَقَدْ أَرْتَفَعَ الشَّرُّ وَالْأَذَى . فَلَا
 بُدَّ أَنْ يُمَثَّلَ هَذَا الْمَرْسُومُ . وَيُتْرَكَ مَا بَيْنَنَا مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْخُلُقِ
 الْمَذْمُومِ . وَيَجْرِي بَيْنَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ الْمُصَادَقَةُ . وَتَنْفُخُ أَبْوَابُ الْحُبَّةِ
 وَالْمُرَافِقَةِ . وَلَا يَنْفِرُ أَحَدٌ مِنْهَا مِنْ صَاحِبِهِ . بَلْ يُرَاعِي مَوَدَّتَهُ وَيُبَالِغُ فِي
 حِفْظِ جَانِبِهِ . وَجَعَلَ الثَّلَبُ يُقَرِّرُ هَذَا الْمَقَالَ . وَالذِّيكُ يَتَلَفَّتْ إِلَى
 هَذَا الْهَذْيَانِ وَالْحَبَالِ . فَقَالَ الثَّلَبُ : يَا أَخِي . مَا لَكَ عَنْ سَمَاعِ
 كَلَامِي مُرْتَجِي . أَنَا أَبْشِرُكَ بِبَشَائِرِ عَظِيمَةٍ . لَمْ تَتَّفِقْ فِي الْأَعْصِرِ
 الْقَدِيمَةِ . وَإِنَّمَا بَرَزَتْ بِهَا مَرَايِمُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْجَسِيمَةِ . وَأَرَاكَ
 لَا تَلْتَفِتُ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ . وَلَا تُسْرُ بِهَذَا اللَّطْفِ الْعَامِ . وَلَا تَلْتَفِتُ
 إِلَيَّ . وَلَا تُعَوِّلُ عَلَيَّ . وَتَسْتَشْرِفُ عَلَيَّ بَعْدِ شَيْءٍ . فَهَلَا أَخْبَرْتَنِي بِمَا
 أَضْمَرْتَ وَنَوَيْتَ . وَتُطَلِّعَنِي فِيمَا تَتَطَاوَلُ إِلَيْهِ عَلَيَّ مَا رَأَيْتَ . حَتَّى
 أَعْرِفَ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ . وَهَلْ رَكَنْتَ إِلَى أَخْبَارِي وَسَكَنْتَ .
 فَقَالَ : أَرَى عَجَابًا نَائِرًا . وَنَقْمًا إِلَى الْعَنَانِ فَائِرًا . وَحَيَوَانًا جَارِيًا . كَأَنَّهُ
 الْبَرْقُ سَارِيًا . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ . وَلَكِنَّهُ أُجْرَى مِنَ الْهَوَاءِ . فَقَالَ :
 أَبُو الْخَصَيْنِ . وَقَدْ نَسِيَ الْمَكْرَ وَالْمِينَ . يَا اللَّهُ يَا أَبَا نَبْهَانَ . حَقَّقْ لِي

هَذَا الْحَيَوَانَ . فَقَالَ : حَيَوَانُ رَشِيقِي . لَهُ آذَانٌ طَوَالٌ وَخَصْرٌ دَقِيقٌ .
لَا الْحَيْلُ تَلْحَقُهُ . وَلَا الرِّيحُ تَسْبِقُهُ . فَرَجَعَتْ قَوَائِمُ الثَّنَابِ . وَطَلَبَ
الْمُهْرَبَ . فَقَالَ أَبُو الْمَذِيرِ : تَلَبَّثَ يَا أَبَا الْحَصِينِ وَأَصْبِرْ حَتَّى أُحَقِّقَ
رُؤْيَيْهِ . وَأَتَيْتَنَ مَا هَيْتَهُ . فَإِنَّهُ يَا أَبَا الْحَصِينِ . يَسْبِقُ طَرْفَ الْعَيْنِ .
وَيَكَادُ يَا أَبَا النَّجْمِ . يُخْلِفُ النَّجْمَ فِي الرَّجْمِ . وَقَالَ : أَخَذَنِي فُؤَادِي .
وَمَا هَذَا وَقْتُ الْفَائِدِي . ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَصْدَحُ بِقَوْلِهِ :

لَا بَسَ النَّجْمِ الْعَقِيقِي لَا تَقِفْ لِي فِي طَرِيقِي
إِنْ يَكُنْ ذَا الْوَعْفِ حَقًّا فَهُوَ وَاللَّهِ السَّلُوتِي

فَقَالَ أَدْرِيكَ : وَإِذَا كَانَ وَقَدْ قُتِلَ إِنَّ السُّلْطَانَ . رَسَمَ بِالصُّحُفِ بَيْنَ
سَائِرِ الْحَيَوَانِ . وَلَا بَأْسَ مِنْهُ عَلَيْكَ . فَتَلَبَّثَ حَتَّى يَجِيَّ وَيُقْبَلَ يَدَيْكَ .
وَتَعْقِدَ بَيْنَنَا عُقُودَ الْمُصَادَقَةِ . وَيَصِيرَ رَفِيقَنَا وَنَصِيرَ رِفَاقَهُ . وَقَالَ : مَا
لِي بِرُؤْيَيْهِ حَاجَةٌ . فَدَعَّ عَنْكَ الْعُجَاةَ وَاللَّجَاةَ . فَقَالَ : أَوْ مَا زَعَمْتَ
يَا أَبَا وَثَابَ . أَنَّ السُّلْطَانَ رَسَمَ لِلْأَعْدَاءِ وَالْأَصْحَابِ . أَنْ يَسْلُكُوا
طَرِيقَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَحْبَابِ . فَلَوْ خَالَفَ الْمَرْسُومَ هَذَا الْكَلْبُ . لَمَّا
قَابَلَهُ أَلَمَكَ إِلَّا بِالْقَتْلِ وَالْعَلْبِ . قَالَ : لَعَلَّ هَذَا الْمَشُومَ . لَمْ يَنْبَغْهُ
الْمَرْسُومَ . ثُمَّ وَلَّى هَارِبًا . وَقَصَدَ لِلْخُلَاصِ جَانِبًا

للجمل والملح

٩١ كَانَ جَمَالٌ فَقِيرٌ ذُو عِيَالٍ لَهُ جَمَلٌ يَتَعَيَّشُ عَلَيْهِ . وَبِتَقْوَتِهِ هُوَ
وَعِيَالُهُ بِمَا يَصِلُ مِنْهُ إِلَيْهِ . فَرَأَى صَلَاحَهُ فِي نَقْلِ مِلْحٍ مِنَ الْمَلَاخَةِ .

فَبَدَّ فِي تَثْقِيلِ الْأَحْمَالِ . وَمَلَا زَمَتِهِ بِأَثْقَالِ الْأَثْقَالِ . إِلَى أَنْ آَلَ حَالَ
 الْجَمَلِ إِلَى الْهَزَالِ . وَزَالَ نَشَاطُهُ وَحَالَ . وَالْجَمَالَ لَا يَقُ لَهُ بِحَالٍ .
 وَيَجِدُ فِي كَدِّهِ بِالِاشْتِغَالِ . فَنِي بِنُضِ الْأَيَّامِ . أَرْسَلَهُ مَعَ السَّوَامِ .
 فَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَرْعَى . وَهُوَ سَاقِطُ الْقُوَّةِ عَنِ الْمَسْمَى . وَكَانَ لَهُ أَرْزَبُ
 صَدِيقٌ . فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَضِيقِ . وَدَعَا . وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . وَبَثَّ
 عَظِيمَ اشْتِيَاقِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْخُزْرُ هُزَالَهُ . تَأَلَّمَ لَهُ وَسَأَلَهُ أَحْوَالَهُ .
 فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ . وَمَا يُقَاسِيهِ مِنْ غِذَائِهِ وَنِكَالِهِ . وَأَنَّ الْمَلْحَ قَدْ قَرَحَهُ .
 وَجَبَّ سَنَامُهُ وَجَرَحَهُ . وَأَنَّهُ قَدْ أَعْيَبَهُ الْجِلْمَةُ . وَأَضَلَّ إِلَى الْخُلَاصِ
 سَبِيلَهُ . فَتَأَلَّمَ الْأَرْزَبُ وَتَأَمَّلَ . وَتَفَكَّرَ فِي كَيْفِيَّةِ تَصْرِفِ هَذَا الدَّمَلِ .
 ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا أَيُّوبَ . أَقَدِ فُزْتَ بِالْمَطْلُوبِ . وَقَدْ ذُورَ وَجْهُ الْخُلَاصِ .
 مِنْ شَرِكٍ هَذَا الْاِقْتِنَاصِ . وَالنَّجَاةُ مِنَ الْاِرْتِهَاصِ وَالِاِرْتِصَاصِ .
 تَحْتَ حِمْلِ كَالرِّصَاصِ . فَوَلَّ يَتَرَضُّكَ يَا ذَا الرِّيَاضَةِ . فِي طَرِيقِ
 الْمَلَّاحَةِ مَخَاضَةِ . فَقَالَ : كَثِيرٌ وَكَمْ مِنْ نَهْرٍ وَغَدِيرٍ . فَقَالَ : إِذَا مَرَرْتَ
 فِي خَوْضٍ وَلَوْ أَنَّهُ رَوْضٌ أَوْ حَوْضٌ . فَأَبْرِكْ فِيهِ وَتَمَرَّغْ . وَتَتَّصِلْ مِنْ
 حِمْلِكَ وَتَتَفَرَّغْ . وَأَسْتَمِرَّ فِيهِ يَا أَبَا أَيُّوبَ . فَإِنَّ الْمَلْحَ فِي الْمَاءِ يَذُوبُ .
 وَكَرَّرَ هَذِهِ الْحَرَكَةَ . فَإِنَّكَ تَرَى فِيهَا الْبَرَكََةَ . فِيمَا أَنَّهُمْ يُنِيرُونَ
 حِمْلَكَ أَوْ يُخَفِّفُونَهُ . أَوْ تَسْتَرِيحُ بِذَوْبِهِ مِنَ الَّذِي أَضْفُوهُ . فَتَحْسَلُ
 الْجَمَلُ لِلْأَرْزَبِ الْمِنَّةَ . وَشَفَّ بِدِرِّ هَذِهِ ائْتَانِلَةِ أُذُنِهِ . فَلَمَّا حَمَلَهُ
 صَاحِبُهُ الْجَمَلُ الْمَهُودَ . وَدَخَلَ بِهِ فِي طَرِيقِهِ الْمُرُودِ . وَوَصَلَ ائْتَانِلَةَ

بَرَكَ . فَضَرَبُوهُ وَمَا أَحْتَرَك . وَتَحَمَّلَ ضَرْبَهُ وَعَسَفَهُ . حَتَّى أَذَابَ مِنْ
 الْجَمَلِ نِصْفَهُ . ثُمَّ نَهَضَ أَنْتِهَاضَةً . وَخَرَجَ مِنَ الْمَخَاضَةِ . وَلَا زَمَ هَذِهِ
 الْعَادَةَ . إِلَى أَنْ أَفْقَرَ صَاحِبَهُ وَأَبَادَهُ . فَأَذْرَكَ الْجَمَالَ هَذِهِ الْحِيلَةَ .
 فَأَفْتَكَّرَ لَهُ فِي دَائِمِيَّةِ وَيْلَةٍ . وَعَمَدَ إِلَى عَيْنِ مَنْفُوشٍ . وَغَيْرِ فِي مَقَامَرَتِهِ
 شَكْلَ النُّمُوشِ . وَأَوْسَقَ لِلْجَمَلِ حِمْلًا . وَبَالَغَ فِيهِ تَعْيَةً وَثِقَلًا . وَسَلَطَ
 عَلَيْهِ الظَّمَاءَ . ثُمَّ دَخَلَ بِهِ إِلَى الْمَاءِ . فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْمَاءَ بَرَكَ . وَتَغَافَلَ
 عَنْهُ صَاحِبُهُ وَتَرَكَ . فَتَشَرَّبَ الصُّرْفُ مِنَ الْمَاءِ مَا يَمْلَأُ الْبَرَكَ . ثُمَّ أَرَادَ
 النُّهُوضَ . فَتَاءَ بِهِ الرُّبُوضُ . فَقَامَى مِنَ الْمَشَاقِ . مَا لَا يُطَاقُ . وَرَجَعَ
 هَذَا الْفِكْرُ الْوَيْلُ . عَلَى الْجَمَلِ الْمَسْكِينِ بِأَضْعَافِ الشَّقِيَاءِ . فَسَاءَ
 مَصِيرُهُ . وَكَانَ فِي تَدْبِيرِهِ تَدْمِيرُهُ . وَمَا اسْتَفَادَ إِلَّا زِيَادَةَ النَّصَبِ .
 وَأَمثال مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ التَّعَبِ وَالْوَصَبِ . وَإِنَّمَا أوردتُ هَذَا
 الْمَثَلَ عَنِ الْجَمَلِ لِيَعْلَمَ الْمَلِكُ وَالْحَضَارُ . أَنَّ الْعَدُوَّ الْعَدَارُ . وَالْحَسُودَ
 الْمَكَارُ . يَفْتَكِرُ فِي أَنْوَاعِ الدَّوَاهِي . وَيُفْرِغُ أَنْوَاعَ الْبَلَايَا وَالرِّزَايَا
 كَمَا هِيَ . وَيَبْدُلُ فِي ذَلِكَ جِدَّهُ وَجَهْدَهُ . وَلَا يَقْصِرُ فِيمَا تَصِلُ إِلَيْهِ
 مِنْ ذَلِكَ يَدُهُ . فَتَسَارَةُ تُدْرِكُ مَكَائِدَهُ . وَتُعْرِفُ مَصَائِدَهُ . وَتَارَةُ
 يُغْتَلُّ عَنْ دَوَاهِيهَا . وَلَا يَشْعُرُ الْحُصْمُ إِلَّا وَقَدْ تَوَرَّطَ فِيهَا . وَعَلَى كُلِّ
 حَالٍ . لَا بُدَّ لِلشَّخْصِ لَهُ وَعَلَيْهِ مِنَ الْإِحْتِيَالِ

البستاني والاربعة العاشرون بحته

٩٢ كَانَ مِنْ تَكْرِيتِ رَجُلٍ مَسْكِينٍ . يَنْظُرُ الْبَسَاتِينَ . فَهِيَ

بعض السنين . قديم قرية منين . وسكن في بستان . كأنه قطعة من
الجنان . فيه فاكهة ونخل ورمان . بقي بعض الأعوام . أقبأت الفواكه
بالإنعام . ونثرت الثمار ملابس الأشجار من الأذيال والأكمام .
فألجأت الضرورة ذلك الإنسان . أن خرج من البستان . ثم رجع في
الحال فرأى فيه أربعة رجال . أحدهم جندي والآخر شريف .
والثالث فقيه والرابع تاجر ظريف . قد أكلوا وسُموا . وناموا
وأنفقوا . وتصرفوا في ذلك تصرف الملأك . وأفسدوا فسادا فاحشا
خادشا . ومارشا وناوشا وناكشا . فأضر ذلك بحاله . ورأى أنجز في
أفعاله . إذ هو وحيد . وهم أربعة وكل عنيد . فسارع إلى التأييد .
وعزم على التقييد . فأبتدأ بالترحيب والبشاشة . والإكرام والبشاشة .
وأحضر لهم من أطيب الفاكهة . وطايبهم بالمفاكحة . وسامح
بالممازحة . ومازح بالمسامحة . إلى أن أظمأوا وأستكأوا وأستكأوا .
ودخلوا في اللعب . ولأعبوه بما يجب . فقال في أثناء الكلام : أيها
السادة الكرام لقد خزتم أطراف المعارف والطرف . فأبي شيء
تأنون من الحرف . فقال أحدهم : أنا جندي . وقال الآخر : أنا
شيخ القضاة جنبي . وقال الثالث : أنا فقيه . وقال الرابع : أنا تاجر نبيه .
فقال : والله لست بنبيه . ولكن تاجر سفية . وقبيح الشك كل كرية .
أما الجندي فإنه مالك رقابنا . وحارس حجابنا . يحفظنا بصولته .
ويصون أنفسنا وأموالنا وأولادنا بسيف دولته . ويجعل نفسه لنا

وَقَايَةَ . وَبِنُكْحِي فِي أَعْدَانِنَا أَشَدَّ زَكَايَةَ . نَلُو مَدْمِيدَهُ إِلَى كُلِّ مِثْنَا وَرِزْقِهِ .
 فَهُوَ بَعْضُ اسْتَحْقَافِهِ وَدُونَ حَقِّهِ . وَأَمَّا الشَّرِيفُ فَقَدْ تَشَرَّفَ بِهِ الْيَوْمَ
 مَكَانِي . وَحَلَّتْ بِهِ الْبَرَكَاتُ عَلَيَّ وَعَلَى بُسْتَانِي . وَأَمَّا سَيِّدُنَا الْعَالِمُ فَهُوَ
 مُرْشِدُ الْعَالَمِ . وَهُوَ سِرَاجُ دِينِنَا . الْهَادِي إِلَى يَقِينِنَا . فَإِذَا شَرَّفُونَا
 بِأَقْدَابِهِمْ . وَرَضُوا أَنْ نَكُونَ مِنْ خُدَّائِهِمْ . فَهَمُّ الْإِنِّظَلِ عَيْنَانَا . وَالْإِنِّتَّةُ
 الْوَالِعِلَّةُ إِلَيْنَا . وَأَمَّا أَنْتَ يَا رَأِيَهُمْ . وَشَرَّ جَانِ تَابِعِهِمْ . بِأَيِّ طَرِيقِ
 تَدْخُلُ إِلَى بُسْتَانِي . وَتَتَنَازَلُ سَفَرِحَلِي وَرُمَانِي . هَلْ بَابِي تَنِي بِسَاحَةِ .
 وَتَرَكْتَ لِي الْمَرَابِحَةَ . أَوْ لَكَ عَلَيَّ دِينَ . أَوْ عَامَانِي نَسِيئَةَ دَرْنِ دِينِي .
 أَلَيْ جَمِيلَةٌ . وَهَلْ بَيْتِي وَبَيْتِكَ وَسِيْلَةٌ . تَتَغَنِّي تَدَاوُلَ مَالِي .
 وَالْهَجُومَ عَلَيَّ وَأَكْبِي وَمَنَالِي . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ . فَلَمْ يَتَرَضَ مِنْ رُفْقَانِهِ
 أَحَدٌ عَلَيْهِ . لِأَنَّهُ أَرْضَاهُمْ بِالْكَلامِ . وَاعْتَدَرَ عَمَّا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ مِنْ
 مَلَامٍ . فَأَوْثَقَهُ وَثَاقًا مُحْكَمًا . وَتَرَكَهُ مُغْرَمًا . ثُمَّ مَكَثَ سَاعَةً . وَهُوَ عَلَى
 الْخَلَاعَةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ . رَغَا زَ الْجُنْدِيِّ وَالشَّرِيفِ عَلَى الْقَعِيهِ الْبَطْرِيْفِ .
 فَقَالَ : أَيُّهَا الْعَالِمُ الْقَعِيَهُ . وَالْفَاضِلُ النَّبِيَهُ . أَنْتَ مُنْتَهَى الْأَسَادِينَ .
 وَعَالِمٌ بِمِنْهَاجِ الدِّينِ . عَلَى قَتَوَاكَ مَدَارَ الْإِسْلَامِ . وَكَلِمَتِكَ الْفَارِقَةُ
 بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ . يَفْتَوَاكَ تُسْتَبَاحُ الدِّمَاءِ فَمَنْ أَفْتَاكَ بِالْإِدْخُولِ فِي
 هَذَا . أَفْتَنِي يَا عَالِمَ الزَّمَانِ . مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ أَفْتَاكَ بِهَذَا أَمِ الْأَعْمَانِ .
 أَمِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَمِ مَالِكٌ . فَجَبَّحْنَا بِذَلِكَ . وَإِلَّا فَمَا بَالُكَ تَوَثُّ
 وَتَعَبْتُ بِمَا لَيْسَ لَكَ . وَلَا عَتَبَ عَلَى الْأَجْنَادِ وَالْأَشْرَافِ . وَلَا عَلَى

الْجَهْلَاءُ وَالْأَجْلَافِ . إِذَا أَرْتَكَبَ مِثْلَكَ هَذَا الْمُحْظُورَ . وَتَعَاطَى الْعُلَمَاءَ
 وَالْمُفْتُونَ أَقْبَحَ الْأُمُورِ . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى جَلَائِيهِ . وَأَوْثَقَهُ بِتَلَايِيهِ .
 فَأَحْكَمَهُ وَثَاقًا . وَآأَهُ رَبَاقًا . فَاسْتَجَدَّ بِصَاحِبِيهِ إِلَى جَانِبِيهِ فَمَا أُتْجِدَّاهُ
 وَلَا رَفَدَّاهُ . ثُمَّ جَلَسَ إِلَهِي . الْجُنْدِيُّ السَّاهِي . وَغَاظَهُ عَلَى
 الشَّرِيفِ . ذِي النَّسَبِ الطَّرِيفِ . ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَصِيلُ
 النَّجِيبُ الْجَيِّدُ الْحَسِيبُ . لَا تَعْتَبْ عَلَى كَلَامِي . وَلَا تَسْتَقْبَلْ مَلَامِي .
 أَمَا الْأَمِيرُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ . ذُو قَدْرِ خَطِيرٍ . لَهُ الْجَمِيلَةُ النَّاتَةُ .
 وَالْفَضِيلَةُ الْأَلَامَةُ . وَأَنْتَ يَا ذَا النَّسَبِ الطَّاهِرِ . وَالْأَصْلِ الْبَلْهِرِ .
 وَأَنْفَضِلِ الزَّاعِمِ سَلْفُكَ الطَّيِّبُ أَذِنَ لَكَ فِي الدَّخُولِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ
 لَكَ . وَإِذَا كُنْتَ يَا طَاهِرَ الْأَسْلَافِ لَا تَتَّبِعْ سُنَّةَ آبَائِكَ الْأَشْرَافِ .
 مِنْ الزُّهْدِ وَالْعَفَافِ . فَلَا عَتَبَ عَلَى الْأَوْبَاشِ وَالْأَطْرَافِ . ثُمَّ وَبَّ
 إِلَيْهِ وَكَتَفَ يَدَيْهِ . وَلَمْ يَعْطِفِ الْجُنْدِيَّ عَلَيْهِ . وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْجُنْدِيُّ
 وَهُوَ وَحِيدٌ . فَانْتَصَفَ مِنْهُ الْبُسْتَانِيُّ كَمَا يُرِيدُ . وَأَوْثَقَهُ رِبَاطًا . وَزَادَ
 لِنَفْسِهِ اخْتِيَاطًا . ثُمَّ أَوْجَعَهُمْ ضَرْبًا وَأَشْبَعَهُمْ لَعْنًا وَسَبًّا . وَجَمَعَ عَلَيْهِمُ
 الْجِيرَانَ . وَأَسْتَعَانَ بِالْجَلَاوِزَةِ وَأَصْحَابِ الدِّيَوَانِ . وَحَمَاهُمْ بِرِبَاطِهِمْ
 وَعَمَلْتَهُمْ تَحْتَ أَبَاطِهِمْ إِلَى بَابِ الْوَالِي . وَأَخَذَ مِنْهُمْ ثَمَنَ مَا أَخَذُوهُ مِنْ
 رَخِيصٍ وَغَالِي . وَإِنَّمَا أوردتُ مَا جَرَى لِيَعْلَمُوا أَيُّهَا الْوُزَرَاءُ أَنَّ
 التَّفْخِيذَ . بَيْنَ الْأَعْدَاءِ بِالتَّأْخِيذِ . أَمْرٌ مِنَ السِّهَامِ فِي تَفْخِيذِ الْأَحْكَامِ
 وَأَحْكَامِ التَّفْخِيذِ

(فَكُهْمَةُ الْخُلَفَاءِ لِابْنِ عَرَبِ شَاهِ)

أَبَابُ السَّابِعِ فِي الْقَضَائِلِ وَالرِّذَائِلِ

الصبر

٩٣ يُقَالُ أَوْكَدُ الْأَسْبَابَ لِلظَّفْرِ الصَّبْرُ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الصَّبْرُ
جُنَّةُ الْمُؤْمِنِ وَعَزِيمَةُ الْمُتَوَكِّلِ وَسَبَبُ دَرَكِ النَّجْحِ فِي الْحَوَائِجِ. فَمَنْ وَطَّنَ
نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ لَمْ يَجِدْ لِلأَذَى مَسًا. وَمَنْ اسْتَمْتَفَّ بِاللَّهِ عَفَا. .
وَمَنْ اسْتَعَانَ بِهِ يُعِينُهُ وَإِنْ تَجِدُوا حَظًا خَيْرًا مِنَ الصَّبْرِ. جَاءَ فِي الْمُبْتَهَجِ:
الصَّبْرُ أَحْسَبُ بِذِي الْحَجِّجِ. وَقَالَ حَكِيمٌ: تَابِعُ الصَّبْرِ مَتَّبِعُ النَّصْرِ
(للمقدسي)

٩٤ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ:

إِذَا انْتَمَلَّتْ عَلَى أَلْيَاسِ الْقُلُوبُ وَصَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَنْتِ الْمَكَّارَهُ وَأَطْمَأْنَنْتِ وَأَرَسَتْ فِي مَكَامِنِهَا الْخُطُوبُ
فَلَمْ تَرَ لِأَنْتِ كِشَافِ الضَّرِّ وَجْهًا وَلَا أَغْنَى بِحَيَاتِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُضُوطٍ مِنْهُ غَوْثٌ يَمُنُّ بِهِ الْأَطِيفُ الْأَسْتَجِيبُ
فَكُلُّ الْحَادِثَاتِ وَإِنْ تَنَاهَتْ فَمَوْصُولٌ بِهَا فَرَجٌ قَرِيبُ
٩٥ مِنَ الدِّيَوَانِ الْمُنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ:

هِيَ حَالَانِ شِدَّةٌ وَرَخَاءٌ وَسِجَالَانِ نِعْمَةٌ وَبَلَاءٌ
وَأَلْفَتِي الْحَادِيقُ الْأَدِيبُ إِذَا مَا خَانَهُ الدَّهْرُ لَمْ يَخْنَهُ الْغَزَاءُ

إِن أَلَّتْ مُلَمَّةٌ بِي فَأَيُّ فِي الْمَلَمَّاتِ حَنْزَرَةٌ صَمَاءُ
حَازِرٌ فِي أَلْبَاءِ عِلْمًا بِأَن لَيْسَ يَدُومُ النَّعِيمُ وَأَبْلُوءُ
وَأَنشَدَ أَعْرَابِيٌّ :

وَأَبِي لَأَغْضِي مُقَلَّتِي عَلَى أَلْمَدَى وَأَبْسُ تَوْبَ الصَّبْرِ أَيْضَ أَنْبَجَا
وَأَبِي لَأَدْعُو اللَّهَ وَالْأَمْرُ ضَيْقِي عَلَيَّ فَمَا يَنْفَكُ أَنْ يَفْرَجَا
وَكَمْ مِنْ قَتَى ضَاقَتْ عَلَيْهِ وَجُوهُهُ أَصَابَ لَهَا فِي دَعْوَةِ اللَّهِ تَخْرَجَا
٩٦ قَالَ غَيْرُهُ :

تَصَبَّرْ وَلَا تُبَدِّ التَّضَعُّعَ لِلْعِدَى وَلَوْ قَطَعْتَ فِي الْجَنِّمِ مِنْكَ الْبَوَاتِرُ
رُورُ الْأَعَادِي أَنْ تَرَكَ بِيذَلَّةً وَلَكِنَّهَا تَتَمُّ إِذْ أَنْتَ صَارُ
إِنِّي وَجَدْتُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ لِلصَّبْرِ عَاقِبَةٌ مَحْمُودَةٌ الْأَثَرُ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُجَاوِلُهُ فَاسْتَصْحَبَ الْعَبْرَ الْإِفَازَ بِالظَّنْرِ
قَالَ آخَرُ :

عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِيمَا فَدُمُنِبْتَ بِهِ فَالصَّبْرُ يَذْهَبُ مَا فِي الصَّدْرِ مِنْ حَرَجِ
كَمْ لَيْلَةٍ مِنْ هُمُومِ الدَّهْرِ مُظْلِمَةٍ فَذِضَاءٍ مِنْ بَدِهَا صَبْحٌ مِنَ الْقَرَجِ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبُورِيَّيْنِي :

صَبْرًا عَلَى تَوْبِ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا مَخْلُوفَةٌ لِنِكَايَةِ الْأَحْرَارِ
لَا يَكْشِفُ النُّجْمُ الضَّعِيفُ وَإِنَّمَا بَسْرِي الْكُسُوفُ لِرِفْعَةِ الْأَقْمَارِ
٩٧ قَالَ إِبرْهِيمُ الْعِمَادِيُّ :

لَا تَخْشَ مِنْ شِدَّةٍ وَلَا نَصَبٍ وَتِيقُ بِفَضْلِ الْإِلَهِ وَأَبْتَعْجِ

وَأَرْجُ إِذَا أُشْتَدَّ هَمُّ نَازِلَةٍ فَأَخِرُ أَلْهَمَ أَوَّلُ أُنْفَرَجِ
وَقَالَ غَيْرُهُ وَأَجَادَ :

تَصَبَّرَ فِي الْأَوَّاءِ قَدْ يُحَدِّدُ الصَّبْرُ
وَأَنَّ الَّذِي أَبَى هُوَ الْعَوْنُ فَأَنْدَبُ
وَوَثِقَ بِالَّذِي انطَى وَلَا تَكُ جَارِعًا
فَلَا نِعْمٌ تَبْقَى وَلَا نِقْمٌ وَلَا
تَتَأَبُّ هَذَا الْأَمْرَ أَيْسَ بِدَائِمِ
قَالَ آخَرُ :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اشْتَدَّتْ مَسَالِكُهَا
لَا تَيَأَسَنَّ وَإِنْ صَالَتْ مَطَالِبُهُ
فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا رَتَجَا
إِذَا اسْتَعْنَتْ بِهَ بَرٌّ أَنْ تَرَى فَرَجًا
وَقَالَ آخَرُ :

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ الْمَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ
وَمَنْ قَلَّ فِي مَا يَتَّبِعُهُ أَصْطَبَارُهُ
وَيُعْرَفُ عِنْدَ الصَّبْرِ نَفْلُ نَهَاهُ
فَقَدْ قَلَّ فِي مَا يَتَّبِعِيهِ نَهَاهُ
قَالَ لَمْرَارُ بْنُ سَعِيدٍ :

إِذَا سِئَتْ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةٌ
وَاللِّحَامُ خَيْرٌ فَأَعْلَنَنَّ مَغَبَّةً
فَبِالْحِلَامِ سُدَّ لَا بِالذَّرْعِ وَالنِّتْمِ
مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تُشَمَّرَ مِنْ ظُلَامِ

القناعة

٩٨ إَعْلَمَ أَنَّ مِمَّا تَحَقَّقُهُ الْعَاقِلُ وَلَا يَنْهَلُ عَنْهُ إِلَّا الْأَبْلَهُ أَنَّ لِدُنْيَا
دَارَ الْأَكْثَادِ وَمَحَلَّ الْهُمُومِ وَالنُّمُومِ وَالْحَسْرَاتِ . وَأَنَّ أَنْفَ الْخَلْقِ

بِأَلَاءِ وَالْمَا الْفُقَرَاءِ . وَأَعْظَمَ النَّاسِ تَعَبًا وَهَمًّا وَغَمًّا هُمُ الْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ
 وَالْكَبْرَاءُ . وَيُقَالُ : إِكْلَ شَيْءٍ قَامَةً مِنْ أَلَمِّهِ . وَقِيلَ :
 لَقَدْ فَنَعَتْ هَمِّي بِالْحُمُولِ وَصَدَّتْ عَنِ الرَّتْبِ الْعَالِيَةِ
 وَمَا جَهَلْتُ طِيبَ طَعْمِ الْعُلَى وَاصْكِنَهَا نُؤُورُ الْعَافِيَةِ
 وَطَالَمَا رَضِيتَ الْمُلُوكَ وَالسَّلَاطِينَ . بِحَالِ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .
 فِي كُلِّ بَيْتٍ كُرْبَةٌ وَمُصِيبَةٌ وَلَعَلَّ بَيْتَكَ إِنْ رَأَيْتَ أَقْلَهَا
 فَارْضَ بِحَالِ فُقْرِكَ . وَأَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى خِفَّةِ ظَهْرِكَ . وَلَا تَتَدَنَّ
 طَوْرَكَ . وَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ . تَمَجِّدْ ذَلِكَ نِعْمَةً خَفِيَّةً سَاقَهَا اللَّهُ تَعَالَى
 إِلَيْكَ . وَرَأْفَةً وَرَحْمَةً أَفَاضَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ خَزَائِنِ لَطْفِهِ عَلَيْكَ . فَأَعْتَبِرْ
 بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ . وَخُذْ لِنَفْسِكَ حِطًّا وَافِرًا مِنْ هَذِهِ الْعِظَاتِ . وَمِنْ
 ذَلِكَ أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ مِنْ أَعْقَلِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَاسِيِّينَ وَأَكْمَلِهِمْ
 رَأْيًا وَتَدْبِيرًا وَفِطْنَةً وَقُوَّةً وَاتِّسَاعَ مَمْلَكَةٍ وَكَثْرَةَ خَزَائِنِ بَحْتِ كَانِ
 يَهْوُلُ لِلسَّحَابَةِ : أَمْطَرِي حَيْثُ شِئْتُ فَإِنَّ خَرَجَ الْأَرْضِ الَّتِي تَمْطُرِينَ
 فِيهَا يَجِيءُ إِلَيَّ . وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ اتِّعِبُهُمْ خَاطِرًا وَأَشْتَهُمْ فِكْرًا
 وَأَشْغَلَهُمْ قَلْبًا

(الاعلام لقطب الدين النهروالي)

٩٩ وَ اللَّهِ مَنْ قَالَ :

أَرَى الدُّنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ عَذَابًا كُلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ
 إِذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ دَفَعْتَهُ وَخُذَ مَا كُنْتَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ

قَالَ آخَرُ :

أَفَلَدَّتْنِي الْقَنَاعَةُ كُلَّ عِزٍّ وَهَلْ عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ الْقَنَاعَةِ
فَاجْعَلْهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ وَإِشْتَرِ بِعَدَاةِ التَّقْوَى بِضَاعَهُ
قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

غَنَى النَّفْسَ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سِدِّ فَاقَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَلِكَ الْغِنَى فَهَرَا
قَالَ غَيْرُهُ:

يَا أَحْمَدُ أَقْعُ بِالَّذِي أُوْتِيْتَهُ إِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ ذُلَّهُمَا
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ يَخْلُقِ الدُّنْيَا لِأَجْلِكَ كَلَّمَا

العدل

١٠٠ نِيحْتَكِي عَنْ إِسْمَاعِيلَ السَّامَانِيِّ فِي كِتَابِ سِيرِ الْمُلُوكِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا
أَحْتَلَّ مَدِينَةً يَجْلِسُ لِلنَّاسِ وَكَانَ يَرْفَعُ الْحِجَابَ . وَيَبْعُدُ الْحِجَابَ .
وَيُرِيحُ الْبُؤَابَ . لِيَمِيَّ كُلِّ مَنْ لَهُ ظُلَامَةٌ وَيَقِفَ عَلَى جَانِبِ الْبِسَاطِ
وَيُخَاطِبُهُ وَيَعُودُ مَضِيَّ الْحَاجَةِ . وَكَانَ يَهْضِي بَيْنَ الْأَصُومِ مِثْلَ
الْحُكَّامِ إِلَى أَنْ يُفِيئَ الدَّعَاوِي . ثُمَّ يَقُومُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَيَهْضُرُ عَلَى
مَحَاسِنِهِ بِيَدَيْهِ . وَيُوجِّهُ وَجْهَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ : إِلَهِي هَذَا جُهْدِي
وَطَاقَتِي قَدْ بَدَلْتَهُ وَأَنْتَ عَالِمُ الْأَسْرَارِ وَتَعَلَّمُ عَلَانِيَتِي . وَلَا أَعْلَمُ تَلِيَّ
أَيَّ عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِي أَجَنَّفْتُ أَوْ لِأَيِّ عَبْدٍ ظَلَمْتُ وَمَا أَنْصَفْتُ . أَنَا
وَاحِدٌ مِنْ أَصْحَابِي . فَأَغْفِرْ لِي مِنْ ذَلِكَ مَا لَا أَعْلَمُ . فَلَمَّا كَانَ تَقِيَّ
النَّبِيَّ جَمِيلَ الطَّوِيَّةِ لَا جَرَمَ عَلَا أَمْرُهُ وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ . وَكَانَ عَسْكَرُهُ

أَلْفَ نَارٍ مُعْتَدِينَ بِالسَّلَاحِ مُتَّعِينَ بِالْحَدِيدِ وَبِبَرَكَتِهِ ذَلِكَ
الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ ظَفَرَهُ اللَّهُ بِأَعْدَائِهِ
(للغزالي)
قَالَ شَاعِرٌ :

أَعْدَلُ رُوحٌ بِهِ تَحْيَا الْبِلَادُ كَمَا دَمَارُهَا أَبَدًا بِالْجُورِ يَنْتَعِمُ
الْجُورُ شَيْنٌ بِهِ التَّعْسِيرُ مُتَّعٍ وَالْعَدْلُ زَيْنٌ بِهِ التَّهْيِيدُ يَنْتَعِمُ
١٠١ لَمَّا ظَلَمَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ قَبْلَ أَنْ يَدِيلَ . اسْتَعَاثَ النَّاسُ مِنْ
ظُلْمِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ وَاسْتَكْوَدُوا إِلَيْهَا . قَالَتْ لَهُمْ : مَتَى
يَرْكَبُ . قَالُوا : فِي غَدٍ فَكَتَبَتْ رُقْعَةً رَوَّقَتْ فِي طَرِيقِهِ . وَقَالَتْ :
يَا أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ . فَلَمَّا رَأَاهَا عَرَفَهَا وَتَرَجَّلَ عَنْ فَرَسِهِ وَأَخَذَهَا مِنْهَا
وَقَرَأَهَا . فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ مَلَكْتُمْ فَأَسْرْتُمْ . وَقَدَرْتُمْ فَاهْرَئْتُمْ . وَذُؤِئْتُمْ
فَعَسَّئْتُمْ . وَدَرَّتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْزَاقُ فَطَطَّعْتُمْ . هَذَا وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سِيَاهِمَ
الْأَسْحَارِ نَائِدَةٌ لَا يَسِيَاهِمُ مِنْ قُلُوبِ أَجْمَعَتُوهَا . وَأَجْسَادِ أَعْرَبَتُوهَا .
أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَإِنَّا صَابِرُونَ . وَجُورُوا فَإِنَّا بِاللَّهِ مُسْتَجِيرُونَ . وَأَظَاهُوا
فَإِنَّا مِنْكُمْ مُتَظَاهِمُونَ . وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَابٍ يَنْقَلِبُونَ . فَعَدَلْ
مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ
(ابناء الدين)

١٠٢ أَخْبَرَ الْعَالِيُّ قَالَ : اسْتَشْهَدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَاتِ أَيَّامَ وِزَارَتِهِ عَلِيَّ بْنَ
عِيْسَى عَاجِبَهُ بِغَيْرِ حَقِّ فَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ . فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ كَتَبَ إِلَيْهِ :
لَا تَلْمِئْنِي عَلَى نَكْرُصِي عَنْ نُصْرَتِكَ شَهَادَةَ زُورٍ . فَإِنَّهُ لَا إِتْفَاقَ عَلَى
إِتْفَاقٍ . وَلَا وِفَاءَ لِذِي مَيْنٍ وَأَخْتِالٍ . وَأَخْرَجَ بَيْنَ تَعْدَى الْحَقِّ فِي

مَسْرَتِكَ إِذَا رَضِيَ أَنْ يَتَعَدَّى الْبَاطِلَ فِي مَسَاءَتِكَ إِذَا غَضِبَ . وَكَانَ
الْمُنْتَبِيَّ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ :

لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْتَفِعُ

الكرم

١٠٣ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ يَقُولُ تَنَافَسُوا فِي الْمَغَانِمِ وَسَارِعُوا
إِلَى الْأَكْرَامِ . وَانْتَسَبُوا بِالْجُودِ حَمْدًا وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَالِ ذَمًّا . وَلَا
تَعْدُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ تُعْجَلُوهُ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ فَلَا تَمْلُوهَا فَتَعْرُدَ نِقْمًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَاتَ الْأَكْرَامُ وَوَلَّوْا وَأَنْقَضُوا وَمَضَوْا وَمَاتَ فِي إِثْرِهِمْ ذَاكَ الْأَكْرَامَاتُ
وَخَانُونِي فِي قَوْمٍ ذَوِي سَفَهٍ لَوْ عَانُوا عَاطِفَ ضَيْفٍ فِي الْكُرَى مَا تَوَا
١٠٤ قَالَ آخِرُ :

إِنِّي وَإِنْ لَمْ يَزَلْ مَالِي مَدَى خُلُقِي فَيَاضُ مَا مَلَكَتْ كَفَّايَ مِنْ مَالٍ
لَا أَحْبِسُ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أَثْلِفُهُ وَلَا تُتَعِّرُنِي حَالٌ إِلَى حَالٍ
وَقَالَ سَوَادَةُ الْيَرْبُوعِي :

أَلَا بَكَرْتِ عِيَّ عَلَيَّ تَلُومُنِي تَقُولُ أَلَا أَهْلَكْتَ مَنْ أَنْتَ عَائِلُهُ
ذَرِينِي فَإِنَّ الْبُخْلَ لَا يُجَادِ الْتِي وَلَا يَهِيَّاكَ الْمَعْرُوفُ مَنْ هُوَ قَاعِلُهُ
قَالَ آخِرُ :

يُفْنِي الْبُخْلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتُهُ وَلِلْعَوَادِثِ وَالْأَيَّامِ مَا يَدَعُ
كَدُودَةَ الْفِرِّاءِ تَبْنِيهِ يَهْدِيهَا وَغَيْرُهَا بِالَّذِي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ

قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَعْنَى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ طُوبَى حَيَاتِهِ مَعْنَى بِأَمْرٍ لَا يَزَالُ يُعَالِجُهُ
كَذَلِكَ دُودُ الْقَرْيَةِ يَنْسُجُ دَائِمًا وَيَهْلِكُ غَمًّا بِالَّذِي هُوَ نَائِبُجَةٌ

الوفاء

١٠٥ يُفْعِبُنِي قَوْلُ بَعْضِهِمْ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ شَجَرَ وَعْدِكَ قَدْ أَوْرَقَتْ
فَلَيْكُنْ نَمْرُهَا سَالِمًا مِنْ جَوَانِحِ الْمَاطِلِ وَالسَّلَامِ (للحموي)

قَالَ أَبُو نَمَامٍ :

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ فَأَتِمَّهُ فَإِنَّ نَعْمَ دَيْنٍ عَلَى الْحَرِّ وَاجِبٌ
وَإِلَّا قُتِلَ لَا تَسْتَرِيحُ وَتُرِيحُ بِهَا لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ
وَقَالَ آخَرُ :

وَأَنْدَوَعَدْتَ وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَاعِدٍ لِأَخِيرٍ فِي وَعْدٍ بِغَيْرِ نَمَامٍ
أَنْعَمَ عَلَيَّ بِمَا وَعَدْتَ تَكْرَمًا فَأَاطِلُ يَذْهَبُ بِهَجَّةِ الْإِنْعَامِ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

لَنْ نَجْمَعَ الْأَقَاتُ فَأَلْجُلُ شَرُّهَا وَشَرُّ مِنْ أَلْجُلِ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَاطِلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا وَلَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلٌ

الرأي والمشورة

١٠٦ قِيلَ : مَنْ بَدَأَ بِالِاسْتِخَارَةِ وَدَنَى بِالِاسْتِشَارَةِ فَحَقِيقٌ أَنْ لَا يَنْجِبَ
رَأْيُهُ . وَحِيلَ : الرَّأْيُ الشَّدِيدُ أَحْمَى مِنَ الْبَطْلِ الشَّدِيدِ . وَقِيلَ : مَنْ بَدَأَ

نُضِعَهُ وَأَجْهَادَهُ لِمَنْ لَا يَشْكُرُهُ فَهُوَ كَمَنْ بَدَرَ فِي السِّبَاخِ . قَالَ الشَّاعِرُ
يَمْدَحُ مَنْ لَهُ رَأْيٌ وَبَصِيرَةٌ :

بِمِيرٍ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا يُخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَوَاقِبُهُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : خَيْرُ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ فَطِيرِهِ . وَتَقْدِيمُهُ خَيْرٌ مِنْ تَأْخِيرِهِ

(للابشيحي)

وَمَا يُعْرِفُ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي ذَلِكَ :

نَارُ الرَّوِيَّةِ نَارٌ جِدُّ مُنْجِيَةٍ وَلِلْبِدِيَّةِ نَارٌ ذَاتُ تَلْوِيحٍ
وَقَدْ يُفَضِّلُهَا قَوْمٌ لِعَاجِبِهَا لَكِنَّهُ عَاجِلٌ يَمْضِي مَعَ الرِّيحِ

قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :

الرَّأْيُ قَبْلَ شِجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوْلُّ وَهِيَ أُلْحَلُّ الثَّانِي
فَإِذَا هَا أَجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَّغَتْ مِنَ الْعَلْيَاءِ كُلَّ مَكَانٍ
وَلَرَبَّنَا طَمَنَ أَلْفَى أَقْرَانُهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعِنِ الْأَفْرَانِ
لَوْ لَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ

١٠٧ قَالَ بَعْضُهُمْ : وَشَاوِرِ النَّاسِ فِي الْأَمْرِ إِذْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا

يَسْتَعِينُ عَنِ مَشُورَةٍ نَصِيحٍ لَهُ . كَمَا أَنَّ الْقَوَادِمَ مِنْ رِيْسِ الْجَنَاحِ
تَسْتَعِينُ بِالْحَوَافِي مِنْهُ . قَالَ بَشَّارُ :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنِ بِحَزْمِ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةِ حَازِمِ
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاغَةً فَرِيْسُ الْحَوَافِي تَابِعٌ لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كَفِّ أَمْسِكَ أَلْفُ أُخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمِ

قَالَ الْأَصْمَبِيُّ : قُلْتُ لِبَشَّارٍ : رَأَيْتُ رَجَالَ الرَّأْيِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ
 آيَاتِكَ فِي الْمَشُورَةِ . فَقَالَ : أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَشَاوِرَ بَيْنَ إِحْدَى
 الْحُسَيْنَيْنِ . صَوَابٌ يَفُوزُ بِغَمْرَتِهِ . أَوْ خَطَاءٌ يُشَارِكُ فِي مَكْرُوهِهِ .
 فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ فِي هَذَا الْكَلَامِ أَشْرَعُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ . وَقَالَ
 الْجَاهِظُ : الْمَشُورَةُ لِقَاحُ الْعُقُولِ وَرَائِدُ الصَّوَابِ وَالْمُسْتَشِيرُ عَلَى
 طَرَفِ النَّجَاحِ . وَأَسْتَشَارَةُ الْمَرْءِ بِرَأْيِ أَخِيهِ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَحَزْمِ
 التَّدْبِيرِ . وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ . لَأَنْ أَخْطِيءَ وَقَدْ اسْتَشَرْتُ
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصِيبَ وَقَدْ اسْتَبَدَدْتُ بِرَأْيِي مِنْ عَيْرِ مَشُورَةٍ

(لأبي نصر المقدسي)

وَلَا تَذْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

لَا تَحْقِرَنَّ الرَّأْيَ وَهُوَ مُوَابِقٌ حُكْمُ الصَّوَابِ إِذَا آتَى مِنْ نَائِصٍ
 قَالِدٌ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُشْتَى مَا حَطَّ قِيَمَتُهُ هَوَانُ النَّائِصِ
 قَالَ الْأَرَجَانِيُّ وَأَجَادَ :

شَاوِرٌ سِوَاكَ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ يَوْمًا وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَاتِ
 فَالْعَيْنُ تَنْظُرُ مِنْهَا مَا دَنَا وَنَأَى وَلَا تَرَى نَفْسَهَا إِلَّا بِرِاقَةٍ
 وَقَالَ أَيْضًا :

خَصَائِصُ مَنْ تُشَاوِرُهُ ثَلَاثٌ فَخُذْ مِنْهَا جَمِيعًا بِالْوَثِيقَةِ
 وَدَادٌ خَالِصٌ وَوُفُورٌ عَمَلٌ وَمَعْرِفَةٌ بِحَالِكَ وَالْحَقِيقَةُ
 فَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ هَذِي الْمَعَانِي فَتَابِعْ رَأْيَهُ وَالزَّمْ طَرِيقَهُ

وَلَا بِي الْأَسْوَدِ الدُّوَيْيَ :
فَمَا كُلُّ ذِي نَضْعٍ بِوُتَيْكَ نَضْعَهُ وَلَا كُلُّ مُوتٍ نَضْعَهُ بِلَيْبٍ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجَمَعَ عِنْدَ وَاحِدٍ فَحَقُّ لَهُ مِنْ طَاعَةِ بِنَصِيبٍ

الحسد

١٠٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَا أَتَمَّحُ لِلْإِيمَانِ وَلَا أَهْتَكُ لِلسِّتْرِ
مِنَ الْحَسَدِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْحَاسِدَ مُقَنَّدٌ لِحُكْمِ اللَّهِ . بَاغٍ عَلَى عِبَادِهِ .
عَاتٍ عَلَى رَبِّهِ . يَتَتَدُّ نِعَمَ اللَّهِ نِقْمًا وَيَزِيدُهُ غُبْرًا . وَعَدَلُ قَضَائِهِ حَقِيقًا
لِلنَّاسِ حَالٌ وَلَهُ حَالٌ . لَيْسَ يَهْدَأُ لِيْلِهِ . وَلَا يَنَامُ جَشْمَهُ . وَلَا يَنْقَعُهُ
عَيْشُهُ . مُحْتَمِرٌ لِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ . مُسْتَخْطٌ مَا جَرَتْ بِهِ أَقْدَارُهُ . وَلَا يَبْرُدُ
غَلِيْلُهُ . وَلَا تَوْمَنُ عَوَائِلُهُ . إِنْ سَأَلْتَهُ وَتَرَكَ . وَإِنْ وَاصَاتَهُ قَطَعْتَكَ .
وَإِنْ صَرَمْتَهُ سَبَقْتَكَ . ذَكَرَ حَاسِدٌ عِنْدَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ قَالًا : يَا عَجَبًا
لِرَجُلٍ أَسْلَكَهُ الشَّيْطَانُ مَهَاوِي الضَّلَالَةِ . وَأَوْرَدَهُ قَحْمَ الْهَلَاكَةِ .
فَصَارَ لِنِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى الْمِرْصَادِ إِنْ أَنَالَهَا مِنْ أَحَبٍّ مِنْ عِبَادِهِ .
أَشْرَفَ قَابِهِ الْأَسْفَ عَلَى مَا لَمْ يُتَذَرَّ لَهُ . وَأَغَارَهُ الْكَافُ بِمَا لَمْ يَكُنْ
لِنَالِهِ . قَالَ سُلَيْمَانُ التَّمِيمِيُّ : الْحَسَدُ يُضْفِئُ الْعَيْنَ وَيُسْهِرُ الْهَيْبَةَ
وَيُكْثِرُ الْهَمَّ . وَلَا بِي الْعَتَاهِيَّةَ :

أَيَّارَبِ إِنْ النَّاسَ لَا يُصِفُونَنِي وَكَيْفَ وَلَوْ أَنْصَفْتَهُمْ ظَلَامُونِي
وَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّقُوا لِأَخْذِهِ وَإِنْ جِئْتُ أَبْنِي مِنْهُمْ مَنَعُونِي
وَإِنْ نَالَهُمْ بَدَلِي فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْذِلْ لَهُمْ شَتْمُونِي

وَإِنْ طَرَقْتَنِي نِعْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ صَحِبْتَنِي نِعْمَةً حَسَدُونِي
سَأْمَعُ قَلْبِي أَنْ يَجِنَ إِلَيْهِمْ وَأَعْجِبُ عَنْهُمْ نَاطِرِي وَجُفُونِي
كَتَبَ ابْنُ إِسْحَاقَ الْمَرْزُوقِيُّ إِلَى ابْنِ الْمُبَارَكِ هَذِهِ الْآيَاتُ :

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تَرَجَى إِمَاتَتَهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ
فَإِنَّ فِي الْقَلْبِ مِنْهَا عُقْدَةٌ عُقِدَتْ وَلَيْسَ يَفْتَحُهَا رَاقٍ إِلَى الْأَبَدِ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَابَ الْعَيْشُ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَاةٍ رَغْدًا بِلَا فَتْرٍ صَفْوًا بِلَا رَتَقٍ
خَلِصَ فَوَادِكَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ قَالِغِلُّ فِي الْقَلْبِ مِثْلُ الْغُلِّ فِي الْعُنُقِ
(لابن عبد ربه)

وَقَالَ آخَرُ :

إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ الَّذِي هُوَ آفَةٌ قَتَوَةٌ وَتَوَقَّ غِرَّةً مِنْ حَسَدٍ
إِنَّ الْحُسُودَ إِذَا أَرَاكَ مَوَدَّةً بِالْقَوْلِ فَهُوَ أَلْكُ الْعَدُوِّ أَلْحَجَّهْدُ
وَلِبَعْضِ الْأَدْبَاءِ يَتَصَحَّ الْحُسُودُ :

لَا يُحْزِنُكَ قَهْرٌ إِنْ عَرَاكَ وَلَا تَتَّبِعَ أَخَالَكَ فِي مَالٍ لَهُ حَسَدًا
فَإِنَّهُ فِي رَخَاءٍ فِي مَعِيشَتِهِ وَأَنْتَ تَلْقَى بِذَلِكَ أَلْهَمَ وَالنَّكَدَا

حفظ اللسان

١٠٩ إِعْلَمَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِعَاقِلِ الْمُكَلَّفِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنِ جَمِيعِ
الْكَلَامِ إِلَّا كَلَامًا تَطَوَّرَ الْمُصْلِحَةُ فِيهِ . وَمَتَى اسْتَوَى الْكَلَامُ وَتَرَكَهُ
فِي الْمُصْلِحَةِ فَالْسُّنَةُ الْإِمْسَاكُ عَنْهُ . لِأَنَّهُ قَدْ يَجْرُ الْكَلَامُ الْمُبَاحُ إِلَى

حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ . بَلْ هَذَا كَثِيرٌ وَغَائِبٌ فِي الْعَادَةِ . وَالسَّلَامَةُ لَا يُعَادِلُهَا شَيْءٌ . قَالَ وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ : بَاغَنَا أَنَّ الْحِكْمَةَ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الْعَمَلِ وَالْعَاشِرَةُ فِي عَزْلَةِ النَّاسِ . وَمَنْ كَلَّمَ الْحِكْمَاءَ : مَنْ نَطَقَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ فَقَدْ لَعَنَّا . وَمَنْ نَظَرَ فِي غَيْرِ أَعْتَبَارٍ فَقَدْ نَهَى . وَمَنْ سَكَتَ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدْ لَهَا . وَقِيلَ : لَوْ قَرَأْتَ صِحِيحَتَكَ . لَأَعْمَدْتَ صَفِيحَتَكَ . وَلَوْ رَأَيْتَ مَا فِي مِيزَانِكَ . لَحُتَمْتَ عَنْ لِسَانِكَ . وَقِيلَ : الْكَلَامَةُ أُسِيرَةٌ فِي وَثَاقِ الرَّجُلِ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهَا صَارَ فِي وَثَاقِهَا . يَقُولُ اللِّسَانُ كُلُّ صَاحٍ وَكُلُّ مَسَاءٍ لِلْجَوَارِحِ : كَيْفَ أَنْتَ . فَيَقْنَنَ بِحَيْرٍ إِنْ تَرَكْنَا

(للابشيحي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْكَلَامِ بِأَهْلِهِ حَسَنٌ وَإِنَّ كَثِيرَهُ مَمْنُونٌ
 مَا زَلَّ ذُو صَمْتٍ وَمَا مِنْ مَكْثِيرٍ إِلَّا يَنْزِلُ وَمَا يَسَابُ صَوْتٌ
 إِنْ كَانَ يَنْطِقُ نَاطِقٌ مِنْ فَضْلِهِ فَالْحَيَّةُ دُرٌّ زَانَهُ يَأْقُوتُ
 ١١٠ قَالَ بَعْضُ الْحِكْمَاءِ : إِذَا قُلْتَ فَأَوْجِزْ . فَإِذَا بَاغَتْ حَاجَتَكَ
 فَلَا تَتَكَلَّفْ . وَقَالَ أَيْضًا : أَنْتَ سَأَلْتِ مَا سَكَتَ . فَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَلَاكِ
 أَوْعَايِكَ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : الْكَلَامُ كَالدَّوَاءِ إِنْ أَفَلَّتْ مِنْهُ
 نَفَعٌ . وَإِنْ أَكْثَرْتَ مِنْهُ صَدَعَ . وَقَالَ لُقْمَانَ لِابْنِهِ : يَا بَنِيَّ إِنْ مِنْ
 الْكَلَامِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْحَجَرِ . وَأَنْفَعُهُ مِنْ وَخْرِ الْإِبْرَةِ . وَأَمْرٌ مِنَ
 الصَّبْرِ . وَأَحْرُّ مِنَ الْجَمْرِ . وَإِنَّ السُّلُوبَ مَزَارِعٌ فَأَزْرَعُ فِيهَا طَيْبَ

الْكَلَامِ . فَإِنْ لَمْ يَنْبِتْ فِيهَا كُلُّهُ نَبَتَ بَعْضُهُ . وَنَالَ عَلِيٌّ : مَا حَبَسَ
 اللَّهُ جَارِحَةً فِي حِصْنٍ أَوْ ثَنٍ مِنَ اللِّسَانِ . الْأَسْنَانُ أَمَامَهُ وَالشَّفَتَانِ
 مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . وَالْأَهَامَةُ مُطِيقَةٌ عَلَيْهِ وَالْقَلْبُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . فَأَتَقَى
 اللَّهُ وَلَا تُطَلَّقُ هَذَا الْمُحْبُوسَ مِنْ حَبْسِهِ إِلَّا إِذَا أَمِنْتَ شَرَّهُ . وَقَالَ
 بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : أَحْبَسَ لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ (للسهراوي)
 قَالَ الشَّاعِرُ :

وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَأَحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ قَالَرُءِيسَاسَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطَبُ
 وَزِينَ الْكَلَامِ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ تَرْزَارَةً فِي كُلِّ نَادٍ تُخْطَبُ
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ سَعْدُونَ :

سَجِنُ اللِّسَانِ هُوَ السَّلَامَةُ لِلْفَتَى مِنْ كُلِّ نَازِلَةٍ لَهَا أُسْتِصَالُ
 إِنْ اللِّسَانُ إِذَا حَلَّتْ عِقَالُهُ أَلْقَاكَ فِي شَنْعَاءَ لَيْسَ تُقَالُ
 قَالَ أَبُو عُمَانَ بْنِ لُؤُنِ الْجَيْبِيُّ :

بَرَّهُ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ تَعَابٍ بِهِ وَأَرْعَبُ بِسَمْعِكَ عَنْ قِيلٍ وَعَنْ قَالَ
 لَا تَبِعْ غَيْرَ الَّذِي يَبْنِيكَ وَأَطْرِحِ الْفُضُولَ تَحِيَّ قَرِيْدِ الْعَيْنِ وَالْبَالِ
 كَمَا السَّرِّ

١١١ قَالَ حَكِيمٌ : كَمَا أَنَّهُ لِأَخِيرٍ فِي آئِيَةٍ لَا تُنْسِكُ مَا فِيهَا . كَذَلِكَ
 لِأَخِيرٍ فِي صَدْرٍ لَا يَكْتُمُ سِرَّهُ . قَالَ آخَرُ : مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ سَرَّهُ . وَأَمِنْ
 النَّاسِ شَرُّهُ . وَمَنْ حَكَّمَ لِسَانَهُ شَانَهُ . وَأَفْسَدَ شَانَهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
 مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَجِدُ رَاحَةً فِي إِفْشَاءِ سِرِّهِ إِلَى غَيْرِهِ قَهْدِ أَتَمَّ عَقْلَهُ .

لِأَنَّ مَشَقَّةَ الْأَسْتِبْدَادِ بِالسِّرِّ أَقْلُ مِنْ مَشَقَّةِ إِفْشَائِهِ إِسْبَابُ
الْمُتَارَكَةِ (للسُّبْرَاوِيِّ)

قَالَ الْفَاضِي الْأَسْعَدُ أَبُو الْمَكَارِمِ الْمِصْرِيُّ الْكَاتِبُ:
وَأَكْتُمُ السِّرَّ حَتَّى عَنْ إِعَادَتِهِ إِلَى الْمَسِيرِ بِهِ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ
وَذَلِكَ أَنَّ إِسَانِي لَيْسَ يُعْلِمُهُ سَمِّيَ بِسِرِّ الَّذِي قَدْ كَانَ نَاجَانِي
١١٢ (فِي التَّاجِ) : إِنْ بَعْضَ مُلُوكِ الْعَجَمِ اسْتَشَارَ وَزِيرِيهِ . فَقَالَ
أَحَدُهُمَا : لَا يَدْبِغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مِنَّا أَحَدًا إِلَّا خَالِيًا . فَإِنَّهُ أَمُوتُ
لِلسِّرِّ وَأَحْزَمُ لِلرَّأْيِ وَأَجْدَرُ بِالسَّلَامَةِ وَأَعْفَى لِبَعْضِنَا مِنْ غَائِلَةِ بَعْضٍ .
فَإِنْ إِفْشَاءَ السِّرِّ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ أَوْثَقُ مِنْ إِفْشَائِهِ إِلَى اثْنَيْنِ . وَإِفْشَاءُهُ
إِلَى ثَلَاثَةٍ كَإِفْشَائِهِ إِلَى جَمَاعَةٍ . فَإِذَا كَانَ السِّرُّ عِنْدَ وَاحِدٍ كَانَ أُخْرَى
أَنْ لَا يَظْهَرُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً . وَإِنْ كَانَ عِنْدَ اثْنَيْنِ دَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ
الشُّبُهَةُ وَأَتَمَّتْ عَلَى الرَّجُلَيْنِ الْمَعَارِضُ فَإِنْ عَافِيَهُمَا عَاقَبَ اثْنَيْنِ
بِذَنْبِ وَاحِدٍ . وَإِنْ أَتَمَّهُمَا أَتَمَّ بَرِيئًا بِخِيَانَةِ مُجْرِمٍ . وَإِنْ عَافَا عَنْهُمَا
كَانَ الْمَفْوُوعُ عَنْ أَحَدِهِمَا وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَعَنْ الْآخَرِ وَلَا حُجَّةَ مَعَهُ

الفية

١١٣ عَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ : قَدْ اسْتَدَلَّتْ
عَلَيَّ كَثْرَةُ عُيُوبِكَ بِمَا تَكْثُرُ مِنْ عُيُوبِ النَّاسِ . لِأَنَّ طَالِبَ الْعُيُوبِ
إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا . أَمَا تَعِمَّتْ قَوْلَ الشَّاعِرِ
لَا تَهْتَكُنْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ . اسْتَرُوا فِيهِكَ اللَّهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ

وَأَذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَلَا تَبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ
(لابن عبد ربه)

قَالَ ابْنُ الْحَاجِّ الدَّقِيقِيُّ :

إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي تَبَى مَوَدَّتَهُ وَيَحْفَظُ السِّرَّ إِنْ صَافَى وَإِنْ صَرَمَا
لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي إِنْ غَابَ صَاحِبُهُ بَثَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ عَلَمًا
وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا كَتَمْتَ السِّرَّ عَمَّنْ أَوَدَّهُ تَوَهَّمْ أَنَّ الْوَدَّ غَيْرُ حَقِيقٍ
وَلَمْ أَخْفِ عَنْهُ السِّرَّ مِنْ ضَنْئِهِ بِهِ وَلَكِنِّي أَخَشَى صَدِيقَ صَدِيقِي
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ غِيَابٍ مَشَاءٍ
بِنَمِيمٍ . وَحَسْبُكَ بِالنَّمَامِ خِصَّةٌ وَرَدِيْلَةٌ سُقُوْطُهُ وَضَعْتُهُ (وَالْهَمَّازُ
الْمُغْتَابُ الَّذِي يَأْكُلُ لُحْمَ النَّاسِ الطَّاعِنِ فِيهِمْ) . قَالَ حَكِيمٌ : أَلَا
أَخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ . قُلُوبًا : بَلَى . قَالَ : شِرَارِكُمْ الْمَشَاوِنَ بِالنَّمِيمَاتِ
الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ الْبَاغُونَ الْعُيُوبَ . وَقِيلَ مَاعُونَ ذُو الْوَجْهَيْنِ .
مَلْعُونَ ذُو اللِّسَانَيْنِ . مَلْعُونَ كُلُّ شَفَّازٍ . مَلْعُونَ كُلُّ قَتَّاتٍ . مَلْعُونَ
كُلُّ نَمَامٍ . مَلْعُونَ كُلُّ مَنَانٍ وَالشَّفَّازُ الْمُحْرِشُ بَيْنَ النَّاسِ يُبْقِي
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ . وَالْقَتَّاتُ النَّمَامُ . وَالْمَنَانُ الَّذِي يَعْمَلُ الْخَيْرَ وَيَمْنُ بِهِ) .
قَالَ آخَرُ : أَحْذَرُوا أَعْدَاءَ الْعُقُولِ وَأُصُوصَ الْمَوَدَّاتِ . وَهُمْ السُّعَاةُ
وَالنَّمَامُونَ . إِذَا سَرَقَ الْأُصُوصُ الْمَتَاعَ سَرَقُوا هُمْ الْمَوَدَّاتِ . وَفِي الْمَثَلِ
السَّارِ : مَنْ أَطَاعَ الْوَأَشِيَّ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ وَقَدْ تُقَطَّعُ الشَّجَرَةُ قَتَبَتْ

وَيَمْطَعُ اللَّحْمَ السَّيْفُ فَيَنْدَمِلُ . وَاللِّسَانُ لَا يَنْدَمِلُ جُرْحَهُ . قَالَ صَالِحُ
ابْنِ عَبْدِ الْقُدُوسِ :

قُلِ الَّذِي لَسْتُ أَذْرِي مِنْ تَلَوْنِهِ أَنَا صَاحِبُ أُمِّ عَلِيٍّ غِيْثُ نِجَاجِي
إِنِّي لَأَكْثَرُ بِمَا سَتَّيْتَنِي عَجَبًا يَدُ تَشْحُ وَأَخْرَى مِنْكَ تَأْسُوْنِي
تَغْتَابُنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ وَتَمْدَحُنِي فِي آخِرِينَ وَكُلُّ عَنْكَ يَا تَبِي
هَذَا شَيْئَانِ قَدْ نَافَيْتَ بَيْنَهُمَا فَانْكَفِ لِسَانَكَ عَنِ شَتْمِي وَتَرِيْبِي
١١٤ وَقَالَ الْمَأْمُونُ : النَّمِيمَةُ لَا تَثْرِبُ مَوَدَّةً إِلَّا أَفْسَدَتْهَا . وَلَا
عِدَاوَةً إِلَّا جَدَّدَتْهَا وَلَا جَمَاعَةً إِلَّا بَدَّدَتْهَا . ثُمَّ لَا بُدَّ لِمَنْ عُرِفَ بِهَا وَنُسِبَ
إِلَيْهَا أَنْ يُجْتَنَبَ وَبُخَافَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَلَا يُوثَقَ بِمَا كَانَهُ . وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ :
مَنْ نَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تُؤْمَنْ عَقَارِبُهُ عَلَى الصِّدِّيقِ وَلَمْ تُؤْمَنْ أَفَاعِيهِ
كَالسَّيْلِ بِاللَّيْلِ لَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ جَاءَ وَلَا مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ
أَلْوَيْلُ لِلْعَهْدِ مِنْهُ كَيْفَ يَنْقُضُهُ وَالْوَيْلُ لِلْوِدَائِهِ مِنْهُ كَيْفَ يُفْنِيهِ
(للابشيهي)

الصدق والكذب

١١٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدَةَ : الْكَذِبُ شِعَارُ الْحَيَاةِ وَتَحْرِيفُ الْعِلْمِ
وَخَوَاطِرُ الزُّورِ وَتَسْوِيلُ أَضْغَاثِ النَّفْسِ وَأَعْوَجَاجُ التَّرْكِيبِ وَأَحْتِلَافُ
الْبُنْيَةِ . وَعَنْ خَمُولِ الذِّكْرِ مَا يَكُونُ صَاحِبَهُ قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِأَنَّهُ وَسَمِعَهُ
يَكْذِبُ : يَا بُنَيَّ عَجِبْتُ مِنْ الْكُذَّابِ الْمَشِيدِ بِكَذِبِهِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى
عَيْهِ وَيَتَعَرَّضُ لِلْعِقَابِ مِنْ رَبِّهِ . فَالَا تَأْمُ لَهُ عَادَةٌ . وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ

مَتَضَادَةٌ . إِنْ قَالَ حَقًّا لَمْ يَصَدَّقْ . وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُوَفَّقْ . فَهُوَ الْجَانِي
عَلَى نَفْسِهِ بِفِعَالِهِ . وَالِدَّالُّ عَلَى فَضِيحَتِهِ بِمَقَالِهِ . فَمَا صَحَّ مِنْ صِدْقِهِ نُسِبَ
إِلَى غَيْرِهِ وَمَا صَحَّ مِنْ كَذِبِ غَيْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ (لابن عبد ربه)
قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِيَّاكَ مِنْ كَذِبِ الْكُذُوبِ وَإِفْكَهِ فَلَرُبَّمَا مَرَجَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا ضَحِكَ الْكُذُوبُ تَفَكُّهُمَا وَبَكَى مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُبَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا صَمَتَ الْكُذُوبُ تَحَقُّقًا وَشَكَامِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا كَذَبَ أَمْرٌ بِكَلَامِهِ وَبِصِحَّتِهِ وَبُكَايِهِ وَبِضَحِكِهِ

المزاح

١١٦ قَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ لِابْنِ الْقُرَيْبِ : مَا زَالَتِ الْحُكَمَاةُ
تَكْرَهُ الْمَزَاحَ وَتَنْهَى عَنْهُ . فَقَالَ : الْمَزَاحُ مِنْ أَدْنَى مَنْزِلَتِهِ إِلَى أَقْصَاهَا
عَشْرَةُ أَبْوَابٍ . الْمَزَاحُ أَوَّلُهُ فَرَحٌ وَآخِرُهُ تَرَحُّ . الْمَزَاحُ نَقَائِضُ السُّفَهَاءِ
كَالشُّعْرِ نَقَائِضُ الشُّعْرَاءِ . وَالْمَزَاحُ يُوغِرُ صَدْرَ الصِّدِّيقِ . وَيَنْقُرُ
الرَّفِيقِ . وَأَزَاحُ يُبْدِي السَّرَائِرَ . لِأَنَّهُ يُظْهِرُ الْمَعَايِرَ . وَالْمَزَاحُ يُسْقِطُ
الْمُرُوءَةَ . وَيُبْدِي الْخَنَى . لَمْ يَجْرُ الْمَزَاحُ خَيْرًا . وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا .
أَلْغَابُ بِالْمَزَاحِ وَاتْرُ . وَالْمُغْلُوبُ بِهِ تَارُ . وَالْمَزَاحُ يُجَابُ الشَّمَّ صَغِيرُهُ .
وَالْحَرْبُ كَبِيرُهُ . وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَرْبِ إِلَّا عَفْوٌ بَعْدُ قُدْرَةٍ . فَقَالَ الْحَجَّاجُ :
حَسْبُكَ الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ عَفْوِ مَعَهُ قُدْرَةٌ . وَذَكَرَ الْمَزَاحُ بِحَضْرَةِ خَالِدِ بْنِ
صَفْوَانَ فَقَالَ : يُشَقُّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْحَرْدَلِ . وَيُفْرِغُ عَلَيْهِ مِثْلَ

أَلْرَجَلِ . وَيَرْمِيهِ مِثْلَ الْجَنْدَلِ . ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا كُنْتُ أَمْزِحُ . أَخَذَهُ هَذَا
الْمَعْنَى مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْوَرَّاقُ فَقَالَ :

تَلَقَى الْقَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ فِي لَحْنِ مَنْطِقِهِ بِنَا لَا يُنْقَرُ
وَيَقُولُ كُنْتُ مُمَازِحًا وَمُلَاعِبًا هَيْهَاتَ نَارِكَ فِي الْحَشَى تَتَسَمَّرُ
أَوْ مَا عَلِمْتَ وَكَانَ جَهْلُكَ غَالِبًا أَنَّ الْمَزَاحَ هُوَ السَّبَابُ الْأَصْفَرُ
(للقيرواني)

الصدقة وخلص المودة

١١٧ (قِيلَ فِي الْعَبْجِ) : الصَّدِيقُ الصَّدْرُ قُ ثَانِي النَّسَبِ وَثَالِثُ
الْعَيْنِينَ . (وَمِنْهُ) الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ . كَأَشَقِيقِ الشُّفُوقِ . (وَمِنْهُ)
الصَّدِيقُ عُمْدَةُ الصَّدِيقِ وَعُدَّتُهُ . وَنُصْرَتُهُ وَعُدَّتُهُ . وَرَبِيعُهُ وَزَهْرَتُهُ .
وَمُشْتَرِيهِ وَزَهْرَتُهُ . وَمِنْهُ لِقَاءُ الْحَالِيلِ شِفَاءُ الْغَالِيلِ . وَأَيْسَ الصَّدِيقِ
إِذَا حَضَرَ عَدِيلٌ . وَلَا عَنَهُ إِذَا غَابَ بَدِيلٌ . وَمِثْلُ الصَّدِيقِ كَالْيَدِ
تَسْتَعِينُ بِالْيَدِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ . (وَمِنْهُ) لِقَاءُ الصَّدِيقِ رُوحُ الْحَيَاةِ .
وَفِرَاقُهُ سَمُّ الْمَمَاتِ . (وَمِنْهُ) لَا تَسْأَغُ مَرَارَةَ الْأَوْقَاتِ . إِلَّا بِحَلَاوَةِ
الْإِخْوَانِ الْتَقَاتِ . فَاسْتَرَوْحَ مِنْ عُمَّةِ الزَّمَانِ بِمَوَانِسَةِ الْخَلْلَانِ . (وَمِنْهُ)
الْحَاجَةُ إِلَى الْأَخِ الْمَعِينِ . كَالْحَاجَةِ إِلَى الْمَاءِ الْمَعِينِ . وَلِبَضِّهِ فِي
مَعْنَى هَذَا الْبَابِ :

مَا ضَاعَ مَنْ كَانَ لَهُ صَاحِبٌ يَقْدِرُ أَنْ يُضْلِحَ مِنْ شَأْنِهِ
فَإِنَّمَا الدُّنْيَا بِسُكَّانِهَا وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِإِخْوَانِهِ

١١٨ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

ذُو الْوَدِّ مِنِّي وَذُو الْقُرْبَى بِمَنْزِلَةٍ
عِصَابَةٌ جَاوَرَتْ آدَابَهُمْ أَدْبِي
أَرْوَاحَنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَغَدَّتْ
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الصَّدَاقَةَ أَوْلَاهَا السَّلَامُ وَمِنْ
وَبَعْدَ ذَلِكَ كَلَامٌ فِي مُلَاطَفَةِ
وَأَعْلَى ذَلِكَ إِنْ تَبِعِي شِمَائِلَهَا
لَمْ تَتَسَنَّ غِيًّا وَلَمْ تَمَلَّ إِذَا حَضَرُوا
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا صَادَقُوا صَدَقُوا
قَالَ أَبُو اسْحَاقَ ظَهِيرُ الدِّينِ الْمُوَصِّلِيُّ :

لَا تَتَسَبَّوْنِي يَا ثِقَاتِي إِلَى
أَفْسَمْتُ بِالذَّهَابِ مِنْ عَائِشِنَا
إِنِّي عَلَى عَهْدِهِمْ لَمْ أَحُلْ
عَذْرُ فُلَيْسَ الْعَذْرُ مِنَ شَيْئِي
وَبِالْمَسْرَاتِ الَّتِي وَلَّتْ
وَعَمْدَةُ الْمِشَاقِ مَا حُلَّتْ

١١٩ ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ عَاوِيَةَ الْمُجْتُونِ أَنَّهُ دَخَلَ
يَوْمًا عَلَى الْمَأْمُونِ وَهُوَ يَرْقُصُ وَيُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ وَيُغْنِي بِهَذَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ :
عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتَهُ صَفَائِي وَلَا إِنْ صَرْتُ طُوعَ يَدَيْهِ
وَإِنِّي لُمُشْتَاقٌ إِلَى ظِلِّ صَاحِبِ رَوْقٍ وَيَصْفُو إِنْ كَدُرَتْ عَلَيْهِ
فَسَمِعَ الْمَأْمُونُ وَجَمِيعٌ مِنْ حَضَرَ الْمَجْلِسِ مِنَ الْمُغْنِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ مَا لَمْ يَعْرِفُوا

وَأَسْتَظِرُّهُ الْمَأْمُونُ . وَقَالَ : اذْنُ يَا عَلَوِيَّةُ وَرَدَّذَهَا . فَرَدَّذَهَا عَلَيْهِ سَبْعَ
مَرَّاتٍ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : يَا عَلَوِيَّةُ خُذِي الْحِلَافَةَ وَأَعْطِينِي هَذَا الصَّاحِبَ
(لبهاء الدين)

١٢٠ قَالَ بَشَّارُ بْنُ بَرْدٍ :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِي الْمُرَوَّاتَيْنِ الشَّرِيكَ فِي الْمُرِّ آتِنَا
الَّذِي إِنْ شَهِدْتَ سَرَكَ فِي الْحَمِيِّ وَإِنْ عَيْتَ كَانَ سَمْعًا وَعَيْنًا
أَنْتَ فِي مَعْشَرٍ إِذَا غَيْبَتْ عَنْهُمْ بَدَلُوا كُلَّ مَا يَزِينُكَ شَيْنًا
وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعًا أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ الْبَرِيَا عَلَيْنَا
مَا أَرَى الْإِنَامَ وَدَا صَحِيحًا صَارَ كُلُّ الْوَدَادِ زُورًا وَمِينَا
قَالَ بَشَّارٌ أَيْضًا :

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ نَلْقَ الَّذِي لَا تَعَاتِبُهُ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَمْتِ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ
فَعِشْرٌ وَاحِدًا أَوْصَلَ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ
١٢١ كَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ حَازِمٍ الْبَاهِلِيُّ صَدِيقٌ عَلَى طُولِ الْأَيَّامِ . فَقَالَ
مَرْتَبَةً مِنَ السُّلْطَانِ وَعَلَا قَدْرُهُ فَجَنَّا مُحَمَّدًا وَتَغَيَّرَ لَهُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ
مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ :

وَصَلَ الْمُلُوكُ إِلَى التَّعَالِي وَوَفَا الْمُلُوكِ مِنَ الْعَمَالِ
مَالِي رَأْيُكَ لَا تَدُو مُ عَلَى الْمُوَدَّةِ لِلرِّجَالِ
إِنْ كَانَ ذَا أَدَبٍ وَظَرَ فِقَلْتَ ذَلِكَ أَخُو ضَلَالِ

أَوْ كَانَ ذَا نَسِكٍ وَدِينٍ قُلْتَ ذَاكَ مِنَ الْقِتَالِ
 أَوْ كَانَ فِي وَسْطِ مِنَ الْأَمْرَيْنِ قُلْتَ يُرِيدُ مَالِي
 فِيمَنْ ذَا ثِكْلِكَ أُمَّكَ تَبْتَنِي رَبِّ الْأُمَالِي
 ١٢٢ قَالَ الْعَتَزِيُّ وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِحَمَادٍ :

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُذَكِّرُهُ مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ
 مُتَصَمِّمٌ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ يَلْقَاكَ بِالرَّجِيبِ وَالْبَشْرِ
 يُطْرِي الْوَفَاءَ وَذَا الْوَفَاءَ وَيَأْسِحِي الْعَدْرَ مُجْتَهِدًا وَذَا الْعَدْرَ
 فَإِذَا عَدَا وَالْدَّهْرُ ذُو غَيْرِ دَهْرٍ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
 فَارْفِضْ بِإِجْمَالِ مَوَدَّةٍ مَنْ يَثْقِلُ الْمِقْلَ وَيَعْشَقُ الْمَثْرِي
 وَعَلَيْكَ مِنْ حَالَاهُ وَاحِدَةٌ فِي الْعُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَالْيُسْرِ
 لَا تَخْلُطُهُمْ بِغَيْرِهِمْ مَنْ يَخْلُطُ الْعِيقَانَ بِالصُّفْرِ
 قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَوَادِ الْمَنُوفِيُّ :

أَتْرَعُمْ أَنْتَ الْجِدْنَ الْمُدَى وَأَنْتَ مُصَادِقٌ أَعْدَائِي حَقًّا
 إِلَيَّ إِلَيَّ فَأَجْعَلْنِي صَدِيقًا وَصَادِقٌ مَنْ أَصَادِقُهُ مُخْتًا
 وَجَانِبٌ مَنْ أَعَادِيهِ إِذَا مَا أَرَدْتَ تَكُونَ لِي خِدْنَا وَتَبَقَى
 قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ :

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدِ بِالَّذِي يَذُمَّكَ إِنْ وُلِّيَ وَوَضِيكَ مُقْبِلًا
 وَلَكِنْ أَخُوكَ النَّادِي مَا دُمْتَ آمِنًا وَصَاحِبُكَ الْأَذْنَى إِذَا لَمْ تُرَاعِضْ
 ١٢٣ قَالَ الْعِتَابِيُّ : الْأَخْوَانُ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ . فَرَعُ بَائِنٌ مِنْ أَصْلِهِ

وَأَصْلُ مُتَّصِلٍ بِفِرْعِهِ . وَفِرْعٌ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ . فَأَمَّا الْفِرْعُ الْبَائِنُ مِنْ أَصْلِهِ
فَأَخَاهُ بُنِي عَلَى مَوَدَّةٍ ثُمَّ أَنْقَطَتِ فَحَفِظَ عَلَى زِمَامِ الصَّحْبَةِ . وَأَمَّا الْأَصْلُ
الْمُتَّصِلُ بِفِرْعِهِ فَأَخَاهُ أَصْلُهُ الْكَرَمُ وَأَعْصَاهُ التَّقْوَى . وَأَمَّا الْفِرْعُ الَّذِي
لَا أَصْلَ لَهُ فَأَلْمَوْهُ الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَاطِنٌ (لابن عبد ربه)
١٢٤ قَالَ الْبَكْرِيُّ :

وَخَلِيلٍ لَمْ أَخْنَهُ سَاعَةٌ فِي دَمِي كَفَيْهِ ظَامًا قَدْ غَمَسَ
كَانَ فِي سِرِّي وَجَهْرِي ثِقَتِي أَسْتُ عَنْهُ فِي يَهْمٍ أَحْتَرَسُ
سَتَرَ الْبَغْضَ بِالْفَاظِ الْهَوَى وَأَدْعَى الْوَدَّ بِغَيْسٍ وَدَلَسُ
إِنْ رَأَيْتَنِي قُلْتُ لِي خَيْرًا وَإِنْ غِبتُ عَنْهُ قُلْتُ شَرًّا وَدَحَسُ
ثُمَّ لَمَّا أَمَكَّتَهُ فُرْصَةٌ حَمَلَ السَّيْفَ عَلَى مَجْرَى النَّفْسِ
وَأَرَادَ الرُّوحَ لَكِنَّ خَانَهُ قَدَرًا أَيْقَظَ مَنْ كَانَ نَعَسُ
وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ :

وَصَاحِبِ كُنَانٍ لِي وَكُنْتُ لَهُ أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَيَّ وَوَلَدٍ
كُنَّا كَسَاقٍ تَسْمَى بِهَا قَدَمٌ أَوْ كَذِرَاعٍ نَيْطَتْ إِلَى عَضُدِ
حَتَّى إِذَا دَبَّتِ الْحَوَادِثُ فِي عَظْمِي وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عُقْدِي
إِحْوَلَ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ طَرَفِي وَيَرْمِي بِسَاعِدِي وَيَدِي
١٢٥ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْإِخَاءُ جَوْهَرَةٌ رَقِيقَةٌ . وَهِيَ مَا لَمْ تَرُقْهَا
وَتَحْرَسَهَا مُعْرِضَةٌ لِلْإِلَاقَاتِ فَرُضَ الْأَبِي بِالْجُدَاءِ لَهُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى
قُرْبِهِ . وَبِالْكُظْمِ حَتَّى يَتَعَدَّرَ إِلَيْكَ مِنْ ظِلْمِكَ . وَالرِّضَا حَتَّى لَا

تَسْتَكْثِرُ مِنْ نَفْسِكَ بِالْفَضْلِ وَلَا مِنْ أَخِيكَ بِالتَّصْصِيرِ . (وَالتَّحْمُودِ
الْوَرَّاقِ) :

لَا يَرُّ أَعْظَمُ مِنْ مُسَاعَدَةٍ فَاشْكُرْ أَخَاكَ عَلَى مُسَاعَدَتِهِ
وَإِذَا هَمًّا فَأَقِلهُ هَفْوَتَهُ حَتَّى يُوَدَّ إِلَيْكَ كَمَادَتِهِ
فَالصَّفْحُ مِنْ زَلَلِ الصَّدِيقِ وَإِنْ أَعْيَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُعَانَدَتِهِ
١٢٦ قَالَ ابْنُ طَاهِرٍ فِي حُسْنِ الْعِشْرَةِ :

أَوَاصِلُ مَنْ هَوَيْتُ عَلَى خِلَالِ أَذُودٍ بَيْنَ لَيَاتِ الْأَنْزَالِ
وَأَحْفَظُ سِرَّهُ وَالغَيْبَ مِنْهُ وَأَرْعَى عَهْدَهُ فِي كُلِّ حَالِ
وَفَاءٌ لَا يَحُولُ بِهِ أَنْتِكَاتٌ وَوَدٌّ لَا تُخَوِّبُهُ الْيَالِي
وَأَوْثَرُهُ عَلَى عَصْرِ وَيُسْرِ وَيُفِذُ حُكْمَهُ فِي سِرِّ مَالِي
وَأَغْفِرُ نَبْوَةَ الْإِذْلَالِ مِنْهُ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غَيْرَ الدَّلَالِ
وَمَا أَنَا بِالْمُلُولِ وَلَا بِجَافٍ وَلَا أَنْقَدِرُ الْمُدْمَمُ مِنْ فِعَالِي
قَالَ بَعْضُهُمْ يَصِفُ خِدَاعَ النَّاسِ وَتَفَاقَهُمْ :

وَإِخْوَانٍ تَخَذْتُهُمْ ذُرُوعًا فَكَأَنُوهَا وَلَكِنْ الْإِعَادِي
وَخَلْتُهُمْ سِهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَأَنُوهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا قَدْ صَفَّتْ مِنَّا قُلُوبٌ أَمَدَ صَدَقُوا وَلَكِنْ عَنْ وَدَادِي
وَقَالُوا قَدْ سَعَيْنَا كُلَّ سَعْيٍ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ فِي فَسَادِ

١٢٧ وَأَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

وَلَا تَضَيِّبْ أَخَا السُّوءِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَوْدَى حَلِيماً حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا الْمَرْءُ مَا شَاءُ
وَفِي النَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَائِيسٌ وَأَشْبَاهُ
وَفِي الْعَيْنِ عَلَى الْعَيْنِ إِذَا تَنَطَّقُ أَفْوَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
كَتَبَ الْمُعْتَصِمُ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ إِلَى ابْنِ عَمَّارٍ :

وَزَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ وَطُولُ اخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبٍ
فَلَمْ تُرِنِي إِلَّا يَوْمَ خِلَا تَسْرِينِي مَبَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي الْعَوَاقِبِ
وَلَا كُنْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلْمَعَةٍ مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى الْمَصَاصِبِ

المطل في الوعد

١٢١ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أُمِّ الْحَكَمِ لِعَبْدِ الْمَالِكِ بْنِ بَرَوَانَ فِي
مَوَاعِدَ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَمَطَّلَهُ بِهَا : تَحْنُ إِلَى الْفِعْلِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى الْقَوْلِ .
وَأَنْتَ بِالْإِنْجَازِ أَوْلَى مِنكَ مِنَ الْمَطْلِ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ
إِلَّا بِإِنْجَازِكَ الْوَعْدَ وَأَسْتَتَمَامِكَ الْمَعْرُوفَ . قَالَ أَبُو مُسَلَّمٍ الْخَوْلَانِيُّ :
إِنَّ أَوْقَعَ الْمَعْرُوفِ فِي الْمُلُوبِ وَأَبْرَدَهُ عَلَى الْأَكْبَادِ مَعْرُوفٌ مُنْتَظَرٌ
يُوعَدُ لَا يَكْدِرُهُ الْمَطْلُ . كَتَبَ الْهَيْتَابِيُّ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ السُّلْطَانِ : أَمَا
بَعْدُ فَإِنَّ سَحَابَ وَعْدِكَ قَدْ أَبْرَقَ فَلْيَكُنْ وَبِهَا سَالِمًا مِنْ عِلَلِ
الْمَطْلِ . وَالسَّلَامُ (لابن عبد ربه)

في التواضع والكبر

١٣٩ إَعْلَمَ أَنَّ الْكِبَرَ وَالْإِعْجَابَ يَسْلُبَانِ الْقَضَائِلَ . وَيُكْسِبَانِ
الرَّذَائِلَ . وَحَسْبُكَ مِنْ رَذِيلَةٍ تَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ النَّصِيحِ وَقَبُولِ النَّادِيَةِ .
وَتَسْلُبُ الرِّئَاسَةَ وَالسِّيَادَةَ . وَالْكَبِيرُ يَكْسِبُ الْمَقْتَّ وَيَمْنَعُ مِنَ التَّأَلُّفِ .
وَلَمْ تَزَلِ الْحُكْمَاءُ تَتَحَامَى الْكِبَرَ وَتَأْتَفُ مِنْهُ . وَنَظَرَ أَفْلَاطُونُ إِلَى
رَجُلٍ جَاهِلٍ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنِّي مِثْلُكَ فِي ظَنِّكَ وَأَنَّ
أَعْدَائِي مِثْلُكَ فِي الْحَقِيقَةِ . وَرَأَى رَجُلٌ رَجُلًا يَحْتَالُ فِي مَشِيهِ فَقَالَ :
جَعَلَنِي اللَّهُ مِثْلَكَ فِي نَفْسِكَ وَلَا جَعَلَنِي مِثْلَكَ فِي نَفْسِي (للابشيهي)
قَالَ بَعْضُهُمْ :

قُلْ لِلَّذِي تَاهَ فِي دُنْيَاهُ مُفْتَخِرًا ضَاعَ انْفِتْحَارُكَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ
إِذَا تَفَقَّدْتَ فِي الْأَجْدَاثِ مُعْتَبِرًا هُنَاكَ تَنْظُرُ تَيْجَانَ السَّلَاطِينِ
وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَوْلُ الْقَائِلِ :

يَا صَاحِبَ لَا تَكُ بِالْعَالِيَاءِ مُفْتَخِرًا إِنْ كُنْتَ لَمْ تُؤَلِّ نَفْعًا قَطُّ بَلْ ضَرَرًا
إِنِّي أَرَى شَجَرَ الصَّفْصَافِ رُتِفِعًا إِلَى الْعُلُوِّ وَلَكِنْ لَا أَرَى ثَمَرًا
قَالَ آخَرُ :

إِتِّضِعْ لِلنَّاسِ إِنْ رُمْتَ الْعُلَا وَأَكْظِمِ الْعَيْظَ وَلَا تُبْدِي الصَّجَرَ
وَأَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ ذُخْرًا إِنَّهُ لَلْأَمْتِ أَفْضَلُ شَيْءٍ يَدْخَرُ
إِجْمَلِ النَّاسَ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ فِيهِ تَمْلِكُ أَعْنَاقَ الْبَشَرِ

الْبَابُ الثَّامِنُ فِي الذِّكَاةِ وَالْأَدَبِ

في العقل وماهية

١٣٠ قَالَ سَهْلُ التُّسْتَرِيِّ : الْعَقْلُ أَنْ تَسْتَغْنِيَ بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ جَلَّ جَلَالُهُ . أَمَّا ذَاتُهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْعَقْلُ ذَاتُهُ جَوْهَرٌ مُضِيٌّ وَنُورٌ مُجَرَّدٌ وَلَيْسَ يَعْزُضُ . خَلَقَهُ اللَّهُ وَجَعَلَ نُورَهُ فِي الْقَابِ يُدْرِكُ بِهِ الْمَعْقُولَاتِ بِالْوَسَائِطِ وَالْمَحْسُوسَاتِ بِالشَّاهِدَةِ . وَهُوَ مَنَالٌ إِلَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ . آتَةٌ لِلْمُؤْمِنِ يَعْمَلُ بِهِ . وَالْعَقْلُ ذَاتُهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَلَهُ وَجْهَانِ . أَحَدُهُمَا الْعَقْلُ الْمَشْتَرِكُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَيُعْبَرُّ عَنْهُ بِعَقْلِ الْمَعَاشِ . وَالْوَجْهُ الثَّانِي الْعَقْلُ الْخَاصُّ بِالْمُؤْمِنِ وَهُوَ الْمُعْبَرُّ عَنْهُ بِعَقْلِ الْهُدَايَةِ . فَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ الْهُدَايَةَ فَهُوَ الْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ

(الكثر المدفون)

مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِنِّي لَأَمِّنُ مِنْ عَدُوِّ عَاقِلٍ وَأَخَافُ خِلَا يَفْتَرِيهِ جُنُونُ
وَالْعَقْلُ فَنٌ وَاحِدٌ وَطَرِيفُهُ أَذْرَى وَأَرْصَدُ وَالْجُنُونُ فُنُونُ

في شرف العقل

١٣١ الْعَقْلُ أَحْسَنُ حِلْيَةٍ . وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ فَنِيَّةٍ . لَا سَيْفَ كَالْحَقِّ . وَلَا عَدْلَ كَالصِّدْقِ . الْجَهْلُ مَطِيَّةٌ سَوَاءٌ مَنْ رَكِبَهَا زَلَّ . وَمَنْ صَحِبَهَا

ضَلَّ . مِنْ الْجَهْلِ صُحْبَةُ الْجَهَالِ . وَمِنْ الذَّلِّ عِشْرَةُ ذَوِي الضَّلَالِ .
 خَيْرُ الْمَوَاهِبِ الْعَقْلُ . وَشَرُّ الْمَصَائِبِ الْجَهْلُ . مَنْ صَاحَبَ الْعُلَمَاءَ
 وَقُرَّ . وَمَنْ عَاشَرَ السُّفَهَاءَ حَفُرَ . مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ فِي صِغَرِهِ . لَمْ يَتَدَمَّ فِي
 كِبَرِهِ . وَقِيلَ : أَصْلُ الْعِلْمِ الرَّغْبَةُ وَثَمَرَتُهُ الْعِبَادَةُ . وَأَصْلُ الزُّهْدِ
 الرَّهْبَةُ وَثَمَرَتُهُ السَّمَادَةُ . وَأَصْلُ الْمُرُوءَةِ الْحَيَاءُ وَثَمَرَتُهَا الْعِفَّةُ . الْعَقْلُ
 أَقْوَى أَسَاسٍ . وَالتَّقْوَى أَفْضَلُ لِبَاسٍ . الْجَاهِلُ يَطْلُبُ الْمَالَ . وَالْعَاقِلُ
 يَطْلُبُ الْكَمَالَ . لَمْ يُدْرِكِ الْعِلْمَ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرَسَهُ . وَلَا يَكْدُ نَفْسَهُ .
 كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عَقْلُهُ . وَعَزِيذٍ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ (للسبراي)

١٣٢ حكي الكسائي أنه دخل على الرشيد يوماً فأمر بإحضار
 الأمين والمؤمن لديه . وقال : فأم يابث قليلاً أن أقبلًا ككوكبي
 أفق يزنيهما هداهما ووقارهما . وقد غضا أبصارهما وقاربا خطوهما
 حتى وقفا في مجلسه . فسلمنا عليه بالخلافة ودعوا له بأحسن الدعاء .
 فاستدناهما وأسند محمدًا عن يمينه وعبد الله عن يساره . ثم أمرني
 أن ألق عليهما أبواباً من النحو . فمأسألتهما شيئاً إلا أحسننا الجواب
 عنه . فسرر ذلك سروراً عظيماً وقال : كيف تراهما . فقلت :

أرى قري أفق وفرعي بشامة يزنيهما عرق كريم وتحتيد
 سليلي أمير المؤمنين وحائزي مواريث ما أبقى النبيه المويد
 يسدان أنفاق النفاق بشية يزنيهما حزم وعضب مهند
 ثم قلت : ما رأيت أعز الله أمير المؤمنين أحداً من أبناء الخليفة

وَأَعْصَانِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الزُّلَّالِيَّةِ آدَبَ مِنْهُمَا السُّنَا . وَلَا أَحْسَنَ أَتَقَاظَا .
 وَلَا أَشَدَّ أَقْتَدَارًا مِنْهُمَا عَلَى تَأْدِيَةِ مَا حَفِظَا وَرَوِيَا . أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى
 أَنْ يَزِيدَ بِهِمَا أَحَقَّ تَأْيِيدًا وَعِزًّا . وَيُدْخِلَ بِهِمَا إِلَى أَهْلِ الضَّلَالِ ذُلًّا
 وَقَمَاعًا . فَأَمَّنَ الرَّشِيدُ عَلَى دُعَاوِي . ثُمَّ صَمَّهَ إِلَيْهِ وَجَعَ عَلَيْهِمَا يَدَيْهِ .
 فَلَمَّ يَنْسُطُهُمَا حَتَّى رَأَيْتُ الدَّمْعَ تَحَدَّرُ عَلَى صَدْرِهِ . ثُمَّ أَمَرَهُمَا
 بِالخُرُوجِ . (كِتَابُ الدَّرَارِيِّ لِلْحَلِيِّ)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمَنِّيِّ أَكْثَرُ .
 فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ فِي أَصْلِهِمْ شَرَفٌ
 مَا أَتَفَخُّ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ
 وَقَدَرُ كُلِّ أَمْرٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ
 وَإِنْ أَتَيْتَ بِجُودٍ فِي ذَوِي نَسَبٍ
 فَتَزُجِرُ يَعْلَمُ تَعَمُّنٌ حَيًّا بِهِ أَبَدًا
 ١٣٣ إِعْلَمَنَّ أَنَّ الْعِلْمَ شَرَفٌ لِلْإِنْسَانِ . وَفَخْرٌ لَهُ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ .
 وَهُوَ أَمْرٌ الَّذِي لَا يَبْلَى جَدِيدُهُ . وَالْأَكْثَرُ الَّذِي لَا يَفْنَى مَزِيدُهُ . وَقَدْرُهُ
 عَظِيمٌ . وَفَضْلُهُ جَسِيمٌ . وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

مَا أَحْسَنَ الْعَمَلُ وَالْمَحْمُودُ مِنْ عَقْلًا وَأَقْبَحَ الْجَهْلُ وَالْمَذْمُومُ مَنْ جَهَلَا
 فَلَيْسَ يَصْلُحُ نُطْقُ الْمَرْءِ فِي جَدَلٍ وَالْجَهْلُ يُفْسِدُهُ يَوْمًا إِذَا سَلَا
 ١٣٤ ثُمَّ أَعْلَمَنَّ أَنَّ الدُّنْيَا رَبًّا أَقْبَلَتْ عَلَى الْجَاهِلِ بِالْإِتِّفَاقِ . وَأَذْبَرَتْ

عَنِ الْعَالِمِ بِالِاسْتِحْقَاقِ . فَإِنَّ أَتَاكَ مِنْهَا مِلْمَةٌ مَعَ جَهْلٍ . أَوْ فَاتَكَ مِنْهَا
بُغْيَةٌ مَعَ عَقْلِ . فَلَا يَحْمَانُكَ ذَلِكَ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي الْجَهْلِ . فَدَوَلَةٌ
الْجَاهِلِ مِنَ الْمُمَكِّنَاتِ . وَدَوَلَةٌ الْعَاقِلِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ . وَلَيْسَ مَنْ
أَمَكَّنَهُ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ . كَمَنْ اسْتَوْجَبَهُ بِأَدَابِهِ وَأَلَاتِهِ . وَأَيْضًا فَدَوَلَةٌ
الْجَاهِلِ كَالْغَرِيبِ الَّذِي يَمُحِنُ إِلَى النُّقْطَةِ . وَدَوَلَةٌ الْعَاقِلِ كَالنَّسِيبِ
الْمُتَمَكِّنِ الْوَصْلَةَ

لَا تَيَأْسَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا أَدَبٍ عَلَى خُحُولِكَ أَنْ تَرُقِيَ إِلَى الْهَلَاكِ
فَيِنَّمَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيذُ مَحْتَاطٌ بِالْتَّرَبِ إِذْ صَارَ إِكْلِيلاً عَلَى الْمَلِكِ
١٣٥ وَقَالَ حَكِيمٌ : يَنْبَغِي لَأَمْرٍ أَنْ لَا يَفْرَحَ بِمَرْتَبَةٍ تَرَفَّاهَا بِغَيْرِ
عَقْلِ . وَلَا بِمَنْزَلَةٍ رَفِيعَةٍ حَلَّهَا بِغَيْرِ فَضْلِ . فَلَا بُدَّ أَنْ يُزِيلَهُ الْجَهْلُ عَنْهَا .
وَيَسْلُهُ مِنْهَا . فَيَحْتَطَّ إِلَى رُتْبَتِهِ . وَيَرْجِعَ إِلَى قِيَمَتِهِ . بَعْدَ أَنْ تَظْهَرَ عُيُوبُهُ .
وَتَكَثُرَ ذُنُوبُهُ . وَيَصِيرَ مَا دَحَهُ هَاجِياً . وَصَدِيقُهُ مُعَادِياً

لَا تَقْعُدَنَّ عَنِ الْكُنْسَابِ فَضِيلَةٍ أَبَدًا وَإِنْ آدَتَ إِلَى الْإِعْدَامِ
جَهْلُ أَلْفِي عَارٌ عَلَيْهِ لِذَاتِهِ وَخُمُولُهُ عَارٌ عَلَى الْأَيَّامِ

(للسراوي)

١٣٦ سَأَلَ الْأَخْزَفُ بْنُ قَيْسٍ عَنِ الْعَقْلِ فَقَالَ : رَأْسُ الْأَشْيَاءِ فِيهِ
قَوَامُهَا وَبِهِ تَمَامُهَا لِأَنَّهُ سِرَاجٌ مَا بَطَّنَ . وَمِلاكَ مَا عَلَنَ . وَسَائِسُ الْحَدِيدِ .
وَزِينَةُ كُلِّ أَحَدٍ . لَا تَسْتَقِيمُ الْحَيَاةُ إِلَّا بِهِ . وَلَا تَدُورُ الْأُمُورُ إِلَّا عَلَيْهِ

(للقيرواني)

قَالَ الْخَضْرَاءِيُّ :

وَأَفْضَلُ قَسَمِ اللَّهِ لِأَمْرٍ عَقْلُهُ
يَذِينُ أَلْتَمَى فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ
وَشَيْنُ أَلْتَمَى فِي النَّاسِ قَلَّةُ عَقْلِهِ
إِذَا أَكْمَلَ الرَّحْمَانُ لِأَمْرٍ عَقْلَهُ
فَأَيْسَ مِنْ أَلْخَيْرَاتِ شَيْءٍ يُقَارِبُهُ
وَإِنْ كَانَ مَحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَايِبُهُ
وَإِنْ كَرَّمْتَ أَعْرَافَهُ وَمَنَاسِبُهُ
فَقَدْ كَمَلْتَ أَخْلَاقَهُ وَمَارِبُهُ
وَقَالَ آخَرُ :

أَلْعَقْلُ حُلَّةٌ فَخْرٍ مِنْ تَسَرَّبَاتِهَا
وَأَلْعَقْلُ أَفْضَلُ مَا فِي النَّاسِ كَلِمَةٍ
١٣٧ قِيلَ : إِنْ أَلْعُمَيَانَ أَذْكَى مِنْ غَيْرِهِمْ . وَقِيلَ لِأَقْتَادَةَ : مَا بَالُ
أَلْعُمَيَانَ تَجِدُهُمْ أَذْكَى مِنْ أَلْبُصَرَاءِ . قَالَا : لِأَنَّ أَلْقُوَّةَ أَلْبَاصِرَةِ مِنْهُمْ
أَنْقَلَبَتْ إِلَى بَاطِنِهِمْ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا كَفَّ بَصَرُهُ :

إِنْ يَأْخُذُ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهَا
قَلْبِي ذِكْرِي وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ
فَمِنِّي إِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورُ
وَمِنِّي فِي صَارِمٍ كَأَلْسَيْفٍ مَشْهُورُ
(لابن عبد ربه)

في العلم وشرفه

١٣٨ قَالَ بَعْضُ أَلْحُكَمَاءِ : أَلْعِلْمُ خَلِيلٌ وَأَلْحِلْمُ وَزِيرُهُ . وَأَلْعَقْلُ
دَلِيلُهُ . وَأَلْعَمَلُ قَائِدُهُ وَأَلْوَفْقُ وَالِدُهُ . وَأَلْبِرُّ أَخُوهُ وَأَلْبَصَرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ .
وَقَالَ بَعْضُ أَلْحُكَمَاءِ : لِمَنْ قَالَ ذَرَّةً مِنْ أَلْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ أَلْجَاهِلِ

أَفْعَامٌ . وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ : لَيْسَ بَعْدَ الْفَرَاغِ أَفْضَلُ مِنْ
 طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ نُورٌ يَهْتَدِي بِهِ الْخَائِرُ (لَا بِي نَصْرَ الْمَقْدِسِيِّ)
 قَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ :

وَالْعِلْمُ أَشْرَفُ شَيْءٍ قَالَهُ رَجُلٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ عِلْمٌ لَمْ يَكُنْ رَجُلًا
 تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَاعْمَلْ يَا أَخِي بِهِ فَالْعِلْمُ زَيْنٌ لِمَنْ بِالْعِلْمِ قَدْ عَمِلَا
 وَفِي مَعْنَاهُ أَنْشَدُوا :

بِالْعِلْمِ تَحْيَانُفُوسٌ قَطُّ مَاعَرَفَتْ مِنْ قَبْلِ مَا أَلْفَرَقَ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْمِينِ
 الْعِلْمُ لِلنَّفْسِ نُورٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الْحَقَائِقِ مِثْلُ النُّورِ لِلْمَعِينِ
 ١٣٩ وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : كَتَبَ إِلَيَّ أَبِي مِنَ الْعِرَاقِ : يَا بُنَيَّ
 عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ فَإِنَّكَ إِنْ أَفْقَرْتَ إِلَيْهِ كَانَ مَالًا . وَإِنْ أَسْتَغْنَيْتَ بِهِ
 كَانَ جَمَالًا . وَأَنْشَدَ فِي مَعْنَاهُ :

الْعِلْمُ مُبْلِغُ قَوْمٍ ذِرْوَةَ الشَّرَفِ وَصَاحِبُ الْعِلْمِ مَحْفُوظٌ مِنَ التَّلَفِ
 يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ مَهْلًا لَا تُدَنَّسُهُ بِالْمُوبِقَاتِ فَمَا لِلْعَالِمِ مِنْ خَلَفِ
 الْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ وَالْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ
 ١٤٠ وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : يَنْبَغِي لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يُبَالِغَ فِي تَعْظِيمِ
 الْعُلَمَاءِ مَا أَمْكَنَ وَلَا يَدَّغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ . وَقَدْ أَجَادَ الْحَرِيرِيُّ بِقَوْلِهِ
 وَمِنَ الْجَهَالَةِ أَنْ تُعْظِمَ جَاهِلًا لِصِتَالِ مَلْبَسِهِ وَرَوْتِقِ نَشِيهِ
 وَأَعْلَمُ بِأَنَّ التَّبْرَ فِي بَطْنِ الثَّرَى خَافَ إِلَى أَنْ يَسْتَيْنَ بِنَشِيهِ
 وَقَضِيْلَةُ الدِّينَارِ يَظْهَرُ سِرُّهَا مِنْ حِكْمِهِ لَا مِنْ مَلَاخَةِ نَفْسِيهِ

وَقِيلَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ :

عَابَ النَّعْلَمَ قَوْمٌ لَا عُقُولَ لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِ إِذَا عَابُوهُ مِنْ ضَرَرٍ
 مَا ضَرَّ شَمْسَ الصُّحَى وَالشَّمْسُ طَالِمَةٌ أَنْ لَا يَرَى ضَوْهَا مِنْ لَيْسَ ذَا بَصَرٍ
 ١٤١ وَقَالَ عَلِيٌّ : أَلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ . أَلْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ
 الْمَالَ . وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مُحْكُومٌ عَلَيْهِ . وَالْعِلْمُ يَزِيدُ بِالْإِنْفَاقِ وَالْمَالُ
 يَنْقُصُ بِالتَّفَقُّةِ . وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : خَيْرٌ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ بَيْنَ
 الْعِلْمِ وَالْمَالِ وَالْمَالِ . فَأَخْتَارَ الْعِلْمَ فَأَعْطِيَ الْمَلِكَ وَالْمَالَ مَعَهُ . وَقَالَ
 الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ إِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ
 يَجْمَعُهُ فِي قَلْبٍ مَنْ يَشَاءُ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ :

(مَعَ) فَفِيهِ جَلَاءٌ لِمُتْلُوبٍ مِنَ الْعَمَى وَعَوْنٌ عَلَى الدِّينِ الَّذِي أَمْرُهُ غَنَمٌ
 فَخَالِطُ رِوَاةِ الْعِلْمِ وَأَصْحَابُ خِبَارِهِمْ فَصَبَّحَتْهُمْ زَيْنٌ وَخَلَطَتْهُمْ غَنَمٌ
 وَلَا تَعْدُونَ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ نَجْمٌ هُدَى إِنْ غَابَ نَجْمٌ بَدَا نَجْمٌ
 فَوَاللَّهِ لَوْ لَا الْعِلْمُ مَا اتَّضَعَّ الْهُدَى وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ الْأُمُورِ لَنَا رَسْمٌ
 ١٤٢ وَعَنْ أَبِي الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَزَالُ الْمُرءُ عَالِمًا مَا طَلَبَ الْعِلْمَ
 فَإِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ فَقَدْ جَهَلَ . وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ :
 سَمِعْتُ وَكَيْمًا يَقُولُ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَالِمًا حَتَّى يَسْمَعَ مِمَّنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ .
 وَمِمَّنْ هُوَ مِثْلُهُ . وَمِمَّنْ هُوَ دُونُهُ . وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ رَمَانَ
 لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ الْعِلْمِ رَطَابُ الدُّنْيَا وَهِيَ لَا يَسْتَوِيَانِ . وَأَمَّا طَالِبُ
 الْعِلْمِ فَيَزِدَادُ رِضَا الرَّحْمَنِ . وَأَمَّا طَالِبُ الدُّنْيَا فَيَزِدَادُ فِي الطُّغْيَانِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

لَوْ كَانَ نُورُ الْعِلْمِ يُدْرِكُ بِالْمَنَى
مَا كَانَ يَبْقَى فِي الْبَرِيَّةِ جَاهِلٌ
إِجْمَدٌ وَلَا تَكْسَلٌ وَلَا تَكُ غَافِلًا
فَسَدَامَةُ الْعُقْبَى لِمَنْ يَتَكَاسَلُ

قَالَ غَيْرُهُ :

مِفْتَاحُ رِزْقِكَ تَقْوَى اللَّهِ فَأَتَقِهِ
وَالْعِلْمُ أَجَلُ تَوْبٍ أَنْتَ لِإِسْئِهِ
وَلَيْسَ مِفْتَاحُهُ حِرْصًا وَلَا طَمَعًا
فَأَخْتَرْ لَهُ عَمَلَيْنِ الدِّينَ وَالْوَرَعَا

قَالَ غَيْرُهُ :

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِهِ
وَإِنَّ أَمْرًا لَمْ يَنْجِي بِالْعِلْمِ قَلْبُهُ
وَأَجْسَادُهُمْ دُونَ الْقُبُورِ قُبُورٌ
فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الشُّورِ نُشُورٌ

قِيلَ أَيْضًا :

لِكُلِّ مُجِدِّ فِي الْوَرَى نَفْعٌ قَاضِلٌ
يُسَاقِبُ بَعْضُ النَّاسِ بَعْضًا بِجُودِهِمْ
وَلَيْسَ يُفِيدُ الْعِلْمُ مِنْ دُونَ عَامِلٍ
فَمَا هُوَ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا كَجَاهِلٍ
وَمَا كُلُّ كَرٍّ بِالْهَوَى كَرٌّ بِاسِيلٍ
يَعْدُ كَشُوكِ بَيْنَ زَهْرِ الْحَمَائِلِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ نَفْعٌ لِدِي الْعِلْمِ وَالْحَجِي
كَذَاكَ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ الْمَرْءُ غَيْرَهُ

وَقِيلَ أَيْضًا :

أَلْمَالُ يَنْفِي مَعَ الْأَيَّامِ إِنْ قَلَبْتَ
إِعْنَمَ جَنَى ثَمْرَةٍ تَحْظُ بِبَيْلٍ مَنِي
لَكِنَّ ذَا يَضْحَبُ الْإِنْسَانَ لِلتَّرْبِ
وَتَعْلُ بِالْقَدْرِ فَوْقَ السَّبْعَةِ الشُّهْبِ

١٤٣ قَالَ أَلْمَاهِيَا بَاذِي مُغْرِيَا عَلِي تَأْثِيرِ الْعِلْمِ :

يَأْسَاعِيَا وَطَلَابُ الْمَالِ هِمَّتُهُ
إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ وَالِدَيْنِ

عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ لَا تَطْلُبْ لَهُ بَدَلًا . وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ فِيهِ غَيْرُ مَعْبُودٍ
 أَلْعِلْمُ يُجِدِّي وَيَبْقَى لِقَتَى أَبَدًا . وَالْمَالُ يَفْنَى وَإِنْ أَجْدَى إِلَى حِينِ
 هَذَاكَ عِزٌّ وَذَا ذُلٌّ لِصَاحِبِهِ . مَا زَالَ بِالْبُعْدِ بَيْنَ الْعِزِّ وَالْمُهُونِ
 قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ :

لَا تَحْقِرَنَّ عَالِمًا وَإِنْ خَلَّتْ
 وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ بِعَيْنِ ذِي خَطَرٍ
 فَالْمِسْكَ مَهْمَا تَرَاهُ مُتَمَنِّئًا
 حَتَّى تَرَاهُ بِعَارِضِي مَلِكٍ
 أَثْوَابُهُ فِي عُيُونِ رَامِقِهِ
 مَهْدَبِ الرَّأْيِ فِي طَرَائِقِهِ
 بِفَهْرِ عَطَارِهِ وَسَاحِقِهِ
 وَمَوْضِعِ التَّاجِ مِنْ مَفَارِقِهِ
 قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ :

أَلْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ
 كَمَ سَيِّدٍ بَطْلٍ أَبَاؤُهُ نُجُبُ
 وَمُتَرَفٍ خَامِلٍ إِلَّا بَاءَ ذِي آدَبٍ
 أَلْعِلْمُ كَكْرٌ وَذُخْرٌ لَا فَنَاءَ لَهُ
 قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ شَخْصٌ ثُمَّ يُحْرِمُهُ
 وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَقْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا
 يَا جَابِعَ الْعِلْمِ نِعْمَ الذُّخْرُ تَجْمَعُهُ
 ١٤٤ قَالَ غَيْرُهُ :

بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ لَا بِالْمَالِ وَالذَّهَبِ
 فَالْعِلْمُ طَوْقُ النَّهْيِ يَزْهُو بِهِ شَرَفًا
 يَزْدَادُ رَفْعُ الْقَتَى قَدْرًا بِمَا طَلَبَ
 وَالْجَهْلُ قَيْدٌ لَهُ يُبْلِيهِ بِاللَّغَبِ

كَمْ يَرَفَعُ الْعِلْمُ أَشْخَاصًا إِلَى رُتَبٍ وَيَخْتَفِضُ الْجَهْلُ أَشْرَافًا بِلَا أَدَبٍ
 الْعِلْمُ كَثْرًا فَلَا تَفْنَى ذَخَائِرُهُ وَالرُّتَبُ مَا زَادَ عِلْمًا زَادَ بِالرُّتَبِ
 فَالْعِلْمُ فَاطِبُ الْكِبَرِ يُجَدِّدُ جَوْهَرَهُ كَالْقَوْتِ لِلْجِسْمِ لَا تَطْلُبُ غِنَى النَّعْبِ
 قَالَ آخِرُ:

مَا حَوَى الْعِلْمَ جَمِيعًا أَحَدٌ لَا وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفَ سَنَةٍ
 إِنَّمَا الْعِلْمُ بَعِيدٌ نَعْوَرُهُ فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَأَحْسِنَهُ
 قَالَ بَعْضُهُمْ:

تَعَلَّمَ مَا اسْتَطَعْتَ بَحَيْثُ تَسَمَى فَإِنَّ الْعِلْمَ زِينَةُ الرِّجَالِ
 لِأَنَّ الْعِلْمَ فِي الدُّنْيَا جَمَالٌ وَفِي الْعَاقِبَةِ تَنَاوُلٌ بِهِنَّ الْمَالِ
 قَالَ آخِرُ:

الْعِلْمُ زِينَةٌ فَكُنْ لِلْعِلْمِ مُكْتَسِبًا وَكُنْ لَهُ طَالِبًا مَا عَشْتَ مُتَعَسِبًا
 إِذْ كُنْ إِلَيْهِ وَثِقًا بِاللَّهِ وَأَعْنِ بِهِ وَكُنْ حَاجِبًا رَزِينًا الْعَثْلَ مُحْتَرِسًا
 وَكُنْ قَتِيًّا مَا سَكَرَ مَخْضُ الشُّقَى وَرِعًا الدِّينَ مُتَعَسِبًا فِي الْعِلْمِ مُنْتَعِسًا
 فَمَنْ تَخَلَّقَ بِالْآدَابِ ظَلَّ بِهَا رَيْسَ قَوْمٍ إِذَا مَا قَارَقَ الرُّؤْسَا
 وصف الكتاب

١٤٥ الكِتَابُ نِعَمَ الْأَنْبِيَاءِ فِي سَاعَةِ الْوَحْدَةِ . وَنِعَمَ الْمَعْرِفَةِ فِي
 دَارِ الْغُرْبَةِ . وَنِعَمَ الْقَرِينِ وَالِدَخِيلِ . وَنِعَمَ الزَّائِرِ وَالنَّزِيلِ . وَعَاءُ مُلِيٍّ
 عِلْمًا وَظَرْفًا . وَإِنَاءُ مُلِيٍّ نَزْحًا وَجِدًّا . وَحَبْدَا بَسْتَانٍ يُجْمَلُ فِي خُرُوجِ
 وَرَوْضِ يُقَابُ فِي حَجْرِ . هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ تُؤْتِي أَكْثَاهَا كُلَّ حِينِ

بِأَوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ وَطُعُومٍ مُتَبَايِنَةٍ . هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ لَا تَذَوِي . وَزَهْرٍ لَا يُنَوِي .
 وَغَرٍّ لَا يُفَنِي . وَمَنْ لَكَ بِجَلِيسٍ يُفِيدُ الشَّيْءَ ، وَخِلَافَهُ وَالْجَلِيسَ وَضِدَّهُ .
 يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْتَى وَيَتَرَجِّمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ . إِنْ غَضِبْتَ لَمْ يَغْضَبْ . وَإِنْ
 عَرَبِدْتَ لَمْ يَعْضَبْ . أَكْتَمُ مِنَ الْأَرْضِ . وَأَنْتُمْ مِنَ الرِّيحِ . وَأَهْوَى مِنْ
 الْهَوَى . وَأَخْذَعُ مِنَ الْمُنَى وَأَمْتَعُ مِنَ الصُّحَى . وَأَنْطِقُ مِنْ سَحَابَانِ وَإِبْلِ
 وَأَعْيَانٍ مِنْ بَاقِلٍ . هَلْ سَمِعْتَ مُعَلِّمًا تَحَلَّى بِخِلَالِ كَثِيرَةٍ وَجَمَعَ أَوْصَافًا عَدِيدَةً .
 عَرَبِيٌّ فَارِسِيٌّ يُونَانِيٌّ هِنْدِيٌّ سِنْدِيٌّ رُومِيٌّ . إِنْ وَعَظَ أَسْمَعُ . وَإِنْ أَلْهَى
 أَمْتَعُ . وَإِنْ أَتَبَكَّى أَدْمَعُ . وَإِنْ ضَرَبَ أَوْجَعُ . يُفِيدُكَ وَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْكَ .
 وَيَزِيدُكَ وَلَا يَسْتَرِيدُ مِنْكَ . إِنْ وَجَدَ فَعَبْرَةٌ . وَإِنْ مَزَحَ فَتَرْهَةٌ . قَبْرُ
 الْأَسْرَارِ وَمَخْزِنُ الْوَدَائِعِ قَيْدُ الْعُلُومِ . وَيَذْبُوعُ الْحِكْمِ وَمَعْدِنُ
 الْمَكَارِمِ . وَمَوْئِسٌ لَا يَنَامُ . يُفِيدُكَ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ . وَيُنْجِرُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ
 أَخْبَارِ الْمُتَأَخِّرِينَ . هَلْ سَمِعْتَ فِي الْأَوَّلِينَ أَوْ بَلَغْتَ أَنْ أَحَدًا مِنَ السَّالِفِينَ
 جَمَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مَعَ قَلَّةٍ مَوْوَنَةٍ وَخَفَّةٍ مَحْمَلَةٍ . لَا يَزُوكَ شَيْئًا مِنْ
 دُنْيَاكَ . نَعْمَ الْمُدَّخِرُ وَالْعَدَّةُ . وَالْمُسْتَعْلُ وَالْحِرْفَةُ . جَلِيسٌ لَا يُطْرِيكَ
 وَرَفِيقٌ لَا يَمَّاكَ . يُطِيعُكَ فِي اللَّيْلِ طَاعَتَهُ فِي النَّهَارِ . وَيُطِيعُكَ فِي السَّفَرِ
 طَاعَتَهُ فِي الْحَضَرِ . إِنْ أَطَلْتَ النَّظَرَ إِلَيْهِ أَطَالَ إِمْتَاعَكَ . وَشَحَذَ طِبَاعَكَ .
 وَبَسَطَ لِسَانَكَ . وَجَوَّدَ بَيَانَكَ . وَفَحَّمَ الْفَاظَكَ . إِنْ أَلْفَتَهُ خَآدَ عَلَى
 الْأَيَّامِ ذِكْرَكَ . وَإِنْ دَرَسْتَهُ رَفَعَ فِي الْخَلْقِ قَدْرَكَ . وَإِنْ نَعَّه نَوَّهَ عِنْدَهُمْ
 بِأَسْمِكَ . يُعِيدُ الْعَبِيدَ فِي مَقَائِدِ السَّادَاتِ . وَيُجَلِّسُ السُّوفَةَ فِي مَجَالِسِ

الْمُلُوكِ فَكَرِمَ بِهِ مِنْ صَاحِبٍ . وَأَعَزَّزَ بِهِ مِنْ مُوَافِقِي (الكثر المدفون)
 ١٤٦ أَرْسَلَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ فِي طَلَبِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ لِيَسَامِرَهُ . فَلَمَّا
 جَاءَ الْخَادِمُ إِلَيْهِ وَجَدَهُ جَالِسًا وَحَوَالِيهِ كُتُبٌ وَهُوَ يُطَالِعُ فِيهَا . فَقَالَ
 لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَدْعِيكَ . فَقَالَ : قُلْ عِنْدِي قَوْمٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ
 أَحَادِيثُهُمْ فَإِذَا قَرَعْتُ مِنْهُمْ حَضَرْتُ . فَلَمَّا عَادَ الْخَادِمُ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ
 بِذَلِكَ قَالَ لَهُ : وَيْحَكَ مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ . قَالَ :
 وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ . قَالَ : فَأَحْضِرْهُ السَّاعَةَ كَيْفَ
 كَانَ . فَلَمَّا حَضَرَ ذَلِكَ الْعَالِمُ . قَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ : مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ
 الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

لَنَا جُلَسَاءُ مَا نَمَلُّ حَدِيثَهُمْ أَلْبَاءُ مَأْمُونُونَ غَيْبًا وَمَشْهُدًا
 يُفِيدُونَنَا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَا مَضَى وَرَأْيَا وَتَأْدِيبًا وَتَجْدًا وَسُودَدًا
 فَإِنْ قُلْتَ أَمْوَاتٌ فَأَمْ تَعْدُ أَمْرَهُمْ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءٌ فَلَسْتَ مُضْبِدًا
 فَعَلِمَ الْخَلِيفَةُ أَنَّهُ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى الْكُتُبِ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ تَأْخُرَهُ

١٤٧ طَلَبَ الْمُكَنِّي مِنْ وَزِيرِهِ كُتُبًا يَأْهُو بِهَا وَيَقْطَعُ بِمَطَالَعَتِهَا
 زَمَانَهُ . فَتَدَخَّلَ الْوَزِيرُ إِلَى النَّوَابِ بِتَحْصِيلِ ذَلِكَ وَعَرْضِهِ عَلَيْهِ قَبْلَ
 حَمَلِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ . فَحَصَلُوا شَيْئًا مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ فِيهَا شَيْءٌ مِمَّا جَرَى
 فِي الْأَيَّامِ السَّالِفَةِ مِنْ وَقَائِعِ الْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ الْوُزَرَاءِ وَمَعْرِفَةِ التَّحِيلِ
 فِي اسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ . فَلَمَّا رَأَاهُ الْوَزِيرُ قَالَ لِنُؤَابِهِ : إِنَّكُمْ أَشَدُّ
 النَّاسِ عِدَاوَةً لِي . أَنَا قُلْتُ لَكُمْ حَصَلُوا لَهُ كُتُبًا يَأْهُو بِهَا وَيَسْتَعْمِلُ بِهَا

عَنِّي وَعَنْ غَيْرِي . فَقَدْ حَصَلْتُمْ لَهُ مَا يَعْرِفُهُ مَصَارِعَ الْوُزَرَاءِ وَيُوجِدُهُ
الطَّرِيقَ إِلَى اسْتِخْرَاجِ الْمَالِ وَيَعْرِفُهُ خَرَابَ الْبِلَادِ مِنْ عِمَارَتِهَا . رُدُّوْهَا
وَحَصِّلُوْا لَهُ كُتُبًا فِيهَا حِكَايَاتُ تَأْهِيهٍ وَأَشْعَارُ تُطْرَبُ بِهِ
(الفخري)
قَالَ ابْنُ دُوسْتٍ فِي الْحِفْظِ وَالْإِسْتِظْهَارِ :

مَلِكٌ بِالْحِفْظِ دُونَ الْجَمْعِ فِي الْكُتُبِ فَإِنَّ لِكُتُبِ آفَاتٍ تُفْرِقُهَا
الْمَاءُ يُفْرِقُهَا وَالنَّارُ تُحْرِقُهَا وَالنَّارُ تُحْرِقُهَا وَاللَّيْسُ يَسْرِقُهَا

في البيان والبلاغة والفصاحة

١٤٨ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ : الْبَيَانُ تَرْجَمَانُ الْقَلْبِ وَصَيْقَلُ الْعُقُولِ . وَأَمَّا
حَدُّهُ فَقَدْ قَالَ الْجَاهِظُ : الْبَيَانُ أَنْتُمْ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا كَشَفَ لَكَ عَنْ
الْمَعْنَى . وَقَالَ الْيُونَانِيُّ : الْبَلَاغَةُ وَضُوحُ الدَّلَالَةِ وَاتِّهَازُ الْفُرْصَةِ
وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ . وَقَالَ الْهِنْدِيُّ : الْبَلَاغَةُ تَضَمُّنُ الْأَقْسَامِ . وَاخْتِيَارُ
الْكَلَامِ . وَقَالَ الْكِنْدِيُّ : يَجِبُ لِلْبَلِغِ أَنْ يَكُونَ قَلِيلَ اللَّفْظِ كَثِيرَ
الْمَعْنَى وَقِيلَ : إِنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ عُمَرَو بْنَ الْعَاصِ : مَنْ أَبْلَغُ النَّاسِ .
فَقَالَ : أَقْلَهُمْ لَفْظًا وَأَسْهَلَهُمْ مَعْنَى وَأَحْسَنَهُمْ بَدِيهَةً . وَقَالَ أَبُو عَبْدِ
اللَّهِ وَزِيرُ الْمُهَدِيِّ : الْبَلَاغَةُ مَا فَهَمْتَهُ الْعَامَّةُ وَرَضِيَتْ بِهِ الْخَاصَّةُ .
وَقَالَ الْجُبَيْرِيُّ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ . وَجَلَّ . وَدَلَّ . وَلَمْ يُعَلَّ . وَقَالُوا :
الْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ لَا يُقَطَعُ إِلَّا بِسَوَائِقِ الْأَذْهَانِ . وَلَا يُسْلَكُ إِلَّا بِبَصَائِرِ
الْبَيَانِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لَكَ الْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ نَشَأَتْ بِهِ وَكُنَّا بِهٖ صُورٍ عَنْكَ نَعْتَرِفُ

مَهْدِي الْعُذْرِي نَظْمٌ بَبَشَتْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ الدُّرُّ لَا يَهْدِي لَهُ الصَّدْفُ
 ١٤٩ وَقَالَ الثَّعَالِبِيُّ: الْبَلِيغُ مَا كَانَ لَفْظُهُ فَحْلًا وَمَعْنَاهُ بَكْرًا. وَقَالَ
 الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي حَدِّ الْبَلَاغَةِ: إِنَّهَا بُلُوغُ الرَّجُلِ بِبَارِيهِ
 كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ مَعَ الْأَحْتِرَازِ عَنِ الْإِيحَازِ الْأَخْلِ. وَالتَّطْوِيلِ الْمُمِيلِ.
 وَأَمَّا الْقَصَاحَةُ فَهِيَ قَالِ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ عَنْهَا: أَعْلَمُ أَنَّ
 الْقَصَاحَةَ خُلُوصَ الْكَلَامِ مِنَ التَّنْقِيدِ. وَأَصْلَاهَا مِنْ قَوْلِهِمْ أَقْصَحَ اللَّبَنُ
 إِذَا أَخَذَتْ عَنْهُ الرِّغْوَةُ. وَأَكْثَرُ الْبَلْغَاءِ لَا يَكَادُونَ يَفْرُقُونَ بَيْنَ
 الْبَلَاغَةِ وَالْقَصَاحَةِ. بَلْ يَسْتَعْمَلُونَهُمَا اسْتِمَالِ الشَّيْئَيْنِ الْمُرَادِفَيْنِ عَلَى
 مَعْنَى وَاحِدٍ فِي تَسْوِيَةِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمَا. وَيُذْعَمُ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْبَلَاغَةَ
 فِي الْمَعَانِي وَالْقَصَاحَةَ فِي الْأَلْفَازِ. وَيُسْتَدَلُّ بِقَوْلِهِمْ مَعْنَى بَلِيغٌ وَلَفْظٌ
 فَصِيحٌ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ إِلَّا هَبَّتْهُ حَتَّى يَتَكَلَّمَ. فَإِنْ
 كَانَ فَصِيحًا عَظُمَ فِي صَدْرِي. وَإِنْ قَعَرَ سَاطَ مِنْ عَيْنِي (اللابشيهي)

في الشعر

١٥٠ كَانَ يُقَالُ: الشَّعْرُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ وَمَعْدِنُ حِكْمَتِهَا وَكَثْرُ أَدْبِهَا.
 وَيُقَالُ: الشَّعْرُ لِسَانُ الزَّمَانِ. وَالشُّعْرَاءُ لِلْكَلامِ أَمْرَاءُ. وَقَالَ بَعْضُ
 السَّافِ: الشَّعْرُ جَزَلٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ يُقَامُ بِهِ الْمَجَاسِرُ وَتُسْتَجْعُ بِهِ
 الْحَوَائِجُ وَتَشْفَى بِهِ السَّخَانِمُ. وَيُقَالُ: الْمُدْحُ مَهْرَةُ الْكِرَامِ. وَإِعْطَاءُ
 الشُّعْرَاءِ مِنْ بَرِّ الْوَالِدِينَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنْصَفَ الشُّعْرَاءُ فَإِنَّ
 ظُلَامَتَهُمْ تَبَى وَعِقَابُهُمْ لَا يَفْتَى. وَهُمْ الْحَاكِمُونَ عَلَى الْحُكَّامِ. وَقَالَ

آخِرُ : الشِّعْرُ الْجَيِّدُ هُوَ الشِّعْرُ الْحَلَالُ . وَالْعَذْبُ الزَّلَالُ . إِنْ مِنْ
 الشِّعْرِ لِحِكْمَةٌ وَإِنْ مِنْ الْبَيَانِ لِسِحْرًا . وَكَانَ يُقَالُ : النَّثْرُ يَتَطَايَرُ تَطَايُرَ
 الشَّرَرِ . وَالشِّعْرُ يَبْقَى بَقَاءَ النَّقْشِ فِي الْحَجَرِ . وَقِيلَ لِحِمْرَةَ بِنِ بَيْصِ :
 مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ . قَالَ . مَنْ إِذَا قَالَ أَسْرَعَ . وَإِذَا وَصَفَ أَبْدَعَ . وَإِذَا
 مَدَحَ رَفَعَ . وَإِذَا هَجَا وَضَعَ . وَقَالَ دَعْبِلُ فِي كِتَابِهِ الْمَوْضُوعِ فِي مَدْحِ
 الشُّعْرَاءِ : إِنَّهُ لَا يَكْذِبُ أَحَدٌ إِلَّا أَجْتَرَاهُ النَّاسُ فَقَالُوا : كَذَّابٌ . إِلَّا
 الشَّاعِرَ فَإِنْ يَكْذِبُ يُسْتَحْسَنُ كَذِبُهُ . وَيُحْتَمَلُ ذَلِكَ لَهُ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ
 عِبَا عَلَيْهِ . ثُمَّ لَا يَبْثُ أَنْ يُقَالَ : أَحْسَنْتَ . (وَفِيهِ) أَنَّ الرَّجُلَ الْمَلِكَ أَوْ
 السُّرُقَةَ إِذَا صَيَّرَ ابْنَهُ فِي الْكُتَابِ أَمْرًا مُعَلِّمَهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ الشِّعْرَ . لِأَنَّهُ
 تُوَصَّلُ بِهِ الْمَجَاسِ . وَتُضْرَبُ فِيهِ الْأَمْثَالُ تَعْرِفُ بِهِ مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ
 وَمَشَائِبَهَا فَتَدْمُ وَتُحْمَدُ وَتُنْفَجَى وَتُمدَحُ . وَأَيُّ شَرَفٍ أَبِي مِنْ شَرَفِ
 يَبْقَى بِالشِّعْرِ . (وَفِيهِ) أَنَّ أَمْرًا الْقَيْسِ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ . وَكَانَ
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَبَنِي أَبِيهِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ مَلِكًا فَبَادُوا وَبَادَ ذِكْرُهُمْ .
 وَبَقِيَ ذِكْرُهُ إِلَى الْقِيَامَةِ . وَإِنَّمَا أَمْسَكَ ذِكْرَهُ شِعْرُهُ . وَقَالَ : أَحْسَنُ مَا
 مَدَحَ بِهِ الشِّعْرُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ حَيْثُ يَقُولُ :

وَلَوْلَا خِلَالُ سَنَاهَا الشِّعْرُ مَا دَرَى بُغَاةَ الْمَعَالِي كَيْفَ تُبْنَى الْمَكَارِمُ
 وَأَحْسَنُ مِنْهُ :

أَرَى الشِّعْرَ يُنْجِي الْجُودَ وَالْبَاسَ بِالَّذِي تَبْقِيهِ أَرْوَاحُ لَهُ عَطِرَاتُ
 وَمَا لَمْ يَجِدْ لَوْلَا الشِّعْرُ إِلَّا مَعَاهِدُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَعْظَمُ نَخِرَاتُ

١٥١ (فصل لأبي بكر الخوارزمي جامع لمذبح الشعراء) ما ظنك
 بقوم الأقتصار محمود إلا منهم . والكذب مذموم ومردود إلا فيهم .
 إذا ذموا ذاموا . وإذا مدحوا سلبوا . وإذا رضوا رفقوا الوضيع .
 وإذا غضبوا . وضعوا الرفيع . وإذا أقروا على أنفسهم بالكبار . لم
 يلزم حد . ولم تمتد إليهم بالعقوبة يد . غيبهم لا يصادر . وفقيرهم لا
 يستعز . وشيخهم يوقر . وشابهم لا يستعز . سهامهم تنفذ في
 الأعراض . وشهادتهم مقبولة . وإن لم ينطق بها سجل ولم يشهد بها
 عدل . بل ما ظنك بقوم هم صيارفة أخلاق الرجال . وساميرة
 النقص والكمال . بل ما ظنك بقوم أسهم ناطق بالفضل . وأسم
 صناعتهم مشتق من العثل . بل ما ظنك بقوم هم أمراء الكلام .
 يقصرون طويله . ويطولون قصيره . يقصرون ممدوده . ويخفقون
 ثقيه . ولم لا أقول : ما ظنك بقوم يتبعهم الغاؤون . وفي كل واد
 يهيمون

(لأبي نصر المقدسي)

في الأدب

١٥٢ قال العلامة بن أيوب كان يقال : مثل الأديب ذي القريحة
 مثل دائرة تدار من خارجها . فهي في كل دائرة تدار تسمع وترداد
 عظما . ومثل الأديب غير ذي القريحة مثل دائرة تدار من داخلها فهي
 عن قليل تبلغ إلى باطنها . أوصى بنص الحكماء بنبيه فقال لهم :
 الأدب أكرم الجواهر طبيعة وأنفسها قيمة . يرفع الأحساب الوضيعة .

وَيُفِيدُ الرَّغَائِبَ الْجَلِيلَةَ . وَيُنِيهِ مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ . وَيَكْثُرُ الْأَنْصَارَ مِنْ
غَيْرِ رِزْيَةٍ . قَالَ بَسُوهُ حُلَّةً . وَتَرَّتْ يَوَاهِجُهُ حَيَّةً . يُوَالِسُكُمْ فِي الْوَحْشَةِ .
وَيَجْمَعُ الْقُلُوبَ الْمُخْتَلِفَةَ . وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ :

إِنْ كَانَ لِلْعَقْلِ مَوْلُودٌ فَاسْتَأْرَى ذَا الْعَقْلِ مُسْتَوْحِشًا مِنْ حَادِثِ الْأَدَبِ
إِنِّي رَأَيْتُهُمَا كَكَأْمَاءَ مُخْتَلِطًا بِالْأَثَرِ تَطَوَّرَ عَنْهُ زَهْرَةُ الْعُشْبِ
١٥٣ وَقَالَ بَزْرَجَمَهُرُ : مَا وَرَثَتِ الْأَبَاءُ الْأَبْنَاةَ خَيْرًا مِنَ الْأَدَبِ .
لِأَنَّهُمْ بِهِ يَكْسِبُونَ أَمْالًا وَيَلْجِئُونَ بِتَلْفُونَةٍ : وَقَالَ : حُسْنُ الْخَلْقِ خَيْرٌ
قَرِينٌ وَالْأَدَبُ خَيْرٌ مِيرَاثٍ وَالْتَقَوَى خَيْرٌ زَادٍ . وَقَالَ أَيْضًا : لَيْتَ
شِعْرِي أَيُّ شَيْءٍ أَدْرَكَ مَنْ فَاتَهُ الْأَدَبُ . وَأَيُّ شَيْءٍ دَفَاتَ مَنْ أَدْرَكَ
الْأَدَبَ . وَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ الْقُرَشِيِّ : أَهْلُ الْأَدَبِ هُمُ الْأَكْثَرُونَ
وَإِنْ قَلُّوا . وَمَحَلُّ الْأَنْسِ أَنْ يَحْلُوا . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِابْنِهِ :
يَا بُنَيَّ الْأَدَبُ بَهَاءُ الْمُلُوكِ وَرِيَاشُ السُّوقَةِ وَالنَّاسُ بَيْنَ هَاتَيْنِ فَتَعَامَهُ
تَجِدُهُ حَيْثُ تُحِبُّ . وَقَالَ بَعْضُ الظَّاهِرِيِّينَ : لَوْ عَاشَ الْجَاهِلُونَ مَا
الْأَدَبُ . لَا يَقْنُؤُوا أَنَّهُ الطَّرَبُ . وَقَالَ حَكِيمٌ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ عِزُّ السُّلْطَانِ
يَوْمَ لَكَ وَيَوْمَ عَلَيْكَ . وَعِزُّ الْمَالِ وَشَيْكَ ذَهَابُهُ . جَدِيدُ أَنْتِطَاعِهِ
وَأَنْقِلَابُهُ . وَعِزُّ الْحَسَبِ إِلَى خُمُولٍ وَدُثُورٍ وَذُبُولٍ . وَعِزُّ الْأَدَبِ رَأْيٌ
وَاصِبٌ . لَا يَزُولُ زَوَالِ الْمَالِ وَلَا يَتَحَوَّلُ بِتَحَوُّلِ السُّلْطَانِ . وَيُقَالُ : مَنْ
قَعَدَ بِهِ حَسْبُهُ . نَهَضَ بِهِ أَدَبُهُ . وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَرِ : حَيَاةُ الْأَدَبِ لَا
تُنْفَى . وَحُرْمَتُهُ لَا تُنْفَى . وَالْأَدَبُ صُورَةُ الْعَقْلِ فَحَسِّنْ عَقْلَكَ كَيْفَ

سُئِلَ . قَالَ بَرِّجَمَهُرُ : مَنْ كَثُرَ أَدَبُهُ . كَثُرَ شَرَفُهُ وَإِنْ كَانَ قَبْلُ
وَضِيماً وَبَعْدَ صِيئَةٍ وَإِنْ كَانَ خَامِلاً . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيْباً . وَكَثُرَتْ
الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيْرًا . وَقَالُوا : الْأَدَبُ أَدْبَانُ أَدَبِ الْفَرِيْزَةِ
وَهُوَ الْأَصْلُ وَأَدَبُ الرِّوَايَةِ وَهُوَ الْفَرْعُ . وَلَا يَتَفَرَّغُ الشَّيْءُ إِلَّا عَنِ
أَصْلِهِ . وَلَا يَنْمُو الْأَصْلُ إِلَّا بِاتِّصَالِ الْمَادَّةِ (لشراشي)

١٥٤ وَقَالَ حَيْبُ فَأَحْسَنَ

وَمَا السِّيفُ إِلَّا زُبْرَةٌ لَوْ تَرَكْتَهُ عَلَى الْخِلْقَةِ الْأُولَى لَمَا كَانَ يَقْطَعُ
وَقَالَ آخَرُ :

مَا وَهَبَ اللَّهُ لِأَمْرِيْ هِبَةً أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ
هِيَ كَمَالُ النَّفْسِ فَإِنْ فُقِدَا فَفَقِدَهُ الْحَيَاةُ أَحْسَنُ بِهِ

وَقِيلَ : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ ظَاهِرَ الْأَدَبِ ظَاهِرَ النَّتِ تَأَدَّبَ بِأَدَبِهِ
وَصَلَحَ بِصَلَاحِهِ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

رَأَيْتُ صِلَاحَ الْمَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ وَيُنْدِيهِمْ عِنْدَ النَّسَادِ إِذَا فَسَدَ
يُعْظَمُ فِي الدُّنْيَا لِأَجْلِ صِلَاحِهِ وَيُحْفَظُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ
قَالَ غَيْرُهُ :

لَعَمْرِكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ابْنُ أَمْسِهِ
وَمَا أَتَفَخَّرُ بِالْعَظْمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فَخَارُ الَّذِي يَبْنِي الْفَخَّارَ بِنَفْسِهِ
١٥٥ الْأَدَبُ مَالٌ . وَأَسْتَعْمَالُهُ كَمَالٌ . بِالْعَقْلِ يُصْلِحُ كُلَّ أَمْرٍ .

(لشراوي)

وَيُجْلِمُ يُقْطَعُ كُلُّ شَرٍّ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

حَرَّصَ بِيَدِكَ عَلَى الْآدَابِ فِي الصِّغَرِ كَمَا تَقَرَّرَ بِهِمْ عَيْنَاكَ فِي الْكِبَرِ
وَإِنَّمَا مَثَلُ الْآدَابِ تَجْمَعُهُمَا فِي عُقُوفَانِ الصِّبَا كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ
هِيَ الْكُنُوزُ الَّتِي تَنْمُو ذَخَائِرُهَا وَلَا يُخَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْعَبْرِ
إِنَّ الْآدِيبَ إِذَا زَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ يَهْوِي عَلَى فُرْشِ الدِّيَابِجِ وَالسُّرْرِ
قَالَ غَيْرُهُ :

مَنْ لَمْ يَرَ التَّادِيبَ فِي صِغَرِ الصِّبَا شَخَّ الْأَفْلَاحُ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ الْكِبَرِ
الآداب الظاهرة

١٥٦ (الآدابُ في الأكلِ) . قَالَ بَعْضُهُمْ : إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ
فَلْيَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ أَكْلِهِ وَآخِرِهِ . وَعَلَى مَنْ يَأْكُلُ أَنْ يَلْتَمِسَ
بِالْآدَابِ وَالرُّسُومِ الْمُسْتَحْسِنَةِ . مِنْهَا أَنْ يَأْكُلَ بِيَمِينِهِ وَيَشْرَبَ بِيَمِينِهِ .
وَأَلَّا يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ قَائِمًا . وَأَوْصَى رَجُلٌ مِنْ خَدَمِ الْمُلُوكِ ابْنَهُ
فَقَالَ : إِذَا أَكَلْتَ فَضُمَّ شَفَتَيْكَ وَلَا تَاتِفَتَنَّ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَتَلَقَّمَنَّ
بِسُكِّينَ . وَلَا تَجْلِسْ فَوْقَ مَنْ هُوَ أَشْرَفُ مِنْكَ وَأَرْفَعُ مَنْزِلًا . وَلَا
تَبْصُقْ فِي الْأَمَاكِنِ النَّظِيفَةِ . وَمِنْ حُسْنِ الْآدَابِ أَنْ يُرَضَّ عَنِ
الْبِطْنَةِ . قَالَ بَعْضُهُمْ . مَنْ قَلَّ طَعَامُهُ صَحَّ جِسْمُهُ وَصَفَا قَلْبُهُ . مَنْ كَثُرَ
طَعَامُهُ سَقَمَ جِسْمُهُ وَقَسَا قَلْبُهُ . قَالَ آخَرُ : لَا تَمِيتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ
الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . فَإِنَّ الْقَلْبَ كَالزَّرْعِ . إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ مَاتَ .
قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : كَانَتْ مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ إِذَا رَأَتْ الرَّجُلَ نَهْمًا شَرِيحًا

أَخْرَجُوهُ مِنْ طَبَقَةِ الْجِدِّ إِلَى بَابِ الْمَزَلِ وَمِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ إِلَى بَابِ
الْإِحْتِقَارِ (للابشيهي)

١٥٧ (وَأَمَّا أَدَبُ الْمُضَيَّفِ) فَهُوَ أَنْ يَخْدُمَ أَضْيَافَهُ وَيُظَاهِرَ لَهُمُ الْغِنَى
وَيَسْطِرَّ أَلْوَجَهُ فَقَدْ قِيلَ: الْبَشَاشَةُ فِي أَلْوَجِهِ خَيْرٌ مِنَ الْقِرَى . قَالُوا:
فَكَيْفَ بَيْنَ يَأْتِي بِهَا وَهُوَ ضَاحِكٌ . وَقَدْ ضَمَّنَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ
الْبُدَيْوِيُّ هَذَا الْكَلَامَ بِأَيَاتٍ فَقَالَ :

إِذَا الْمَرْءُ وَافَى مَنْزِلًا مِنْكَ قَاصِدًا قِرَاكَ وَأَرْمَتْهُ لَدَيْكَ أَسَالِكُ
فَكُنْ بَاسِمًا فِي وَجْهِهِ مُتَهَلِّلًا وَقُلْ مَرْحَبًا أَهْلًا وَيَوْمٌ مُبَارِكُ
وَقَدِّمْ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْقِرَى عَجُولًا وَلَا تَبْجُلْ بِمَا هُوَ هَالِكُ
فَقَدْ قِيلَ بَيْتٌ سَالِفٌ مُتَقَدِّمٌ تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وَعَمَرُو وَمَالِكُ
بَشَاشَةٌ وَجْهِ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنَ الْقِرَى فَكَيْفَ بَيْنَ يَأْتِي بِهِ وَهُوَ ضَاحِكُ
قَالَ الْعَرَبُ : تَمَّامُ الْأَضْيَافَةِ الطَّلَاقَةُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَإِطَالَةُ
الْحَدِيثِ عِنْدَ الْمَوَاكِلَةِ . وَلِلَّهِ دَرَمَنٌ قَالَ :

اللَّهُ يَلْمُ أَنَّهُ مَا سَرَّنِي شَيْءٌ كَطَارِقَةِ الضُّيُوفِ النَّزْلِ
مَا زِلْتُ بِالرَّجِيبِ حَتَّى خَلَّتْني ضَيْفًا لَهُ وَالضَّيْفَ رَبَّ الْمَنْزِلِ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَيْفُ الدَّلَّةِ بْنِ حَمْدَانَ :

مَنْزِلُنَا رَحْبٌ بَيْنَ زَارِهِ نَحْنُ سِوَاهُ فِيهِ وَالطَّارِقُ
وَكُلُّ مَا فِيهِ حَلَالٌ لَهُ إِلَّا الَّذِي حَرَّمَهُ الْخَالِقُ

قَالَ عَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ :

وَإِنَّا لَنُصْرِي الضَّيْفَ قَبْلَ نُزُولِهِ وَنُشِعْمُهُ بِالْبَشْرِ مِنْ وَجْهِ ضَاحِكِ
 ١٥٨ وَمِنْ آدَابِ الْمُضَيَّفِ أَنْ يُحَدِّثَ أَضْيَافَهُ بِمَا تَمِيلُ إِلَيْهِ نُفُوسُهُمْ . وَلَا
 يَنَامَ قَبْلَهُمْ . وَلَا يَشْكُو الزَّمَانَ بِحُضُورِهِمْ . وَيَبْسُ عِنْدَ قُدُومِهِمْ وَيَتَأَلَّمُ
 عِنْدَ وِدَاعِهِمْ . وَأَنْ لَا يُحَدِّثَ بِمَا يَرُوعُهُمْ بِهِ . وَيَجِبُ عَلَى الْمُضَيَّفِ أَنْ
 يُرَاعِيَ خَوَاطِرَ أَضْيَافِهِ كَيْفَمَا أَمَكَّنَ . وَلَا يَنْضَبُ عَلَى أَحَدٍ بِحُضُورِهِمْ .
 وَلَا يُنْعَصَ عَيْنُهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَهُ . وَلَا يَعْبَسُ بِوَجْهِهِ . وَلَا يُظْهِرُ نَدَامًا .
 وَلَا يَنْهَرُ أَحَدًا وَلَا يَشْتُمُهُ بِحَضْرَتِهِمْ بَلْ يَدْخُلُ عَلَى قُلُوبِهِمُ السَّرُورَ بِكُلِّ مَا
 أَمَكَّنَ . وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْهَرَ مَعَ أَضْيَافِهِ وَيُؤَانِسَهُمْ بِلَذِيذِ أَحْوَاشِهِ وَغَرِيبِ
 الْحِكَايَاتِ . وَأَنْ يَسْتَمِيلَ قُلُوبَهُمْ بِالْبَدْلِ لَهُمْ مِنْ غَرَائِبِ الطَّرَفِ إِنْ
 كَانَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ . وَعَلَى الْمُضَيَّفِ إِذَا قَدَّمَ الطَّعَامَ إِلَى أَضْيَافِهِ أَنْ
 لَا يَنْتَظِرَ مَنْ يَحْضُرُ مِنْ عَشِيرَتِهِ . فَتَدْقِيلُ : أَلَا تَهْ تُضِي بِسِرَاجٍ لَا يُضِي
 وَرَسُولٌ بَطِي . وَمَا تَدَّةٌ يَنْتَظِرُ لَهَا مَنْ يَجِي . وَمِنْ السُّنَنِ أَنْ يُشْعِ
 الْمُضَيَّفُ الضَّيْفَ إِلَى بَابِ الدَّارِ (الابشيحي)

١٥٩ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : مَا اسْتَكْمَلَ عَقْلُ أَمْرِي حَتَّى يَكُونَ فِيهِ
 عَشْرُ خِصَالٍ . الرُّشْدُ مِنْهُ مَأْمُولًا . وَالكِبَرُ مِنْهُ مَأْمُونًا . نَصِيْبُهُ مِنْ
 الدُّنْيَا أَلْفُوتٌ . وَالذَّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ العِزِّ . وَالْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الغِنَى
 يَسْتَقِلُّ كَثِيرَ المَعْرُوفِ مِنْ نَفْسِهِ . وَيَسْتَكْثِرُ قَائِلِ المَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِهِ .
 وَلَا يَسْأَلُ مِنَ طَلَبِ العِلْمِ طُولَ عُمْرِهِ . وَلَا يَتَبَرَّمُ مِنَ طَلَبِ الحَوَائِجِ
 قَلْبُهُ . وَالْعَاشِرَةُ أَنْ يَرَى النَّاسَ كُلَّهُمْ خَيْرًا مِنْهُ (لابن المعتز)

الْبَابُ التَّاسِعُ فِي اللَّطَائِفِ

لِلْحَدَادِ وَالْأَمِيرِ

١٦٠ حَكَى الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَمِيدِيُّ النَّابِئُ قَالَ : دَخَلْتُ
عَلَى الْأَمِيرِ سَعِيدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ أَيَّامَ وَلَايَتِهِ لِاشْتَرِ فَوْجَهُهُ يَقْطُرُ دُهْنًا
عَلَى خَنْصَرِهِ . فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِهِ فَذَكَرَ ضَيْقَ خَاتَمِهِ وَأَنَّهُ وَرِمَ بِسَبَبِهِ .
فَقُلْتُ لَهُ : الرَّأْيُ قَطْعُ حَلْقَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ . فَقَالَ : مَنْ يَصْلُحُ
لِذَلِكَ . فَاسْتَدْعَيْتُ ظَافِرَ الْحَدَّادِ الشَّاعِرَ فَقَطَعَ الْحَلَقَةَ وَأَنشَدَ بَدِيحًا :
قَصَرَ عَنِ أَوْصَافِكَ الْعَالَمُ وَكَثُرَ الْآثِرُ وَالنَّاطِمُ
مَنْ يَكُنْ الْجُرْهُ لَهُ رَاحَةً يَضِيقُ عَنْ خَنْصَرِهِ الْحَاتِمِ
فَاسْتَحْسَنَهُ الْأَمِيرُ وَوَهَبَ لَهُ الْحَلَقَةَ . وَكَانَتْ مِنْ ذَهَبٍ
وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْ الْأَمِيرِ غَزَالٌ مُسْتَأْنِسٌ وَقَدْ رَبَّضَ وَجَعَلَ رَأْسَهُ فِي
خُجْرِهِ . فَقَالَ ظَافِرٌ بَدِيحًا :

عَجِبْتُ لِحُرَاةِ هَذَا الْغَزَالِ وَأَمْرِي تَخَطَّى لَهُ وَأَعْتَمَدُ
وَأَعْجَبُ بِهِ إِذْ بَدَأَ جَائِمًا وَكَيْفَ أَطْمَأَنَّ وَأَنْتَ أَسَدُ

فَزَادَ الْأَمِيرُ وَالْحَاضِرُونَ فِي الْأَسْتَحْسَانِ (بدائع البدائه للزدي)

١٦١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الْفَقِيرَ وَالْغَنِيَّ :

مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تَعَلَّمَتْ شَفْتَاهُ أَنْوَاعَ الْكَلَامِ فَقَالَ

وَتَقَدَّمَ الْإِخْوَانَ فَاسْتَمَعُوا لَهُ وَرَأَيْتُهُ بَيْنَ الْوَرَى مُخْتَلَا
لَوْلَا دَرَاهِمُهُ الَّتِي يَزْهُو بِهَا لَوْجَدْتُهُ فِي النَّاسِ أَسْوَأَ حَالًا
إِنَّ الْغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْخَطَا قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا نَطَقْتَ مُخَالَا
أَمَّا الْفَقِيرُ إِذَا تَكَلَّمَ صَادِقًا قَالُوا كَذَبْتَ وَأَبْطَلُوا مَا قَالَا
إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا تَكْسُو الرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَمَالَا
فَهِيَ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً وَهِيَ السِّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالَا

الحجاج والفتية

١٦٢ أمر الحجاج صاحب حرسه أن يطوف بالليل فمن رآه بعد
العشاء سكران ضرب عنقه . فطاف ليلة من الليالي فوجد ثلاثة فتیان
يتمايلون وعليهم أمارات السكر . فأحاطت بهم الغلمان . وقال لهم
صاحب الحرس : من أنتم حتى خالفتم أمر أمير المؤمنين وخرجتم
في مثل هذا الوقت . فقال أحدهم :

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتْ الرِّقَابُ لَهُ مَا بَيْنَ مَخْرُومِهَا وَهَاشِمِهَا
تَأْتِيهِ بِالرَّغْمِ وَهِيَ صَاغِرَةٌ يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دِمِهَا
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّهُ مِنْ أَقَارِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ قَالَ لِلْآخِرِ :
وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَقَالَ :

أَنَا ابْنُ مَنْ لَا تَنْزِلُ الدَّهْرَ قِدْرُهُ وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا • وَقُعُودُ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْرَفِ الْعَرَبِ . ثُمَّ قَالَ لِلْآخِرِ :

وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَأَشَدَّ عَلَى الْبَدِيَّةِ :
 أَنَا ابْنُ مَنْ خَاضَ الصُّفُوفَ بِعِزِّهِ وَقَوْمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامَتْ
 وَرَكَبَاهُ لَا يَنْفَكُ رَجُلَاهُ مِنْهَا إِذَا الْخَيْلُ فِي يَوْمِ الْكَرْيَةِ وَلَّتْ
 فَأَمْسَكَ عَنِ الْآخِرِ وَقَالَ : لَعَلَّ ابْنَ أَشْجَعِ الْعَرَبِ وَأَحْتَفِظَ عَلَيْهِمْ .
 فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ رَفَعَ أَمْرَهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَحْضَرَهُمْ وَكَشَفَ عَنْ
 حَالِهِمْ . فَإِذَا الْأَوَّلُ ابْنُ حِجَّامٍ . وَالثَّانِي ابْنُ قَوَالٍ . وَالثَّلَاثُ ابْنُ
 حَاثِكٍ . فَتَعَجَّبَ مِنْ فَصَاحَتِهِمْ وَقَالَ لِحَلَسَانِهِ : عَالِمُوا أَوْلَادَكُمْ الْأَدَبَ
 فَوَاللَّهِ لَوْ لَا فَصَاحَتُهُمْ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ (لِلنَّوَاجِي)

ابو العلاء وكتاب الفصوص

١٦٣ أَلْفَ أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدٌ كُتِبَ مِنْهَا كِتَابُ الْفُصُوصِ . وَاتَّفَقَ
 لِهَذَا الْكِتَابِ مِنْ عَجَائِبِ الْإِتِّفَاقِ أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ دَفَعَهُ حِينَ كَمَلَ لِلْغَلَامِ
 لَهُ يُحْمَلُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَعَبَّرَ النَّهْرَ نَهْرَ قَرُطْبَةَ . فَحَانَتْ الْغَلَامَ رِجْلُهُ
 فَسَقَطَ فِي النَّهْرِ هُوَ وَالْكِتَابُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ وَهُوَ
 الْعَرِيفُ بَيْتًا مَطْبُوعًا بِحَضْرَةِ الْمَنْصُورِ وَهُوَ :

قَدْ غَاصَ فِي الْبَحْرِ كِتَابُ الْفُصُوصِ وَهَكَذَا كُلُّ ثَقِيلٍ يَبُوصُ
 فَضَحِكَ الْمَنْصُورُ وَالْحَاضِرُونَ . فَلَمْ يَرَّعْ ذَلِكَ صَاعِدًا وَلَا هَالَهُ .
 وَقَالَ مُرْتَجِلًا مُجِيبًا لِابْنِ الْعَرِيفِ :

عَادَ إِلَى مَعْدِنِهِ إِنَّمَا تُوجَدُ فِي قَعْرِ الْبِحَارِ الْفُصُوصُ
 (كِتَابُ الْمَعْجَبِ لِعَبْدِ الْوَاحِدِ الْمِرَاكَشِيِّ)

١٦٤ قَالَ ابْنُ شَرَفٍ يَصِفُ دَارًا وَيَتَشَكَّى بِمَوْضَاهَا :
 لَكَ مَنَزَلٌ كَمَاتَ سِتَارَتُهُ لَنَا لِلَّهِو لَكِن تَحْتَ ذَاكَ حَدِيثُ
 غَنَى الذُّبَابِ وَظَلَّ يَذْمُرُ حَوْلَهُ فِيهِ الْبَعُوضُ وَيَقْصُ الْبُرْغُوثُ
 قَالَ آخِرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

لَيْلُ الْبَرَانِغِثِ وَالْبَعُوضِ لَيْلٌ طَوِيلٌ بِأَلَا غُمُوضٍ
 فَذَاكَ يَنْزُو بِغَيْرِ رَقْصٍ وَذَا يُغْنِي بِأَلَا عَرُوضٍ

فتى فصيح

١٦٥ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ عَلَى الْأُمُومِ حِينَ قُبِضَتْ
 ضِيَاعُهُمْ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ . فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
 مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَلِيلُ نِعْمَتِكَ وَأَبْنُ دَوْلَتِكَ وَغُضْنُ مِنْ أَعْصَانِ
 دَوْلَتِكَ . أَفْتَاذَنْ لِي فِي الْكَلَامِ . قَالَ : نَعَمْ . فَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى وَشَكَرَهُ
 ثُمَّ قَالَ : أَمْتَعَنَا اللَّهُ بِحَيَاةٍ دِينِنَا وَدُنْيَانَا . وَرِعَايَةِ أَقْصَانَا وَأَذِنَانَا .
 بِبِقَائِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَنَسَأَلُهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عُمْرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا . وَفِي
 أَثْرِكَ مِنْ آثَارِنَا . وَيَقِيكَ الْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا . هَذَا مَقَامُ
 الْعَانِدِ بِظَلِّكَ . الْهَارِبِ إِلَى كَنْفِكَ وَفَضْلِكَ . الْفَقِيرِ إِلَى رَحْمَتِكَ
 وَعَدْلِكَ . ثُمَّ سَأَلَ حَوَائِجَهُ فَقَضَاهَا (لشريشي)

علي بن الجهم

١٦٦ سَخَطَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ فَنَفَاهُ إِلَى خُرَاسَانَ . وَكَتَبَ
 أَنْ يُصَلِّبَ إِذَا وَرَدَهَا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّاذِيَاخِ حَبَسَهُ

طاهر بن عبد الله ثم أخرجه . فصلبه إلى الليل مجرداً . فقال :
 لم يصلبوا بالشاذياخ عشيّة إلا إنسين مسبوقةً ولا محمولاً
 نصبوا بحمد الله ملء عيونهم شرقاً وملء صدورهم تيجيلاً
 ما أزداد إلا رفعة وسعادةً وأزدادت الأعداء عنه نكولاً
 هل كان إلا اللث فارق غيلةً فرأته في تحمل محمولاً
 ما عابه أن قد زعت لباسه كالسيف أفضل ما يرى مسلولاً
 وقال في الحبس :

قألو حبست فقلت ليس بضائر حبي وأي مهندي لا نعمد
 أو ما رأيت اللث يالف غياه ككبرا وأوباش السباع تصيد
 فالشمس لولا أنها مخجوبة عن ناظريك لما أضاء الفرقد
 والنار في أحجارها مخبوءة لا تصطلي إن لم تثرها الأزند
 والحبس إن لم تنشه لديّة شعاء نعم المنزل المتورد

درواس بن حبيب وهشام

١٦٧ قحطت البادية أيام هشام بن عبد الملك . فوجد عليه رأس
 القبايل . فجلس لهم وفيهم صبي ابن أربع عشرة سنة يسمى درواس
 ابن حبيب . في رأسه ذؤابة وعليه بردة يمانية فاستصغره هشام
 وقال لحاجبه : ما يشاء أحد أن يصل إلينا إلا وصل حتى الصبيان .
 فقال درواس : يا أمير المؤمنين إن دخولي لم يخل بك ولا أنتقصك
 ولكنه شرفني . وإن هؤلاء قدموا لأمر فهابوك دونه . وإن الكلام

كَشْرٌ وَالسُّكُوتَ طَيِّبًا لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِنَشْرِهِ . فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ وَقَالَ :
 أَنْشُرْ لَا أُمَّ لَكَ . فَقَالَ : إِنَّا أَصَابْنَا سِنُونَ ثَلَاثَ . فَسَنَةٌ أَكَّاتِ
 اللَّحْمِ . وَسَنَةٌ أَذَابَتِ الشَّعْمَ . وَسَنَةٌ أَنْقَتِ الْعَظْمَ . وَفِي يَدَيْكُمْ
 فَضُولُ أَمْوَالٍ فَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَفَرِّقُوهَا عَلَى عِبَادِهِ . وَإِنْ
 كَانَتْ لَهُمْ فَلَا تَحْبِسُوهَا عَنْهُمْ . وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا بِهَا عَلَيْهِمْ .
 فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَإِنَّ الْوَالِيَّ مِنْ
 الرَّعِيَّةِ كَالرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهِ . فَقَالَ هِشَامٌ مَا تَرَكَ
 الْعَلَامُ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ عُذْرًا . وَأَمَرَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ فَفَرَّقَتْ
 فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ . وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ : أَرَدْتُهَا فِي
 جَائِزَةِ الْعَرَبِ فَمَا لِي حَاجَةٌ فِي خَاصَّةِ نَفْسِي دُونَ عَامَّةِ النَّاسِ (لِلشَّارِئِيِّ)

الشاعر التروى

١٦٨ يُحْكِي أَنَّ بَعْضَ الْأَعْرَابِ أَمْتَدَحَ بَعْضَ الرُّؤَسَاءِ بِتَقْصِيدَةٍ
 بَدِيعَةٍ . فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلَيْهِ اسْتَكْثَرَهَا عَلَيْهِ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ وَنَسَبَهُ إِلَى
 سَرِقَتِهَا . فَأَرَادَ الْمَمْدُوحُ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيقَةَ الْحَالِ . فَرَسَمَ لَهُ بِمِدِّيٍّ مِنْ
 الشَّعِيرِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنْ كَانَ لَهُ بَدِيعَةٌ فِي النَّظْمِ فَلَا بُدَّ أَنْ
 يَقُولَ شَيْئًا فِي شَرْحِ حَالِهِ . فَأَخَذَ الْمَدِّ الشَّعِيرَ فِي رِدَائِهِ وَخَرَجَ فَقَالَ
 الْمَمْدُوحُ لِابْنِ أَبِي سِرًّا : لَا تُكْثِرْهُ مِنْ الْخُرُوجِ . فَقَفَّ الْأَعْرَابِيُّ فِي
 الدَّهْلِ بِزِحَارٍ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَمْدُوحُ مَنْ سَأَلَهُ وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ
 يَا أَعْرَابِي . فَقَالَ : إِنِّي أَمْتَدَحْتُ الْأَمِيرَ بِتَقْصِيدَةٍ . قَالَ : فَمَا أَجَارَكَ

عَلَيْهَا . قَالَ : هَذَا الْمُدُّ الشَّعِيرَ . فَقَالَ لَهُ : هَلْ قُلْتَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا . قَالَ
نَعَمْ . قَالَ : مَا هُوَ . فَأَنشَدَ بَدِيهًا :

يَقُولُونَ لِي أَرَخَصْتَ شِعْرَكَ فِي الْوَرَى قُلْتَ لَهُمْ مِنْ عُدْمِ أَهْلِ الْمَكَارِمِ
أَجِزْتُ عَلَى شِعْرِي الشَّعِيرَ وَإِنَّهُ كَثِيرٌ إِذَا خَاصَتْهُ مِنْ بَهَائِمِ
فَلَمَّا بَلَغَ الْمُدُوحَ هَذَانِ الْيَتَانَ أُعْجِبَ بِهِمَا . وَعَلِمَ أَنَّ الْقَصِيدَةَ مِنْ
نَظْمِهِ . فَرَسَمَ لَهُ بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ

المصنوع وابن هبيرة

١٦٩ لما حاضَرَ الْمَنْصُورَ ابْنَ هُبَيْرَةَ بَعَثَ إِلَيْهِ ابْنَ هُبَيْرَةَ وَقَالَ :

بُرْزَنِي . فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ . فَقَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ لِأَشْهَرَنَ أُمْتِنَاعَكَ
وَالْأَعْيُنَ بِكَ بِهِ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : مَثَلْنَا مَا قِيلَ : إِنْ خِزِرًا بَعَثَ إِلَى
الْأَسَدِ وَقَالَ : قَاتِلْنِي . فَقَالَ الْأَسَدُ : لَسْتُ بِكُفْرِي . فَأَنِي إِنْ
قَاتَلْتُكَ لَمْ يَكُنْ لِي فخرٌ . وَإِنْ قَاتَلْتَنِي لَحَقَنِي وَصَمُّ عَظِيمٌ . فَقَالَ لِأَخْبِرَنَّ
السَّبَاعَ بِكُؤُوكِ . فَقَالَ الْأَسَدُ : أَحْتَمَالُ الْعَارِ فِي ذَلِكَ أَيْسَرُ
مِنَ السَّلْطَنِ بِدَمِكَ . فَحَجَلَ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَكَفَّ عَنْهُ (لِلنَّوَّاجِي)

١٧٠ مَا أَرَقَّ وَأَجُودَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْفِرَاقِ :

مَا الدَّارُ قَدْ غَبِمْتُ يَا سَادَتِي دَارُ كَلَّا وَلَا الْجَارُ مَذْغِبْتُ لَنَا جَارُ
غَبِمْتُ فَأَوْحَشْتُ الدُّنْيَا بِبَعْدِكُمْ وَأَظْلَمْتُ بَعْدَكُمْ رُحْبٌ وَأَقْطَارُ
لَيْتَ الْغُرَابَ الَّذِي نَادَى بِفِرْقَتِنَا يَغْرَى مِنَ الرَّيْشِ لَا تَحْوِيهِ أَوْكَارُ
تُرَى تَعُودُ لِيَالِنَا الَّتِي سَلَفَتْ كَمَا عَهْدْنَا وَتَجْمَعُ بَيْنَنَا الدَّارُ

١٧١ أَرْسَلَ شَاعِرٌ هَدِيَّةً إِلَى مَلِكٍ وَشَفَعَهَا بِهِ الْأَبْيَاتِ :
 أَتَتْ سُلَيْمَانَ يَوْمَ الْعَرْضِ قُبْرَةً تُبْدِي إِلَيْهِ جَرَادًا كَانَ فِي فِيهَا
 وَأَشَدَّتْ فِي لِسَانِ الْحَالِ فَارِثَةً إِنَّ الْهَدِيَّةَ مِنْ مِمْدَارِ مُهْدِيهَا
 لَوْ أَنَّ يَهْدَى إِلَى الْإِنْسَانِ قِيَمَتُهُ لَكَانَ تَهْدِي إِلَيْكَ الدُّنْيَا مَا فِيهَا
 فَاسْتَحْسَنَهَا الْمَلِكُ وَأَجَارَهُ (طرائف اللطائف)

١٧٢ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ فِي تَغْرِيدِ الْبَلْبَلِ :
 أَيُّهَا الْبَلْبَلُ الْمَغْرَدُ فِي الْفُخْلِ غَرِيبًا مِنْ أَهْلِهِ حَيْرَانَا
 أَفِرَاقًا تَشْكُوهُ أَمْ دُمْتَ تَدْعُو فَوْقَ أَفْتَانِ نَحْلَةٍ وَرَشَانَا
 هَاجَ لِي صَوْتُكَ الْمَغْرَدُ شَجْوًا رَبِّ صَوْتٍ يُهَيِّجُ الْأَخْرَانَا
 ١٧٣ وَقَالَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ فِي مَنْ لَا يَتَّصِدِّي إِلَى صَغَائِرِ الشُّرُورِ :
 أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِیْضِ نَارٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
 فَإِنْ لَمْ تُطْفِئْهَا عَقْلًا قَوْمٍ يَكُونُ وَقُودَهَا جُثْثٌ وَهَامُ
 فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذَكِّي وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوْلَهَا كَلَامُ

١٧٤ اجْتَمَعَ يَوْمًا آلُ الصَّوَابَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :
 الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ تَدْخُلُهُ يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الْبَابِ مَا الدَّارُ
 فَقَالَ عُمَرُ :

الدَّارُ دَارُ نَعِيمٍ إِنْ عَمَاتَ بِمَا يُرْضِي الْإِلَٰهَ وَإِنْ خَالَفَتْ فَالنَّارُ
 فَأَجَارَهُ عُثْمَانُ :

هُمَا مَحَلَّانِ مَا لِلنَّاسِ غَيْرُهُمَا فَانظُرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ الدَّارِ تَخْتَارُ

فَأَجَازَهُ عَلِيٌّ بِقَوْلِهِ :

مَا لِلْعِبَادِ سِوَى الْفِرْدَوْسِ أَنْ يَعْمَلُوا وَإِنْ هَفُوا هَفْوَةً قَالَتْ غَفَارٌ
١٧٥ قَالَ أَعْرَابِيٌّ يُتَشَوَّقُ إِلَى بَلَدِهِ :

ذَكَرْتُ بِإِلَادِي فَأَسْتَهَلَّتْ مَدَامِعِي بِشَوْقِي إِلَى عَهْدِ الصَّبَا الْمُتَقَادِمِ
حَنَنْتُ إِلَى رُبْعٍ بِهِ أَخْضَرَ شَارِيِي وَقُطِعَ عَنِّي فِيهِ عَهْدُ التَّمَانِمِ
١٧٦ قَالَ ابْنُ عَلَاءٍ مُوَدَّعًا :

لَا وَدَعَنَّكَ ثُمَّ تَدَمَّعُ مُقَلَّتِي إِنَّ الدَّمُوعَ هِيَ الْوَدَاعُ الثَّانِي
فِي فَرْقَةٍ الْأَحْبَابِ شَغْلٌ شَاغِلٌ وَالْمَوْتُ صِدْقًا فَرْقَةٌ الْإِخْوَانِ
١٧٧ قَالَ شَمْسُ الْمَعَالِي قَابُوسٌ وَكَانَتْ أَعْمَابُهُ قَدْ خَرَجَتْ عَنْ طَاعَتِهِ :

قُلْ لِلَّذِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيْرَنَا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ
فَقِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
١٧٨ حَدَّثَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ

يَوْمًا فَدَخَلَ إِلَيْهِ ابْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ بْنِ الْفَضْلِ وَهُوَ طِفْلٌ
وَكَانَ يَرِقُّ عَلَيْهِ لِأَنَّ أَبَاهُ مَاتَ فِي حَيَاتِهِ . فَأَجْلَسَهُ فِي حُجْرِهِ وَصَمَّهُ إِلَيْهِ
وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ . فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ :

مَدَّ لَكَ اللَّهُ الْحَيَاةَ مَدًّا حَتَّى يَكُونَ أَبْنُكَ هَذَا جَدًّا
مُوزَّرًا بِعَجْدِهِ مُرْدَى ثُمَّ يُفَدَى مِنْهُ مَا تُفَدَى
أَشْبَهُ مِنْكَ سُنَّةً وَجِدًّا وَشَيْبًا مُرْضِيَةً وَمَجْدًا
كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى شَمَانِلًا تَحْمُودَةً وَقَدًّا

قَالَ : قَبَسَمَ الْفَضْلُ وَقَالَ : اَمْتَعِنِي اللَّهُ بِكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ . فَقَدْ عَوَّضْتُ
 مِنَ الْحُزْنِ سُرُورًا وَتَسَلَّيْتُ بِقَوْلِكَ . وَكَذَلِكَ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
 ١٧٩ أَخْبَرَ الصَّوَلِيُّ قَالَ : عَبَّ الْمَأْمُونُ عَلَيَّ إِتْحَاقَ فِي شَيْءٍ
 فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً وَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِهِ . فَفَتَحَهَا الْمَأْمُونُ فَإِذَا فِيهَا قَوْلُهُ :
 لِأَشْيَاءٍ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي سِوَى أَمَلِي لِحَسَنِ عَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِي وَعَنْ زَلَلِي
 فَإِنْ يَكُنْ ذَا وَذَا فِي الْقَدْرِ قَدْ عَظَمًا فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي وَمِنْ أَمَلِي
 فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ : يَا إِتْحَاقُ عَذْرُكَ أَعْلَى قَدْرًا مِنْ جُرْمِكَ . وَمَا جَالَ
 بِفِكْرِي وَلَا أَحْضَرْتَهُ بَعْدَ أَنْ تَضَائَهُ عَلَيَّ ذِكْرِي (الآغَانِي)

١٨٠ تَعَدَّرَ بَعْضُهُمْ لِلْحَرْبِ فَقَالَ :
 قَامَتْ تُتَجَبَّنِي هِنْدٌ فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ
 لَا وَالَّذِي مَنَّعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَتَهُ مَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ عِنْدِي مِنْ لَهُ آدَبُ
 لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَمْعَهُمْ إِذَا دَعَتَهُمْ إِلَى نِيرَانِهَا وَتَبَوَّأُوا
 وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَهْوَى فِعَالَهُمْ لَا الْقَتْلُ يُعْجِبُنِي مِنْهُمْ وَلَا السَّابُ
 ١٨١ قَالَ تَحْمُودُ الْوَرَّاقُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

أَيُّهَا الْقَارِسُ الْمَشِجُ الْمَغِيرُ إِنَّ قَلْبِي مِنَ السِّلَاحِ يَعْطِيرُ
 لَيْسَ لِي قُوَّةٌ عَلَيَّ رَهْجِ الْخَيْلِ إِذَا تَوَّرَ الْعُبَارَ مُشِيرُ
 وَأَسْتَدَارَتْ رَحَى الْحُرُوبِ بِقَوْمٍ فَتَيْلُ وَهَارِبٌ وَأَسِيرُ
 حَيْثُ لَا يَنْطِقُ الْجَبَانُ مِنَ الذُّعْرِ وَيَمْلَأُ الصِّيَاحُ وَالْتِكْمِيرُ
 أَنَا فِي مِثْلِ هَذَا وَهَذَا بَلِيدٌ وَلَيْبُ فِي غَيْرِهِ تَحْرِيدُ

١٨٢ مَثَلٌ دَعِيلٌ بَيْنَ يَدَيَّ بَعْضُ أَمْرَاءِ الرَّقَّةِ فَقَالَ أَضْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ:
 مَآذَا أَقُولُ إِذَا أَتَيْتُ مَعَاشِرِي صُفْرًا يَدَيَّ مِنْ عِنْدِ أَرْوَمِ مُجْزَلٍ
 إِنْ قُلْتُ أُعْطَانِي كَذَبْتُ وَإِنْ أَقُلْتُ ضَنَّ الْأَمِيرُ بِمَالِهِ لَمْ يَجْمُلِ
 وَلَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَى مِنْ أَنْ أَقُولَ فَعَلْتَ مَا لَمْ تَفْعَلِ
 فَأَخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ فَإِنِّي لَا بُدَّ مُخْبِرُهُمْ وَإِنْ لَمْ أَسْأَلِ
 قَالَ لَهُ . قَاتَلَكَ اللَّهُ : وَأَمْرُهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ . (لابن عبد ربه)

١٨٣ وَصَفَ بَعْضُ الشُّرَاءِ رَجُلًا يَحْمِي خَيْبًا:
 رَأَيْتُ مُنَافِقًا يَحْمِي خَيْبًا وَكُلٌّ مِنْهُمَا بِالظُّلْمِ يَسْعَى
 قَدْ اتَّفَقَا وَلَكِنْ فِي فَسَادٍ كَعُتْرَبِ رَاكِبٍ لِشَرِّ أَفْعَى

ابو عبادة البجلي عند المتوكل

١٨٤ حَدَّثَ أَبُو عِبَادَةَ الْجُبَيْرِيُّ الشَّاعِرُ وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ أَدْخَلَهُ فِي
 نُدْمَانِهِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ يَوْمًا فَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهِ دُرَّتَيْنِ مَا
 رَأَيْتُ أَشْرَفَ مِنْ نُورِهِمَا . وَلَا أَنْتَقِي بِيَاضًا وَلَا أَكْبَرَ . فَأَدَمْتُ النَّظَرَ
 إِلَيْهِمَا وَلَمْ أَصْرِفْ طَرْفِي عَنْهُمَا . وَرَأَيْتُ الْمُتَوَكِّلَ فَرَمَى إِلَيَّ الَّتِي كَانَتْ
 فِي يَدَيْهِ أَلْيَمَنِي . فَقَبِلْتُ الْأَرْضَ وَجَعَلْتُ أَفْكَرُ فِيمَا يُضْحِكُهُ طَمَعًا فِي
 الْأُخْرَى . فَعَنَّ لِي أَنْ قُلْتُ :

بِسْرٍ مَرًّا لَنَا إِمَامٌ تَعْرِفُ مِنْ كَفِّهِ الْجَارُ
 خَلِيفَةُ يُرْتَجَى وَيُخْشَى كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ
 الْمَلِكُ فِيهِ وَفِي بَيْتِهِ مَا اخْتَفَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

يَدَاهُ فِي الْجُودِ ضَرَّتَانِ هُذِي عَلَى هَذِهِ تَعَارُ
 وَلَيْسَ تَأْتِي أَلْيَمِينَ شَيْئًا إِلَّا أَنْتَ مِثْلَهُ أَلْيَسَارُ
 فَرَمَى بِالذَّرَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي يَسَارِهِ وَقَالَ : خُذْهَا يَا عَيَّارُ (للأزدي)
 ١٨٥ مَرَضَ ابْنُ عُنَيْنٍ فَكَتَبَ إِلَى السُّلْطَانِ هُذَيْنِ الْيَمِينِ :

أَنْظُرْ إِلَيَّ يَمِينِ مَوْلَى لَمْ يَزَلْ يُؤَلِّي النَّدَى وَتَلَّافَ قَبْلَ تَلَا فِي
 أَنَا كَأَلَّذِي أَحْتَاجُ مَا يَحْتَاجُهُ فَأَعْنَمِ دُعَائِي وَالتَّنَاءِ الْوَأَفِي
 فَحَضَرَ السُّلْطَانُ إِلَى عِيَادَتِهِ . وَأَتَى إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ
 الَّذِي . وَهَذِهِ الصَّلَةُ . وَأَنَا الْعَائِدُ (لِبِهَاءِ الدِّينِ)

١٨٦ كَانَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي مَجْلِسِ دَرْسِهِ إِذَا أَقْبَلَتْ
 حَمَامَةٌ خَلْفَهَا صَقْرٌ يُرِيدُ صَيْدَهَا . فَأَلَّتْ نَفْسَهَا فِي حُجْرِهِ كَأَنَّهَا تُسْتَجِيرَةٌ
 بِهِ فَأَشَدَّ شَرَفُ الدِّينِ بْنِ عُنَيْنٍ آيَاتًا فِي هَذَا الْمَثَلِ . مِنْهَا :

جَاءَتْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانَ حَمَامَةٌ وَأَوْتُ يَامِعُ مِنْ جَنَاحِي خَاطِفٍ
 مَنْ أَنْبَأَ الْوَرَقَاءَ أَنَّ مَحَاسِنَكُمْ حَرَمٌ وَأَنَّكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ
 (تَارِيخُ الذَّهَبِيِّ)

١٨٧ رَكِبَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ يَوْمًا بِبَغْدَادَ فِي حَرَّاتِهِ فَأَعْرَضَهُ مُقَدِّسُ
 ابْنُ صَيْفِي الْخَلَوَقِيُّ الشَّاعِرُ . وَقَدْ أذْنَيْتَ مِنَ الشُّطْرِ لِيَخْرُجَ . فَقَالَ :
 أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي آيَاتًا . فَقَالَ : قُلْ . فَأَنْشَأَ يَهُوْلُ :
 عَجِبْتُ لِحَرَّاتِهِ ابْنَ الْحُسَيْنِ لَأَعْرِقَتْ كَيْفَ لَا تَتَرَقُّ
 وَمَحْرَانٍ مِنْ فَوْقِهَا وَاحِدٌ وَآخِرٌ مِنْ تَحْتِهَا مُطْبِقُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَعْوَادُهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ
فَقَالَ طَاهِرٌ: أَعْطَوْهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ (لابن خلكان)

جرير والفرزدق والاخلطل في مجلس عبد الملك

١٨٨ اجتمع جرير والفرزدق والاخلطل في مجلس عبد الملك . فأحضر
بين يديه كيساً فيه خمس مائة دينار . وقال لهم : ليقل كل منكم
بيتاً في مدح نفسه فأبكم غاب فله الكيس . فبدر الفرزدق فقال :
أَنَا أَتَمَطَّرَانُ وَالشُّعْرَاءُ جَرَبِي وَفِي الْأَطْرَانِ لِلْجَرَبِيِّ شِفَاءُ
فَقَالَ الْأَخْطَلُ :

فَإِنْ تَكَ زَوْجٌ زَاوِلَةٌ فَإِنِّي أَنَا الطَّاعُونَ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ
قَالَ جَرِيرٌ :

أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي آتَى عَلَيْكُمْ فَأَيْسَ لِهَارِبٍ مِنِّي نَجَاءُ
فَقَالَ : خُذِ الْكَيْسَ فَلَعْمَرِي إِنَّ الْمَوْتَ يَأْتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
(طبقات الشعراء لابن سلام)

الركاض والرشيد

١٨٩ أُدْخِلَ الرَّكَاضُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ إِلَى الرَّشِيدِ لِيَتَعَبَّ مِنْ
فِطْنَتِهِ . فَقَالَ لَهُ : مَا تُحِبُّ أَنْ أَهْبَ لَكَ . قَالَ : جَمِيلَ رَأْيِكَ . فَإِنِّي
أَفُوزُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَأَمَرَ بِدَنَانِيرٍ وَدَرَاهِمٍ فَصَبَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ .
فَقَالَ لَهُ : اخْتَرِ الْأَحَبَّ إِلَيْكَ فَقَالَ : الْأَحَبُّ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .
وَهَذَا مِنْ هَذَيْنِ وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى الدَّنَانِيرِ . فَصَحَّحَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ

بِضْمِهِ إِلَى وُلْدِهِ وَالْإِجْرَاءَ عَلَيْهِ (لكمال الدين الحلبي)

١٩٠ كَتَبَ الْبُسْتِيُّ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقَلًا :

فَدَيْتُكَ يَا رُوحَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا
بِأَنْفَسِ مَا عِنْدِي مِنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ
حُبِسْتَ فَمِنْ بَعْدِ الْكُفُوفِ تَبَلُّجٌ
تُضِي بِهِ الْأَفَاقُ كَالْبَدْرِ وَالشَّمْسِ
فَلَا تَعْتَقِدْ لِلْحَبْسِ هَمًّا وَوَحْشَةً
قَبْلَكَ قَدَمًا كَانَ يُوسُفُ فِي الْحَبْسِ

١٩١ قَالَ ابْنُ عَرَبْشَاهُ يُغْرِي عَلَى طَابِ الْمَجْدِ :

لَا يُؤَيِّسُنَاكَ مِنْ مَجْدٍ تَبَاعَدُهُ
فَإِنَّ لِلْمَجْدِ تَذْرِيبًا وَتَرْتِيبًا
إِنَّ الْقِنَاءَةَ الَّتِي شَاهَدْتَ رَفَعَتَهَا
تَمُّو قَتَبْتُ أَنْبُوبًا فَأَنْبُوبًا
١٩٢ كَانَ ابْنُ أَبِي صَفْرِ طَعَنَ فِي السِّنِّ وَضَعَفَ عَنِ الْمَشِيِّ . فَصَارَ

يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَا فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

كُلُّ مَرَّةٍ إِذَا تَفَكَّرْتُ فِيهِ
وَتَأَمَّنْتَهُ رَأَيْتَ ظَرِيفًا
كُنْتُ أَمْشِي عَلَى اثْنَتَيْنِ قَوِيًّا
صِرْتُ أَمْشِي عَلَى ثَلَاثٍ ضَعِيفًا
١٩٣ زَلْتُ بِالْأَتَابِكِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ بِنَايَتِهِ فَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَثِيرِ :

إِنْ زَلَّتِ الْبَغْلَةُ مِنْ تَحْتِهِ
فَإِنَّ فِي زَلَّتِهَا عُدْرًا
حَمَلَهَا مِنْ عِلْمِهِ شَاهِدًا
وَمِنْ نَدَى رَاحَتِهِ بِحَرَا

١٩٤ قَالَ ابْنُ السَّرَّاجِ الْوَرَّاقُ يَتَيْبُ عَلَى نَفْسِهِ :

يَا فَجَلَّتِي وَصَحَائِفِي فَذُ سَوِدَتِ
وَصَحَائِفُ الْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقِ
وَمَوْبِخِ لِي فِي الْقِيَامَةِ قَائِلُ
أَكْذَا تَكُونُ صَحَائِفُ الْوَرَّاقِ
١٩٥ حَضَرَ ابْنُ الْحَجَّاجِ فِي دَعْوَةِ رَجُلٍ فَأَخَّرَ الطَّعَامَ إِلَى الْمَسَاءِ فَقَالَ :

يَا صَاحِبَ الْيَدِ الَّذِي ضَيَّفَانُهُ مَا تَوَا جَمِيعًا
 أَدَعَوْتَنَا حَتَّى نَمُوتَ بِدَائِنَا عَطْشًا وَجُوعًا
 مَا لِي أَرَى فَلَكَ الرَّغِيفَ لَدَيْكَ مُشْتَرَفًا رَفِيعًا
 كَالْبَدْرِ لَا تَرْجُو إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ لَهُ طُلُوعًا

١٩٦ قَالَ ابْنُ حَمْدِيرٍ يَتَشَوَّقُ إِلَى صِقْلِيَّةٍ وَهِيَ مَكَانٌ مَشَاهُ :

ذَكَرْتُ صِقْلِيَّةَ وَالْأَسَى يُجَدِّدُ لِلنَّفْسِ تَذَكُّرَهَا
 فَإِنْ كُنْتُ أُخْرِجْتُ مِنْ جَنَّةٍ فَأَنِي أُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا
 وَلَوْلَا مُلُوحَةُ مَاءِ الْبُكَاءِ حَسِبْتُ دُمُوعِي أَنْهَارَهَا

١٩٧ حُكِيَ أَنَّ جُمْهُورَ سُعْرَاءِ مِصْرَ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَأْتُوا الْوَالِيَّ
 كُلَّ سَنَةٍ فِي الْعِيدِ فَيَهْنُؤُهُ بِاللِّشَائِدِ وَيَنَالُونَ مِنْهُ الْجَوَائِزَ . فَيَنَامُ كَانُوا
 لَدَيْهِ ذَاتَ سَنَةٍ يُعِيدُونَهُ بِالْأَشْعَارِ حَدَّثَتْ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ أُرْتَجَّتْ
 مِنْهَا دِيَارُ مِصْرَ . فَأَتَتْ الْوَالِيَّ إِلَى الشُّعْرَاءِ وَقَالَ لَهُمْ : هَلْ مِنْكُمْ
 مَنْ يُطْرِفُنَا بِدِيهَا بَيْتٍ مَضْمُونُهُ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا حَاكِمَ الْفَضْلِ إِنَّ الْحَقَّ مُتَضَعٌ لَدَى الْكِرَامِ أَيَا ابْنَ السَّادَةِ الثُّجَبَا
 مَا زَلْزَلَتْ مِصْرَ مِنْ كَيْدِ أَلْمِ بِهَا لَكِنَّا رَقَصَتْ مِنْ عَدْلِكُمْ طَرَبَا
 الْأَعْمَى وَالْأَعُورَ

١٩٨ سَمِعْتُ أَعْمَى مَرَّةً قَائِلًا يَا قَوْمُ مَا أَصْعَبَ قَهْدَ الْبَصَرِ
 أَجَابَهُ أَعُورٌ مِنْ خَلْفِهِ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ نِصْفُ الْخَبَرِ

١٩٩ قَالَ ابْنُ الدَّهَّانِ فِي غُلَامٍ لَسَبَتْهُ نَحْلَةٌ فِي شَفْتِهِ :

بِأبي مَنْ لَسَبْتَهُ نَحْلَةً أَلْتِ أَكْرَمَ شَيْءٍ وَأَجَلَ
حَسِبْتُ أَنَّ بِنْفِيهِ بَيْتَهَا إِذْ رَأَتْ رِيْقَتَهُ مِثْلَ الْعَسَلِ
٢٠٠ أَنْشَدَ صُرْدُرُ الشَّاعِرِ ابْنُ جَهْرٍ لَمَّا عَادَ إِلَى الْوِزَارَةِ بَعْدَ الْعَزْلِ :

قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نَصَابِيهِ وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ الْوَرَى أَوْلَى بِهِ
مَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ سَلْتُهُ يَدُ ثُمَّ أَعَادْتَهُ إِلَى قِرَابِهِ
هَزَّتُهُ حَتَّى أَبْصَرْتَهُ صَارِمًا رَوْنَفُهُ يُغْنِيهِ عَنِ ضِرَابِهِ
٢٠١ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ الرَّازِيُّ اللَّغْوِيُّ يَصِفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ :

وَقَالُوا كَيْفَ حَالُكَ قُلْتَ خَيْرٌ تُقْضَى حَاجَةٌ وَتَقُوتُ حَاجُ
إِذَا أزدَحمتْ هُمُومُ الصَّدْرِ قُلْنَا عَسَى يَوْمًا يَكُونُ لَهَا أَنْفِرَاجُ
نَدِيْمِي هِرَّتِي وَأَنْبِسُ نَفْسِي دَقَاتِرُ لِي وَمَعَشُوقِي السَّرَاجُ

٢٠٢ أَرْسَلَ الْبَدِيعُ الْأَسْطُرُ لَآبِي هُدِيَّةً لِبَعْضِ الْأَمْرَاءِ فَأَنْشَدَ :

أَهْدِي لِعَجَلِيهِ الْكَرِيمِ وَأَنَا أَهْدِي لَهُ مَا خَزَتْ مِنْ نَعْمَانِهِ
كَالْبَحْرِ يَمْطُرُهُ السَّحَابُ وَمَالَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ

٢٠٣ كَانَ الْحَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يَقَطَعُ الْعُرُوضَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَوَلَدَهُ فِي

تِلْكَ الْحَالَةَ فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ : إِنَّ أَبِي قَدْ جُنَّ . فَدَخَلَ النَّاسُ

عَلَيْهِ وَهُوَ يَقَطَعُ الْعُرُوضَ . فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ ابْنُهُ . فَمَالَ لَهُ :

لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذْرَتِي أَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا تَقُولُ عَذْرَتُكَ
أَكُنْ جِهَاتَ مَقَالَتِي فَعَذْرَتِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذْرَتُكَ

(نزهة الالباء في طبقات الادباء لابي بركات الانباري)

اولاد تزار عند الامي

٢٠٤ شَخْصٌ مُضَرٌّ وَرَبِيعَةٌ وَإِيَادٌ وَأَنْمَارٌ أَوْلَادُ زِرَارٍ إِلَى أَرْضِ نَجْرَانَ .
فَإِنَّمَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ رَأَى مُضَرٌّ كَلًّا قَدْرُعِي فَقَالَ : أَلْبَعِيرُ الَّذِي رَعَى
هَذَا أَعُورٌ . فَقَالَ رَبِيعَةٌ : وَهُوَ أَزُورٌ . قَالَ إِيَادٌ : وَهُوَ أَتْرُ . وَقَالَ أَنْمَارٌ :
وَهُوَ شَرُودٌ . فَلَمْ يَسِيرُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى لَقِيَهُمْ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ فَسَأَلَهُمْ
عَنِ الْبَعِيرِ . فَقَالَ مُضَرٌّ : أَهْوَأُ أَعُورٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ رَبِيعَةٌ : أَهْوَأُ أَزُورٌ .
قَالَ : نَعَمْ . قَالَ إِيَادٌ : أَهْوَأُ أَتْرُ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ أَنْمَارٌ : أَهْوَأُ شَرُودٌ .
قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : هَذِهِ وَاللَّهِ صِفَاتُ بَعِيرِي دُلُونِي عَلَيْهِ . فَحَلَفُوا أَنَّهُمْ مَا
رَأَوْهُ . فَلَزِمَهُمْ وَقَالَ : كَيْفَ أَصَدَقْتُمْ وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ بَعِيرِي بِصِفَتِهِ .
فَدَارُوا حَتَّى فَرَبُوا نَجْرَانَ فَنَزَلُوا بِالْأَفْعَى الْجُرْهَمِيِّ . فَتَادَى صَاحِبُ
الْبَعِيرِ : هُوَ لَاءُ الْقَوْمِ وَصَفُوا لِي بَعِيرًا بِصِفَتِهِ ثُمَّ أَنْكَرُوهُ . فَقَالَ
الْجُرْهَمِيُّ : كَيْفَ وَعَقَّبْتُوهُ وَلَمْ تَرَوْهُ . فَقَالَ مُضَرٌّ : رَأَيْتُهُ يَدْعَى جَانِبًا
وَيَدْعُ جَانِبًا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَعُورٌ . وَقَالَ رَبِيعَةٌ : رَأَيْتُ إِحْدَى يَدَيْهِ
ثَابِتَةً الْأَثَرِ وَالْأُخْرَى فَاسِدَةً الْأَثَرِ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَفْسَدَهَا بِشِدَّةِ
وَحْمَتِهِ لِأَزُورِيهِ . وَقَالَ إِيَادٌ : عَرَفْتُ بَثْرَهُ بِإِجْمَاعِ بَعْرِهِ وَلَوْ كَانَ
ذِيًّا لَتَفَرَّقَ . وَقَالَ أَنْمَارٌ : إِنَّمَا عَرَفْتُ أَنَّهُ شَرُودٌ لِكَوْنِ أَنَّهُ كَانَ
يَدْعَى فِي الْمَكَانِ الْمَلْتَفِ نَبْتُهُ ثُمَّ يَجُوزُ إِلَى مَكَانٍ أَرَقَّ مِنْهُ وَأَخْبَثَ .
فَقَالَ الْأَفْعَى : لَيْسُوا بِأَصْحَابِ بَعِيرِكَ . ثُمَّ سَأَلَهُمْ مَنْ هُمْ فَأَخْبَرُوهُ .
فَرَحَّبَ وَأَضَاهُمْ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِمْ (ثمرات الاوراق للحموي)

الْبَابُ الْعَاشِرُ فِي الْمَدِيحِ

٢٠٥ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى دَاوُدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي مَدَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ . قَالَ : عَلَى رِسْلِكَ . ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ وَخَرَجَ فَقَالَ : قُلْ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَكْمَنَاكَ وَإِنْ أَسَأْتَ قَتَلْنَاكَ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَمِنْتُ بِدَاوُدَ وَجُودِ عَيْنِيهِ مِنْ أَلْحَدَثِ الْخَشْيِ وَالْيَأْسِ وَالْفَقْرِ
فَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى بِدَاوُدَ نَبْوَةً مِنْ أَلْحَدَثَانِ إِذْ شَدَدْتُ بِهِ أَزْرِي
لَهُ حُكْمُ لُقْمَانَ وَعُورَةُ يُوسُفَ وَحُكْمُ سُلَيْمَانَ وَعَدْلُ أَبِي بَكْرٍ
فَتَى تَفَرَّقَ الْأَمْوَالُ مِنْ جُودِ كَفِّهِ كَمَا يَفْرَقُ الشَّيْطَانُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ
فَقَالَ لَهُ : قَدْ حَكَّمْنَاكَ فَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِكَ وَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِي .
فَقَالَ : عَلَى قَدْرِي . فَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفًا . فَقَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ : هَلَّا ائْتَكَمْتَ
عَلَى قَدْرِ الْأَمِيرِ . قَالَ : لَمْ يَكْ فِي مَالِهِ مَا يَفِي بِقَدْرِهِ . قَالَ لَهُ دَاوُدُ :
أَنْتَ فِي هَذِهِ أَشْرُ مِنْكَ فِي شِرْكٍ وَأَمْرٍ لَهْ بِمِثْلِ مَا أَعْطَاهُ

٢٠٦ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ الْقَائِدِ فَأَنْشَدْتُهُ :

اللَّهُ جَرَدٌ لِلنَّدَى وَالْبَاسِ سَيْفًا فَقَلَدَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ
مَلِكٌ إِذَا اسْتَقْبَلْتَ غُرَّةَ وَجْهِهِ قَبْضَ الرَّجَاءِ إِلَيْكَ رُوحَ الْيَاسِ
وَبِهِ عَلَيْكَ مِنَ الْحَيَاةِ سَكِينَةٌ وَمَحَبَّةٌ تَجْرِي مِنَ الْأَنْفَاسِ
وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ يَوْمًا عَبْدَهُ أَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً لِلنَّاسِ

ثُمَّ سَأَلْتُهُ حَاجَةً فِيهَا بَعْضُ الْعَلَظِ . فَتَلَاكَ عَلِيٌّ . فَوَقَّعْتُ فِي سِحَابَةٍ :
 مَا ضَرَّ عِنْدَكَ حَاجَتِي مَا هَزَّهَا عُدْرًا إِذَا أُعْطِيتَ نَفْسَكَ قَدْرَهَا
 أَنْظِرْ إِلَى عَرْضِ أَلْبِ أَدِ وَطُولِهَا أَوْلَسْتَ أَكْرَمَ أَهْلِهَا وَأَبْرَهَا
 حَاشَى لِحُودِكَ أَنْ يُوعَرَ حَاجَتِي ثِقْتِي بِجُودِكَ سَهَّلْتَ لِي وَعَرَهَا
 لَا يَجْتَنِي حُلُوَ الْحَامِدِ مَا جِدَّ حَتَّى يَذُوقَ مِنَ الْمَطَالِبِ مُرَهَا
 فَقَضَى الْحَاجَةَ وَوَارَعَ إِلَيْهَا (لابن عبد ربه)

٢٠٧ وَصَفَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ بَنِي مَطَرٍ فَقَالَ :

بُنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْفَقَاءِ كَأَنَّهمُ أُسُودٌ لَهَا فِي غَيْلِ خَفَانٍ أَشْبَلُ
 هُمُ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا لَجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَائِكَيْنِ مَنَزَلُ
 هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَاوُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا
 وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّاتِبَاتِ وَأَجْلُوا

٢٠٨ حَدَّثَ مُحَمَّدُ الرَّائِيَةُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَعِنْدَهُ الْفَضْلُ

أَبْنُ الرَّيِّعِ وَزَيْدُ بْنُ مَزِيدٍ . وَبَيْنَ يَدَيْهِ خِوَانٌ لَطِيفٌ عَلَيْهِ جِرْمَانُ
 وَرَغِيفَانٌ سَمِيدٌ أَوْ دَجَاجَتَانِ . فَقَالَ لِي : أَنْشِدْنِي . فَأَنْشَدْتُهُ قَصِيدَةَ
 النَّمْرِيِّ الْعَيْنِيَّةَ فَلَمَّا بَلَغْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

إِنَّ الْمَكْرِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ يَتَسَعُ
 إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ يَرْفَعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ مُتَضِعُ
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالَ مُعَلِّمُهُ يَوْمَ الْوَعَى وَالْمَنَائِيَا صَابَهَا فَرَعُ
 قَالَ فَرَمَى بِالْحِوَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَصَاحَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ أَطِيبُ

مِنْ كُلِّ طَعَامٍ وَكُلِّ شَيْءٍ . وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِسَبْعَةِ آلَافِ دِينَارٍ
 ٢٠٩ حَكِي الْمَنْصُورُ النَّعْرِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا وَلَمْ أَكُنْ
 أَعْدَدْتُ لَهُ مَدْحًا . فَوَجَدْتُهُ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ فَرَمْتُ شَيْئًا فَمَا جَاءَنِي .
 وَنَظَرَ إِلَيَّ سَدِّطَقًا فَنُتَّ:

إِذَا أَعْتَصَمَ الْمَدِيحُ عَلَيْكَ فَاْمَدَحْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجِدُ مَقَالًا
 وَعُذَّ بِفَنَائِهِ وَأَجْنَحْ إِلَيْهِ تَمَلُّ عُرْقًا وَلَمْ تَذَلِّ سُوَالًا
 فِنَاءٌ لَا تَرَالُ بِهِ رِكَابٌ وَضَعْنَ مَدَائِحًا وَحَمَلْنَ مَالًا
 فَقَالَ : لِلَّهِ دَرُكٌ لَنْ قَصَّرْتَ الْقَوْلَ لَتَدَّ أَطَلَتِ الْمَعْنَى . وَأَمْرِي بِصِلَةِ سَنِيَّةِ
 ٢١٠ لَمَّا تَوَلَّى ابْنُ زِيَادٍ أَعْمَالَ الْأَهْوَازِ فَقَصَدَهُ عُجْرُذُ إِلَيْهَا وَقَالَ فِيهِ :

يَجِي أَمْرُؤُ زَيْنَةَ رَبُّهُ يَفْعَلُهُ الْأَقْدَمُ وَالْأَحْدَثِ
 إِنْ قَالَ لَمْ يَكْذِبْ وَإِنْ وَدَّ لَمْ يَقْطَعْ وَإِنْ عَاهَدَ لَمْ يَنْكُثِ
 أَصْبَحَ فِي أَخْلَاقِهِ كُلِّهَا مُوَكَّلًا بِالْأَسْهَلِ الْأَدْمَثِ
 طَبِيعَةٌ مِنْهُ عَلَيْهَا جَرَى فِي خُلُقٍ لَيْسَ بِسْتَحْدَثِ
 وَرَثَةُ ذَلِكَ أَبُوهُ فَيَا طَيْبَ ثَنَاءِ الْوَارِثِ الْمُورِثِ
 فَوَصَلَهُ يَجِي بِصِلَةِ سَنِيَّةٍ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ مُدَّةً ثُمَّ أَنْصَرَفَ
 ٢١١ - إِمْتَدَحَ رَبِيعَةُ الرَّقِيُّ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِقَصِيدَةٍ لَمْ يُسَبِّحْ إِلَيْهَا
 حُسْنًا وَهِيَ طَوِيلَةٌ يَقُولُ فِيهَا :

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ قُلْ لَا وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ مَا قَالَهَا
 مَا إِنْ أَعْدُ مِنْ الْمَكَارِمِ خَصْلَةً إِلَّا وَجَدْتُكَ عَمَّهَا أَوْ خَالَهَا

وَإِذَا الْمُلُوكُ تَسَاءَلُوا فِي بَلَدَةٍ كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكُنْتَ هَالِمًا
 إِنَّ الْمَكَارِمَ لَمْ تَرَلْ مَعْقَلَةً حَتَّى حَلَّتْ بِرَاحَتِكَ عِقَالَهَا

٢١٢ أَنشَدَ أَبُو إِسْحَاقَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى الْبَرْمَكِيُّ :

عِنْدَ الْمُلُوكِ مَضْرَةٌ وَمَنَافِعُ وَأَرَى الْبَرَامِكَ لَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ
 إِنَّ الْعُرُوقَ إِذَا اسْتَسْرَبَهَا النَّزَى أَشِيرَ النَّبَاتُ بِهَا وَطَابَ الْمُزْرَعُ
 فَإِذَا نَكَرْتَ مِنْ أَمْرِيءِ أَعْرَافِهِ وَقَدِيمُهُ فَأَنْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ
 قَالَ تَأَعَّجِبُهُ الشَّمْرُ فَقَالَ : يَا أَبَا نَحْدٍ كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ هَذَا الْقَوْلَ إِلَّا السَّاعَةَ .
 وَمَالَهُ عِنْدِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أَكُنْتُ عَلَيْهِ . فَقُلْتُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ أَصْلَحَكَ
 اللَّهُ وَقَدْ وَهَبْتَ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَقَالَ : لَا مَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ
 دِينَارٍ بِمَكَائِدِهِ لَهُ فَكَيْفَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (الآغا نِي)

قَالَ أَبُو الشَّيْخِ الْخَزَاعِيُّ يُمْدَحُ بَعْضَ الْأَمْرَاءِ :

تَكَلَّمْتُ فِيكَ أَوْصَافٌ خُصِّصْتُ بِهَا فَكُنَّا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُعْتَبِرٌ
 أَلْسِنٌ ضَاحِكَةٌ وَالْكَفُّ مَانِحَةٌ وَالنَّفْسُ وَاسِعَةٌ وَأَوَجُهُ مُنْبَسِطٌ
 ٢١٣ قَالَ الْقَسَمُ بْنُ عُبَيْدٍ : لِفَضْلِ بْنِ سَهْلِ يَدٌ تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ .
 فَظَاهَرُهَا لِلْعَبَلِ . وَبَسَطَتْهَا لِلْغَنَى . وَسَطَوَتْهَا لِلْأَجَلِ . أَخَذَهُ ابْنُ
 الرَّوْمِيِّ فَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدِينِيِّ :

أَصْبَحْتَ بَيْنَ ضِرَاعَةٍ وَتَحْمَلٍ وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا
 فَأَمَدُّ إِلَى يَدَا تَعَوٍّ بَطْنُهَا بَذَا النِّوَالِ وَظَهَرُهَا النَّخِيلَا

٢١٤ قَالَ ابْنُ الْمُؤَلَّى لِيَزِيدَ بْنِ قُبَيْصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ :

وَإِذَا تَبَاعُ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرَى فِسْوَاكَ بَابِعْمَا وَأَنْتَ الْمُشْتَرَى
وَإِذَا تَوَعَّرَتِ الْمَسَالِكُ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا السَّبِيلُ إِلَى نَدَاكَ بِأَوْعَرِ
وَإِذَا صَنَعْتَ صَنِيعَةً أَتَمَّمْتَهَا بِيَدَيْنِ لَيْسَ نَدَاهُمَا بِمُكَدَّرِ
يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي مَا إِنْ لَهُمْ مِنْ مَذْهَبٍ عَنْهُ وَلَا مِنْ مَقْصِرِ
٢١٥ قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَّانِي حَيَاؤُكَ إِنْ شِئْتِكَ الْحَيَاءُ
وَعَلْمُكَ بِالْحُقُوقِ وَأَنْتَ فَرَعٌ لَكَ الْحَسَبُ الْمُهَذَّبُ وَالسَّنَاءُ
خَلِيلٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرَمَةٍ بَنَتْهَا بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمُرُّ يَوْمًا كَفَّاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّنَاءُ
تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرَمَةً وَمَجْدًا إِذَا مَا الْكَلْبُ أَجْرَهُ الشِّتَاءُ
٢١٦ قَالَ آخِرُ يَمْدَحِ آلِ الْمُهَلَّبِ :

آلُ الْمُهَلَّبِ قَوْمٌ خَوْلُوا شَرْقًا مَا نَالَهُ عَرَبِيٌّ لَا وَلَا كَادًا
لَوْ قِيلَ لِلْمَجْدِ جِدٌّ عَنْهُمْ وَخَلِيمٌ بِمَا أَحْتَكَمْتَ مِنَ الدُّنْيَا لَمَّا حَادَا
إِنَّ الْمَكْرَمِ أَرْوَاحٌ يَكُونُ لَهَا آلُ الْمُهَلَّبِ دُونَ النَّاسِ أَجْسَادًا
٢١٧ قَالَتْ أَمْرَأَةٌ مِنْ إِيَادِ :

الْخَيْلُ تَعْلَمُ يَوْمَ الرُّوعِ إِنْ هُزِمَتْ أَنْ ابْنَ عَمْرٍو لَدَى الْهَيْجَاءِ يَجْمَعُهَا
لَمْ يُبْدِ فَحْشًا وَلَمْ يَهْدَدْ لِعُظْمَةٍ وَكُلُّ مَكْرَمَةٍ يَأْتِي يُسَامِيهَا
الْمُسْتَشَارُ لِأَمْرِ الْقَوْمِ يَحْزَنُهُمْ إِذَا الْهَنَاتُ أَهَمَّ الْقَوْمَ مَا فِيهَا

لَا يَرْهَبُ الْجَارُ مِنْهُ غَدْرَةَ أَبَدًا وَإِنْ أَلَمَّتْ أُمُورٌ فَهَوَّ كَافِيهَا

٢١٨ • قَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ يَمْدَحُ بَعْضَهُمْ :

كُنُّ الْجِلَالِ الَّتِي فِيكُمْ مَحَايِنُكُمْ تَشَابَهَتْ مِنْكُمْ الْأَخْلَاقُ وَالْخَلْقُ
كَمَا أَنْكُمْ شَجَرُ الْأَرْجِ طَابَ مَعَا حَمَلًا وَنَشْرًا وَطَابَ الْعُودُ وَالْوَرَقُ

٢١٩ • قَالَ شَاعِرٌ يَمْدَحُ قَوْمًا بِالْكَرَمِ :

نَصَبُوا بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ يَتَسَابِقُونَ عَلَى قَرَى الضِّيْفَانِ
وَيَكَادُ مَوْقِدُهُمْ يُجُودُ بِنَفْسِهِ حُبَّ الْقَرَى حَطْبًا عَلَى التَّيْرَانِ

٢٢٠ غَنَى يَوْمًا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّيُّ الْأَمِينُ :

تَعَشَّ عُمَرُ نُوحٍ فِي سُورٍ وَعِبْطَةٍ وَفِي خَنْضِ عَيْشٍ لَيْسَ فِي طُولِهِ إِثْمٌ
تُسَاعِدُكَ الْأَقْدَارُ فِيهِ وَتَتَنِي إِلَيْكَ وَتَرَعَى فَضْلَكَ الْعَرَبُ وَالْعَجْمُ

٢٢١ وَمِنْ جَمِيلٍ مَا جَاءَ فِي بَابِ الْمَدِيحِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

يَا دَهْرُ بَعِ رُتَبَ الْمَعَالِي بَعْدَهُ بَيْعَ السَّمَاحِ رَبِحْتَ أَمْ لَمْ تَرْبِحْ
قَدِمَ وَأَخَّرَ مَنْ تُرِيدُ فَإِنَّهُ مَاتَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ مِنْهُ تُسْتَعْبَى

٢٢٢ وَقَوْلِ آخَرَ :

كَرِيمٌ يَغْضُ الطَّرْفَ فَضْلُ حَيَاتِهِ وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِ
وَكَالسِّيفِ إِنْ لَا يَنْتَهُ لَانَ مَسَهُ وَحَدَاهُ إِنْ خَاشَتَهُ خَشِنَانِ

٢٢٣ مَدَحَ بَعْضُهُمْ أَمِيرًا فَقَالَ :

عَلِمَ اللَّهُ كَيْفَ، أَنْتَ فَأَعْطَا لَكَ الْمَحَلَّ الْجَلِيلَ مِنْ سُلْطَانِهِ

٢٢٤ قَالَ آخَرَ :

مَنْ قَاسَ جَدْوَاكَ بِالنَّمَامِ فَمَا أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكْلَيْنِ
أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ الْعَيْنِ
٢٢٥ قَالَ غَيْرُهُ :

مَانَوَالُ النَّمَامِ وَقْتَ رَبِيعِ كَنَوَالِ الأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ
فَنَوَالِ الأَمِيرِ بَدْرَةَ مَالٍ وَنَوَالِ النَّمَامِ قَطْرَةَ مَاءِ

٢٢٦ قَالَ زَيْدُ المَهَلَّبِيِّ فِي المُنْتَصِرِ بَعْدَ أَنْ وُلِّيَ الخِلَافَةَ :

لِيَهْنِكَ مُلْكٌ بِالسَّعَادَةِ طَائِرَةٌ مَوَارِدُهُ مَحْمُودَةٌ وَمَصَادِرُهُ
فَأَنْتَ الَّذِي كُنَّا نَرْجِي فَلَمْ نُنْجِبْ كَمَا يَرْجِي مِنْ وَاقِعِ النِّبْتِ بَاكِرَةٌ
بِمُنْتَصِرِ بِاللهِ نَمَّتْ أُمُورُنَا وَمَنْ يَنْتَصِرَ بِاللهِ قَالَهُ نَاصِرُهُ

٢٢٧ دَخَلَ النَّايِبَةُ عَلَى النُّعْمَانِ بْنِ المُنْدَرِ فَحَيَّاهُ حَيَّةَ المُلُوكِ ثُمَّ قَالَ :

أَيْفَ أَخْرَكَ ذُوقَانِسَ وَأَنْتَ سَائِسُ العَرَبِ . وَعُرَّةُ الحَسْبِ . وَاللَّاتِ
لَأَمْسِكَ أَيْمُنٌ مِنْ يَوْمِهِ . وَلَعَبْدُكَ أَكْرَمٌ مِنْ قَوْمِهِ . وَلَقَفَاكَ أَحْسَنُ مِنْ
وَجْهِهِ . وَلَيْسَارَكَ أَجُودٌ مِنْ يَمِينِهِ . وَلَظَنُّكَ أَصْدَقُ مِنْ يَمِينِهِ . وَلَوَعْدُكَ
أَبْلَجُ مِنْ رِفْدِهِ . وَخَالُكَ أَشْرَفُ مِنْ جَدِّهِ . وَلِنَفْسِكَ أَمْنٌ مِنْ
جُنْدِهِ . وَلِيَوْمِكَ أَزْهَرُ مِنْ زَهْرِهِ . وَلَتَفْرَكُ أَبْسَطُ مِنْ شِبْرِهِ . وَأَنْشُدَ :

أَخْلَاقُ مَجْدِكَ جَلَّتْ مَا لَهَا خَطَرٌ فِي البَاسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الحِلْمِ وَالخَفْرِ
مُسَوِّجٌ بِالمَعَالِي فَوْقَ مَفْرِقِهِ وَفِي الوَعْيِ ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ القَمْرِ
إِذَا دَجَا الخُطْبُ جَلَّاهُ بِصَارِمِهِ كَمَا يُجَلِّي زَمَانَ المَحَلِّ بِالمَطْرِ

فَتَهَلَّلَ وَجْهَ النُّعْمَانِ سُرُورًا . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يَمْلَأُوهُ دُرًّا وَيَكْسِي

أَثَابَ الرِّضَا (وَهِيَ جِبَابٌ أَطْوَقُهَا الذَّهَبُ فِي قُضْبِ الزُّمُرِدِ). ثُمَّ
 قَالَ: هَكَذَا فُلْتَمَدَحَ الْمُلُوكِ (أَلِفُ بَاءِ لَابِي الْحَجَّاجِ الْبَلُوي)
 ٢٢٨ دَخَلَ ابْنُ الْحَيَّاطِ الْمَسْكِيَّ عَلَى الْمُهْدِيِّ وَأَمْتَدَحَهُ فَأَمَرَ لَهُ
 بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي تَقْضِيلِ يَدِهِ فَأَذِنَ فَقَبَّلَهَا
 وَخَرَجَ. فَمَا أَتَتْهُ إِلَى الْبَابِ حَتَّى فَرَّقَ الْمَالَ بِأَسْرِهِ. فَعُوتِبَ عَلَى
 ذَلِكَ فَأَعْتَذَرَ وَأَنْشَدَ يَقُولُ:

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَتْبَغِي الْغِنَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
 فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُو الْغِنَى أَفِدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَنْقَلْتُ مَا عِنْدِي
 فَعَجِبَ بِمَا الْمُهْدِيُّ وَعَنِّي بِمَا وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ
 ٢٢٩ دَخَلَ أَعْرَابِي عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ فَقَالَ:

أَخَالِدُ إِنِّي لَمْ أَزُرْكَ لِحَاجَةٍ سِوَى أَتْبَغِي عَافٍ وَأَنْتَ جَوَادُ
 أَخَالِدُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ حَاجَتِي فَأَيُّمَا تَأْتِي فَأَنْتَ عِمَادُ
 فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: سَلْ حَاجَتَكَ. قَالَ: يَا أَلْفَ دِرْهَمٍ. قَالَ خَالِدٌ:
 أَسْرَفْتَ فَأَحْطَطْنَا مِنْهَا. قَالَ: حَطَطْتُكَ أَلْفًا. فَقَالَ خَالِدٌ: مَا أَعْجَبَ
 مَا سَأَلْتَ وَمَا حَطَطْتَ. فَقَالَ: لَا يَعْجَبُ الْأَمِيرُ. سَأَلْتُهُ عَلَى قَدْرِهِ
 وَحَطَطْتُهُ عَلَى قَدْرِي. فَصَحَّحَكَ مِنْهُ وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ

٢٣٠ حَبَسَ الْحَجَّاجُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ لِبَاقِ عَلَيْهِ كَانَ بِمُخْرَاسَانَ. وَأَقْسَمَ
 لَيْسَتْ أَدْبَتُهُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَبَيْنَمَا هُوَ قَدْ جَبَّاهَا لَهُ ذَاتَ
 يَوْمٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْأَخْطَلُ فَأَنْشَدَهُ:

أَبَا خَالِدٍ صَافَتْ خُرَاسَانَ بَعْدَكُمْ وَقَالَ ذَوُّو الْحَاجَاتِ أَيْنَ يَدُ
 وَمَا قَطَرَتْ بِالشَّرْقِ بَعْدَكَ قَطْرَةٌ وَلَا أَخْضَرَ بِالْمَرْثِيِّ بَعْدَكَ عُودُ
 وَمَا لِسْرِيدٍ بَعْدَ بَعْدِكَ بَهْجَةٌ وَمَا لِحَوَادِ بَعْدَ جُودِكَ جُودُ
 فَقَالَ: يَا غَلَامُ أَعْطِهِ الْمِائَةَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَإِنَّا نَصْبِرُ عَلَى عَذَابِ الْحَجَّاجِ وَلَا
 نُحِبُّ الْأَخْطَلَ. فَلَبَّغْتَ الْحَجَّاجَ فَقَالَ: اللَّهُ دَرُّ زَيْدٍ لَوْ كَانَ تَارِكًا
 لِلسُّخَاءِ يَوْمًا أَتَرَكَهُ الْيَوْمَ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْمَوْتَ (للإيني)

٢٣١ وَمِنْ رَقِيقِ شِعْرِ ابْنِ الْعَبَّاسِ الصَّوْبِيِّ قَوْلُهُ فِي الْمَدِيحِ وَالشُّكْرِ:
 فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاطِرُ
 لَمَثَلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ فَتَعْلَمَ أَيُّ أَمْرُؤٍ شَاكِرٌ

٢٣٢ كَتَبَ بَدِيعُ الزَّمَانِ لِأَحَدِ الْحَمَامَاءِ:
 يَا سَيِّدَ الْأَمْرَاءِ فَخْرًا فَمَا مَلَكَ إِلَّا تَمَنَّاكَ مَوْلَى وَأَشْتَمَاكَ أَبَا
 وَكَادَ يَجْحَكُكَ صَوْبُ الْعَيْشِ مُنْسَكِبًا لَوْ كَانَ طَاقَ الْعُجْيَا يَمْطُرُ الذَّهَبَا
 وَالذَّهْرُ لَوْ لَمْ يَجْنُ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَاللَّيْلُ لَوْ لَمْ يَصُلْ وَالْبَجْرُ لَوْ تَدَبَا
 ٢٣٣ وَاللُّجُتْرِيُّ فِي الْمَدِيحِ:

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْعَبَّاسِ عَنْ صَغِيرٍ فِي السِّنِّ وَأَنْظُرِي إِلَى الْمَجْدِيِّ الَّذِي شَادَا
 إِنَّ النُّجُومَ نُجُومَ الْجُودِ أَحْقَرُهَا فِي الْعَيْنِ أَكْثَرُهَا فِي الْجُودِ إِضَاعَادَا
 ٢٣٤ قَالَ أَبُو نُؤَاسٍ يَمْدَحُ بَنِي حَمْدَانَ:

لَيْزِ خُلِقَ الْأَنَامُ لِحَبِّ كَاسٍ وَمَزْمَارٍ وَطَنْبُورٍ وَعُودٍ
 فَلَمْ يُخْلَقِ بَنُو حَمْدَانَ إِلَّا لِبَاسٍ أَوْ لِعَجْدِيٍّ أَوْ لِحُودٍ

أَلْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ
فِي الْفَخْرِ وَالْحِمَاسَةِ وَالنَّجْوَى

٢٣٥ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ مِنْ أَشْعَرِ قُرَيْشٍ وَهُوَ الْقَائِلُ عَنْ قَبِيلَتِهِ مُفْتَخِرًا:
لَقَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ غَيْرُ فَخْرٍ يَا نَا نَحْنُ أَجْوَدُهُمْ حِصَانَا
وَأَكْثَرُهُمْ دُرُوعًا سَابِقَاتٍ وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانَا
وَأَدْفَعُهُمْ عَنِ الضَّرَاءِ عَنْهُمْ وَأَبِينَهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانَا
٢٣٦ قَالَ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْقَاسِمِ:

أَنَا مِنْ قَوْمٍ إِذَا مَا غَضِبُوا أَطَعُوا الْأَرْمَاحَ حَبَاتِ الْقُلُوبِ
وَهُمْ فِي السَّلَامِ كَالْمَاءِ صَفَا لِصَدِيقٍ وَحَمِيمٍ وَقَرِيبٍ
فِيهِمْ فَخْرِي وَفِيهِمْ قُدُوتِي وَبِهِمْ نَاتٌ مِنَ الْعَلِيَّا نَصِيبِ
وَبِفَضْلِ اللَّهِ رَبِّي لَمْ أَزَلْ فِي مَرَاقِي الْعِزِّ وَالْعَيْشِ الرَّطِيبِ
لَيْسَ لِي إِلَّا الْمُعَالِي أَرَبٌ فَعَلَى كَاهِلِهَا صَارَ الرُّكُوبُ
إِنْ دَعَا دَاعٍ إِلَى غَيْرِ الْعَالَا لَا تَرَانِي لِدُعَاؤِهِ مِنْ حُجِيبِ
٢٣٧ مَرَّ ابْنُ بَشِيرٍ بِأَبِي عُثْمَانَ الْمَازِنِيِّ فَجَلَسَ إِلَيْهِ سَاعَةً. فَرَأَى مَنْ
فِي مَجْلِسِهِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ نَعْلِ كَانَتْ فِي رِجْلِهِ خَلْقَةً فَأَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ:

كَمْ أَرَى ذَا تَعَجَّبٍ مِنْ نِعَالِي وَرِضَائِي مِنْهَا يَلْبَسُ الْبَوَالِي
مَنْ يُعَالِي مِنَ الرِّجَالِ يَنْعَلُ قِسْوَايَ إِذَا بَيْنَ يُعَالِي
لَوْ حَدَاهُنَّ لِلْجَمَالِ فَإِنِّي فِي سِوَاهُنَّ زِينَتِي وَجَمَالِي

فِي إِخَاءٍ وَفِي وِفَاءٍ وَرَائِي وَاسَانِي وَمَنْطِقِي وَفِعَالِي
مَا وَقَانِي الْخَفَا وَبَابِنِي الْحَا جَةَ مِنْهَا فَإِنِّي لَا أَبْلِي

٢٣٨ قَالَ الْحَرِيرِيُّ بْنُ هِلَالٍ الثَّرَيِّعِيُّ :

نُعْرَضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهَا لَا تُعْرَضُ لِلطَّبَامِ
وَلَسْتُ بِمَخَالِعِ عَنِّي ثِيَابِي إِذَا هَرَّ الْكُمَاةُ وَلَا أَرَامِي
وَلَسَكِنِّي يَجُولُ الْمَهْرُ تَحْتِي إِلَى الْغَارَاتِ بِالْعَضْبِ الْحَسَامِ

٢٣٩ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَعْرُوفُ بِمِحْظَةَ الْبَرْمَكِيِّ :

أَنَا ابْنُ أَنَاسٍ مَوْلَى النَّاسِ جُودُهُمْ فَأَضْعُوا حَدِيثًا لِلنَّوَالِ الْمَشْهَرِ
فَلَمْ يَمُخَّلْ مِنْ إِحْسَانِهِمْ لَفْظُ مُخْبِرٍ قَلَمٌ يَمُخَّلُ مِنْ تَقْرِيطِهِمْ بَطْنُ دَقْتَرِ

٢٤٠ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْفَزَارِيِّينَ :

وَإِلَّا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَإِنِّي لَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ
وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَنَبَاهَا إِذَا لَمْ تَرَنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عَمُولُ
إِذَا كُنْتُ فِي الْأَيَّامِ الطَّوَالِ عَلَوْتُهُمْ بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعِ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُنْحَبِ مِنْ أَصُولُ
وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلُوٌّ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

٢٤١ قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَذْنِي مَعِيشَةً كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلًا مِنَ الْمَالِ
وَأَبْكِنَا أَسْعَى لِعَبْدٍ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤْتَلِ أَمْثَالِي

٢٤٢ قَالَ حَاتِمُ الطَّائِي :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ
 إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَاتَمِسِي لَهُ
 أَخَا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتِ فَإِنِّي
 وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيَا
 ٢٤٣ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

أُصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أَدْنَسُهُ
 أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَاجْمَعُهُ
 ٢٤٤ قَالَ أَبُو دُؤْلَفَ الْعَجَلِيُّ :

أَجُودُ بِنَفْسِي دُونَ قَوْمِي دَافِعًا
 وَأَقْفَعِمُ الْأَمْرَ الْخَوْفَ أَفْتَحَامُهُ
 يَا نَابِئَهُمْ قَدَمَا وَأَعْشَى الدَّوَاهِيَا
 لِأَذْرِكَ مَجْدًا أَوْ أَعَاوِدَ ثَاوِيَا
 (الالغاني والحماسة)

الهمجو

٢٤٥ قَالَ أَبُو نُؤَاسٍ فِي بَيْخَلٍ :

سِيَّانٌ كَسَرَ رَغِيفَهُ
 فَارْفُقَ بِكَسْرِ رَغِيفِهِ
 أَوْ كَسَرَ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ
 إِنْ كُنْتَ تَرْتَعِبُ فِي كَلَامِهِ
 وَتَرَاهُ مِنْ خَوْفِ النَّزْوِ
 لِي بِهِ يَدْوَعُ فِي مَنَامِهِ
 وَقَالَ أَيْضًا :

خَانَ عَهْدِي عَمْرُؤُ وَمَا خِنْتُ عَهْدَهُ
 لَيْسَ لِي مَذْحِيْتُ ذَنْبٌ إِلَيْهِ
 وَجَفَّانِي وَمَا تَغَيَّرْتُ بَعْدَهُ
 غَيْرَ أَنِّي يَوْمًا تَغَدَّيْتُ عِنْدَهُ

وَلَهُ أَيْضًا :

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ عَالِمٌ بِمَا يَضَعُ الْأَمَدَةَ الْقَاسِدَةَ
تَخَوَّفَ ثَمَّةَ أَضْيَانِهِ فَمَوَدَّهَا أَكْثَرًا وَاحِدَةً

٢٤٦ قَالَ الْخُوَارَزْمِيُّ فِي طَيْبٍ :

أَبُو سَعِيدٍ رَاجِلٌ لِلْكَرَامِ وَمَنْسَفٌ يَنْسِفُ عُمَرَ الْأَنَامِ
لَمْ أَرَهُ إِلَّا خَشِيْتُ الرَّدَى وَقُلْتُ يَا رُوْحِي عَالِمُ السَّلَامِ
يَبْقَى وَيَفْنَى النَّاسُ مِنْ شُومِهِ قَوْمُوا أَنْظِرُوا كَيْفَ نَجَاةُ الْأَنَامِ
ثُمَّ تَرَاهُ آمِنًا سَالِمًا يَا مَلِكَ الْمَوْتِ إِلَى كَمِّ تَنَامِ

٢٤٧ يُحْكِي أَنَّ الْوَزِيرَ أَبَا عَلِيٍّ الْحَقَاقِيَّ كَانَ ضَجُورًا كَثِيرَ الثَّقَلِ .
فَكَانَ يُوَلِّي الْأَعْمَلَ الْوَاحِدَةَ مِنْ الْعَمَالِ فِي الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ . حَتَّى
إِنَّهُ وَلى الْكُوفَةَ فِي عِشْرِينَ يَوْمًا سَبْعَةً مِنْ الْعَمَالِ . فَقِيلَ فِيهِ :

وَزِيرٌ قَدْ نَكَمَلَ فِي الرَّقَاعَةِ يُوَلِّي ثُمَّ يَعْزِلُ بَعْدَ سَاعَةٍ
إِذَا أَهْلُ الرُّشَى أَجْتَمَعُوا عَلَيْهِ فَخَيْرُ الْأَيَّامِ أَوْفَرُهُمْ بِضَاعَةٍ

٢٤٨ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو بَخِيلًا :

رَأَى الصِّيفَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ دَارِهِ فَصَحَّفَهُ ضَيْفًا فَقَامَ إِلَى السِّيفِ
وَقُلْنَا لَهُ خَيْرًا فَظَنَّ بِأَنَّنَا نَدُولُ لَهُ خَبْرًا فَمَاتَ مِنَ الْخَوْفِ
هَجَا آخِرُ طَيْبِ الْقَوْلِ :

قَالَ جِمَارُ الطَّيِّبِ مُوسَى لَوْ أَنصَفُونِي لَكُنْتُ أَرْكَبُ
لِأَنِّي جَاهِلٌ بَسِيطٌ وَرَأَيْتُ جَاهِلٌ مَرْكَبُ

٢٥٠ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَهْجُو رَجُلًا جَبَانًا :

إِذَا صَوَّتَ الْمُصْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ وَلَيْتَ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ
قَالَ آخَرُ :

لَوْ أَنَّ خِطَّةَ عَمَلِهِ فِي رِجْلِهِ سَبَقَ الْغَزَالَ وَلَمْ يَفْتَهُ الْأَرْبُ
٢٥١ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو الْمُبْرَدَ مُحَمَّدَ بْنَ زَيْدِ النَّحْوِيِّ :

سَأَلْنَا عَنْ ثَمَّالَةَ كُلِّ حَيٍّ فَقَالَ الْقَائِلُونَ وَمَنْ ثَمَّالَةٌ
فَقُلْتُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ مِنْهُمْ فَقَالُوا الْآنَ زِدَتْ بِهِمْ جَهَالَةٌ
٢٥٢ قَالَ غَيْرُهُ :

يَا قَبِّحَ اللَّهُ أَقْوَامًا إِذَا ذُكِرُوا بَنِي عُمَيْرَةَ رَهَطَ اللَّوْمِ وَالْعَارِ
قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوْءَةٍ وَجَلُّوا فِي سَوْءَةٍ لَمْ يُجْنُوهَا بِأَسْتَارِ
٢٥٣ قَالَتْ كَنْزَةُ أُمُّ شَمْلَةَ الْمُنْقَرِي فِي مِئَةِ صَاحِبَةِ ذِي الرِّمَّةِ :

أَلَا حَبَّذَا أَهْلُ الْأَمَلَا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ مَيُّ فَلَا حَبَّذَا هِيَا
عَلَى وَجْهِ مَيِّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَا حَةٍ وَفِي أَلْبِ مِنْهُ الْحِزْيُ لَوْ كَانَ بَادِيَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يَخْلَفُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ أَبْيَضَ صَافِيَا
إِذَا مَا أَنَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ تَوَلَّى بِأَضْعَافِ الَّذِي جَاءَ ظَامِيَا
٢٥٤ قِيلَ : إِنَّهُ أَفْتَحَرَ رَجُلٌ عَلَى ابْنِ الْأَدَّهَانَ الشَّاعِرِ فَأَجَابَهُ :

لَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ بِالشِّعْرِ مِثْلَنَا سَتَّصِيرُ
فَلِدَّجَا جَهَةٍ رِيَشُ أَيْكِنَّا لَا تَطِيرُ

ابن كلدة عند كسرى

٢٥٥ وقد ابن كلدة الثقيفي على كسرى وأنتصب بين يديه . فقال له
كسرى : من أنت . قال : أنا الحارث بن كلدة . قال : أعربي أنت .
قال : نعم ومن صبيها . قال : فما صناعتك . قال : طيب . قال : وما تصنع
العرب بالطيب مع جهلها وضعف عقولها وقلة قبولها وسوء غذائها .
فقال : ذلك أجدر أيها الملك إذا كانت بهذه الصفة أن تحتاج إلى ما
يصلح جهلها ويقيم عوجها . ويسوس أبدانها . ويبدل أسنادها . قال
الملك : كيف لها بأن تعرف ما تعهده عليها . لو عرفت الحق لم تنسب
إلى الجهل . قال الحارث : أيها الملك إن الله جل اسمه قسم العقول بين
العباد كما قسم الأرزاق وأخذ الأوم نصيبهم . ففيهم ما في الناس من
جاهل وعالم وعاجز وحازم . قال الملك : فما الذي تجود في أخلاقهم .
وتحفظ من مذاهبهم . قال الحارث : لهم أنفس سخية . وقلوب
جارية . وعقول صحيحة مرضية . وأحساب نقية . فيرق الكلام من
أفواههم مروق السهم من الأوتر . ألين من الماء . وأعذب من الهواء .
يطعمون الطعام . ويضربون الهام . وعزهم لا يرام . وجارهم لا
يضام . ولا يروع إذا نام . لا يقرون بفضل أحد من الأقوم . ما
خلا الملك الهام الذي لا يقاس به أحد من الأنام . قال كسرى :
لله درك من عربي لقد أصبت عادا وخصيت به من بين الخلق
فطنة وفهما . ثم أمر بإعطائه وصلته وقضى حوائجه (لابن عبد ربه)

الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ
فِي الْأَلْفَاظِ

٢٥٦ قَدْ أَلْمَزَ بَعْضُهُمْ فِي الْقَلَمِ :

وَأَرْقَسَ مَرْهُوفِ الشَّبَابَةِ مَهْفَهْفٍ
تَدِينُ لَهُ الْأَفَاقُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
حَتَّى الْمَلِكِ مَفْطُورًا كَمَا كَانَ تَحْتَمِي
٢٥٧ وَقَالَ آخَرُ فِيهِ :

وَدَمَعَةٌ مِنْ جَفْنِهِ جَارِي
مُوقِظٌ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي
وَذِي خُضْرٍ رَاكِعٍ سَاجِدٍ
مُؤَاطِبُ الْخُمْسِ لِأَوْقَاتِهَا
٢٥٨ وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ :

وَمَا إِنْ لَهُ رَأْسٌ وَلَا كَفٌّ لَامِسٍ
وَلَكِنَّهُ شَخْصٌ يُدَى فِي الْمَجَالِسِ
يَدِبُ دَيْبِيًّا فِي الدُّجَى وَالْحُنَادِسِ
وَتَفْرَى بِهِ الْأَوْدَاجُ تَحْتَ الْقَلَانِسِ
وَهِيَّاتٍ يَبْدُو النَّسْرُ عِنْدَ الْكِرَادِسِ
فَلَا هُوَ يَمْشِي وَلَا هُوَ مُقَمَّدٌ
وَلَا هُوَ حَيٌّ وَلَا هُوَ مَيِّتٌ
يَزِيدُ عَلَى سَمِّ الْأَوَاعِي لِعَابُهُ
يُفَرِّقُ أَوْصَالَ بَصْمَتِ يَجْبَنُهُ
إِذَا مَا رَأَتْهُ الْعَيْنُ تَحْفَرُ شَانُهُ
٢٥٩ وَقِيلَ أَيْخَانِيهِ :

وَأَعْيَفَ مَذْبُوحَ عَلَى سَدْرِ غَيْرِهِ
تَرَاهُ قَصِيرًا كُلَّمَا طَالَ عُمُرُهُ
يُتَرَجِّمُ عَنْ ذِي مَنْطِقٍ وَهُوَ أَبْكَمُ
وَيُضْحِي بَلِيغًا وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ

وَجَاءَ أَيْضًا فِيهِ :

بَصِيرٌ بِمَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ وَمَا لَهُ
كَأَنَّ ضَمِيرَ الْقَلْبِ بَاحٌ بِسِرِّهِ
إِسَانٌ وَلَا قَلْبٌ وَلَا هُوَ سَامِعٌ
إِلَيْهِ إِذَا مَا حَرَّكَتَهُ الْأَصَابِعُ
٢٦٠ وَجَاءَ أَيْضًا فِي مَعْنَاهُ :

وَأَخْرَسَ يَنْطِقُ بِالْحِكْمَاتِ
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ فِي خُفْيَةٍ
وَجَمَانُهُ صَامِتٌ أَجْوَفُ
وَبِالشَّامِ مَنْطِقُهُ يُعْرَفُ
٢٦١ قَالَ آخِرُ مُلَغَزَا فِي دَوَاةٍ :

وَمُرْضِعَةٌ أَوْلَادَهَا بَعْدَ ذَبْحِهِمْ
وَفِي بَطْنِهَا السَّكِينُ وَالَّذِي رَأَسَهَا
لَهَا لَبَنٌ مَا لَدَّ يَوْمًا لِشَارِبٍ
وَأَوْلَادُهَا مَذْخُورَةٌ لِلنَّوَابِ
٢٦٢ وَاللَّغَزَاءُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ التَّمِيمِ الطَّيِّبُ النَّصْرَانِيُّ فِي الْمِيزَانِ :

مَا وَاحِدٌ مُتَّخِذٌ الْأَسْمَاءِ
يَحْكُمُ بِالْقِسْطِ بِلا رِيَاءِ
يَعْدِلُ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ
أَعْمَى يُرِي الْإِرْشَادَ كُلَّ رَأْيٍ
يُنْفِي عَنِ التَّصْرِيحِ بِالْإِيْمَاءِ
يُجِيبُ إِنْ نَادَاهُ ذُو أَمْتَرَاءِ
بِالرَّفْعِ وَالْحَنْفِضِ عَنِ النَّدَاءِ
يُفْصِحُ إِنْ عَلِقَ فِي الْهَوَاءِ

٢٦٣ قَالَ آخِرُ فِي الْبَيْضَةِ :

أَلْأَقْلُ لِأَهْلِ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
أَلَا خَبَرُونِي أَيَّ شَيْءٍ رَأَيْتُمْ
وَكُلُّ بَصِيرٍ بِالْأُمُورِ لَدَىٰ أَرَبٍ
مِنَ الطَّيْرِ فِي أَرْضِ الْأَعَاجِمِ وَالْعَرَبِ
قَدِيمٌ حَدِيثٌ قَدْ بَدَأَ وَهُوَ حَاضِرٌ
يُصَادُ بِالْأَصِيدِ وَإِنْ جَدَّ فِي الطَّابِ

وَيُوكَلُّ أَحْيَانًا طَبِيخًا وَتَارَةً قَلْبًا وَشَوِيًّا إِذَا دُسَّ فِي الْأَهَبِ
 وَلَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَلَا يَسَّ لَهُ دَمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَظْمٌ وَلَا يَسَّ لَهُ عَصَبٌ
 وَلَيْسَ لَهُ رِجْلٌ وَلَا يَسَّ لَهُ يَدٌ وَلَيْسَ لَهُ رَأْسٌ وَلَا يَسَّ لَهُ ذَنْبٌ
 وَلَا هُوَ حَيٌّ وَلَا هُوَ مَيِّتٌ إِلَّا خَيْرُونِي إِنَّ هَذَا هُوَ الْعَجَبُ

٢٦٤ الْفَرَزْدَقُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ الْحَشَّابِ الْبَغْدَادِيُّ فِي كِتَابِهِ :

وَذِي أَوْجِهِ لِكَيْهِ عَيْرٌ بَانِحٌ بَسْرٌ وَذُو الْوَجْهِينِ لِلْسِرِّ مُظْهِرٌ
 تُنَاجِيكَ بِالْأَسْرَارِ أَسْرَارٌ وَجْهِهِ فَتَسْمَعُهَا بِالْعَيْنِ مَا دُمْتَ تَنْظُرُ
 ٢٦٥ قُلْعَ لِأَسَامَةَ بْنِ الْمُتَقِدِّ ضَرْسٌ فَقَالَ فِيهِ مُلَغَزًا :

وَصَاحِبِ لَا أَمَلُ الدَّهْرِ صَحْبَتُهُ يَشْتَقِي لِنَفْسِي وَيَسْمَعِي سَعِي مُجْتَهِدُ
 لَمْ أَلْقَهُ مَذْ تَصَاحِبِنَا فَمِنْ بَدَا لِناظِرِي أَفْتَرَفْنَا فُرْقَةَ الْأَبْدِ
 ٢٦٦ الْفَرَزْدَقُ بْنُ زَكَرِيَاءَ بْنِ سَلَامَةَ الْحَصَكِيُّ فِي نَعْسِ الْمَوْتَى :

أَتَرَفُ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ نَظِيرُهُ إِذَا سَارَ صَاحَ النَّاسُ حَيْثُ يَسِيرُ
 فَتَلْقَاهُ مَرْكُوبًا وَتَلْقَاهُ رَاكِبًا وَكُلُّ أَمِيرٍ يَعْتَلِيهِ أَسِيرُ
 يُحْضُّ عَلَى التَّقْوَى وَيُكْرَهُ قُرْبَهُ وَيَنْفِرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهُوَ نَذِيرُ
 وَلَمْ يُسْتَرَزَعَنَّ رَغْبَةً فِي زِيَارَةٍ وَلَكِنْ عَلَى رَغْمِ الْمَرْزُورِ يَدُورُ
 ٢٦٧ وَقَدْ أَحْسَنَ الصَّاحِبُ بِهَا الدِّينِ زُهَيْرٌ وَزِيرُ الْمَلِكِ الصَّالِحِ

مُلَغَزًا فِي فُفْلٍ :

وَأَسْوَدَ عَارِ الْأَحْمَلِ الْبَرْدُ جِسْمُهُ وَمَا زَالَ مِنْ أَوْصَافِهِ الْحِرْصُ وَالْمَنْعُ
 وَأَعْجَبُ شَيْءٍ كَوْنُهُ الدَّهْرَ حَارِسًا وَلَيْسَ لَهُ عَيْنٌ وَلَا يَسَّ لَهُ تَمَعُ

٢٦٨ أَنْزُّ فِي طَاحُوتَةٍ :

وَمُسْرَعَةٍ فِي سَيْرِهَا طُولَ دَهْرِهَا
وَفِي سَيْرِهَا مَا تَقْطَعُ إِلَّا كُلَّ سَاعَةٍ
تَرَاهَا مَدَى الْأَيَّامِ تَمْشِي وَلَا تَتَّعِبُ
وَتَأْكُلُ مَعَ طُولِ الْمَدَى وَهِيَ لَا تَشْرَبُ
وَمَا قَطَعَتْ فِي السَّيْرِ خَمْسَةَ أَذْرُعٍ
وَلَا ثَلَاثَ ثَمَنٍ مِنْ ذِرَاعٍ وَلَا أَقْرَبَ

٢٦٩ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي حِذَاءٍ :

مَطِيَّةٌ فَارِسُهَا رَاجِلٌ
وَاقِفَةٌ فِي الْبَابِ مَرْدُودَةٌ
تَحْمِلُهُ وَهُوَ لَهَا حَامِلٌ
لَا تَشْرَبُ الدَّهْرَ وَلَا تَأْكُلُ

٢٧٠ قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَوْزِ :

مَا أَسْمُ شَيْءٍ حَسَنٍ شَكْلُهُ
تَرَاهُ مَعْدُودًا فَإِنْ زِدْتَهُ
تَلْقَاهُ عِنْدَ النَّاسِ مَوْزُونًا
وَأَوَّا وَنُونًا صَارَ مَوْزُونًا

٢٧١ قَالَ آخَرُ فِي النَّارِ :

أَيُّ صَغِيرٍ يَنْبُو عَلَى عَجَلٍ
يَنْبِلُ أَقْوَى جِسْمٍ وَيَغْلِبُهُ
يَعِيشُ بِالرَّيْحِ وَهِيَ تُهْلِكُهُ
أَضْعَفُ جِسْمٍ بِحَيْثُ يَدْرِكُهُ

٢٧٢ أَلْغَزَ آخَرُ فِي يَدِ الْأَهَاوَنِ :

خَيْرُنِي أَيُّ شَيْءٍ
وَأَبْنُهُ فِي بَطْنِهِ
أَوْسَعُ مَا فِيهِ فُهُ
لَدَفْسُهُ وَيَلِكْمُهُ
وَقَدْ عَلَا صِيَّاحُهُ
وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَرْحَمُهُ

٢٧٣ وَقَالَ آخَرُ فِي الْأَبْرَةِ :

وَذَاتِ ذَوَائِبٍ تَنْجُرُ طُولًا
وَرَاهَا فِي الْمَجِيِّ وَفِي الذَّهَابِ

يَعْنِي لَمْ تَذُقِ لِلنَّوْمِ طَعْمًا وَلَا ذَرَقْتَ لِدَمْعِ ذِي أُنْسِكَابِ
وَمَا لَيْسَتْ مَدَى الْأَيَّامِ تَوْبًا وَتَكْسُو النَّاسَ أَنْوَاعَ الثِّيَابِ
٢٧٤ أَلْفَزُ الصَّلَاحِ الصَّفْدِيِّ فِي عِيدِ :

يَا كَاتِبًا بِفَضْلِهِ كُلُّ أَدِيبٍ إِشْهَادُ
مَا أَسْمُ عَلِيلٍ قَابَهُ وَفَضْلُهُ لَا يُجَدُّ
لَيْسَ بِذِي جِسْمٍ يُرَى وَفِيهِ عَيْنٌ وَيَدُ
٢٧٥ قَالَ آخِرُ فِي غَزَالِ :

إِسْمٌ مِنْ هَاجَ خَاطِرِي أَرْبَعٌ فِي صُنُوفِهِ
فَإِذَا زَالَ رُبْعُهُ زَالَ بَاقِي حُرُوفِهِ
٢٧٦ قَالَ آخِرُ فِي الْمَاءِ :

مِيمٌ وَبُحْيِي وَهُوَ مِيمٌ بِنَفْسِهِ وَيَمْشِي بِلَارِجَلٍ إِلَى كُلِّ جَانِبِ
يُرَى فِي حَضْبِضِ الْأَرْضِ طُورًا وَتَارَةً تَرَاهُ تَسَامَى فَوْقَ طُورِ السَّمَائِبِ
٢٧٧ قَالَ آخِرُ فِي مِضْرَاعِ الْبَابِ :

عَجِبْتُ لِفَخْرٍ وَمِنْ مَن كُتِبَ لَذَّةُ يَدَيْتَانِ طَوْلَ الْأَيْلِ يَعْتَنِقَانِ
إِذَا أَمْسَا كَانَا عَلَى النَّاسِ مَرَصِدًا وَعِنْدَ طُلُوعِ الْفَخْرِ يَفْتَرِقَانِ
٢٧٨ قَالَ عَيْرُهُ فِي نَارِ :

وَمَا أَسْمُ ثُلَاثِي لَهُ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ لَهُ طَلْعَةٌ تُنْفِي عَنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
وَلَيْسَ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ قَفَا وَلَيْسَ لَهُ سَمْعٌ وَلَيْسَ لَهُ بَصَرُ

الْبَابُ الثَّلَاثُ عَشَرَ فِي الْوَصْفِ

٢٧٩ وَصَفَ الْيُوسُفِيُّ غُلَامًا قَالُ: يَعْرِفُ الْمُرَادَ بِاللُّغْظِ . كَمَا يَفْهَمُهُ
بِاللُّغْظِ . وَيُعَايِنُ فِي النَّاطِرِ . مَا يَجْرِي فِي الْخَاطِرِ . يَبِي الثُّنُجِ قَرْضًا
يَجِبُ آدَاؤُهُ . وَالْإِحْسَانَ حَتْمًا يَزِمُ قَضَاؤُهُ . إِنْ اسْتَفْرَغَ فِي الْخِدْمَةِ
جَهْدَهُ . خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ بَدَلَ عَفْوَهُ . أَثَبَتْ مِنْ الْجِدَارِ إِذَا اسْتَجْمَلَ .
وَأَسْرَعَ مِنَ الْبَرْقِ إِذَا اسْتَجْمَلَ (للشعالي)

٢٨٠ تَظَلَّمَ رَجُلٌ لِلْمَأْمُونِ مِنْ عَامِلٍ لَهُ قَالُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا تَرَكَ لَنَا فِضَّةً إِلَّا فِضَّهَا . وَلَا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبَ بِهِ . وَلَا مَاشِيَةً إِلَّا
مَشَى بِهَا . وَلَا غَلَّةً إِلَّا غَلَّهَا . وَلَا ضَيْعَةً إِلَّا أَضَاعَهَا . وَلَا عَقْلًا إِلَّا
عَقَلَهُ . وَلَا عِرْضًا إِلَّا عَرَضَ لَهُ . وَلَا جَايِلًا إِلَّا أَجَلَهُ . وَلَا دَقِيقًا إِلَّا
أَدَقَّهُ . فَعَجِبَ الْمَأْمُونُ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَقَضَى حَاجَتَهُ (للشعالي)

٢٨١ حَدَّثَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَالُ: أَجْرَى هَارُونَ الرَّشِيدُ الْخَبْلَ فَجَاءَ
فَرَسٌ يُنَالُ لَهُ الْمَشْرُ سَابِقًا . وَكَانَ الرَّشِيدُ مُعْجَبًا بِذَلِكَ الْفَرَسِ .
فَأَمَرَ الشُّرَاءَ أَنْ يَقُولُوا فِيهِ . فَبَدَرَهُمْ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ قَالُ:
جَاءَ الْمَشْرُ وَالْأَفْرَاسُ يُقَدِّمُهَا هَوْنَا عَلَى رِسْلِهِ مِنْهَا وَمَا أَنْبَهَرَا
وَخَافَ الرِّيحَ حَسْرَى وَهِيَ جَاهِدَةٌ وَمَرَّ يَخْتَطِفُ الْأَبْصَارَ وَالنَّظْرَا
فَأَجْرَلُ صِلَتُهُ وَمَا جَسَرَ أَحَدٌ أَنْ يُجِيزَ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ (الاعاني)

٢٨٢ لَقِيَ الْحُجَّاجُ أَعْرَابِيًّا فَقَالَ لَهُ: مَا بِيَدِكَ. فَقَالَ: عَصَايَ أُرْكُزُهَا
 لِصَلَاتِي. وَأَعْدَهَا لِعُدَاتِي. وَأَسُوقُ بِهَا دَابَّتِي. وَأَقْوَى بِهَا عَلَى سَفْرِي.
 وَأَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي مَشِيَّتِي يَتَسَعُ خَطْوِي. وَأَثْبُ بِهَا عَلَى النَّهْرِ. وَتُؤَمِّنُنِي
 الْعَبْرَ. وَأَلْقِي عَلَيْهَا كِسَاتِي. فَيَقِينِي الْحَرَّ. وَيَجْنِبُنِي الْقُرَّ. وَتُذْنِبُنِي إِلَى مَا
 بَعْدَ عَنِّي. وَهِيَ مَحْمَلُ سَفَرَتِي. وَعَاقِلَةٌ أَدْوَاتِي. أَفْرَعُ بِهَا الْأَبْوَابَ.
 وَأَلْقِي بِهَا نَهْمُورَ الْكِلَابِ. وَتُتَوَّبُ عَنِ الرَّيْحِ الطَّعَّانِ. وَعَنِ السَّيْفِ
 عِنْدَ مُنَازَلَةِ الْأَقْرَانِ. وَرِثْتَهَا عَنْ أَبِي وَسَأَوْرِثُهَا ابْنِي مِنْ بَعْدِي.
 وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي. وَبِي فِيهَا مَأْرِبٌ أُخْرَى. فَهِيَ الْحُجَّاجُ
 وَأَنْصَرَفَ (لبهاء الدين)

٢٨٣ ذَمَّ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ: إِنْ سَأَلَ الْحَفَّ. وَإِنْ سُئِلَ سَوَّفَ.
 وَإِنْ حَدَّثَ حَلَفَ. وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ. وَإِذَا صَنَعَ أَتَفَ. وَإِذَا طَبَخَ
 أَقْرَفَ. وَإِذَا سَامَرَ نَشَفَ. وَإِذَا نَامَ خَوَّفَ. وَإِذَا هَمَّ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ
 تَوَقَّفَ. يَنْظُرُ نَظْرَ الْحُسُودِ. وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ الْحُمُودِ. بَيْنَمَا هُوَ خَلٌّ
 وَدُودٌ. إِذَا هُوَ خَلٌّ وَدُودٌ. فِنَاؤُهُ شَائِعٌ. وَضَيْفُهُ جَائِعٌ. وَشَرُّهُ
 شَائِعٌ. وَسِيرُهُ ذَائِعٌ. وَلَوْنُهُ فَاقِعٌ. وَجَفْنُهُ دَامِعٌ. وَدِيَارُهُ بَلَائِعٌ. وَرَدِي
 الْمُنْظَرِ. سَيِّئُ الْخَبْرِ. يَبْخُلُ إِذَا أَيْسَرَ. وَيَهْلَعُ إِذَا أَعْسَرَ. وَيَكْذِبُ إِذَا
 أَخْبَرَ. وَيَكْفُرُ إِذَا كَبَّرَ. إِنْ عَاهَدَ شَدَرَ. وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ. وَإِنْ حَمَلَ
 أَوْقَرَ. وَإِنْ خُوِطِبَ نَفَرَ.

٢٨٤ سِئِلَ سِنَاقِدِسٌ عَنِ الْمَرْكَبِ فَكَتَبَ: بَيْتٌ بِالْأَسَاسِ. قَبْرٌ مُؤَلَّفٌ.

وَسُئِلَ عَنِ اللَّهِ سُجَّانَهُ فَكَتَبَ : مَمْنُولٌ مَجْهُولٌ . وَاحِدٌ لَا نَظِيرَ لَهُ مَطْلُوبٌ .
 غَيْرُ مُدْرِكٍ سُجَّانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . وَسُئِلَ عَنِ الْمَوْتِ فَكَتَبَ : تَوْمٌ لَا
 أَنْتَبَاهَ مَعَهُ رَاحَةُ الْمَرْضَى . نَقِيضُ الْبُيُوتِ . أَنْفِصَالُ الْإِتِّصَالِ .
 الرَّجُوعُ إِلَى الْعُنْصُرِ . شَهْوَةُ الْفُقَرَاءِ . فَرْعُ الْأَغْنِيَاءِ . سَفَرُ الْبَدَنِ .
 فِئْدَانُ الْإِخْوَانِ . وَسُئِلَ عَنِ الْهَرَمِ فَكَتَبَ : شَرٌّ يُتَمَتَّى . مَرَضٌ
 الْأَصْحَاءِ . مَوْتُ الْحَيَاةِ . صَاحِبُهُ مَيْتٌ يَتَحَرَّكُ . وَسُئِلَ عَنِ الْمَالِ
 فَكَتَبَ : خَادِمُ الشَّهَوَاتِ . هَمٌّ فِي كُلِّ يَوْمٍ . شَرٌّ مَحْبُوبٌ . وَسُئِلَ عَنِ
 الْحُسْنِ فَكَتَبَ : تَصَوِيرِي طَبِيعِي . زَهْرَةٌ تَذُبُّ . وَسُئِلَ عَنِ الشَّمْسِ
 فَكَتَبَ : عَيْنُ الْفَلَكَ النَّهَارِيِّ . عِلَّةُ الْعُورَاتِ . وَسَبَبُ الثَّمَرَاتِ . وَعَنِ
 الْقَمَرِ فَكَتَبَ : عَقِيبُ الشَّمْسِ . سِرَاجٌ لَيْلِي . وَسُئِلَ عَنِ الْإِنْسَانِ فَكَتَبَ :
 مَلْعَبَةٌ أُنْجَتِ . مَطْلُوبُ السِّنِينَ . أَمْنِيَّةُ الْأَرْضِ . وَسُئِلَ عَنِ الْأَرْضِ
 فَكَتَبَ : قَاعِدَةُ الْفَلَكَ . (عَلَى زَعْمِ الْأَقْدَمِينَ) أَصْلٌ ثَابِتٌ فِي الْهَوَاءِ .
 أُمَّ الثَّمَرَاتِ . وَسُئِلَ عَنِ الْفَلَاحِ فَكَتَبَ : خَادِمُ الْغِذَاءِ . وَسُئِلَ عَنِ
 الْأَعْدَاءِ فَكَتَبَ :

إِنِّي بُلِيْتُ بِأَرْبَعٍ لَمْ يُخَلِّفُوا إِلَّا لِشِدَّةِ شَقَوَاتِي وَعَنَانِي
 إِبْلِيسُ وَالْدُنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفَ الْخُلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي
 ٢٨٥ وَصَفَ الْكَاتِبُ مُحَمَّدٌ كَاتِبًا فَقَالَ : وَهَذَا فُلَانٌ آتَاهُ اللَّهُ
 الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخُطَابِ . وَمَكَّنَهُ مِنْ أَرْمَةِ جِيَادِ الْمَعَانِي . فَهِيَ تَجْرِي
 بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ . وَمَنْحَهُ فَضِيلَتِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ . فَإِذَا كَتَبَ

أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزَيْتَتْ (الكثر المدفون)

٢٨٦. يَقْدُ أَحْسَنَ الشَّاعِرِ فِي وَصْفِ الطَّائِوُسِ حَيْثُ قَالَ :

سُجَّانَ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ الطَّائِوُسُ طَيْرٌ عَلَى أَشْكَالِهِ رَيْسُ
تَشْرُقُ فِي دَارَاتِهِ يُمُوسُ فِي الرَّأْسِ مِنْهُ شَجَرٌ مَعْرُوسُ
كَأَنَّهُ بِنَفْسِهِ يَمِيسُ أَوْ هُوَ زَهْرٌ حَرَمٍ يَبِيسُ

٢٨٧. قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ الْفُسْتِقِ :

كَأَنَّمَا الْفُسْتِقُ الْمَمْلُوحُ حِينَ بَدَأَ مُشَقَّقًا فِي لَطِيفَاتِ الطَّيَافِيرِ
وَأَلْبٌ مَا بَيْنَ قَشْرِيهِ يَلُوحُ أَنَا كَأَنَّ السُّنَّ الطَّيْرَ مَا بَيْنَ الْمَنَاقِيرِ

٢٨٨. وَقِيلَ فِي الْفُسْتِقِ أَيْضًا :

تَفَكَّرْتُ فِي مَعْنَى أَيْمَارِ فَلَمْ أَجِدْ لَهَا ثَمْرًا يَبْدُو بِحُسْنِ مُجَرَّدِ
سِوَى الْفُسْتِقِ الرَّطْبِ الْجَنِيِّ دَانَهُ زَهَا بِمَعَانٍ زَيْتٌ بِجَرْدِ
غَالِلَةٌ مَرَجَانٍ عَلَى جِسْمِ فِضَّةٍ وَأَحْشَاءُ يَأْقُوتِ وَقَابُ زَرْجَدِ

٢٨٩. قَالَ ابْنُ الْأَرَمَوِيِّ يَصِفُ الْجَلْنَارَ :

بَدَانَا الْجَلْنَارُ فِي الْفُضْبِ وَالطَّلُّ يَبْدُو عَلَيْهِ كَالْحَبِّ
كَأَنَّمَا أَكْخُوسُ الْعَقِيقِ بِهِ قَدْ مَأْتَتْ مِنْ بُرَادَةِ الذَّهَبِ

٢٩٠. وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصْفِ الْأَزْهَارِ وَالرَّبِيعِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

غَدَوْنَا عَلَى الرَّوْضِ الَّذِي طَلَّهُ الْأَنْدَى سُخَيْرًا وَأَوْدَاجُ الْأَبَارِيقِ تُسْفِكُ
فَلَمْ نَزْ شَيْئًا كَانَ أَحْسَنَ مَنظَرًا مِنْ أَنْتُورٍ يَجْرِي دَمْعُهُ وَهُوَ يَضْحَكُ

٢٩١. قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الرَّبِيعَ :

مَرْحَبًا بِالرَّبِيعِ فِي آذَارِ وَيَإِشْرَاقِ بَهْجَةِ الْأَنْوَارِ
مِنَ شَقِيقِ وَأَفْحَوَانِ وَوَرْدِ وَخِرَامِ وَرَجَسِ وَبَهَارِ
٢٩٢ قَالَ غَيْرُهُ :

أَمَاتَرَى الْأَرْضَ فَدَأَعَطْتِكَ زَهْرَتَهَا بِخُضْرَةٍ وَأَكْتَسَى بِالنُّورِ عَارِيَهَا
فَلِسْمَاءِ بُكَاةٍ فِي جَوَانِبِهَا وَالرَّبِيعِ أُنْتِسَامُ فِي نَوَاحِيهَا
٢٩٣ قَالَ آخِرُ فِي الْقَدَامِ :

إِنَّ السَّمَاءَ إِذَا لَمْ تَبْكِ مِثْلَتَهَا لَمْ تَضْمِكِ الْأَرْضَ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الزَّهْرِ
وَالْأَرْضُ لَا تَنْجِي أَنْوَارَهَا أَبَدًا إِلَّا إِذَا رَمِدَتْ مِنْ شِدَّةِ الْمَطَرِ
٢٩٤ قَالَ أَبُو الْحَزْمِ بْنِ جَهْوَرٍ فِي الْوَرْدِ :

الْوَرْدُ أَحْسَنُ مَا رَأَتْ عَيْنِي وَأَذَى كَمَا سَقَى مَاءَ السَّحَابِ الْجَابِدُ
خَضَمَتْ نَوَازِيرُ الرِّيَاضِ لِحُسْنِهِ فَذَلَّتْ تَنْقَادُ وَهِيَ شَوَارِدُ
وَإِذَا تَبَدَّى الْفَضُّ فِي أَغْصَانِهِ يَزْهُو فَذَا مَيَّتْ وَهَذَا حَاسِدُ
وَإِذَا أَتَى وَفَدَّ الرَّبِيعَ مُبَشِّرًا يَطْلُوعِ وَفَدَّتِهِ فَنَعَمَ الْوَافِدُ
لَيْسَ الْمُبَشِّرُ كَمَا الْمُبَشِّرُ بِاسْمِهِ خَبْرٌ عَلَيْهِ مِنَ النُّبُوَّةِ شَاهِدُ
وَإِذَا تَعَرَّى الْوَرْدُ مِنْ أَوْرَاقِهِ بَقِيَتْ عَوَازِفُهُ فَهِنَّ خَوَالِدُ
٢٩٥ قَالَ آخِرُ فِي الْيَاسْمِينِ :

وَالْأَرْضُ تَبْسِمُ عَنْ نُغُورِ رِيَاضِهَا وَالْأَفَقُ يُسْفِرُ نَارَةَ وَيَقْطِبُ
وَكَأَنَّ مَخْضَرَ الرِّيَاضِ مُلَاءَةٌ وَالْيَاسْمِينِ لَهَا طِرَازُ مُذْهَبُ
٢٩٦ قَالَ الْأَخْطَالُ الْأَهْوَازِيُّ فِي السُّوسَنِ :

سَفِيًّا لِأَرْضٍ إِذَا مَا نَمَتْ تُبْهِنِي
بَعْدَ الْهُدُوءِ بِهَا قَرَعُ النَّوَاقِيسِ
كَأَنَّ سُوسِنَهَا فِي كُلِّ شَارِقَةٍ
عَلَى الْمِيَادِينِ أَذْنَابُ الطَّوَاوِيسِ

٢٩٧ وَقِيلَ فِي السَّفَرِ جَل :

حَازَ السَّفَرُ جَلٌ لَذَاتِ الْوَرَى فَعَدَا
عَلَى الْفَوَاصِكِ بِالْتَفْضِيلِ مَشْهُورَا
كَالْرَّاحِ طَعْمَا وَشَمَّ الْمِسْكِ رَائِحَةً
وَالْتَبَرِ لَوْنَا وَشَكْلِ الْبَدْرِ تَدْوِيرَا

٢٩٨ وَقِيلَ فِي الْخَوْخِ :

وَرِمَاحٍ بِغَيْرِ طَعْنٍ وَضَرْبٍ
بَلْ لِأَكْلِ وَمَصِّ لَبٍّ وَرَشْفٍ
كَمَلَتْ فِي أَسْتَوَانِهَا وَأَسْتَقَامَتْ
بِأَعْتِدَالٍ وَحُسْنٍ قَدٍّ وَلَطْفٍ

٢٩٩ قَالَ آخِرُ يَصِفُ نَاعُورَةَ :

وَنَاعُورَةَ قَالَتْ وَقَدْ حَالَ لَوْنُهَا
وَأَضْلَعَهَا كَادَتْ تُعَدُّ مِنَ السُّقْمِ
أَدُورٌ عَلَى قَلْبِي لِأَنِّي فَقَدْتُهُ
وَأَمَّا دُمُوعِي فَهِيَ تَجْرِي عَلَى جِسْمِي

٣٠٠ قَالَ الْبُخَيْرِيُّ يَصِفُ الشَّامَ :

عُنَيْتُ بِشَرْقِ الْأَرْضِ قَدَمَا وَغَرْبِهَا
أُجُوبُ إِلَى آفَاقِهَا وَأَسِيرُهَا
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الشَّامِ دَارَ إِقَامَةٍ
لِرَّاحِ أَعَادِيهَا وَكَأْسِ أُدِيرُهَا

مَصْحَةُ أَبْدَانٍ وَزُهَّةُ أَعْيُنٍ
وَلَهُوَ لِنَفْسٍ دَائِمٌ لِي سُرُورُهَا
مُقَدَّسَةٌ جَادَ الرَّبِيعُ بِإِلَادِهَا
فَقِي كُلِّ أَرْضٍ رَوْضَةٌ وَغَدِيرُهَا

٣٠١ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الشُّطْرَنْجِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَرِّ :

يَا عَائِبَ الشُّطْرَنْجِ مِنْ جَهْلِهِ
وَلَيْسَ فِي الشُّطْرَنْجِ مِنْ بَاسٍ
فِي فَهْمِهَا عِلْمٌ وَفِي لِينِهَا
شُغْلٌ عَنِ الْغَيْبَةِ لِلنَّاسِ

وَتَشغَلُ الْهَاتِمَ عَنْ حُزْنِهِ وَصَاحِبَ الْكَاسِ عَنِ الْكَاسِ
 وَصَاحِبَ الْحَرْبِ بِتَدْبِيرِهَا يَزْدَادُ فِي الشِّدَّةِ وَالْبَاسِ
 وَأَهْلَهَا فِي حُسْنِ آدَابِهِمْ مِنْ خَيْرِ أَصْحَابِ وَجُلَّاسِ
 ٣٠٢ وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ دَقِيقِ الْعَيْدِ فِي وَصْفِ وَزِيرِ كَثِيرِ التَّلَوْنِ :

مُقْبِلٌ مُدِيرٌ بَعِيدٌ قَرِيبٌ مُحْسِنٌ مُذْنِبٌ عَدُوٌّ حَبِيبٌ
 عَجَبٌ مِنْ عَجَائِبِ الْبَرِّ وَالنَّجْمِ وَنَوْعٌ فَرْدٌ وَشَكْلٌ غَرِيبٌ

٣٠٣ قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ خَلْفِ الْبَهْرَانِيِّ فِي وَصْفِ النَّحْوِ :

النَّحْوُ يُضِلُّ مِنْ لِسَانِ الْأَلْكَنِ وَالْمَرْءُ تُنْظِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
 فَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَاهَا فَاجْلِئْهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ

٣٠٤ وَصَفَ ابْنُ شَيْرَوَيْهِ الْحَمِيَّ قَالَ :

وَزَارَةٌ تَرُورُ بِلَا رَقِيبِ وَتَنْزِلُ بِأَلْفَتِي مِنْ غَيْرِ حِجَّةِ
 وَمَا أَحَدٌ حُبُّ الْقُرْبِ مِنْهَا وَلَا تَحْلُو زِيَارَتُهَا بِقَائِهِ
 تَبِيتُ بِبَاطِنِ الْأَحْشَاءِ مِنْهُ فَيَطْلُبُ بَعْدَهَا مِنْ عِظَمِ كَرِيهِ
 وَتَنْعُهُ لَذِيذُ الْعَيْشِ حَتَّى تُنْقِصَهُ بِمَأْكَلِهِ وَشُرْبِهِ
 أَنْتَ لِزِيَارَتِي مِنْ غَيْرِ وَعَدِ وَكَمْ مِنْ زَائِرٍ لَا مَرْحَمًا بِهِ

قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ فِرَاقَ الْخُلَّانِ :

أَلْقَابُ مِنْ فُرْقَةِ الْخُلَّانِ يَحْتَرِقُ وَالذَّمْعُ كَالدَّرِّ فِي الْحَدِيدِ بَسْتَيْقُ
 إِنْ قَاضَ مَا دُوِّعِي لَمْ يَكُنْ عَجَبًا الْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً وَهُوَ مُحْتَرِقُ

الْبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ فِي الْحِكَايَاتِ

ابن الزبيرى و معاوية

٣٠٥ كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَرْضٌ وَكَانَ لَهُ فِيهَا عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا .
وَإِلَى جَانِبِهَا أَرْضٌ لِمُعَاوِيَةَ وَفِيهَا أَيْضًا عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا . فَدَخَلَ عَبِيدُ
مُعَاوِيَةَ فِي أَرْضِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ كِتَابًا إِلَى مُعَاوِيَةَ
يَقُولُ لَهُ فِيهِ : أَمَا بَعْدُ يَا مُعَاوِيَةُ فَإِنَّ عَمِيدَكَ قَدْ دَخَلُوا فِي أَرْضِي .
فَأَنَّهُمْ عَنِ ذَلِكَ وَإِلَّا كَانَ لِي وَآلِكَ شَانٌ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ
عَلَى كِتَابِهِ وَقَرَأَهُ دَفَعَهُ إِلَى وَلَدِهِ يَزِيدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : يَا بُنَيَّ
مَا تَرَى . قَالَ : أُرَى أَنْ تَبْعَثَ إِلَيْهِ جَيْشًا يَكُونُ أَوَّلُهُ عِنْدَهُ وَآخِرُهُ
عِنْدَكَ يَا تُونَكَ بِرَأْسِهِ . فَقَالَ : بَلْ تَبْعَثُ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْهُ يَا بُنَيَّ . ثُمَّ أَخَذَ
وَرَقَةً وَكَتَبَ فِيهَا جَوَابَ كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَقُولُ فِيهِ : أَمَا
بَعْدُ فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ وَلَدِ حَوَارِيٍّ وَسَاءَ لِي مَا سَاءَ . وَاللَّذُنْيَا
بِأَسْرِهَا هَيِّنَةٌ عِنْدِي فِي جَنْبِ رِضَاهُ . تَرَأَتْ عَنِّي أَرْضِي لَكَ فَاصْنَعِيهَا
إِلَى أَرْضِكَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَبِيدِ وَالْأَمْوَالِ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ عَبْدُ
اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى كِتَابِ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ : قَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِهِ وَلَا أَعْدَمُهُ الرَّأْيَ الَّذِي أَحَاهُ مِنْ
رِئْسِ هَذَا الْمَجَلِّ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ عَلَى كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

الزُّبَيْرِ وَقَرَأَهُ رَمَى بِهِ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَأَسْفَرَ .
فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : يَا بُنَيَّ مَنْ عَفَا سَادَ . وَمَنْ حَلَمَ عَظُمَ . وَمَنْ تَجَاوَزَ أَسْتَمَالَ
إِلَيْهِ الْقُلُوبَ . فَإِذَا أَتَيْتَ شَيْءًا مِنْ هَذِهِ الْأَدْوَاءِ . فَدَاوِهِ يَمِثُلُ
هَذَا الدَّوَاءِ

المنصور ومحمد بن جعفر

٣٠٦ قيل : كَانَ الْمَنْصُورُ مُعْجَبًا بِمُحَادَثَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ وَابْتِظَمَ قَدْرَهُ
يَنْفَرِعُونَ إِلَيْهِ فِي الشَّفَاعَاتِ . فَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَحَبَّبَهُ مُدَّةً . ثُمَّ
لَمْ يَصْبِرْ عَنْهُ . فَأَمَرَ الرَّبِيعَ أَنْ يُكَلِّمَهُ فِي ذَلِكَ فَكَلَّمَهُ وَقَالَ : أَعَفُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تُثْقِلْ عَلَيْهِ فِي الشَّفَاعَاتِ . فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ . فَلَمَّا تَوَجَّهَ
إِلَى الْبَابِ أَعْتَرَضَهُ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَهُمْ رِقَاعٌ فَسَأَلُوهُ إِيصَالَهَا إِلَى
الْمَنْصُورِ . فَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَأْخُذَهَا . فَقَالَ : أَقْذِفُوهَا
فِي كُمِّي . ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْخِضْرَاءِ مُشْرِفٌ عَلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ
وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْبَسَاتِينِ . فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَرَى إِلَى حُسْنِهَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ .
فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا آتَاكَ وَهَنَاكَ بِإِتْمَامِ نِعْمَتِهِ
عَلَيْكَ فِيمَا أَعْطَاكَ . فَمَا بَدَتِ الْعَرَبُ فِي دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ وَلَا الْعَجَمُ فِي
سَالِفِ الْأَيَّامِ أَحْصَنَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْ مَدِينَتِكَ وَلَكِنْ سَجَّتْهَا فِي عَيْنِي
خَصْلَةٌ . قَالَ : وَمَاهِي . قَالَ : لَيْسَ لِي فِيهَا ضَيْعَةٌ . فَتَبَسَّمَ وَقَالَ :
قَدْ حَسَّنْتُهَا فِي عَيْنِكَ بِثَلَاثِ ضَيْعٍ قَدْ أَقْطَعْتُكُمْهَا . فَقَالَ : لِلَّهِ دَرَكٌ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ شَرِيفُ الْمَوَارِدِ كَرِيمُ الْمَصَادِرِ . فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى

بَاقِي عَمْرِكَ أَكْثَرَ مِنْ مَا ضِيهِ . ثُمَّ قَامَ مَعَهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا نَهَضَ
 لِيُقِيمَ بَدَتِ الرِّقَاعُ مِنْ كَتَمِهِ فَجَعَلَ يَرُدُّهُنَّ وَيَقُولُ : أَرْجِعْنَ خَائِبَاتِ
 خَائِرَاتِ . فَضَمَّكَ الْمَنْصُورُ وَقَالَ : بِحَقِّي عَلَيْكَ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي وَأَعَامَتَنِي
 بِخَبَرِ هَذِهِ الرِّقَاعِ . فَأَعْلَمَهُ وَقَالَ : مَا أَتَيْتَ يَا ابْنَ مُعَلِّمِ الْخَيْرِ إِلَّا كَرِيمًا
 وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرَّمْتَ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَكِيلُ
 نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا
 ثُمَّ تَصَفَّحَ الرِّقَاعَ وَقَضَى حَوَائِجَهُمْ عَنْ آخِرِهَا (للابشيهي)

عدل عمر بن الخطاب بما آذاه لعجوز من فقراء رعيته

٣٠٧ ذُكِرَ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
 خَرَجْتُ لَيْلَةً حَالِكَةً فَاصْدَادَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ . فَمَا وَصَلْتُ إِلَى نِصْفِ الطَّرِيقِ إِلَّا وَرَأَيْتُ مُخْصَصًا أَعْرَابِيًّا
 جَذَبَنِي بِثَوْبِي وَقَالَ : الزَّمَنِي يَا عَبَّاسُ . فَتَأَمَّلْتُ الْأَعْرَابِيَّ فَإِذَا هُوَ أَمِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ وَهُوَ مُتَنَكِّرٌ . فَتَبَدَّدْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : إِلَى أَيْنَ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أُرِيدُ جَوْلَةَ بَيْنَ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي هَذَا اللَّيْلِ
 الدَّامِسِ . وَكَانَتْ لَيْلَةً قَرِيَّةً . فَتَبِعْتُهُ فَسَارَ وَأَنَا وَرَاءَهُ وَجَعَلَ يَجُولُ بَيْنَ
 خِيَامِ الْأَعْرَابِ وَيُوتِيهِمْ وَيَتَأَمَّلُهُمْ إِلَى أَنْ أَتَيْنَا عَلَى جَمِيعِهَا وَأَوْشَكْنَا أَنْ
 نَخْرُجَ مِنْهَا . فَظَرْنَا وَإِذَا هُنَاكَ خِيْمَةٌ وَفِيهَا أَمْرَأَةٌ عَجُوزٌ وَحَوْلَهَا صَبِيَةٌ
 يُعُولُونَ عَلَيْهَا وَيَبْكُونَ . وَأَمَامَهَا أَنَا فِي عُلْمِهَا قِدْرٌ وَتَحْتَهَا النَّارُ تَشْتَعَلُ .

وَهِيَ تَقُولُ لِلصَّبِيَّةِ: رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَنِي قَلِيلًا وَيَنْضِجُ الطَّعَامُ فَتَأْكُلُونَ.
 فَوَقَفْنَا بَعِيدًا مِنْ هُنَاكَ وَجَعَلَ عُمَرُ يَتَأَمَّلُ الْعَجُوزَ تَارَةً وَيَنْظُرُ إِلَى
 الْأَوْلَادِ أُخْرَى. فَطَالَ الْوُقُوفُ. فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا الَّذِي
 يُرْفَقُكَ سِرِّبًا. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أُبْرِحُ حَتَّى أَرَاهَا قَدْ صَبَتْ لِلصَّبِيَّةِ
 فَأَكَلُوا وَانْكَفَرُوا. فَوَقَفْنَا وَقَدْ طَالَ وَقُوفُنَا جِدًّا وَمَا لَنَا الْمَكَانَ خَوْفًا
 أَنْ تَسْتَرِيبَ بَنَاءَ الْعُيُونِ. وَالصَّبِيَّةُ لَا يَذَالُونَ يَصْرُخُونَ وَيَبْكُونَ
 وَالْعَجُوزُ تَقُولُ لَهُمْ مَقَالَتَهَا: رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَنِي قَلِيلًا وَيَنْضِجُ الطَّعَامُ
 فَتَأْكُلُونَ: فَقَالَ لِي عُمَرُ: ادْخُلْ بِنَا عِنْدَهَا لِنَسْأَلَهَا. فَدَخَلَ وَدَخَلَتْ
 وَرَاءَهُ. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَالَهٗ. فَرَدَّتْ عَلَيْهِ السَّلَامَ
 أَحْسَنَ رَدِّهِ. وَقَالَ لَهَا: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّةِ يَتَصَارِخُونَ وَيَبْكُونَ.
 فَقَالَتْ لَهُ: لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْجُوعِ. فَقَالَ لَهَا: وَلِمَ لَمْ تُطْعِمِيهِمْ مِمَّا فِي
 الْقَدْرِ. فَقَالَتْ لَهُ: وَمَاذَا فِي الْقَدْرِ لِأَطْعِمَهُمْ لَيْسَ هُوَ إِلَّا عِلَالَةٌ فَتَطَّ
 إِلَى أَنْ يَضْجُرُوا مِنَ الْعَوِيلِ فَيَغْلِبَهُمُ النَّوْمُ. وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ لِأَطْعِمَهُمْ.
 فَتَقَدَّمَ عُمَرُ إِلَى الْقَدْرِ وَنَظَرَهَا فَإِذَا فِيهَا حَصْبَاءٌ وَعَالِيهَا الْمَاءُ يَنْبِي.
 فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا: مَا الْمُرَادُ بِذَلِكَ. فَقَالَتْ: أَوْهَمُهُمْ أَنْ فِيهَا
 شَيْئًا يُطْبَخُ فَيُؤْكَلُ فَأَعْلَمَهُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا ضَجِرُوا وَغَلَبَ النَّوْمُ عُيُونَهُمْ
 نَامُوا. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: وَمَاذَا أَنْتِ هَكَذَا. فَقَالَتْ لَهُ: أَنَا مَطْوَعَةٌ لَا أَخُ
 لِي وَلَا أَبٌ وَلَا زَوْجٌ وَلَا قَرَابَةٌ. فَقَالَ لَهَا: لِمَ لَمْ تَعْرِضِي أَنْ تَرْكِي عَلَى أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَيَجْعَلَ لَكَ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ. فَقَالَتْ لَهُ: لَا

حَيًّا اللَّهُ عَمْرٍ وَنَكَّسَ اللَّهُ أَعْلَامَهُ وَاللَّهُ إِنَّهُ ظَالِمِي . فَلَمَّا سَمِعَ عَمْرٌ مَقَاتِلَهَا
 ارْتَاعَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا : يَا خَلَةَ بِمَاذَا ظَلَمَكِ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ . قَالَتْ
 لَهُ : نَعَمْ وَاللَّهِ ظَلَمْنَا إِنْ الرَّاعِي عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَشَ عَلَى حَالِ كُلِّ مَنْ رَعَيْتِهِ .
 لَعَلَّهُ يُوْجَدُ فِيهَا مَنْ هُوَ مِثْلِي ضَيْقُ الْيَدِ كَثِيرُ الصَّبِيَّةِ وَلَا مَبِينٍ وَلَا
 مُسَاعِدٍ لَهُ فَيَتَوَلَّى لَوَازِمَهُ وَيَسْمَعُ لَهُ مِنْ بَيْتِ أَمَالٍ بِنَا يَفُوتُهُ وَعِيَالَهُ أَوْ
 صِبْيَتَهُ . فَقَالَ لَهَا عَمْرٌ : وَمِنْ أَيْنَ يَلْمُ عَمْرٌ بِحَالِكِ وَمَا أَنْتِ بِهِ مِنْ أُنْفَاقَةٍ
 مَعَ كَثْرَةِ الصَّبِيَّةِ . كَانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَقَدَّمِي وَتَتَلَمَّي بِهِ بِأَمْرِكَ .
 فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ إِنْ الرَّاعِي الْخَرَّ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَشَ عَلَى أَحْتِيَاجَاتِ
 رَعِيَّتِهِ خُصُوصًا وَعُمُومًا . فَاعْلَمْ ذَلِكَ الْمُتَخَصِّرُ أَنَّهُ يَرِ الْحَالِ الضَّيْقَ الْيَدِغَابَةَ
 حَيَاؤُهُ وَمَنْعُهُ مِنَ التَّقَدُّمِ إِلَى رَاعِيهِ لِيَعْلَمَهُ بِحَالِهِ . فَعَلَى عَمْرٍ السُّؤَالُ عَنْ
 حَالِ الْفُقَرَاءِ فِي رَعِيَّتِهِ أَكْثَرَ مِنْ تَقَدُّمِ الْفَقِيرِ إِلَى مَوْلَاهُ لِإِعْلَامِهِ بِحَالِهِ .
 وَالرَّاعِي الْخَرُّ إِذَا أَهْمَلَ ذَلِكَ فَيَكُونُ هَذَا ظُلْمًا مِنْهُ . وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ
 وَمَنْ تَعَدَّاهَا فَقَدْ ظَلَمَ . فَمِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهَا عَمْرٌ : صَدَقْتَ يَا خَلَةَ وَلكِنْ
 عَلَيَّ الصَّبِيَّةُ وَالسَّاعَةُ آتِيكَ : ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ وَكَانَ قَدْ بَقِيَ
 مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَةٌ الْآخِرَةُ . فَسَيْنَا وَالْكَلابُ تَبَجْنَا وَأَنَا أَطْرُدُهَا وَأَذِيهَا بِنِي
 وَعَنْهُ إِلَى أَنْ أَتَيْنَا إِلَى بَيْتِ الذَّخِيرَةِ . فَفَتَحَهُ وَوَحَدَهُ وَدَخَلَ وَأَمْرِي
 فَدَخَلْتُ مَعَهُ . فَنَظَرُ بَيْنَنَا وَشِمَالًا فَعَمَدًا إِلَى كَيْسٍ مِنَ الدَّقِيقِ يَحْتَوِي
 عَلَى مِائَةِ رَطلٍ وَيَنْيفُ . فَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ حَوْلَ تَلِي كَتَبْتَنِي فَحَمَّاهُ إِيَّاهُ
 ثُمَّ قَالَ لِي : أَهْمَلِ أَنْتَ هَاتِيكَ جِرَّةَ السَّمْنِ . وَأَشَارَ لِي إِلَى جِرَّةٍ هُنَاكَ

فَحَمَلَتْهَا وَخَرَجْنَا وَأَقْفَلَ الْبَابَ وَسِرْنَا وَقَدِ انْهَارَ مِنَ الدَّقِيقِ عَلَى لِحْتِهِ
وَعَيْنِهِ وَجَبِينِهِ . فَشِينَا إِلَى أَنْ أَنْصَفْنَا وَقَدْ أَتَمَّ بِهِ الْحِمْلَ لِأَنَّ الْمَكَانَ
كَانَ بَعِيدَ الْمَسَافَةِ . فَعَرَّضْتُ نَفْسِي عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبِي يَا أُمِّيرَ
الْمُؤْمِنِينَ حَوْلِ الْكَيْسِ عَنْكَ وَدَعْنِي أَحْمِلُهُ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ أَنْتَ لَا
تَحْمِلُ عَنِّي جَرَائِمِي وَظُلْمِي يَوْمَ الدِّينِ . وَأَعْلَمَ يَا عَبَّاسُ أَنَّ حَمْلَ جِبَالِ
الْحَدِيدِ وَثِقَلَهَا خَيْرٌ مِنْ حَمْلِ ظُلَامَةٍ كَبُرَتْ أَوْ صَغُرَتْ . وَلَا سِيَّاهُ هَذِهِ
الْعُجُوزُ تُعَلِّقُ أَوْلَادَهَا بِالْحَصَى . يَا لَهُ مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ عِنْدَ اللَّهِ . سِرْنَا
وَأَسْرَعَ يَا عَبَّاسُ تَبَلَّ أَنْ تَضَجَّ الصَّبِيَّةُ مِنَ الْعَوِيلِ فَيَنَامُوا تَحَا قَالَتْ .
فَسَارَ وَأَسْرَعَ وَأَنَا مَعَهُ وَهُوَ يَلْمُ لَمْثِ الثَّوْرِ مِنَ التَّعَبِ إِلَى أَنْ
وَصَلْنَا خِيَمَةَ الْعُجُوزِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ حَوْلَ كَيْسِ الدَّقِيقِ عَنِ كَفِّهِ وَوَضَعْتُ
جِرَّةَ السَّمْنِ أَمَامَهُ . فَتَقَدَّمَ هُوَ بِذَاتِهِ وَأَخَذَ الْقَدْرَ وَكَبَّ مَا فِيهَا وَوَضَعَ
فِيهَا السَّمْنَ وَجَعَلَ بِجَانِبِهِ الدَّقِيقَ . ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا النَّارُ قَدْ كَادَتْ تَضْفَأُ فَمَالَ
لِلْعُجُوزِ : أَعِنْدَكَ حَطَبٌ . قَالَتْ : نَعَمْ يَا ابْنِي . وَأَشَارَتْ لَهُ إِلَيْهِ . فَقَامَ
وَجَاءَ بِقَلِيلٍ مِنْهُ وَكَانَ الْحَطَبُ أَخْضَرَ فَوَضَعَ مِنْهُ فِي النَّارِ وَوَضَعَ الْقَدْرَ
عَلَى الْأَثَافِي . وَجَعَلَ يُنَكِّسُ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ وَيَنْفُخُ بِفَمِهِ تَحْتَ الْقَدْرِ .
فَوَاللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُ دُخَانَ الْحَطَبِ يُخْرَجُ مِنْ خِلَالِ لِحْتِهِ وَقَدْ كُنَّسَ
بِهَا الْأَرْضَ إِذْ كَانَ يُطَاطِبُ رَأْسَهُ لِتَمَكُّنٍ مِنَ النَّفْخِ . وَلَمْ يَزَلْ هَكَذَا
حَتَّى اشْتَعَلَتِ النَّارُ وَذَابَ السَّمْنُ وَأَبْتَدَأَ غَلْيَانُهُ . فَجَعَلَ يُحْرِكُ السَّمْنَ
بِعُودٍ فِي يَدِهِ الْوَاحِدَةِ وَيَخْلُطُ مِنَ الدَّقِيقِ مَعَ السَّمْنِ فِي يَدِهِ الْأُخْرَى

إِلَى أَنْ أُتْمِعَ وَالصَّبِيَّةُ حَوْلَهُ يَتَصَارخُونَ. فَلَمَّا طَابَ الطَّعَامُ طَلَبَ مِنْ
 الْعَجُوزِ إِيَّاهُ فَأَتَتْهُ بِهِ. فَجَعَلَ يَصُبُّ الطَّبِيخَ فِي الْإِنَاءِ وَيَنْفُخُهُ بِفَمِهِ لِيَبْرُدَهُ
 وَيَلْقِمَ الصِّغَارَ. وَلَمْ يَذَلْ يَفْعَلْ هَكَذَا مَعَهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى أَتَى
 جَمِيعَهُمْ وَشَبِعُوا وَاكْتَفَوْا. وَقَامُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ مَعَ بَعْضِهِمْ إِلَى
 أَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ النَّوْمُ فَنَامُوا. فَالْتَفَتَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الْعَجُوزِ وَقَالَ
 لَهَا: يَا خَالَةَ أَنَا مِنْ قَرَابَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ وَأَذْكُرُ لَهُ حَالِكَ. فَأَثْبَتِي
 غَدًا صَبَاحًا فِي دَارِ الْإِمَارَةِ فَتَجِدِينِي هُنَاكَ فَارْجِي خَيْرًا. ثُمَّ وَدَّعَهَا
 عُمَرُ وَخَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ فَقَالَ لِي: يَا عَبَّاسُ وَاللَّهِ إِنِّي حِينَ رَأَيْتُ الْعَجُوزَ
 تُعَلِّلُ صَبِيئَهَا بِحَصَى حَسَسَتْ أَنَّ الْجِبَالَ قَدْ زُلْزَلَتْ وَأَسْتَقَرَّتْ عَلَى
 ظَهْرِي. حَتَّى إِذَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُ وَأَطَعْتُهُمْ مَا طَبَخْتُهُ لَهُمْ وَاكْتَفَوْا
 وَجَلَسُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ فَحِينَئِذٍ شَعَرْتُ أَنَّ تِلْكَ الْجِبَالَ قَدْ سَقَطَتْ
 عَن ظَهْرِي. ثُمَّ أَتَى عُمَرُ دَارَهُ وَأَمَرَنِي فَدَخَلْتُ مَعَهُ وَبِئْنَا لَيْلَتَنَا. وَلَمَّا
 كَانَ الصَّبَاحُ أَتَتْ الْعَجُوزُ فَاسْتَقَرَّهَا وَجَعَلَ لَهَا وَلِصَبِيئِهَا رَاتِبًا مِنْ
 بَيْتِ الْمَالِ تَسْتَوِفِيهِ شَهْرًا فَشَهْرًا (للانليدي)

معاوية والزرقاء

٣٠٨ حِكْمِي عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ لَمَّا وَلِيَ الْخِلاَفَةَ وَأَنْتَضَمَتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ
 وَأَمْتَلَاتِ مِنْهُ الصُّدُورُ. وَأَذَعْنَ لِأَمْرِ الْجُمْهُورِ. وَسَاعَدَهُ اللَّهُ فِي
 مُرَادِهِ. أَسْتَحْضِرَ لَيْلَةَ خَوَاصِّ أَصْحَابِهِ وَذَاكَ كَرَهُمْ وَقَائِعَ أَيَّامِ صَبِيئِنَ. وَمَنْ
 كَانَ يَتَوَلَّى كِبَرَ الْكُرْبِيَّةِ مِنَ الْمَعْرُوفِينَ. فَأَنَّهُمْ كَرَاهُوا فِي الْقَوْلِ الصَّحِيحِ

والمريض . وَاَلْحَدِيثُ إِلَى مَنْ كَانَ يَجْتَهِدُ فِي إِيقَادِ نَارِ الْحَرْبِ عَلَيْهِمْ بِيَزَادَةَ التَّحْرِيسِ . فَقَالُوا : أَمْرًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ نَسَبِي الزَّرْقَاءُ بِنْتُ عَدِيِّ كَانَتْ تَعْتَمِدُ الْوُقُوفَ بَيْنَ الصُّفُوفِ . وَتَرْفَعُ صَوْتَهَا صَارِخَةً : يَا أَصْحَابَ عَلِيٍّ . تَسْمِعُهُمْ كَلَامًا كَالصَّوَارِمِ . مُسْتَحْتَمَةً لَهُمْ بِقَوْلِ لَوْ سَمِعَهُ الْجَبَانُ لِقَاتِلِ وَالْمُدْبِرُ لَأَقْبَلَ . وَالْمَسَالِمُ لِحَارِبِ . وَالْعَارُ لَكَرٍّ . وَالْمُتْرَزِلُ لَأَسْتَمَرٍّ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَهَا . قَالُوا : كُلُّنَا نَحْفَظُهُ . قَالَ : فَمَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِيهَا . قَالُوا : نَشِيرُ بِقَاتِلِهَا فَإِنَّهَا أَهْلُ لَذَلِكَ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : بئسَ مَا أَشْرْتُمْ بِهِ وَقُبِحًا لِمَا قَاتِمٌ . أَيَحْسُنُ أَنْ يَشْتَهَرَ عَنِّي أَنِّي بَعْدَ مَا ظَهَرْتُ وَقَدَرْتُ قَتَلْتُ أَمْرًا قَدِ وَفَتْ لِصَاحِبِهَا . إِنِّي إِذَا لِلَّيْمِ . لَا وَاللَّهِ لَا فَعَلْتُ ذَلِكَ أَبَدًا . ثُمَّ دَعَا بِكَاتِبِهِ فَكَتَبَ كِتَابًا إِلَى وَالِيهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ : أَنْفِذْ إِلَيَّ الزَّرْقَاءَ بِنْتُ عَدِيِّ مَعَ نَفَرٍ مِنْ عَشِيرَتِهَا وَفُرْسَانٍ مِنْ قَوْمِهَا . وَمَهْدٍ لَهَا وَطَاءَ لَنَا وَمَرْكَبًا ذُلُولًا . فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ رَكِبَ إِلَيْهَا وَقَرَأَهُ عَلَيْهَا . فَقَالَتْ بَعْدَ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ : مَا أَنَا بِزَانِعَةٍ عَنِ الطَّاعَةِ . فَحَمَلَهَا فِي هَوْدَجٍ وَجَعَلَ نِشَاءَهُ خَزًا مُبْطِنًا . ثُمَّ أَحْسَنَ صُحْبَتَهَا . فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهَا : مَرْحَبًا وَأَهْلًا خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وَافِدٌ . كَيْفَ حَالُكَ يَا خَلَةَ وَكَيْفَ رَأَيْتَ سَيْرِكَ . قَالَتْ : خَيْرَ مَسِيرٍ . فَقَالَ : هَلْ تَتَمَيِّزِينَ لِي بِعَثْتِ إِلَيْكَ . قَالَتْ : لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ سُجَّانَهُ وَتَعَالَى . قَالَ : أَلَسْتَ رَاكِبَةً الْجَمَلِ الْأَحْمَرَ يَوْمَ صِفَيْنَ . وَأَنْتِ بَيْنَ الصُّفُوفِ تُوقِدِينَ نَارَ الْحَرْبِ

وَتَحْرِضِينَ عَلَى الْقِتَالِ . قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ . قَالَتْ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ فَدَمَتِ الرَّأْسُ وَبَيَّرَ الذَّنْبُ . وَالِدَهْرُ ذُو غَيْرٍ وَمَنْ
 تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . وَالْأَمْرُ يُحَدِّثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ . فَقَالَ : صَدَقْتَ فَهَلْ
 تَعْرِفِينَ كَلَامَكَ وَتَحْفَظِينَ مَا قُلْتَ . قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ . قَالَ : لِلَّهِ أَبُوكَ فَأَمَدُ
 سَمْعِكَ تَقُولِينَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ أَلْمِصْبَاحَ لَا يُضِيءُ فِي الشَّمْسِ . وَإِنَّ
 الْكَوَاكِبَ لَا تُضِيءُ مَعَ الْقَمَرِ . وَإِنَّ الْبَغْلَ لَا يَسْبِقُ الْفَرَسَ . وَلَا يُقَطِّعُ
 الْحَدِيدُ إِلَّا بِالْحَدِيدِ . أَلَا مَنْ أَسْتَرَشَدَنَا أَرْشَدَنَا . وَمَنْ سَأَلَنَا
 أَخْبَرْنَا . إِنْ الْحَقَّ كُنَّ يَطْلُبُ ضَلَّةً وَأَصَابَهَا . فَصَبْرًا يَا مَعْشَرَ
 الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَكَأَنَّكُمْ وَقَدْ أَلْتَمَّ شَمْلُ الشَّتَاتِ وَظَهَرَتْ كَلِمَةُ
 الْعَدْلِ وَغَلَبَ الْحَقُّ بَاطِلَهُ . فَإِنَّهُ لَا يَسْتَوِي الْعَمَلُ وَالْمَبْطَلُ . أَفَمَنْ كَانَ
 مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا . لَا يَسْتَوُونَ . فَالْتِزَالَ التِّزَالُ وَالصَّبْرُ الصَّبْرُ .
 أَلَا وَإِنَّ خِضَابَ النِّسَاءِ الْحِنَاءُ وَخِضَابَ الرِّجَالِ الدِّمَاءُ . وَالصَّبْرُ خَيْرُ
 الْأُمُورِ عَاقِبَةٌ . إِتُوا الْحَرْبَ غَيْرَ نَاكِبِينَ فَهَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ . يَا زُرْقَاءُ
 أَلَيْسَ هَذَا قَوْلِكَ وَتَحْرِيطُكَ . قَالَتْ : لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ : لَقَدْ
 شَارَكَتِ عَلِيًّا فِي كُلِّ دَمٍ سَفَكَهُ . فَقَالَتْ : أَحْسَنَ اللَّهُ إِشَارَتَكَ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ سَلَامَتَكَ . مِثْلَكَ مِنْ يُبَشِّرُ بِخَيْرٍ وَيَسُرُّ جَلِيسَهُ .
 فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَوْ قَدْ سَرَّكَ ذَلِكَ . قَالَتْ : نَعَمْ وَاللَّهِ أَمَدَسَرَّنِي قَوْلِكَ
 وَأَنَّى لِي بِتَصَدِيقِهِ . فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ : وَاللَّهِ لَوْ دَوَّكُمُ لَهُ بِعَدَمِ مَوْتِهِ
 أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْ حُكْمِهِ لَهُ فِي حَيَاتِهِ فَأَذْكَرِي حَوَائِجَكَ تُحْضِرُ . فَقَالَتْ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي آيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا بَعْدَ عَلِيِّ
 حَاجَةً . فَقَالَ : فَمَا أَشَارَ عَلِيٌّ بَعْضُ مَنْ عَرَفَكَ بِمَتْلُوكِ . فَقَالَتْ : لَوْ
 مِنْ الْمَشِيرِ . وَلَوْ أَطَعْتَهُ لَشَارَكْتَهُ . قَالَ : كَلَّا بَلْ تَفُوعَنَّكَ وَتُحْسِنُ
 إِلَيْكَ وَتَزْعَاكَ . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَرَمٌ مِنْكَ . وَمِثْلُكَ مَنْ قَدَرَ
 فَعَفَا وَتَجَاوَزَ عَمَّنْ أَسَاءَ وَأَعْطَى مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ . فَأَعْطَاهَا كُسُوفَةً
 وَدَرَاهِمًا وَأَفْطَمَهَا ضَيْعَةً تُغْلُّ لَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ .
 وَأَعَادَهَا إِلَى وَطَنِهَا سَالِمَةً وَكَتَبَ إِلَى وَايِ الْكُوفَةِ بِالْوَصِيَّةِ
 بِهَا وَبِعَشِيرَتِهَا

(للابشيهي)

رجلان كريمان حصلتا على الامارة بكرهما

٣٠٩ كَانَ فِي أَيَّامِ خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ
 خَزِيمَةُ بْنُ إِسْرَافِيلَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مَشْهُورٌ بِالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ وَالْمُوَاسَاةِ . وَكَانَتْ
 نِعْمَتُهُ وَافِرَةً . فَلَمْ يَزَلْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ مِنَ الْكِرَامِ حَتَّى أُحْتِجَ إِلَى
 إِخْوَانِهِ الَّذِينَ كَانُوا يُوَاسِيهِمْ وَيَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ . فَاسْوَهُ حِينَئِذٍ إِنَّهُمْ مَلُوهُ .
 فَلَمَّا لَاحَ مِنْهُمْ ذَلِكَ أَتَى أُمَّرَأَتَهُ وَكَانَتْ أُنْتَبَهَتْ عَمَّهُ . فَقَالَ لَهَا : يَا ابْنَةَ أُمِّ
 رَأَيْتُ مِنْ إِخْوَانِي تَغْيِيرًا عَمَّا عَاهَدْتُ مِنْهُمْ . وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى لُزُومِ بَيْتِي
 إِلَى أَنْ يَأْتِيَنِي الْمَوْتُ . ثُمَّ إِنَّهُ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَقَامَ يَتَوَتُّ بِمَا عِنْدَهُ حَتَّى
 نَفِدَ جَمِيعُهُ وَبَقِيَ حَازِرًا فِي أَمْرِهِ . وَكَانَ يَوْمَئِذٍ عِكْرَمَةُ الْفَيَاضُ وَالْيَا
 عَلَى الْجَزِيرَةِ . فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي دِيْوَانِهِ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ
 مِنْ مَعَارِفِهِ إِذْ جَرَى ذِكْرُ خَزِيمَةَ بْنِ إِسْرَافِيلَ . فَسَأَلَهُمْ عِكْرَمَةُ عَنْ حَالِهِ

فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ فِي أَشَقِّ حَالٍ مِنَ الْفَقْرِ وَقَدْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَلَزِمَ بَيْتَهُ . فَقَالَ
 عِكْرِمَةُ الْفَيَّاضُ : أَمَا وَجَدَ خُزَيْمَةَ بْنَ بَشْرِ مُوَأْسِيًا أَوْ مُكَافِيًا . فَقَالُوا لَهُ :
 لَا . فَأَمْسَكَ عِكْرِمَةُ عَنْ ذَلِكَ . وَكَانَ عِكْرِمَةُ فِي الْكُرْمِ بِالْمَنْزِلَةِ الْعَظِيمَةِ
 وَقَدْ بُعِيَ الْفَيَّاضُ لِيَزِيدَ كَرَمِهِ وَجُودِهِ . ثُمَّ إِنَّ عِكْرِمَةَ أَنْتَظَرَ إِلَى أَنْ
 دَخَلَ اللَّيْلُ فَعَمِدَ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي كَيْسٍ وَأَمَرَ
 بِإِسْرَاجِ دَابَّتِهِ . فَرَكِبَهَا وَخَرَجَ سِرًّا مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ وَسَارَ وَمَعَهُ غُلَامٌ وَاحِدٌ
 يَحْمِلُ الْمَالَ . وَكَانَ اللَّيْلُ قَدْ أَنْصَفَ . فَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ
 خُزَيْمَةَ فَتَزَلَّ عَنْ دَابَّتِهِ بَعِيدًا عَنِ الْبَابِ وَأَمْسَكَهَا لِغُلَامِهِ وَأَخَذَ مِنْهُ
 الْكَيْسَ وَأَتَى بِهِ وَحْدَهُ إِلَى الْبَابِ وَقَرَعَهُ . فَخَرَجَ خُزَيْمَةُ فَقَالَ لَهُ
 عِكْرِمَةُ وَقَدْ ذَكَرَ صَوْتَهُ : خُذْ هَذَا أَصْلِحْ بِهِ شَأْنَكَ . فَتَنَاولَهُ خُزَيْمَةُ فَرَأَاهُ
 رَمِيلاً فَوَضَعَهُ وَقَبَضَ عَلَى ذَيْلِ عِكْرِمَةَ وَقَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ جُعِلْتُ
 فِدَاكَ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : مَا جِئْتُكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ وَأُرِيدُ أَنْ
 تُعَرِّفَنِي . فَقَالَ لَهُ خُزَيْمَةُ : وَاللَّهِ لَا أَفْبَهُ إِيَّامٌ تُخْبِرُنِي مَنْ أَنْتَ . فَقَالَ لَهُ
 عِكْرِمَةُ : أَنَا جَابِرُ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ . فَقَالَ خُزَيْمَةُ : زِدْنِي إِیْضَاحًا . فَقَالَ لَهُ
 عِكْرِمَةُ : لَا وَاللَّهِ . وَأَنْصَرَفَ . فَدَخَلَ خُزَيْمَةُ بِالْكَيْسِ إِلَى أَمْرَأَتِهِ وَقَالَ
 لَهَا : أَبْشِرِي فَقَدْ آتَى اللَّهُ بِالْفَرَجِ فَهُوَ اسْرَجِي . فَقَالَتْ : لَا سَبِيلَ إِلَى
 السِّرَاجِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَنَا زَيْتٌ . فَبَاتَ خُزَيْمَةُ يَلْمِسُ الْكَيْسَ فَيَجِدُ
 خُشْرَةَ الدَّنَازِيرِ . وَلَمَّا رَجَعَ عِكْرِمَةُ إِلَى مَنْزِلِهِ سَأَلَتْهُ أَمْرَأَتُهُ فِيمَ خَرَجَ
 بَعْدَ هِدَاةٍ مِنَ اللَّيْلِ مُنْفَرِدًا . فَأَجَابَهَا : مَا كُنْتُ لِأَخْرُجَ فِي وَقْتِ كُنَّا

وَأُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ بِأَخْرَجْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اللَّهَ فَقَطَّ . فَقَالَتْ لَهُ : لَا بُدَّ لِي
 أَنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ وَصَاحَتْ وَنَاحَتْ وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ بِالطَّلَبِ . فَلَمَّا رَأَى
 أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ بُدٌّ قَالَ لَهَا : أَخْبِرْكِ بِالْأَمْرِ فَأَكْتُمِيهِ إِذَا . قَالَتْ لَهُ : قُلْ وَلَا
 تُبَالِ بِذَلِكَ . فَأَخْبَرَهَا بِالْقِصَّةِ عَلَى وَجْهِهَا . أَمَّا مَا كَانَ مِنْ خُزَيْمَةَ فَإِنَّهُ
 لَمَّا أَصْبَحَ صَاحَ غُرْمَاءَهُ وَأَصْلَحَ شَأْنَهُ وَتَجَهَّزَ لِلسَّفَرِ يُرِيدُ الْخُلَيْفَةَ سُلَيْمَانَ
 ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَدَخَلَ الْحَاجِبُ وَأَخْبَرَ سُلَيْمَانَ بِوُصُولِ خُزَيْمَةَ بْنِ يَشْرِبَ .
 وَكَانَ سُلَيْمَانُ يَعْرِفُهُ جَيِّدًا بِالْأَرْوَةِ وَالْكَرَمِ فَأَذِنَ لَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ خُزَيْمَةُ
 وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : يَا خُزَيْمَةُ مَا أَبْطَأَكَ عَنَّا . قَالَ : سُوءُ
 الْحَالِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ فَمَا مَعَكَ مِنَ النَّهْضَةِ إِنِّيَا . قَالَ خُزَيْمَةُ : ضُنْفِي
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَلُّهُ مَا يَدِي . قَالَ : فَمَنْ أَنْهَضَكَ الْآنَ . قَالَ خُزَيْمَةُ : لَمْ
 أَشْعُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ هَدَاةٍ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا وَالْبَابُ يُطْرَقُ فَخَرَجْتُ
 فَرَأَيْتُ شَخْصًا وَكَانَ مِنْهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . وَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى
 آخِرِهَا . فَقَالَ لَهُ : أَمَا عَرَفْتَهُ . فَقَالَ خُزَيْمَةُ : مَا سَمِعْتُ مِنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 إِلَّا حِينَ سَأَلْتُهُ عَنْ اسْمِهِ قَالَ : أَنَا جَابِرُ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ . قَالَ : فَتَلَهَّفَ
 سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَقَالَ : لَوْ عَرَفْتَهُ لَكَافَيْتَاهُ عَلَى مَرُوءَةٍ .
 ثُمَّ قَالَ : عَلِيٌّ بِالْكَاتِبِ فَحَضَرَ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ لِحُزَيْمَةَ الْوِلَايَةَ عَلَى الْجَزِيرَةِ
 وَجَمِيعِ عَمَلِ عِكْرِمَةَ وَأَجْزَلَ لَهُ الْعَطَاءُ وَأَحْسَنَ ضِيَاقَتَهُ . وَأَمَرَهُ بِالتَّوَجُّهِ مِنْ
 وَقْتِهِ إِلَى الْوِلَايَةِ فَمَقَّبَ الْأَرْضَ خُزَيْمَةَ وَتَوَجَّهَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى الْجَزِيرَةِ .
 فَلَمَّا قَرَّبَ مِنْهَا خَرَجَ عِكْرِمَةَ وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ عَزْلُهُ وَأَقْبَلَ لِمُلَاقَاةِ خُزَيْمَةَ

مَعَ جَمِيعِ أَغْيَانِ الْبَلَدِ . وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى أَنْ دَخَلُوا بِهِ الْبَلَدَ .
 فَتَزَلَّ خُزَيْمَةٌ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ وَأَمَرَ أَنْ يُؤْخَذَ عِكْرِمَةُ وَبُجَاسِبٌ . فَحَوَسِبَ
 فَفَضَلَ عَلَيْهِ مَالٌ كَثِيرٌ فَطَالَبَهُ خُزَيْمَةٌ مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : وَاللَّهِ مَا إِلَى
 دِرْهَمٍ مِنْهُ سَبِيلٌ وَلَا عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ . فَأَمَرَ خُزَيْمَةٌ بِجَبْسِهِ وَأَرْسَلَ
 يُطَالِبُهُ بِالْمَالِ . فَأَرْسَلَ عِكْرِمَةُ يَقُولُ لَهُ : إِنِّي لَسْتُ تَمِّنُ بِصُونَ مَالِهِ
 بِعِرْضِهِ فَأَصْنَعُ مَا شِئْتُ . فَأَمَرَ خُزَيْمَةٌ بِقَيْدِهِ وَضَرْبِهِ . فَكَبَّلَ بِالْحَدِيدِ
 وَضَرَبَ وَضَيَّقَ عَلَيْهِ . فَأَقَامَ كَذَلِكَ شَهْرًا فَأَضْنَاهُ ذَلِكَ وَأَضْرَبَ بِهِ فَبَلَغَ
 أَمْرَ أَنْهُ ضُرُّهُ فَجَزَعَتْ عَلَيْهِ وَأَعْتَمَتْ لِذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا . فَدَعَتْ جَارِيَةَ
 لَهَا ذَاتَ عَقْلِ وَقَاتَ لَهَا : أَمْضِي السَّاعَةَ إِلَى بَابِ خُزَيْمَةَ وَقُولِي لِلْحَاجِبِ :
 إِنَّ عِنْدِي نَصِيحَةً لِلْأَمِيرِ . فَإِذَا طَلَبَ مِنْكَ فَقُولِي : لَا أَفُؤَلُّهَا إِلَّا لِلْأَمِيرِ
 خُزَيْمَةَ . فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَسَلِّهِ الْخَلْوَةَ فَإِذَا فَعَلَ فَقُولِي لَهُ : مَا كَانَ هَذَا
 جَزَاءَ جَابِرِ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ مِنْكَ بِمِثْلِكَ لَهْ بِالضِّيقِ وَالْحَبْسِ
 وَالْحَدِيدِ ثُمَّ بِالضَّرْبِ . قَالَ : فَفَعَلْتُ جَارِيَتَهَا ذَلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ خُزَيْمَةَ
 قَوْلَهَا قَالَ : وَأَسْوَأُ تَاهُ جَابِرُ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ غَرِيمِي . قَالَتْ : نَعَمْ . فَأَمَرَ
 لَوْقَتَهُ بِدَابَّتِهِ فَأَسْرَجَتْ وَرَكِبَ إِلَى وَجُوهِ أَهْلِ الْبَلَدِ فَجَمَعَهُمْ وَسَارَ بِهِمْ
 إِلَى بَابِ الْحَبْسِ . فَفَتَحَهُ وَدَخَلَ فَرَأَى عِكْرِمَةَ الْفَيَاضَ فِي قَاعِ الْحَبْسِ
 مُتَغَيِّرًا قَدْ أَضْنَاهُ الضَّرُّ . فَلَمَّا نَظَرَ عِكْرِمَةَ إِلَى خُزَيْمَةَ وَوَجُوهِ أَهْلِ الْبَلَدِ
 مَعَهُ أَحْسَمَهُ ذَلِكَ فَتَكَسَّرَ رَأْسُهُ . فَأَقْبَلَ خُزَيْمَةَ وَكَبَّ عَلَى رَأْسِهِ فَقَبَّلَهُ .
 فَرَفَعَ عِكْرِمَةَ رَأْسَهُ وَقَالَ : مَا أَتَيْتُ هَذَا مِنْكَ . قَالَ خُزَيْمَةُ : كَرِيمٌ فِعَالِكَ

وَسُوهُمُ كَفَاتِي . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلكَ . ثُمَّ إِنَّ خُرَيْمَةَ
 أَمَرَ بِصُيُودِهِ أَنْ تُفَكَّ وَأَنْ تُوضَعَ فِي رِجْلَيْهِ نَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ :
 مَا مُرَادُكَ بِذَلِكَ . قَالَ : مُرَادِي أَنْ يَنَالَنِي مِنَ الضَّرِّ مَا نَالَكَ . فَقَالَ لَهُ
 عِكْرِمَةُ : أَقْسِمُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ أَنْ لَا تَفْعَلَ . وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَا جَمِيعًا وَجَاءَا
 إِلَى دَارِ خُرَيْمَةَ فَوَدَّعَهُ عِكْرِمَةُ وَأَرَادَ أَنْ يُصْرَفَ فَأَمَّ يُمَكِّنُهُ مِنْ ذَلِكَ .
 ثُمَّ أَمَرَ خُرَيْمَةُ بِالْحَمَامِ فَأَخْلَى وَدَخَلَ جَمِيعًا . وَقَامَ خُرَيْمَةُ نَفْسَهُ فَتَوَلَّى
 خِدْمَةَ عِكْرِمَةَ . ثُمَّ خَرَجَ فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَالًا كَثِيرًا وَسَأَلَهُ أَنْ
 يَسِيرَ مَعَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُقِيمًا فِي
 الرَّمْلَةِ . فَسَارَ مَعَهُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى سُلَيْمَانَ . فَدَخَلَ الْحَاجِبَ وَأَخْبَرَهُ
 بِقُدُومِ خُرَيْمَةَ بْنِ بَشَرَ . فَرَأَعَهُ ذَلِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : وَالِي الْجَزِيرَةِ يَتَقَدَّمُ
 عَلَيْنَا بِبَشَرٍ أَمْرٍ نَامَعُ قُرْبِ الْهَدْيِ بِهِ . مَا هَذَا إِلَّا لِحَادِثٍ عَظِيمٍ . فَأَمَّا
 دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا خُرَيْمَةُ . قَالَ : خَيْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : فَمَا
 أَفَدَمَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي ظَفِرْتُ بِبَجَائِرِ عَثَرَاتِ الْبُكْرَامِ
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُسْرَكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ شَوْقِكَ إِلَى رُؤْيَيْهِ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ .
 قَالَ : عِكْرِمَةُ الْقَيَّاضُ . فَأَذِنَ لَهُ فِي الدُّخُولِ فَدَخَلَ وَسَأَمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ
 فَرَحَّبَ بِهِ وَأَذْنَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَقَالَ لَهُ : يَا عِكْرِمَةُ قَدْ كَانَ خَيْرُكَ لَهُ وَبِالْأَ
 عَلَيْكَ . ثُمَّ إِنَّ الْخِلَافَةَ قَالَ لَهُ : أَكْتُبُ حَوَائِجَكَ وَمَا تَخْتَارُهُ فِي رِقْعَةٍ .
 فَكَتَبَهَا فَقَضَيْتُ عَلَى أُمَّ وَجْهِ . ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَضَافَ
 لَهُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ النُّحْفِ وَالظَّرْفِ وَوَلَّاهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَأَرَاهُ يَنْبَغِي

وَأَذْرَبِيحَانَ وَقَالَ لَهُ: أَمْرُ خَزِيمَةَ بِيَدِكَ إِنْ شِئْتَ أَبْقَيْتَهُ وَإِنْ شِئْتَ
عَزَلْتَهُ. قَالَ: بَلْ رُدَّهُ إِلَى عَمَلِهِ مُكْرَمًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ إِنَّهُمَا أَنْصَرَفَا
جَمِيعًا وَلَمْ يَزَالَا عَامِلَيْنِ لِسُلَيْمَانَ مُدَّةَ خِلَافَتِهِ (ثمرات الاوراق للحوي)

يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك

٣١٠ قِيلَ إِنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يُونُسَ أَخَذَ يَزِيدَ بْنَ الْمُوَّابِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ
وَعَذَّبَهُ وَأَسْتَأْصَلَهُ وَأَسْتَأْصَلَ مَوْجُودَهُ وَنَجَّجَهُ. فَأَحْتَلَّ يَزِيدُ بِجُحْسِنِ
تَلَطُّفِهِ وَأَرْغَبِ السَّجَّانِ وَأَسْتَمَّالِهِ. وَهَرَبَ هُوَ وَالسَّجَّانُ وَقَصَدَ الشَّامَ إِلَى
سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. وَكَانَ الْخَلِيفَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ. فَلَمَّا وَصَلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْكَرِيمِ
وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ. فَكَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى الْوَلِيدِ يُعَلِّمُهُ أَنَّ يَزِيدَ
هَرَبَ مِنَ السَّجَّانِ وَأَنَّهُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَوَلِيِّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ. وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى رَأْيًا. فَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى أَخِيهِ
سُلَيْمَانَ بِذَلِكَ. فَكَتَبَ سُلَيْمَانُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَجْرْتُ يَزِيدَ بْنَ
الْمُهَلَّبِ لِأَنَّهُ هُوَ وَأَبَاهُ وَإِخْوَتُهُ أَحِبَّاءُ لَنَا مِنْ عَهْدِ آبَائِنَا. وَلَمْ أُجْرِعْ عَدُوًّا
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَدْ كَانَ الْحَجَّاجُ عَذَّبَهُ وَعَرَّمَهُ دَرَاهِمَ كَثِيرَةً ظَلَمًا.
ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ بَعْدَهَا بِمِثْلِ مَا طَلَبَ أَوَّلًا. فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَا
يُخْزِي نَبِيَّ فِي ضَيْفِي لِمِثْلِ فَإِنَّهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ
إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تُرْسَلَ إِلَيَّ يَزِيدٌ مُقَيَّدًا مَغْلُوبًا. فَلَمَّا وَرَدَ ذَلِكَ عَلَى
سُلَيْمَانَ أَحْضَرَ وَلَدَهُ أَيُّوبَ فَصَيَّدَهُ. ثُمَّ دَعَا بِيَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ وَقَبَّدَهُ.

ثُمَّ شَدَّ قَيْدَ هَذَا إِلَى قَيْدِ هَذَا بِسِاسِلَةٍ وَغَايَهَا جَمِيعًا بِذَلَيْنِ وَجَمَاهُمَا إِلَى
 أَخِيهِ الْوَلِيدِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ
 يَزِيدَ وَابْنَ أَخِيكَ أَيُّوبَ بْنَ سُلَيْمَانَ . وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ تَالِثَهُمَا . فَإِنْ
 هَمَمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِ يَزِيدَ قِبَالِ اللَّهِ عَلَيْكَ فَأَبْدَأُ بِقَتْلِ أَيُّوبَ . ثُمَّ
 أَجْعَلُ يَزِيدَ تَالِثًا . وَأَجْعَلُنِي إِنْ شِئْتَ تَالِثًا وَالسَّلَامُ . فَأَبْدَأَ دَخَلَ يَزِيدُ
 ابْنَ الْمُهَلَّبِ وَأَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَى الْوَلِيدِ وَهَمَا فِي سِاسِلَةٍ أَطْرَقَ الْوَلِيدُ
 اسْتِخْيَاءً وَقَالَ : لَقَدْ أَسَانَا إِلَى أَبِي أَيُّوبَ إِذْ بَاغَتْنَا بِهِ هَذَا الْمُبْلَغُ . فَأَخَذَ
 يَزِيدُ يَتَكَلَّمُ وَيُجْتَنِّحُ لِنَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : مَا نَحْتَاجُ مَا نَحْتَاجُ إِلَى
 الْكَلَامِ قَدْ قَبَلْنَا عُذْرَكَ وَعَلِمْنَا ظُلْمَ الْحِجَابِ . ثُمَّ اسْتَحْضَرَ حَدَادًا فَزَالَ
 عَنْهُمَا الْحَدِيدَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا وَوَصَلَ أَيُّوبَ ابْنَ أَخِيهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
 دِرْهَمٍ وَوَصَلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُوَّابِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَرَدَّهُمَا إِلَى سُلَيْمَانَ .
 وَكَتَبَ كِتَابًا لِلْحِجَابِ مَضْمُونُهُ : لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَإِيَّاكَ
 أَنْ تُعَاوِدَنِي فِيهِ بَعْدَ الْيَوْمِ . فَسَارَ يَزِيدُ بْنُ الْمُوَّابِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ
 الْمَلِكِ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ فِي أَعْلَى الْمُرَاتِبِ وَأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ (لِللَّابِشِيِّ)

فقروا كريم واحسانه الى من قتل ابا

٣١١ حكي أنه لما أفضت الخِلافة إلى بني العباس اختفت منهم
 جميع رجال بني أمية وكان منهم إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك .
 وكان إبراهيم هذا رجلا عالما كاملا أدبيا وهو مع ذلك في سن
 الشيبة فأخذوا له أمانا من السفاح فأعطاه أبو العباس السفاح أمانا

وَأَكْرَمَهُ وَقَالَ لَهُ: أَلْزَمَ مَجَاسِي فَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ:
 يَا إِبْرَاهِيمَ حَدِّثْنِي عَمَّا سَرَّ بِكَ فِي اسْتِخْفَانِكَ مِنَ الْدَوِّ . فَقَالَ سَمِعًا
 وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . كُنْتُ مُخْتَفِيًا فِي الْحَيْرَةِ بِمَنْزِلٍ فِي شَارِعٍ عَلَى
 الصَّحْرَاءِ فَبَيْنَمَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِذْ بَعُرْتُ بِأَعْلَامِ
 سُودٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الْكُوفَةِ تُرِيدُ الْحَيْرَةَ . فَتَخَّيْتُ أَنَّهَا تُرِيدُنِي
 فَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنَ الدَّارِ مُتَنَكِّرًا حَتَّى أَتَيْتُ الْكُوفَةَ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ
 أَحَدًا أَخْتَفِي عِنْدَهُ فَبَقِيتُ فِي حَيْرَةٍ . فَظَنَرْتُ وَإِذَا أَنَا بِبَابِ كَبِيرٍ
 وَاسِعٍ الرِّحْبَةِ فَدَخَلْتُ فِيهِ . فَرَأَيْتُ رَجُلًا وَسِيمًا حَسَنَ الْهَيْئَةِ مُثْبَلًا
 عَلَى الرِّحْبَةِ وَمَعَهُ أَتْبَاعُهُ فَنَزَلَ عَن قَرِيْبِهِ وَأَلْتَمَسْتُ فَرَأَيْتُ لِي : مَنْ
 أَنْتَ وَهَذَا حَاجَتُكَ . فَقُلْتُ رَجُلٌ خَافُ عَلَى دَمِهِ وَجَاءَ يَسْتَجِيرُ فِي
 مَنْزِلِكَ . فَأَدْخَلَنِي مَنْزِلَهُ وَصَيَّرَنِي فِي حُجْرَةٍ تَلِي حَرَمَهُ وَكَذَلِكَ عِنْدَهُ فِي
 كُلِّ مَا أَحْبَبَهُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَلِبَاسٍ وَهُوَ لَا يَسْأَلُنِي عَن شَيْءٍ مِنْ
 حَالِي . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَزْكُبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْفَجْرِ وَيَضِي وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا
 قَرِيبَ الظُّهْرِ . فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا : أَرَأَيْكَ تَدْمِنُ الرُّكُوبَ كُلَّ يَوْمٍ نَهْيَمَ
 ذَلِكَ . فَقَالَ لِي : إِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ تَدَقَّلَ أَبِي
 ظُلْمًا رَقَدَ بَلَعَنِي أَنَّهُ مُخْتَفٍ فِي الْحَيْرَةِ فَأَنَا أَطْلُبُهُ يَوْمِيًّا لَدَيْ أَجْدِهِ
 وَأَذْرِكُ مِنْهُ نَارِي قَالَ : فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَسْرَةً
 تَعْجِبِي وَوَأْتُتُ فِي نَفْسِي : إِنَّ الْقَدَرَ سَاقَنِي إِلَى حَتْمِي فِي مَنْزِلٍ مَنْ يَطْلُبُ
 دَمِي . فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي كَرِهْتُ الْحَيَاةَ : ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ الرَّجُلَ

عَنْ أُسَيْبِهِ وَأَسْمِ أَبِيهِ فَأَخْبَرَنِي فَعَلِمْتُ أَنَّ كَلَامَهُ حَقٌّ وَأَنِّي أَنَا الَّذِي
 قَتَلْتُ أَبَاهُ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا إِنَّهُ قَدْ وَجِبَ عَلَيَّ حُكْمُكَ وَلِمَعْرُوفِكَ لِي
 يَلْزِمَنِي أَنْ أَذْلِكَ عَلَى خَصْمِكَ الَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ وَأَتْرَبَ عَلَيْكَ
 الْحُطُوةَ . فَقَالَ : وَمَا ذَاكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَنَا قَاتِلُ
 أَبِيكَ فَخُذْ بِبَارِكِ . فَنَبَسَ مِنِّي وَقَالَ : هَلْ أَضْجِرُكَ الْإِخْتِفَاءُ وَالْبُعْدُ عَنْ
 مَنَزَلِكَ وَأَهْلِكَ فَأَحْبَبْتَ الْمَوْتَ . فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ وَأَكْنِي أَقُولُ لَكَ
 الْحَقَّ وَإِنِّي قَتَلْتُهُ فِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ أَجْلِ كَذَا . فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ كَلَامِي
 هَذَا وَعَلِمَ صِدْقِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَأَحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ فَكَّرَ طَوِيلًا وَانْتَهَتْ إِلَيَّ
 وَقَالَ : أَمَا أَنْتَ فَسَوْفَ تَلْقَى أَبِي عِنْدَ حَاكِمٍ عَادِلٍ فَيَأْخُذُ بِبَارِهِ مِنْكَ
 وَأَمَا أَنَا فَلَا أَخْفِرُ ذِمَّتِي وَأَكْنِي أُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ عَنِّي فَإِنِّي لَسْتُ أَمِنُ
 عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِي . ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَانِي أَلْفَ دِينَارٍ فَأَبَيْتُ أَخْذَهَا
 وَأَنْصَرَفْتُ عَنْهُ . فَهَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمَ رَجُلٍ رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُ عَنْهُ فِي
 عُمْرِي بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(للتلدي)

بود . عن بن زائدة

٣١٢ حكي عن معن بن زائدة أن شاعراً من الشعراء قصده فأقام
 مدة يريد الدخول عليه فلم يتهيأ له ذلك . فلما أعياه الأمر سأل
 بعض خدمه وقال له : أزوجك إذا دخل الأمير إلى البستان أن تعرفني .
 فلما دخل معن إلى بستانه لیتنزه جاء الخادم وأخبر الشاعر فكتب
 الشاعر بيتاً من الشعر دلى خشبة وألقاها في الماء الجاري إلى داخل

الْبُسْتَانِ . فَأَتَفَقَ أَنْ مَعْنَا كَانَ جَالِسًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى جَانِبِ الْمَاءِ
 قَرَّتْ عَلَيْهِ الْحَشْبَةُ فَنَظَرَ فِيهَا كِتَابَةً فَأَخَذَهَا وَقَرَّاهَا فَوَجَدَ فِيهَا :
 أَيَا جُودَمَعْنِ نَاجٍ مَعْنَا بِحَاجَتِي فَمَا لِي إِلَى مَنْ سِوَاكَ سَبِيلُ
 فَلَمَّا قَرَّاهَا مَعْنُ قَالَ لِخَادِمِهِ : أَحْضِرِ الرَّجُلَ صَاحِبَ هَذِهِ الْكِتَابَةِ . فَخَرَجَ
 وَجَاءَ بِهِ فَقَالَ لَهُ : مَاذَا كُتِبَتْ . فَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَ فَلَمَّا تَحَقَّقَهُ أَمَرَ لَهُ
 بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنَا وَضَعَ تِلْكَ الْحَشْبَةَ تَحْتَ الْبِسَاطِ مَكَانَ
 جُلُوسِهِ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي جَاءَ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ فَأَلْتَمَهُ الْحَشْبَةَ
 فَتَمَامَ لِيَنْظُرَ مَا أَلَّهُ فَرَأَى الْحَشْبَةَ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يَدْعُو الرَّجُلَ . فَمَضَى
 وَجَاءَ بِهِ فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ثَانِيَةً . ثُمَّ إِنَّهُ فِي الثَّلَاثِ خَرَجَ إِلَى
 مَجْلِسِهِ فَأَلْتَمَهُ الْحَشْبَةَ فَدَعَا الشَّاعِرَ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ أَيْضًا . فَلَمَّا
 رَأَى الشَّاعِرُ هَذَا الْعَطَاءَ لَزَّائِدَ لِأَجْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ مِنَ الشِّعْرِ خَافَ
 أَنْ مَعْنَا يَرَا جَمْعَ عَقْلِهِ وَيَأْخُذُ الْمَالَ مِنْهُ فَوَرَّبَ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنَا خَرَجَ إِلَى
 مَجْلِسِهِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ فَأَلْتَمَهُ فَخَطَرَ الشَّاعِرُ بِبَالِهِ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ
 يُخَضِّرَهُ وَيُعْطِيَهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَمَضَى الْخَادِمُ وَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ
 سَافِرٌ . فَرَجَعَ وَأَخْبَرَ مَوْلَاهُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ سَافِرٌ ائْتَمَّ جِدًّا وَقَالَ : وَدِدْتُ
 وَاللَّهِ لَوْ أَنَّكَ مَكَتَ وَأَعْطَيْتَهُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفًا حَتَّى لَا يَبْقَى فِي بَيْتِي دِرْهَمٌ

ابراهيم الموصلي والمهدي

٣١٣ حَدَّثَ اِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ قَالَ : كَانَ الْمُهْدِيُّ لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ
 فَأَرَادَنِي عَلَى مَلَاذِمَتِهِ وَتَرَكْتُ الشَّرْبَ فَأَبَيْتُ فَحَبَسَنِي . ثُمَّ دَعَانِي

يَوْمًا فَمَا تَبَنِي عَلَى شُرْبِي الْخَمْرَ فِي مَنَازِلِ النَّاسِ وَقَالَ : لَا تَدْنُ عَلَيَّ
مُوسَى وَهَارَانَ الْبَتَّةَ . وَلَئِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمَا لَا فَعْلَانَ بِكَ وَلَا ضَعْفَنَ .
فَقَالَتْ : نَعَمْ . ثُمَّ بَلَغَهُ أَنَِّّي دَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فِي زَهَةِ لَهْمَا . فَسَمِعِي بِهِمَا وَبِي
إِلَى الْمَهْدِيِّ . فَدَعَانِي فَسَأَانِي فَأَنْكَرْتُ . وَأَمْرِي فَجَرَدْتُ فَضْرِبْتُ
ثَلَاثِمِائَةَ وَسِتِّينَ سَوْطًا . فَقُلْتُ لَهُ وَهُوَ يَضْرِبُنِي : إِنْ جُرِمِي لَيْسَ مِنْ
الْأَجْرَامِ الَّتِي يَحِلُّ لَكَ بِهَا سَنُكَ دَمِي . فَلَمَّا قُلْتُ لَهُ هَذَا : ضَرَبَنِي
بِالسِّيفِ فِي جَنْبِهِ فَشَجَّنِي بِهِ وَسَقَطَتْ مَعْنِي عَلَى سَاعَةٍ . ثُمَّ فَتَحْتُ
عَيْنِي فَوَقَعْتُ عَلَى عَيْنِي الْمَهْدِيِّ . فَرَأَيْتُهُمَا عَيْنِي نَادِمًا . وَقَالَ لِابْنِ مَالِكٍ :
خُذْهُ إِلَيْكَ . قَالَ : فَأَخْرَجَنِي إِلَى دَارِهِ وَأَنَا أَرَى الدُّنْيَا فِي عَيْنِي صَفْرَاءَ
وَخَضْرَاءَ مِنْ حَرِّ السَّوْطِ . وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَّخِذَ لِي شَيْبِي بِالْقَبْرِ فَيَصِيرَ فِي
فِيهِ . فَدَعَا بِكَبْشٍ وَسَلَخَهُ . فَأَأْتَيْتَنِي جَادِدٌ لَيْسَ كَنْ الضَّرْبِ . وَدَفَعَنِي
إِلَى خَادِمَةٍ لَهُ فَصَيَّرْتَنِي فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ . فَتَأَذَيْتُ بِالنَّزْرِ وَبِالْبَقْرِ فِي ذَلِكَ
الْقَبْرِ . وَكَانَ فِيهِ خَلَاءٌ أَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لِلْأَمَةِ : أَطَأِي لِي أَجْرَةَ عَلَيْهَا
فَحَمُّ وَكُنْدُرٌ يُذْهِبُ عَنِّي هَذَا الْبَقْرَ . فَأَتَيْتَنِي بِذَلِكَ . فَلَمَّا دَخَلْتُ أَطَأَمَ
الْقَبْرَ عَلَيَّ وَكَادَتْ نَفْسِي تَخْرُجُ مِنَ الْأَنْفِ . فَأَسْتَرَحْتُ مِنْ آذَانِهِ إِلَى النَّزْرِ
فَأَلْصَقْتُ بِهِ أَنْفِي حَتَّى خَفَّ الدُّخَانُ . فَلَمَّا ظَنَنْتُ أَنَّي قَدْ اسْتَرَحْتُ مِمَّا
كُنْتُ فِيهِ إِذَا حَيْتَانِ مُقْبِلَتَانِ نَحْوِي مِنْ شِقِّ الْقَبْرِ تَدُورَانِ حَوْلِي
بِخَفِيفٍ شَدِيدٍ . فَهَمَمْتُ أَنْ أَخُذَ وَاحِدَةً بِيَدِي الْيُمْنَى وَالْأُخْرَى
بِيَدِي الْيُسْرَى فِيمَا عَلَيَّ وَإِمَائِي . ثُمَّ كَفَيْتُهُمَا فَدَخَلْتَا مِنَ الثُّبِّ الَّذِي

خَرَجْتَا مِنْهُ . وَكَذَّبْتُ فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَقُلْتُ فِي الْحَبْسِ :
 أَلَا طَالَ لِي أَرَاعِي النُّجُومَ أَعَالِجُ فِي السَّاقِ كَبَلًا ثَقِيلًا
 بَدَارِ أَهْوَانٍ وَشَرِّ الدِّيَارِ أُسَامٍ بِهَا الْخَسْفَ صَبْرًا جَمِيلًا
 كَثِيرُ الْأَخْلَاءِ عِنْدَ الرَّخَاءِ فَلَمَّا حُبِسْتُ أَرَاهُمْ قَلِيلًا
 لَطُولِ بَلَائِي مَلَّ الصَّدِيقُ فَلَا يَأْمَنُ خَلِيلٌ خَلِيلًا
 ثُمَّ أَخْرَجَنِي الْمَهْدِيُّ وَأَجْلَفَنِي (بِكُلِّ يَمِينٍ لَا فَسْحَةَ لِي فِيهَا) أَنْ لَا
 أَدْخُلَ عَلَى مُوسَى وَمَارُونَ أَبَدًا وَلَا أُغْنِيَهُمَا وَخَلَى سَبِيلِي (الِإِغْنَى)

المرأة المتظلمة وابن المأمون

٣١٤ حَدَّثَ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : جَلَسَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا لِلْمَظَالِمِ . فَكَانَ
 آخِرُ مَنْ تَمَدَّمَ إِلَيْهِ وَقَدَّمَهُمُ بِالْقِيَامِ أَمْرًا عَلَيْهِ هَيْئَةُ السَّفَرِ وَعَايَهَا
 ثِيَابُ رَثَّةٌ . فَوَفَّقَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَنَظَرَ الْمَأْمُونُ إِلَى يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ فَقَالَ لَهَا يَحْيَى :
 وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أُمَّةَ اللَّهِ تَكَلَّمِي فِي حَاجَتِكَ . فَقَالَتْ :

يَا خَيْرَ مُتَّصِفٍ يَهْدِي لَهُ الرَّشْدُ وَيَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْبَلَدُ
 تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ الْأُمَمِ أَرْمَلَةٌ عَدَا عَائِيَا فَلَمْ يُتْرَكْ لَهَا سَبْدٌ
 وَأَبْتَرَتْ مِنِّي ضِيَاعِي بَعْدَ مَنَعَتِهَا ظَلَمًا وَفُرِّقَ مِنِّي الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ
 فَأَطْرَقَ الْمَأْمُونُ جِينًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَقُولُ :

فِي دُونَ مَا قُلْتُ زَالَ الصَّبْرُ وَالْجَلْدُ عَنِّي وَقُرِحَ مِنِّي الْقَلْبُ وَالْكَبِدُ
 هَذَا أَذَانُ عِلَاةِ الْمُصْرِ فَأَنْصُرِي وَأَحْضِرِي الْخِصْمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أُعِدُّ

وَالْجُلُوسُ السَّبْتُ إِنْ يُقْضَى الْجُلُوسُ لَنَا تُنْصَفُكَ مِنْهُ وَإِلَّا الْجُلُوسُ الْأَحَدُ
فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الْأَحَدُ جَلَسَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تِلْكَ
الْمَرْأَةُ . فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .
فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ أَيُّنَ الْخُصْمِ . فَقَالَتْ : الْوَأَيْفَ تَلَى رَأْيِكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَوْمَأَتْ إِلَى الْعَبَّاسِ ابْنِهِ . وَقَالَ : يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ
خُذْ يَدِي فَأَجْلِسْهُ مَعَهُمَا مَجْلِسَ الْخُصُومِ . فَجَعَلَ كَلَامَهَا يَتَلَوُ كَلَامَ الْعَبَّاسِ .
فَقَالَ لَهَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ : يَا أُمَّةَ اللَّهِ إِنَّكَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
وَإِنَّكَ تُكَلِّمِينَ الْأَمِيرَ فَأَخْفِضِي مِنْ صَوْتِكَ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : دَعَهَا
يَا أَحْمَدُ فَإِنَّ الْحَقَّ أَنْطَقَهَا وَأَخْرَسَهُ . ثُمَّ قَضَى لَهَا بِرَدِّ صِدْقَتِهَا إِلَيْهَا . وَظَلَمَ
الْعَبَّاسُ بِظُلْمِهِ لَهَا . وَأَمَرَ بِالْكِتَابِ لَهَا إِلَى الْعَامِلِ بِبَلَدِهَا أَنْ يُؤْغِرَ لَهَا
صِدْقَتَهَا وَيُحْسِنَ مَعَاوَنَتَهَا وَأَمَرَ لَهَا بِنَفَقَةٍ (لابن عبد ربه)

المرأة الكريمة

٣١٥ حكي أن عبد الله بن عباس كان من أكابر الأجواد الكرام
فتزل منزلاً . وكان منصرفاً من الشام إلى الحجاز . قطب من غلمان
طعاماً فلم يجدوا . فقال لوكيليه : اذهب في هذه البرية فاملك تجد
راعياً أو حياً فيه لبن أو طعام . فمضى بالغلمان فوقعوا على عجوز في حي .
فقالوا لها : عندك طعام نبتاعه . قالت : أما طعام البيعة فلا ولكن عندي
ما به حاجة لي ولا لبناي . قالوا : فأين نبوك . قالت : في رعي لهم
وإذا أوان أربهم . قالوا : فما أعددت لك ولهم قالت : خبزة تحت

مَلَّتِيَا . قَالُوا : وَمَا هُوَ غَيْرُ ذَلِكَ . قَالَتْ : لَأَشِيءُ . قَالُوا : فَجُودِي أَنَا
بِشَطْرِهَا . قَالَتْ : أَمَا الشَّطْرُ فَلَا أُجُودُ بِهِ وَأَمَّا الْكُلُّ فَخُذُوهُ . فَقَالُوا
لَهَا : تَمْتَعِي بِالنِّصْفِ وَتَجُودِي بِالْأَكْلِ . قَالَتْ : نَعَمْ لِأَنَّ إِعْطَاءَ
الشَّطْرِ نَقِيصَةٌ . وَإِعْطَاءُ الْكُلِّ كَمَالٌ وَرَضِيئَةٌ . فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَضَعُنِي
وَأَمْنَعُ مَا يَرْفَعُنِي . فَأَخَذُوهَا وَلَمْ تَسْأَلْهُمْ مِنْ هُمْ وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاءُوا . فَلَمَّا
جَاءُوا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَخْبَرُوهُ بِخَبَرِهَا عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ :
أَحْمِلُوهَا إِلَى السَّاعَةِ فَرَجِعُوا إِلَيْهَا . وَقَالُوا لَهَا : أَنْطَلِقِي مَعَنَا إِلَى صَاحِبِنَا
فَإِنَّهُ يُرِيدُكَ . قَالَتْ : وَمَنْ صَاحِبِكُمْ . قَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ . قَالَتْ :
وَأَيُّكُمْ هَذَا هُوَ الشَّرَفُ الْعَالِي وَذِرْوَتُهُ الرَّفِيعَةُ . وَمَاذَا يُدِي وَيُنِي .
قَالُوا : مُكَّةَ أَفَاتِكَ وَبِرَّكَ . قَالَتْ : أَوَاهِ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَا فَعَلْتُ مَعْرُوفًا
مَا أَخَذْتُ لَهُ بَدَلًا . فَكَيْفَ وَهُوَ شَيْءٌ يُجِبُّ عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يُشَارِكَ فِيهِ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَلَمْ يَزَالُوا يَهَيِّئُونَ لَهَا أَنْ أَخْذَرَهَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ
سَأَمَتْ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهَا السَّلَامَ . وَقَرَّبَ مَجْلِدَهَا ثُمَّ قَالَ لَهَا : مِمَّنْ أَنْتِ .
قَالَتْ : مِنْ بَنِي كَلْبٍ . قَالَ : فَكَيْفَ حَالُكَ . قَالَتْ : أَنَّهُرَ الْيَسِيرِ
وَأَهْجَعَ الْكَثْرَ اللَّيْلِ وَأَرَى قُرَّةَ الْعَيْنِ فِي شَيْءٍ . فَلَمْ يَكُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ
إِلَّا وَقَدْ وَجَدْتُهُ . قَالَ : فَمَا أَدَّخَرْتَ لِنَيْبِكَ إِذَا حَضَرُوا . قَالَتْ :

أَدَّخِرُ لَهُمْ مَا قَالَه حَاتِمٌ ظَنِّي حَيْثُ قَالَ :

وَأَتَدَأُ بَيْتَ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلُهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ
فَارْزَادَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهَا تَعَجُّبًا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : لَوْ جَاءَ بَنُوكَ وَهُمْ جِيَاعٌ مَا

كُنْتَ تَصْنَعِينَ . قَالَتْ : يَا هَذَا لَقَدْ عَظُمَتْ عِنْدَكَ هَذِهِ الْخُبْرَةُ حَتَّى
 أَكْثَرْتَ فِيهَا مَعَالَكَ . وَأَشْغَلْتَ بِهَا بَالِكَ . إِلَهَ عَنِ هَذَا فَإِنَّهُ يُفْسِدُ
 النَّفْسَ وَبُورُؤُ فِي الْخَيْسَةِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَحْضِرُوا لِي أَوْلَادَهَا
 فَأَحْضَرُوهُمْ فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ رَأَوْا أُمَّهُمْ وَسَلَّمُوا . فَأَدْنَاهُمْ إِلَيْهِ وَقَالَ :
 إِنِّي لَمْ أَطْلُبْكُمْ وَأَمَّكُمْ لِمَكْرُوهِ وَإِنَّمَا أَحِبُّ أَنْ أُضْلِحَ مِنْ شَأْنِكُمْ وَأَلَمْ
 شَعَثَكُمْ . وَمَالُوا : إِنْ هَذَا قَلَّ أَنْ يَكُونَ إِلَّا عَنِ سُؤَالٍ أَوْ مَكَافَأَةٍ لِفِعْلٍ
 قَدِيمٍ . قَالَ : أَيْسَ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ جَاوَزْتُكُمْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ
 فَأَحْيَيْتُ أَنْ أَضَعَ بَعْضَ مَا بِي فِيكُمْ . قَالُوا : يَا هَذَا لَمَّا نَحْنُ فِي خَفْضِ عَيْشٍ
 وَكَفَافٍ مِنَ الرِّزْقِ فَوَجَّهَهُ نَحْوَ مَنْ بَسْتَحْيَاهُ . وَإِنْ أَرَدْتَ النَّوَالَ . بَتْدَأُ
 مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ فَتَقَدَّمَ فَمَعْرُوفُكَ مَشْكُورٌ وَرِثُكَ مَقْبُولٌ . فَقَالَ : نَعَمْ هُوَ
 ذَلِكَ . وَأَمَرَهُمْ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَعِشْرِينَ نَاقَةً . فَقَالَتْ الْعَجُوزُ
 لِأَوْلَادِهَا : أَيُّقِلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئًا مِنَ الشَّعْرِ وَأَنَا أَتَّبِعُكُمْ فِي
 شَيْءٍ مِنْهُ . فَقَالَ الْأَكْبَرُ :

شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِطِيبِ الْكَلَامِ وَطِيبِ الْفِعَالِ وَوَيْبِ الْخُبْرِ
 وَقَالَ الْأَوْسَطُ :

تَبَرَّعْتَ بِالْجُودِ قَبْلَ السُّؤَالِ فَعَالَ عَظِيمٍ كَرِيمٍ الْمُنْظَرِ
 وَقَالَ الْأَصْغَرُ :

وَحَقٌّ لِمَنْ كَانَ ذَا فِئْلِهِ بِأَنْ يَسَرَ تَرِقَ رِقَابَ الْبَدَنِ
 وَقَالَتْ الْعَجُوزُ :

فَعَمَّرَكَ اللَّهُ مِنْ مَاجِدٍ وَوَقَّيْتَ كُلَّ الرَّدَى وَالْحَذَرَ

الأعرابي ومالك بن طوق

٣١٦ وَقَدَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ وَكَانَ زَرِيًّا الْحَالِ رَثًّا
 أَمِيَّةً. تُنَمَّعُ مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ. فَأَقَامَ بِالرَّحْبَةِ أَيَّامًا. فَخَرَجَ مَالِكُ ذَاتَ
 يَوْمٍ يُرِيدُ التَّزَهُةَ حَوْلَ الرَّحْبَةِ. فَعَارَضَهُ الْأَعْرَابِيُّ فَمَنَعَهُ الشَّرْطَةَ
 أزدراء به. فَلَمْ يَذَنْ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَ بِنَانَ قَرَسِهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ
 أَنَا عَائِدُ بِكَ مِنْ شُرْطِكَ. فَفَهَاهُمْ عَنْهُ وَأَبْعَدَهُمْ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: هَلْ
 مِنْ حَاجَةٍ. قَالَ: نَعَمْ أَسْأَلُ اللَّهَ الْأَمِيرَ. قَالَ: وَمَا هِيَ. قَالَ: أَنْ تُصَنِّيَ
 إِلَيَّ بِسَمْعِكَ. وَتَنْظُرَ إِلَيَّ بِطَرْفِكَ. وَتُقْبِلَ عَلَيَّ بِوَجْهِكَ. ثُمَّ أَنْشَدَ:
 بِبَابِكَ دُونَ النَّاسِ أَثْرَتُ حَاجَتِي وَأَقْبَاتُ أَسْعَى تَحْوَهُ وَأَطُوفُ
 وَيَمْنَعُنِي الْحُجَابُ وَاللَّيْلُ مُسْبِلٌ وَأَنْتَ بَعِيدٌ وَالرِّجَالُ صُفُوفُ
 يَطُوفُونَ حَوْلِي بِاللُّوْبِ كَأَنَّهُمْ ذِنَابٌ جِيَاعٌ بَيْنَهُنَّ خُرُوفُ
 فَأَمَّا وَقَدْ أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ مُقْبِلًا وَأَصْرَفُ عَنْهُ إِذْنِي لَضَعِيفُ
 وَمَا لِي مِنْ أَدْنِيَا سِوَاكَ وَمَا لِي أَنْ تَرَكَتُ وَرَائِي مَرِيعٌ وَوَصِيفُ
 وَقَدْ عَلِمَ الْحَيَّانُ قَيْسٌ وَخَنْدِيفُ وَمَنْ هُوَ فِيهَا نَازِلٌ وَحَلِيفُ
 تَخَطَّيْتُ أَعْنَاقَ الْمُلُوكِ وَرِحْلَتِي إِلَيْكَ وَقَدْ أَخْنَتُ عَلَيَّ صُرُوفُ
 فَجَيْتِكَ أَيْبِي الْخَيْرِ مِنْكَ فَهَزَّنِي بِبَابِكَ مِنْ ضَرْبِ الْعَبِيدِ صُفُوفُ
 ذَلَّاجَةً أَنْ لِي تَحْوَى نَابِكَ عَوْدَةً فَقَلْبِي مِنْ ضَرْبِ الْعَبِيدِ تَحْوُوفُ
 فَأَسْتَضْحِكَ مَالِكُ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ عَنْ قَرَسِهِ. ثُمَّ قَالَ لِمَنْ

حَوْلَهُ : مَنْ يُعْطِيهِ دِرْهَمًا بِدِرْهَمَيْنِ وَتَوْبًا بِتَوْبَيْنِ . فَنُثِرَتْ الدَّرَاهِمُ
 وَوَقَعَتِ الثِّيَابُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى تَحْيَرَ الْأَعْرَابِيَّ وَأَخْتَلَطَ
 عَقْلُهُ أَكْثَرَةً مَا أُعْطِيَ . فَذَالَ لَهُ مَالِكٌ : هَلْ بَقِيَتْ لَكَ حَاجَةٌ يَا أَخَا
 الْعَرَبِ . قَالَ : أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا . قَالَ : فَإِلَى مَنْ . قَالَ : إِلَى اللَّهِ أَنْ
 يُبْقِيَكَ لِلْعَرَبِ فَإِنَّهَا لَا تَزَالُ بِخَيْرٍ مَا رَبَّيْتَ لَهَا (للقليوبي)
 للخارجي وامتدح

٣١٧ أَخْبَرَ بَعْضُهُمْ قَالَ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا عَرَضَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ فَاثْمَ
 يَكْتَرُ بِهِ إِلَّا تَمِيمَ بْنَ جَمِيلٍ الْخَارِجِيَّ . كَانَ قَدْ خَرَجَ عَلَى الْمُعْتَصِمِ
 وَرَأَيْتُهُ قَدْ جِيءَ بِهِ أُسِيرًا . فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ مَوْكِبٍ وَقَدْ جَاسَ
 الْمُعْتَصِمُ لِلنَّاسِ مَجْلِسًا عَامًا وَدَعَا بِالسِّيفِ وَالنَّطْعِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ
 نَظَرَ إِلَيْهِ الْمُعْتَصِمُ فَأَعْجَبَهُ شِكَاؤُهُ وَقَدُّهُ وَمَشِيَّتُهُ إِلَى الْمَوْتِ غَيْرَ كَثْرَتِ
 بِهِ . فَأَطَالَ الْمَكْرَةَ فِيهِ ثُمَّ اسْتَنْطَقَهُ لِيَنْفِرَ فِي عَقْلِهِ وَبَلَغْتِهِ فَقَالَ :
 يَا تَمِيمُ إِنْ كَانَ لَكَ عُذْرَاتٌ بِهِ . قَالَ : أَمَّا إِذَا أَدِنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 (جَبْرَ اللَّهِ بِهِ صَدَعَ الدِّينَ . وَلَمْ يَشَأْ الْمُسَاهِدِينَ . وَأَخَذَ بِثَمَابِ الْبَاطِلِ .
 وَانَارَ سُبُلَ الْحَقِّ) . فَالذُّنُوبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تُخْرِسُ الْأَلْسِنَةَ وَتَصَدَعُ
 الْأَفْئِدَةَ . وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الْجُرِيرَةُ وَأَنْتَ طَعْتَ الْحُجَّةَ . وَسَاءَ الْبِظْنُ
 وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَفْوُ أَوْ الْإِنْتِقَامُ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَقْرَبُ إِلَى الْعَفْوِ وَهُوَ
 أَلْيَقُ شَيْمِهِ الطَّاهِرَةَ . ثُمَّ أَنْشَدَ :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنَّطْعِ كَمَا بِنَا يُلَاحِظُنِي مِنْ حَيْثُ مَا أَنْتَلَفْتُ

وَكَبُرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي وَأَيُّ أُنْرِي مِمَّا قَضَى اللَّهُ يُفْلِتُ
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يَأْتِي بِعُذْرٍ وَجْهِي وَسَيْفُ الْمَنَاءِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصَلَّتُ
 وَمَا جَزَعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ شَيْءٌ مُوقَّتُ
 وَإِنْ خَلْفِي صَبِيَّةٌ فَدَرَكْتَهُمْ وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَنْفَتُ
 كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أَنْعَى إِلَيْهِمْ وَقَدْ أَطْمَأْثَمُوا ثَلَاثَ الْخُدُودِ وَصَوَّتُوا
 فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا سَالِمِينَ بِبَيْطَةٍ أَذُودُ الرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مِتُّ مَوْتُوا
 قَالَ فَبِكِي الْمُعْتَصِمُ وَقَالَ : إِنَّ مِنْ أَلْيَانِ لَدِيحِرَاءِ . ثُمَّ قَالَ : كَادَ
 وَاللَّهِ يَا تَمِيمُ أَنْ يَسْبِقَ السَّيْفُ الْمَذَلَّ وَقَدْ وَهَبْتُكَ لِلَّهِ وَأَصْبَيْتُكَ
 وَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . (ثمرات الاوراق للحموي)

قصة رجل اجار رجلا استغاث به وكان خائفا على دمه فجزى على احسانه

٣١٨ حكى العباسُ حاجبُ المنصورِ قال : لما ملك العباسُ السَّمْعَ
 الْبِلَادِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَأَسْتَوَى عَلَى الْخِلَافَةِ قَطَعَ آثَارَ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ
 جَمِيعِ الْبِلَادِ . فَبَعْدَ مَدَّةٍ قَلِيلَةٍ تَرَجَعَ الْمُعْتَصِمُونَ لِبَنِي أُمَيَّةَ وَأَثَرُوا فِتْنَةً
 عَظِيمَةً فِي الشَّامِ . وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَبَّاسِ السَّمْعِ
 وَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ لِأَخِيهِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ . فَآمَ الْأُمُويُّونَ عَلَى
 الْعَبَّاسِيِّينَ وَقَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ وَقَعَ مِنْهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ . وَبَلَغَنِي الْخَبْرُ وَأَنَا
 مَاشٍ فِي شَارِعٍ وَمَاضٍ لِابْتِغَاءِ شَيْئًا أَنْهُمْ طَلَبُونِي وَأَذْرَكُونِي . فَهَرَبْتُ
 وَدَخَلْتُ دَارًا وَجَدْتُ نَابَهَا مُفْرَحًا فَلَقَيْتُ فِي سَاحَتِهَا شَيْخًا مَهِيْبًا جَالِسًا
 فَقَالَ : مَنْ الرَّجُلُ . نَهَلْتُ : خَافٌ عَلَى دَمِي وَقَدْ أَدْرَكَهُ الطَّلَبُ . فَقَالَ :

مَرَحَبًا لَا بَأْسَ عَلَيْكَ أَدْخُلْ هَذِهِ الْمَقْصُورَةَ. وَأَشَارَ لِي إِلَى بَابِ قَدْخَانَتِهِ
 وَمَضَى مُسْرِعًا وَأَقْفَلَ الْبَابَ وَدَخَلَ حُرْمَهُ وَأَتَانِي مِنْ ثِيَابِهِنَّ وَقَالَ
 لِي: قُمْ أَشْلَعْ مَا عَلَيْكَ وَأَلْبَسْ هَذِهِ الثِّيَابَ لِأَنِّي رَأَيْتُ الطَّلَبَ عَلَيْكَ
 شَدِيدًا. فَلَبَسْتُ ثِيَابَ النِّسَاءِ ثُمَّ أَدْخَانِي إِلَى مَقْصُورَةِ حَرَمِهِ وَجَعَلَنِي
 بَيْنَهُنَّ. فَمَا لَيْتُ فُلَيْلًا أَنْ طُرِقَ بَابَ الدَّارِ وَقَدْ حَضَرَتِ الرِّجَالُ فِي
 طَاجِي. فَدَخَلَ الرَّجُلُ عِنْدِي وَقَالَ لِي: لَا تَخَفْ بَلْ كُنْ مُسْتَقِرًّا فِي
 حَرَمِي. ثُمَّ نَزَلَ وَفَتَحَ الْبَابَ لِلنَّاسِ فَطَلَبُونِي مِنْهُ فَأَنْكَرَنِي وَقَالَ: إِنَّهُ
 لَمْ يَرَنِي. فَقَالُوا لَهُ: نَفَثَسُ بَيْتِكَ فَتَمَالَ لَهُمْ: دُونَكُمْ فَلَكُمْ ذَلِكَ. فَدَخَلَ
 الْقَوْمُ وَفَتَشُوا جَمِيعَ دَارِ الرَّجُلِ إِلَّا الْمَقْصُورَةَ الَّتِي فِيهَا حَرَمُهُ فَلَمْ يَجِدُوا
 شَيْئًا. فَذَهَبُوا وَأَقْفَلَ الرَّجُلُ بَابَ دَارِهِ وَدَخَلَ عَلَيَّ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ
 عَلَى سَلَامَتِكَ وَجَعَلَ لَا يَبْرَحُ مِنْ تَأْنِيْسِي وَمَجَالَسِي وَإِكْرَامِي
 مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: يَا مَوْلَايَ لَقَدْ طَالَ مَهَامِي وَأَنَا أُرِيدُ
 الْخَاقَ بُولِي نِعْمَتِي. فَقَالَ: أَمَا إِذَا شِئْتَ فَأَمْضِ مُعَافَى. ثُمَّ إِنَّهُ أَحْضَرَ
 لِي زَادًا كَبِيرًا وَرَكُوبَةً وَأَعْطَانِي صُرَّةً فِيهَا خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ وَقَالَ لِي:
 كُلُّ أَحْتِيَاجِ سَفْرِكَ مُعَدٌّ إِلَّا أَنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَمْضِيَ وَتَخْرُجَ مِنْ
 الْمَدِينَةِ نَهَارًا فَتُعْرِفَ قَوْمَهُ إِلَى بَعْدِ الْغُرُوبِ قَبْلَ قَفْلِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ.
 فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الرَّأْيَ رَأْيُكَ. فَصَبَرْتُ إِلَى أَنْ أَظْلَمَتْ ثُمَّ قُمْتُ وَقَامَ
 مَعِي وَأَخْرَجَنِي مِنْ بَابِ الشَّامِ وَسَارَ مَعِي مَسَافَةً طَوِيلَةً فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ
 أَنْ لَا يَزِيدَ عَلَيَّ ذَلِكَ. فَوَدَّعَنِي وَرَجَعَ وَسِرْتُ شَاكِرًا لِلرَّجُلِ

وَتَتَعَبًا مِنْ غَزَاةِ إِحْسَانِهِ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ بَغْدَادَ وَلَحِقَتْ بِأَبِي جَعْفَرٍ
 الْمَنْصُورِ. فَذَاتَ يَوْمٍ لَمَّا قُمْتُ صَبَاحًا عَلَى عَادَتِي الْفَجْرَ الْعَمِيقَ وَخَرَجْتُ
 مِنْ دَارِي قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ وَجَدْتُ رَسُولَهُ فِي الطَّرِيقِ
 وَهُوَ آتٍ مِنْ عِنْدِهِ يَدْعُونِي لَهُ. فَأَنْطَلَقْتُ مُسْرِعًا إِلَى أَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ
 فَظَنَرْتُ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ . قَدِمْتُ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ خُذْ
 هَذَا الرَّجُلَ وَأَحْتَفِظْ بِهِ وَعَدَا أُنْتَبِي بِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ قُدِمَ مِنْكَ فَلَا
 أَرْضَى إِلَّا بِعُنُقِكَ . فَذَاتَ سَمَاءٍ وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَظَنَرْتُ
 فَوَجَدْتُ أَمَامَهُ فِي نَاحِيَةِ الْمَكَانِ شَيْخًا مَيِّدًا فِي عُنُقِهِ وَيَدَيْهِ وَرِجَالَيْهِ
 فَأَخَذْتُهُ وَخَرَجْتُ بِهِ فَأَزَكَبْتُهُ وَأَتَيْتُ بِهِ إِلَى بَيْتِي . وَالكَثْرَةَ حِرْصِي
 عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ وَصِيَّةِ الْمَنْصُورِ لِي دَعَوْتُ غَامًا لِي وَأَمَرْتُهُمْ فَفَرَشُوا لَنَا
 مَقْصُورَةً وَأَجْلَسْتُ الرَّجُلَ فِيهَا وَجَلَسْتُ إِلَى جَانِبِهِ وَوَضَعْتُ طَرْفَ
 قَيْدِهِ فِي رِجْلِي وَطَبَّقْتُ عَلَيْهِ . كُلُّ ذَلِكَ حِرْصًا لِي الرَّجُلِ لِئَلَّا يَهْرُبَ
 فَيُرْوَحَ عُنُقِي . فَلَمَّا مَضَى النَّهَارُ وَجَاءَ الْمَغْرِبُ أَمَرْتُ غَامًا لِي فَجَاءُوا
 بِأَمَّا نِدَةٍ وَعَلَيْهَا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ . فَجَاسَتْ أَنَا وَالرَّجُلُ فَأَكَلْنَا ثُمَّ غَسَلْنَا
 أَيْدِيَنَا وَجَلَسْنَا وَقَدْ ضَجِرْتُ مِنَ السُّكُوتِ لِأَنَّ الرَّجُلَ مَهْمُومٌ وَيَفَكِّرُ فِي
 شَأْنِهِ فَسَأَلْتُهُ مِنْ أَيْنَ هُوَ فَقَالَ : مِنْ الشَّامِ . فَقُلْتُ : أَتَعْرِفُ فُلَانَ الْفُلَانِيَّ
 فِي الشَّامِ . فَقَالَ : مَا أَحَدٌ أَعْرِفُ بِهِ . نَبِيٌّ لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنْهُ . فَقُلْتُ لَهُ : لِأَنِّي
 أَسِيرٌ مَعْرُوفٌ وَعَبْدٌ إِحْسَانِهِ . وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا عَمِلَهُ مَعِي فِي زَمَانِ فِتْنَةِ الشَّامِ .
 فَتَبَسَّمَ الرَّجُلُ فَلَمَّا تَبَسَّمَ تَفَرَّسْتُ فِيهِ فَإِذَا هُوَ هُوَ . نَطَّارَ عَلِيٍّ مِنْ

رَأَيْتُ فَرَحًا بِهِ فَجَعَلْتُ أَسْأَلُهُ إِلَى أَنْ تَحَقَّقْتُهُ فَعُتُّ حِينَئِذٍ وَكَسَّرْتُ
أَقْفَالَ يُسُودِهِ وَهُوَ يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ أَمَرْتُ الْعَامَانَ فَأَحْضَرُوا لَهُ
يَا بَأَبَا فَبَيَّ أُنْسَهَا فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ فَلَيْسَ بِهَا . ثُمَّ قَالَ لِي : مَا مَرَّادُكَ أَنْ تَعْمَلَ بِي .
قُلْتُ : وَاللَّهِ أَنْتَ ذَاكَ حَتَّى تَصِيرَ بَعِيدًا عَنِ بَغْدَادَ بِرَأْسِ رَجُلٍ وَتَذْهَبَ فِي
حَالِ سَبِيلِكَ . فَقَالَ : أَسْمَعُ هَذَا لَيْسَ هُوَ الرَّأْيُ الصَّابِتُ لِأَنَّكَ إِذَا
مَضَيْتَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِي يَغْضَبُ عَلَيْكَ فَيَشْتَكِيكَ وَأَنَا مَعَاذَ
اللَّهِ أَنْ أَشْتَرِي سَلَامَتِي بِمَوْتِكَ نَهَذَا لَا يُمَكِّنُ . فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا ذَنْبُكَ
أَنْتَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : أَتَهْمُونِي زُورًا بِأَنِّي أَنَا الَّذِي حَرَكْتُ
الْفَتَنَ فِي الشَّامِ وَأَنَّ ابْنَ أُمَيَّةٍ عِنْدِي وَدَائِعَ . فَقُلْتُ : حَيْثُ إِنَّ هَذَا
فَقَطُّ جُرْمُكَ وَاللَّهِ إِنِّي أَهْرَبُكَ وَأَنَا لَا أَبَالِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ
قَتَلَنِي وَإِنْ عَفَا عَنِّي . فَإِنَّ إِحْسَانَكَ السَّالِفَ عَلَيَّ عَظِيمٌ جَدًّا . فَقَالَ لِي :
لَا تَظُنَّ أَنَّي أَطَاوَعُكَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ عِنْدِي رَأْيٌ أَصُوبٌ وَهُوَ :
دَعْنِي مَحْفُوظًا فِي مَسْكَنِ وَأَمْضِ قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا شِئْتَ مِنْ هَرَبِي .
فَإِنْ عَفَاكَ فَعُدْ إِلَيَّ وَأَطْلِقْنِي فَأَهْرَبُ وَإِنْ أَمَرَ بِتَيْتِكَ فَعِنْدَ ذَلِكَ
أَكُونُ أَنَا فِي أَمْرِكَ فَتُحْضِرُنِي وَتَقْتَدِي نَفْسَكَ . وَعَدَا هَذَا لَا أَرْضِي
مَعَكَ بِشَيْءٍ (قَالَ) فَلَمَّا رَأَيْتُ الرَّجُلَ أَبِي إِذَا هَذَا وَضَعْتُهُ فِي مَقْصُورَةٍ
خَفِيَّةٍ فِي دَارِي وَأَصْبَحْتُ وَأَبْكَرْتُ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ . فَدَخَلْتُ فَوَجَدْتُ
الْمَنْصُورَ جَالِسًا يَنْتَظِرُنِي . فَلَمَّا رَأَيْتُ وَحْدِي قَامَ عِرْقُ الْغَضَبِ بَيْنَ
عَيْنَيْهِ وَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ قَدْ صَارَتَا مِثْلَ الذَّرِّ غَيْظًا عَلَيَّ وَقَالَ لِي : هَيْه

يَا عَبَّاسُ أَيْنَ الرَّجُلُ . فَقُلْتُ لَهُ : مَهْلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَى وَهَذَا رَجُلٌ جَرَى لِي مَعَهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ وَقَعَلَ مَعِيَ كَذًا وَكَذًا
مِنَ الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ فَأَلْتَزَمْتُ لِحَقِّ إِحْسَانِهِ أَنْ أُطَلِّقَهُ أَمَّا بِرَأْسِكَ
وَأَتَّكَلَّ عَلَى كَرَمِكَ . قَالَ : فَرَأَيْتُ وَجْهَ الْمَنْصُورِ قَدِ تَهَلَّلَ وَقَالَ لِي :
لِحَاكِ اللَّهِ يَا عَبَّاسُ . أَيْفَعَلُ هَذَا الرَّجُلُ مَعَكَ هَذَا الْإِحْسَانَ الْعَظِيمَ فِي
زَمَنِ الْفِتْنَةِ وَتَطَائِفِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْبِرَنِي بِإِحْسَانِهِ لِتَقْوَمَ بِإِكْرَامِهِ وَتُجْزِيَهُ
عَمَّا فَعَلَهُ مَعَكَ مِنَ الْخَيْرِ . وَجَعَلَ الْمَنْصُورُ يَتَأَسَّفُ وَيُفْرِكُ يَدَيْهِ تَحْسِرًا
وَيَبْكُ : أَبْذَهَبُ مِنَّا إِنْسَانٌ لَهُ عَلَيْنَا إِحْسَانٌ فَلَا نُؤْفِيهِ بَعْضَ مَا اسْتَوْجَبَ
عِنْدَنَا مِنْ عَظِيمٍ مَعْرُوفِهِ وَاللَّهِ إِنَّهَا الْكُبْرَى . فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَبِي
وَأَقِي إِنَّ الرَّجُلَ مَوْجُودٌ عِنْدِي وَقَدْ أَبِي أَنْ يَهْرَبَ لِحَوْفِهِ عَلَيَّ عَنِّي
مِنْكَ . فَقَالَ لِي أَنْ أَجْعَلَهُ مَحْفُوظًا فِي مَكَانٍ وَأَتِيكَ فَأُخْبِرَكَ أَنَّهُ هَرَبَ
فَإِنْ عَفَوْتَ وَإِلَّا رَجَعْتُ فَأُحْضِرْتُهُ . فَاسْتَبَشَرَ وَجْهَ الْمَنْصُورِ وَضَرَبَ
بِرِجْلِهِ الْأَرْضَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ يُسَاوِي مِقْدَارَ سَالِفِ مَعْرُوفِ الرَّجُلِ
إِلَيْكَ . فَأَمَضَ مُسْرِعًا وَأَثْنِي بِهِ مَكْرَمًا مُوقَّرًا . فَمَضَيْتُ وَأَتَيْتُ دَارِي
وَدَخَلْتُ عَلَى الرَّجُلِ فَمَقَّبَلُ الْأَرْضَ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَقَامَ وَجَاءَ مَعِيَ
حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ فَحِينَ رَأَاهُ رَحِبَ بِهِ وَأَجَاسَهُ
بِحَبَابِهِ وَأَكْرَمَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعًا نَفِيَسَةً وَقَالَ لَهُ : هَذَا جَزَاءُ إِحْسَانِكَ .
وَسَأَلَهُ إِنْ شَاءَ أَنْ يُؤَلِّقَهُ الشَّامَ فَأَبَى وَشَكَرَهُ . وَأَطْلَقَهُ الْمَنْصُورُ مُوقَّرًا
وَأَرْسَلَ مَعَهُ الْكُتُبَ لَوْلَاتِهِ يَا مَرْهُمَ بِإِكْرَامِهِ وَالْقِيَامَ بِمَحَوَاتِحِهِ (لِلتَّائِيدِ)

الْبَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ
فِي الْمَكَاهَاتِ

٣١٩ أَرْسَلَ ابْنَ خُرُوفِ الشَّاعِرِ إِلَى ابْنِ شَدَّادٍ بِحَلَبٍ يَطْلُبُ مِنْهُ فَرُوقَةَ:
بِهَاءِ الدِّينِ وَالذُّنْيَا وَنُورِ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ
طَلَبْتُ مَخَافَةَ الْأَنْوَا وَمِنْ جَدِّوَاكَ جِلْدَ أَبِي
وَفَضْلِكَ عَالِمٌ أَنِّي خُرُوفٌ بَارِعٌ الْأَدَبِ
حَابَتُ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ وَفِي حَابٍ صَنَا حَابِي
٣٢٠ دَخَلَ أَبُو ذُلَامَةَ عَلَى الْمَنْصُورِ فَأَشَدَّهُ:

رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي ثِيَابًا جَمَّةً وَتَضَيْتَ دِينِي
وَكَانَ بِنَفْسِي الْخَزْفِ فِيهَا وَرَأَيْتُ نَاعِمًا قَاتِمًا زِينِي
فَصَدَّقَ يَا فَدَّتْكَ النَّاسُ رُؤْيَا رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَذَلِكَ عَمِي
فَأَمَرَ لَهُ بِذَلِكَ وَقَالَ: لَا نَعُدُّ فَتَحَلَّمْ فَأَجْمَلْ جِأَلِكَ اضْغَاثًا (اللازدي)

سيد العرب

٣٢١ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: رَأَيْتُ بِالْبَادِيَةِ أَعْرَابِيَّةً تَبْكِي عَلَى قَبْرِ رَتَنُوقِ:
فَمَنْ لِلسُّوَالِ وَمَنْ لِلسُّوَالِ وَمَنْ لِمَعَالِي وَمَنْ لِلنَّطَابِ
وَمَنْ لِلْعِمَامَةِ وَمَنْ لِلْكُفَاةِ إِذَا مَا الْكِيمَاةُ جَبُّوا لِلرَّكَبِ
إِذَا قِيلَ مَاتَ أَبُو مَالِكٍ فَتَى الْمَكْرُمَاتِ فَرِيدُ الْعَرَبِ
فَهَلَّتْ لَهَا: مَنْ هَذَا الَّذِي مَاتَ هُوَ لَا كَلِمَهُمْ بِمَوْتِهِ . فَبَكَتْ

وَقَالَتْ : هَذَا أَبُو مَالِكٍ الْحَجَّامُ حَتَّى أَبِي مَنْصُورٍ الْحَائِكِ . فَقَالَتْ : لَا
جَزَائِكَ اللَّهُ خَيْرًا . وَاللَّهُ مَا ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّهُ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ

ابن المغازلي عند المعتضد

٣٢٢ كَانَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ بِبَغْدَادَ عَلَى الطَّرْقِ بِأَخْبَارِ
وَنَوَادِرٍ مُنَوَّعَةٍ . وَكَانَ نِهَاطَةً فِي الْحِذْقِ لَا يَسْتَطِيعُ مَنْ سَمِعَهُ أَنْ لَا
يَضْحَكَ . قَالَ : وَقَفْتُ يَوْمًا عَلَى بَابِ الْخَاصَّةِ أَضْحَكَ النَّاسَ وَاتَّادَرُ
فَحَضَرَ خَافِي بَعْضُ خُدَّامِ الْمُعْتَضِدِ . فَأَخَذْتُ فِي نَوَادِرِ الْخُدَمِ فَأَعْجَبَ
بِذَلِكَ وَأَنْصَرَفَ . ثُمَّ عَادَ فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ : دَخَلْتُ فَوْقَ بَيْنِ
يَدَي سَيِّدِي فَتَذَكَّرْتُ حِكَايَتِكَ فَضَحِكْتُ . فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَا لَكَ
وَيْلَكَ . فَقَالَتْ : عَلَى الْبَابِ رَجُلٌ يُعْرِفُ ابْنَ الْمَغَازِلِيِّ يَتَكَلَّمُ بِحِكَايَاتِ
وَنَوَادِرِ ضُحُكِ الْكُؤُولِ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِكَ وَلِي نِصْفُ جَائِزَتِكَ .
فَطَمَعْتُ فِي الْجَائِزَةِ وَقَالَتْ : يَا سَيِّدِي أَنَا ضَعِيفٌ وَعَلَيَّ عَيْلَةٌ فَلَوْ
أَخَذْتَ سُدْسَهَا أَوْ رُبْعَهَا . فَأَبَى وَأَدْخَانِي . فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ السَّلَامَ وَهُوَ
يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ . فَنَظَرَ فِي أَكْثَرِهِ وَأَنَا وَاقِفٌ ثُمَّ أَطْبَقَهُ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ
وَقَالَ : أَنْتَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ . قَالَتْ : نَعَمْ يَا مَوْلَايَ . قَالَ : بَاغِبِي أَنَّكَ
تُحْكِي وَتُضْحِكُ نَوَادِرَ عَجِيبَةٍ . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْحَاجَةَ تَهْتِكُ
الْحِيلَةَ . أَجْمَعُ لِلنَّاسِ حِكَايَاتٍ أَتَرَبُّبُ بِهَا إِلَى قُلُوبِهِمْ فَأَتَسِرُّ بِرَهُمْ .
قَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ فَإِنْ أَضْحَكْتَنِي أَجْزَيْتُكَ بِخَمْسِينَ دِرْهَمًا وَإِنْ
أَنَا لَمْ أَضْحَكَ أَضْفَعُكَ بِذَلِكَ الْجِرَابِ عَشْرَ صَنَمَاتٍ . فَقَالَتْ فِي

نَفْسِي : مَا كُ لَا يَضَعُ إِلَّا بِشَيْءٍ لَيْنٍ خَفِيفٍ . وَالتَّفْتُ فَإِذَا بَجْرَابٍ مِنْ
أَدَمٍ مُعَلَّقٍ فِي زَاوِيَةِ أَلْيَتٍ . فَقُلْتُ : مَا أَخْطَأَ ظَنِّي عَسَى فِيهِ رَيْحٌ .
إِنْ أَضْحَكْتَهُ رَجَحْتُ وَأَخَذْتُ الْجَائِزَةَ وَإِلَّا فَعَسْرُ صَفَعَاتِ بَجْرَابٍ
مَنْفُوحٍ شَيْءٌ هَيِيزٌ . ثُمَّ أَخَذْتُ فِي النُّوَادِرِ وَالْحِكَايَاتِ وَالنَّفَاسَةِ
وَالْمِبَارَةِ . فَلَمْ أَدْعِ حِكَايَةَ أَعْرَابِيٍّ وَلَا نَحْوِيٍّ وَلَا مُنْخَبِتٍ وَلَا فَاضٍ وَلَا
نَبَطِيٍّ وَلَا سِنْدِيٍّ وَلَا زَنْجِيٍّ وَلَا خَادِمٍ وَلَا زَكِيٍّ وَلَا شَاطِرٍ وَلَا عِيَّارٍ
وَلَا نَادِرَةَ وَلَا حِكَايَةَ إِلَّا وَأَحْضَرْتُهَا حَتَّى نَفِدَ كُلُّ مَا عِنْدِي وَتَصَدَّعَ
رَأْسِي . وَفَرَّتْ وَبَرَدَتْ وَلَمْ يَبْقَ وَرَائِي خَادِمٌ وَلَا غُلَامٌ إِلَّا وَقَدْ مَاتُوا
مِنْ الضَّحْكَ . وَهُوَ مُقَطَّبٌ لَا يَتَبَسَّمُ . فَقُلْتُ : قَدْ نَفِدَ مَا عِنْدِي وَوَاللَّهِ
مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ . فَقَالَ لِي : هِيَ مَا عِنْدَكَ . فَقُلْتُ مَا بَقِيَ لِي سِوَى
نَادِرَةٍ وَاحِدَةٍ . قَالَ : هَاتِيهَا . قُلْتُ : وَعَدْتَنِي أَنْ تَجْعَلَ جَائِزَتِي عَشْرَ
صَفَعَاتٍ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُضَعِفَهَا لِي وَتُضِيفَ إِلَيْهَا عَشْرَ صَفَعَاتٍ أُخْرَى .
فَأَرَادَ أَنْ يَضْحَكَ ثُمَّ تَأَسَّكَ وَقَالَ : تَفْعَلُ . يَا غُلَامُ خُذْ بِيَدِهِ . ثُمَّ مَدَدَتْ
ظَهْرِي فَصُفَعْتُ بِالْجْرَابِ صَفْعَةً فَكَأَنَّمَا سَقَطَتْ عَلَيَّ قِطْعَةٌ مِنْ جَبَلٍ .
وَإِذَا هُوَ مَمْلُوءٌ حَصًّا مُدَوَّرًا فَصُفَعْتُ عَشْرًا فَكَادَتْ أَنْ تَنْفُصِلَ رِقَبَتِي
وَطَلَّتْ أُذُنَايَ وَأَنْقَدَحَ الشُّعَاعُ مِنْ عَيْنِي . فَضَحْتُ : يَا سَيِّدِي نَصِيحَةٌ .
فَرَفَعَ الصَّفْعَ بَعْدَ أَنْ عَزَمَ عَلَى الْعِشْرِينَ . فَقَالَ : قُلْ نَصِيحَتِكَ . فَقُلْتُ :
يَا سَيِّدِي إِنَّهُ لَيْسَ فِي الدِّيَانَةِ أَحْسَنُ مِنَ الْأَمَانَةِ وَأَقْبَحُ مِنَ الْحَيَانَةِ .
وَقَدْ صَنَيْتُ لِلْخَادِمِ الَّذِي أَدْخَلَنِي نِصْفَ الْجَائِزَةِ عَلَى قُلُوبِهَا وَكُتْرِهَا .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ قَدْ أَضَعَفَهَا . وَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ نِصْفِي رِبِّي
نِصْفَهُ . فَضَحِكَ حَتَّى اسْتَلَقَى وَاسْتَفَزَّهُ مَا كَانَ سَمِعَ . فَتَحَامَلَ لَهُ فَمَا زَالَ
يَضْرِبُ يَدَيْهِ الْأَرْضَ وَيَفْحَصُ بِرِجْلَيْهِ وَيَمْسِكُ بِمِرَاقِ بَطْنِهِ حَتَّى إِذَا
سَكَنَ قَالَ : عَلَيَّ بِهِ فَأَتِي بِهِ . وَأَمْرٌ بِنِصْفِهِ وَكَانَ طَوِيلًا . فَقَالَ : وَمَا
جِنَايَتِي . فَقُلْتُ لَهُ : هَذِهِ جَائِزَتِي وَأَنْتَ شَرِيكِي فِيهَا . وَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ
نِصْفِي مِنْهَا وَبَقِيَ نِصْبُكَ . فَلَمَّا أَخَذَهُ الصَّفْعُ وَطَرَقَ قَفَاهُ الْوَقْعُ أَقْبَلْتُ
الْوَمَةَ وَأَقُولُ لَهُ : قَاتُ لَكَ إِنِّي ضَعِيفٌ مُعِيلٌ وَشَكَوْتُ إِلَيْكَ الْحَاجَةَ
وَالْمُسْكِنَةَ وَأَقُولُ لَكَ : خُذْ رُبْعَهَا أَوْ سُدُسَهَا وَأَنْتَ تَقُولُ لَا آخُ
إِلَّا نِصْفَهَا . وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَهُ جَائِزَتُهُ
الصَّفْعُ وَهَبْتُهَا لَكَ كُلَّهَا . فَعَادَ إِلَى الصَّحْبِ مِنْ عِتَابِي لِلْخَادِمِ . فَلَمَّا
اسْتَوْفَى نِصْبَهُ أَخْرَجَ صُرَّةً فِيهَا خَمْسِمِائَةَ دِرْهَمٍ وَقَالَ : هَذِهِ كُنْتُ
أَعَدَدْتُهَا لَكَ فَا مَ يَدْعُكَ فُضُولُكَ حَتَّى أَحْضَرْتَ شَرِيكَكَ لَكَ . فَقُلْتُ :
وَأَيْنَ الْأَمَانَةُ . فَقَسَمْتُهَا بَيْنَنَا وَأَنْصَرَفْتُ (لالشريشي)

ابراهيم المرصلي وابراهيم المهدي عند الرشيد

٣٢٣ قَالَ الرَّشِيدُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ الْمُؤَصِّلِيِّ وَأَبْنِ
جَامِعٍ : بَاكِرُونِي غَدًا وَلِيَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْ قَالَ شِعْرًا إِنْ كَانَ يَقْدِرُ
أَنْ يَقُولَهُ وَغَنَى فِيهِ لِحْنًا . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا عَنِّي فِي شِعْرٍ غَيْرِهِ . قَالَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ : قَسَمْتُ فِي السَّمْرِ وَجَهَدْتُ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ
أَضَعُهُ فَلَمْ يَتَّفِقْ لِي . فَلَمَّا خَفْتُ طُلُوعَ الْفَجْرِ دَعَوْتُ بِنَدَائِي وَقُلْتُ لَهُمْ :

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى مَوْضِعٍ لَا يَشْعُرُ بِي أَحَدٌ حَتَّى أَصِيرَ إِلَيْهِ .
وَكَانُوا فِي زُبَيْدِيَّاتٍ لِي يَبْتَئُونَ فِيهَا عَلَى بَابِ دَارِي . فَكُنْتُ فَرَكِبْتُ
فِي إِحْدَاهَا وَقَصَدْتُ دَارَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ . وَكَانَ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّهُ إِذَا
أَرَادَ الصَّنْعَةَ لَمْ يَنْمِ حَتَّى يُدِيرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَأَعْتَمَدَ عَلَى خَشَبَةٍ لَهُ فَاذَمَّ
يَزَلُ يَقْرَعُ عَلَيْهَا حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الصَّوْتِ وَيَرْتَمِعَ فِي قَلْبِهِ . فَجِئْتُ حَتَّى
وَقَفْتُ تَحْتَ دَارِهِ فَإِذَا هُوَ يُرَدِّدُ صَوْتًا أَعَدَّهُ . فَمَارِلْتُ وَاقِفًا أَسْتَمِعُ مِنْهُ
الصَّوْتَ حَتَّى أَخْذُتُهُ . ثُمَّ عَدَدْنَا إِلَى الرَّشِيدِ فَلَمَّا جَاسْنَا لِلشَّرْبِ خَرَجَ
الْخَادِمُ إِلَيَّ فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا ابْنَ أُمِّ غَنِي . فَأَنْدَقْتُ
فَعَنَيْتُ هَذَا الصَّوْتَ وَالْمُوصِلِيَّ فِي أَمُوتٍ حَتَّى فَرَعْتُ مِنْهُ . فَشَرِبَ عَلَيْهِ
وَأَمَرَ لِي بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَوَثَبَ إِبْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ فَخَلَفَ
بِالطَّلَاقِ وَحَيَاةِ الرَّشِيدِ أَنَّ الشَّعْرَ لَهُ قَالَهُ الْبَارِحَةَ وَغَنَى فِيهِ . مَا سَبَقَهُ
إِلَيْهِ أَحَدٌ . فَقَالَ ابْنُ الْمُهْدِيِّ : يَا سَيِّدِي فَمَنْ أَيْنَ هُوَ لِي أَنَا لَوْلَا كَذِبُهُ
وَبَهْتُهُ . وَإِبْرَاهِيمُ يَضْطَرِبُ وَيَضْعُ . فَلَمَّا قَضَيْتُ أَرْبَابًا مِنَ الْعَبَثِ بِهِ قُلْتُ
لِلرَّشِيدِ : الْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبَعَ وَصَدَّقْتَهُ . فَقَالَ لِلْمُوصِلِيِّ : أَمَا أَخِي
فَهَذَا أَخْذُ الْمَالِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ
عَوَضًا مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ . فَأَمَرَ لَهُ بِهَا فَحَمَلَتْ إِلَيْهِ (الآغَانِي)

٣٢٤ ذَكَرَ الْمُبَرِّدُ أَنَّ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ قَالَ يَوْمًا وَقَدْ اشْتَدَّتْ
الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ لِأَبِي عَلْقَمَةَ النُّجَيْدِيِّ : أَمِدَدَنَا بِخَيْلِ
النُّجَيْدِ . وَقَالَ لَهُمْ : أَعْبِرُونَا جَمَاعَكُمْ سَاعَةً . فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّا

جَاهِهِمْ أَيْسَتْ بِفَخَّارٍ قَتَمَارَ . وَأَعْنَاقَهُمْ أَيْسَتْ بِكِرَّاثٍ فَتَبَّتْ . وَقَالَ :
يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ بَعِيرٍ جُرْمٍ . تَقَدَّمَ حِينَ جَدَّ بِنَا الْمِرَاسُ
فَمَا لِي إِنْ أَطَعْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ . وَمَا لِي غَيْرَ هَذَا الرَّاسِ رَاسُ
تَقِيلُ وَظَرِيفُ

٣٢٥ أَهْدَى رَجُلٌ مِنَ الثَّمَلَاءِ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الظَّرْقَاءِ جَمَلًا ثُمَّ نَزَلَ
عَلَيْهِ حَتَّى أَرَمَهُ . فَقَالَ فِيهِ :

يَا مُبْرِمًا أَهْدَى جَمَلٌ	خُذْ وَأَنْصَرِفِ أَلْفِي جَمَلٌ
قَالَ وَمَا أَوْقَارَهَا	قُلْتُ زَيْبٌ وَعَسَلٌ
قَالَ وَمَنْ يَقُودُهَا	قُلْتُ لَهُ أَلْفَا رَجُلٌ
قَالَ وَمَنْ يَسُوقُهَا	قُلْتُ لَهُ أَلْفَا بَطْلٌ
قَالَ وَمَا لِبَابِهِمْ	قُلْتُ حُلِيٌّ وَحَلَلٌ
قَالَ وَمَا سِيْلَاحُهُمْ	قُلْتُ سَيْوْفٌ وَأَسَلٌ
قَالَ عَيْدٌ لِي إِذَا	قُلْتُ نَعَمْ ثُمَّ خَوْلٌ
قَالَ بِهَذَا فَأَكْتُبُوا	إِذَنْ عَلَيكُمْ لِي سِجِلٌ
قُلْتُ لَهُ أَلْفِي سِجِلٌ	فَأَصْنَنْ لَنَا أَنْ تَرْتَجِلُ
قَالَ وَقَدْ أَضَجَّرْتُكُمْ	قُلْتُ أَجَلٌ ثُمَّ أَجَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَرَمْتُكُمْ	قُلْتُ لَهُ الْأَمْرُ جَلَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَثَقَّأْتُكُمْ	قُلْتُ لَهُ فَوْقَ الثَّقَلِ
قَالَ فَإِنِّي رَاحِلٌ	قُلْتُ الْعَجَلُ ثُمَّ الْعَجَلُ

يَا كَوَّابَ الشُّومِ وَمَنْ أَرَبِي عَلَى نَحْسِ زُحَلٍ
يَا جَبَلًا مِنْ جَبَلٍ فِي جَبَلٍ فَوْقَ جَبَلٍ
(لابن عبد ربه)

سنان بن ثابت والطبيب القروي

٣٣٦ مِنْ ظُرَيْبٍ مَا جَرَى إِسْنَانِ بْنِ ثَابِتٍ فِي الْعَبِّ فِي أَمْتَحَانَ
الْأَطْبَاءِ عِنْدَ تَقَدُّمِ الْخَلِيفَةِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَحْضَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مَلِيحٌ
الْبَشْرَةَ وَالْهَيْبَةَ ذُو هَيْبَةٍ وَوَقَارٍ. فَأَكْرَمَهُ سِنَانٌ عَلَى مُوجِبِ مَنْظَرِهِ
وَرَفَعَتْهُ. ثُمَّ أُلْفَتْ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ: قَدْ أَشْتَهَيْتُ أَنْ أَتَّبِعَ مِنَ الشَّيْخِ
شَيْدًا أَحْضَرَهُ عَنْهُ وَأَنْ يَذْكَرَ شَيْخَهُ فِي الصَّنَاعَةِ. فَأَخْرَجَ الشَّيْخُ مِنْ كُمِهِ
قِرْطَاسًا فِيهِ دَنَانِيرٌ صَالِحَةٌ وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ سِنَانٍ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا
أَحْسَنُ أَنْ أَكْتُبَ وَلَا أَقْرَأُ شَيْئًا جَمَلَةً. وَبِي عِيَالٌ وَمَعَاشِي دَارَ دَائِرُهُ
وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَقْطَعَهُ عَنِّي. فَضَحِكَ سِنَانٌ وَقَالَ: عَلَى شَرِيظَةٍ أَنْتَ
لَا تَعْجُمُ عَلَى مَرِيضٍ بِمَا لَا تَعْلَمُ وَلَا تُشِيرُ بِفَضْدٍ وَلَا بِدَوَاءٍ مُسْهَلٍ إِلَّا
بِمَا قَرُبَ مِنَ الْأَمْرَاضِ. قَالَ الشَّيْخُ: هَذَا مَذْهَبِي مُذْ كُنْتُ مَا تَعَدَّيْتُ
السَّكَنِيِّينَ وَالْجَلَّابَ. وَأَنْصَرَفَ. وَأَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ حَضَرَ إِلَيْهِ غُلَامٌ
شَابٌّ حَسَنُ الْبُرَّةِ مَلِيحٌ الْوَجْهِ ذَكِيٌّ فَنَظَرَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ لَهُ: عَلَى
مَنْ قَرَأْتَ قَالَ: عَلَى أَبِي. قَالَ: وَمَنْ يَكُونُ أَبُوكَ. قَالَ: الشَّيْخُ
الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ بِالْأَمْسِ. قَالَ: نَعَمْ الشَّيْخُ. وَأَنْتَ بَعْلِي مَذْهَبِي.
قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَا تَجَاوِزْهُ. وَأَنْصَرَفَ مُصَاحِبًا (لاي القرج)

حذاء ابي القاسم الطنبوري

٣٢٧ حكي أنه كان في بغداد رجل اسمه أبو القاسم الطنبوري .
وكان له مداس صار له وهو يليسه سبع سنين . وكان كلما تقطع
منه موضع جعل مكانه رقعة إلى أن صار إلى غاية الثقل وصار الناس
يضربون به المثل . فاتفق أنه دخل يوماً سوق الزجاج . فقال له
شمسار : يا أبا القاسم قد قدم إلينا اليوم تاجر من حاب ومعه حمل
زجاج مذهب قد كسد فأشتره منه . وأنا أبيعك لك بعد هذه المدة
فتكسب به المثل مثلين . فمضى وأشتراه بستين ديناراً . ثم إنه دخل
إلى سوق العطارين فصادفه شمسار آخر وقال له : يا أبا القاسم قد
قدم إلينا اليوم من نصيين تاجر ومعه ماء وزد في غاية الطيبة
ومرادُه أن يسافر . فاهجته سفره يمكن أن تشتريه منه رخيصاً وأنا
أبيعك لك فيما بعد بأقرب مدة فتكسب به المثل مثلين . فمضى أبو
القاسم وأشتراه أيضاً بستين ديناراً أخرى وملاهُ في الزجاج
المذهب . وحمله وجاء به فوضعه على رف من رفوف بيته في الصدر .
ثم إن أبا القاسم دخل الحمام ينتسل . فقال له بعض أصدقائه يا أبا
القاسم أشتحي أن تغير مداسك هذا فإنه في غاية الشناعة
وأنت ذو مال من حمد الله . فقال له أبو القاسم : الحق معك
فألتصع والطاعة . ثم إنه لما خرج من الحمام وليس ثيابه رأى بجانب
مدايه مداساً جديداً فظن أن الرجل من كرمه اشتراه له فليسه

وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ الْمَدَاسُ الْجَدِيدُ مَدَاسَ الْقَاضِي جَاءَ
 فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الْحَمَّامِ وَوَضَعَ مَدَاسَهُ هُنَاكَ وَدَخَلَ اسْتَحَمَ . فَلَمَّا
 خَرَجَ فَتَشَّ عَلَى مَدَاسِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ فَقَالَ : أَيَا إِخْوَانِنَا أَتَرُونَ أَنَّ
 الَّذِي لَيْسَ مَدَاسِي لَمْ يَتْرِكْ عِوَضَهُ شَيْئًا . فَقَتَّشُوا فَلَمْ يَجِدُوا سِوَى
 مَدَاسِ أَبِي الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيِّ فَعَرَفُوهُ لِأَنَّهُ كَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ .
 فَأَرْسَلَ الْقَاضِي خَدَمَهُ فَاكْبَسُوا بَيْتَهُ فَوَجَدُوا مَدَاسَ الْقَاضِي عِنْدَهُ .
 فَأَحْضَرَهُ الْقَاضِي وَأَخَذَ مِنْهُ الْمَدَاسَ وَضَرَبَهُ تَأْدِيبًا لَهُ وَحَبَسَهُ مُدَّةً
 وَغَرَمَهُ بَعْضَ الْمَالِ وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ مِنَ الْحَبْسِ وَأَخَذَ
 مَدَاسَهُ وَهُوَ غَضَبَانُ عَلَيْهِ وَمَضَى إِلَى دِجْلَةَ فَالْقَاهُ فِيهَا فَنَاصَ فِي
 الْمَاءِ . فَأَتَى بَعْضَ الصَّيَّادِينَ وَرَمَى شَبَكَتَهُ فَطَاعَ فِيهَا الْمَدَاسُ . فَلَمَّا
 رَأَاهُ الصَّيَّادُ عَرَفَهُ وَقَالَ : هَذَا مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيِّ قَالَ ظَاهِرُ
 أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ فِي دِجْلَةَ . فَحَمَلَهُ وَأَتَى بِهِ بَيْتَ أَبِي الْقَاسِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ .
 فَظَرَ فَرَأَى دَاقَةَ نَائِذَةٍ إِلَى صَدْرِ الْبَيْتِ فَرَمَاهُ مِنْهَا إِلَى الْبَيْتِ
 فَسَقَطَ عَلَى الرَّفِّ الَّذِي فِيهِ الزُّجَاجُ وَمَاءُ الْوَرْدِ . فَوَقَعَ الزُّجَاجُ
 وَتَكَسَّرَ وَتَبَدَّدَ مَاءُ الْوَرْدِ . فَجَاءَ أَبُو الْقَاسِمِ وَنَظَرَ ذَلِكَ فَعَرَفَ الْأَمْرَ
 فَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَصَاحَ وَبَكَى وَقَالَ : وَأَفْشَاهُ أَفْقَرَنِي هَذَا الْمَدَاسُ
 الْمَلْعُونُ . ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ لِيَجْفِرَ لَهُ فِي اللَّيْلِ حُفْرَةً وَيَدْفِنَهُ فِيهَا وَيَدْتَّاحَ مِنْهُ .
 فَسَمِعَ الْجَيْرَانَ حِسَّ الْحُفْرِ فَظَنُّوا أَنَّ أَحَدًا يَنْقُبُ عَلَيْهِمْ . فَزَفَعُوا الْأَمْرَ
 إِلَى الْحَاكِمِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَأَعْتَقَلَهُ وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَسْتَعِينُ

أَنْ تَنْفَعَنِي عَلَى جِيرَانِكَ حَايِطَهُمْ وَحَبَسَهُ وَلَمْ يُطْلِقْهُ حَتَّى غَرِمَ بَبْضِ
 الْمَالِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنَ السَّجْنِ وَمَضَى وَهُوَ حَرْدَانٌ مِنَ الْمَدَاسِ وَحَمَلَهُ
 إِلَى كَنْيَفِ الْحَنَانِ وَرَمَاهُ فِيهِ فَسَدَ قَصَبَةُ الْكَنْيَفِ فَفَاضَ وَخَجِرَ
 النَّاسُ مِنَ الرَّائِحَةِ الْكَرِيهَةِ . فَفَتَّشُوا عَلَى السَّبَبِ فَوَجَدُوا مَدَاسًا
 فَتَأَمَّلُوهُ فَإِذَا هُوَ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَحَمَلُوهُ إِلَى الْوَالِيِ وَأَخْبَرُوهُ
 بِمَا وَقَعَ . فَأَحْضَرَ الْوَالِيِ أَبَا الْقَاسِمِ وَوَجَّهَهُ وَحَبَسَهُ وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ تَصْلِيحُ
 الْكَنْيَفِ فَغَرِمَ جَمَاعَةَ مَالٍ . وَأَخَذَ مِنْهُ الْوَالِيِ مِقْدَارَ مَا غَرِمَ تَأْدِيبًا لَهُ
 وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ وَالْمَدَاسُ مَعَهُ وَقَالَ وَهُوَ مُعْتَاضٌ مِنْهُ : وَاللَّهِ
 مَا عُدْتُ أَفَارِقُ هَذَا الْمَدَاسَ . ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى سَطْحِ بَيْتِهِ
 حَتَّى يَجِفَّ . فَرَأَاهُ كَلْبٌ فَظَنَّهُ دِمَّةً فَحَمَلَهُ وَعَبَّرَ بِهِ إِلَى سَطْحِ آخَرَ
 فَسَطَّطَ مِنَ الْكَلْبِ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ ذَائِلُهُ وَجَرَحَهُ جُرْحًا بَاطِنًا . فَنَظَرُوا
 وَفَتَّشُوا لِمَنِ الْمَدَاسُ فَعَرَفُوهُ أَنَّهُ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَرَفَعُوا الْأَمْرَ
 إِلَى الْحَاكِمِ فَأَلْزَمَهُ بِالْعَوَضِ وَالْقِيَامِ بِلَوَازِمِ الْمَجْرُوحِ مُدَّةَ مَرَضِهِ .
 فَفَعَدَ عِنْدَ ذَلِكَ جَمِيعُ مَا كَانَ لَهُ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا
 الْقَاسِمِ أَخَذَ الْمَدَاسَ وَمَضَى بِهِ إِلَى الْقَاضِيِ وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ مِنْ
 حَضْرَةِ مَوْلَانَا الْقَاضِيِ أَنْ يَكْتُبَ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْمَدَاسِ مُبَارَاةً
 شَرْعِيَّةً عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَأَنْتَ لَسْتَ مِنْهُ . وَأَنَّ كَلَامَنَا بَرِيٌّ مِنْ
 صَاحِبِهِ . وَأَنَّهُ هُمَا يَفْعَلُهُ هَذَا الْمَدَاسُ لَا أُوْخِذُ بِهِ أَنَا . وَأَخْبَرَهُ بِجَمِيعِ
 مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنْهُ . فَضَحِكَ الْقَاضِيِ مِنْهُ وَوَصَلَهُ وَمَضَى (لطائف العرب)

الْبَابُ السَّادِسُ عَشَرَ

فِي النُّوَادِرِ

ابن مقلة والواشي

٣٢٨ حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ الْحَسَدَةِ وَشَى بِالْوَزِيرِ الْكَاتِبِ ابْنَ مُثَلَّةَ الَّذِي
 أَنْفَرَدَ فِي زَمَانِهِ بِعُلُوِّ الْخَطِّ وَحُسْنِهِ . وَادَّعَى أَنَّهُ نَدَّرَ الْمَلِكَ فِي بَعْضِ
 الْأُمُورِ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِقَطْعِ يَدِهِ قَلْبًا فَعَمِلَ بِهِ هَذَا الْأَمْرَ لَزِمَ بَيْتَهُ
 وَأَنْصَرَفَتْ عَنْهُ الْأَصْدِقَاءُ وَالْمُحِبُّونَ وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ .
 فَتَبَيَّنَ لِلدَّلِكِ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَيْهِ بَاطِلٌ . فَأَمَرَ بِقَتْلِ الَّذِي وَشَى بِابْنِ
 مُثَلَّةَ وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى إِخْوَانَهُ أَنَّ نِعْمَتَهُ عَادَتْ إِلَيْهِ عَادُوا
 لَهُ يَهْنُوتُهُ وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَتَعَدَّرُونَ . فَأَنْشَدَ :

تَحَافَ النَّاسُ وَالزَّمَانُ فَعَيْتُ كَانَ الزَّمَانُ كَانُوا
 عَادَانِي الْأَهْرُ نِصْفَ يَوْمٍ فَأَنْكَشَفَ النَّاسُ لِي وَبَانُوا
 وَمَكَثَ يَكْتُبُ بِيَدِهِ الْيَسْرَى بِقِيَّةِ عُمُرِهِ . وَلَمْ يَتَغَيَّرْ خَطُّهُ حَتَّى مَاتَ

معجزة ظهرت في حصار مدينة وبند

٣٢٩ خَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو يَعْقُوبَ بْنِ إِسْبِيلِيَةَ قَاصِدًا بِإِلَادِ
 الْأَذْفُنْشِ . فَتَزَلَّ عَلَى مَدِينَةٍ لَهُ عَظِيمَةٌ لَسَمَى وَبَدَ . وَذَلِكَ أَنَّهُ بَاغَاهُ أَنَّ
 أَعْيَانَ دَوْلَةِ الْأَذْفُنْشِ وَوُجُوهَ أَجْنَادِهِ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ . فَأَقَامَ مُحَاصِرًا
 لَهَا أَشْهُرًا إِلَى أَنْ أَشْتَدَّ الْحِصَارُ وَرَحَّ بِهَمِّ الْعَطَشِ . فَأَرْسَلُوا إِلَى أَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ .
فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَعْظَمَهُ نَجِيمٌ مَا نُقِلَ إِلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ عَطَشِهِمْ وَكَثْرَةِ
مَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ . فَلَمَّا يَبْسُوْا مِمَّا عِنْدَهُ سَمِعَ لَهُمْ بَعْضَ اللَّيَالِي لَغَطٌ عَظِيمٌ
وَجَلْبَةٌ أَصْوَاتٍ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوا أَنْجِلَهُمْ وَأَجْتَمَعَ قَسِيدُوهُمْ
وَرُعَبَانُهُمْ يَدْعُونَ وَيُؤْمِنُ بِأَقْبِهِمْ . فَجَاءَ مَطَرٌ عَظِيمٌ كَأَنَّهُ الْقُرْبُ مَلَامًا كَانَ
عِنْدَهُمْ مِنَ الصَّهَارِ يَمِجُ . فَشَرِبُوا وَأَرْتَوْا وَتَوَوَّأُوا عَلَى الْمُسَامِينِ . فَأَنْصَرَفَ
عَنْهُمْ الْخَلِيفَةُ رَاجِعًا إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ بَعْدَ أَنْ هَادَنَ الْأَذْفُشَ (لِلْمُرَّاكَشِيِّ)

مشهد الحسين

٢٣٠ وَمِنْ عَجَائِبِ مَشَاهِدِ مِصْرَ الْمَشْهَدِ الْعَظِيمِ الشَّانِ الَّذِي بِأَنْتَاهِرَةِ
حَيْثُ رَأْسُ الْحُسَيْنِ . وَهُوَ فِي تَابُوتٍ مِنْ فِضَّةٍ مَدْفُونٌ قَدِ بَنِي عَلَيْهِ
بُيَانٌ يَقْصُرُ الْوَصْفُ عَنْهُ . مَجَلَّلٌ بِأَنْوَاعِ الدِّيَابِجِ مَخْفُوفٌ بِأَمْثَالِ الْأَعْمَدِ
الْكِبَارِ شَمْعًا بَيْضَاءَ أَكْثَرَهَا مَوْضُوعٌ فِي أَنْوَارِ الْفِضَّةِ . وَحَفَّ أَعْلَاهُ
كُلُّهُ بِأَمْثَالِ التَّفَافِجِ ذَهَبًا فِي مَصْنَعٍ شَبِهَ الرُّوضَةَ . يَبْهَرُ الْأَبْصَارَ
حُسْنًا وَجَمَالًا . وَفِيهِ أَنْوَاعُ الرُّخَامِ الْعَجْزِ الْعَرِيبِ الصَّنْعَةِ الْبَدِيعِ
الْتَّرْصِيعِ مَا لَا يَتَخَلَّاهُ الْمُتَخَلِّوْنَ . وَالْمُدْخَلُ إِلَيْهَا مِنْ مَسْجِدٍ عَلَى مِثْلِهَا
فِي التَّائِقِ . حِيطَانُهُ كُلُّهَا رُخَامٌ . وَأَعْرَبُ مَا فِيهِ حَجَرٌ مَوْضُوعٌ فِي الْجِدَارِ
الَّذِي يَسْتَمِيبُهُ الدَّاخِلُ شَدِيدُ السَّوَادِ وَالْبَصِيبُ يَصِفُ الْأَشْخَاصَ
كُلُّهَا كَأَنَّهُ الْمِرَاةُ الْهِنْدِيَّةُ . وَلِتَرَاحُمِ النَّاسِ عَلَى الْقَبْرِ وَأَنْكِبَاتِهِمْ عَلَيْهِ
وَتَمَسُّعِهِمْ بِهِ وَبِالْكُسُوةِ الَّتِي عَلَيْهِ مَرَأَى هَائِلٌ (لِلشَّرِيشِيِّ)

٣٣١ نُسَخَةُ مُبَايَعَةِ مَلِكِ كَتَبَهَا الشَّيْخُ عَمْرُ بْنُ الْوَرْدِيِّ نَظْمًا :
 بِاسْمِ إِلَهِ الْخَلْقِ هَذَا مَا اشْتَرَى مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ سَنَقَرًا
 مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَزْرَقِ كِلَاهِمَا قَدْ عُرِفَا مِنْ جِلْقِ
 قَبَاعِهِ قِطْعَةً أَرْضٍ وَاقِيعَهُ بِكُورَةِ الْفُوطَةِ وَهِيَ جَامِعَةٌ
 الشَّجَرِ تُخْتَلَفُ الْأَجْنَاسِ وَالْأَرْضُ فِي الْبَيْعِ مَعَ الْغِرَاسِ
 وَذِرْعُ هَذِي الْأَرْضِ بِالذِّرَاعِ عَشْرُونَ فِي الطُّولِ بِإِلَّا زِرَاعٍ
 وَذِرْعَاهَا فِي الْعَرْضِ مِنْهَا عَشْرَةٌ وَهُوَ ذِرَاعٌ بِالْيَدِ الْمُعْتَبَرَةِ
 وَحَدُّهَا مِنْ قِبَلِ مَلِكِ اتَّقِي وَحَازِرُ الرُّومِيِّ حَدُّ الْمَشْرِقِ
 وَمِنْ شِمَالِ مَلِكِ أَوْلَادِ عَلِيٍّ وَأَنْزَبِ مَلِكِ عَامِرِ بْنِ حَنْبَلٍ
 بَعْمَا صَحِيحًا لَا زِمًا شَرْعِيًّا ثُمَّ شِرَاءً قَاطِعًا رِيعًا
 لَا شَرْطَ فِيهِ فَاسِدٌ فَيَبْطِلُهُ وَلَا خِيَارَ لَهَا يُدَاخِلُهُ
 مِئَةِ مَبْلَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَنِسْرَبِ مَلِكِ عَامِرِ بْنِ حَنْبَلٍ
 فَبُضِبَا الْبَائِعِ مِنْهُ وَاهِيَةً دَرَاهِمُ جَدَّةٌ مَبِيضَةٌ
 وَسَلَّمَ الْأَرْضَ إِلَى مَنْ اشْتَرَى رِعَادَتِ الذِّمَّةِ مِنْهَا خَالِيَةً
 بَيْنَهُمَا بِالْبَدَنِ التَّفَرُّقُ فَبُضِضَ الْفِضَّةُ مِنْهُ وَجَرَى
 وَأَنْشَدَا عَلَيْهِمَا بِذَلِكَ فِي سَابِعِ عَشْرِ رَجَبِ الْأَشْرَفِ
 مِنْ عَامِ سَبْعِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ وَمَا بَقِيَ لِأَحَدٍ تَعَلَّقُ
 وَنَبْدِ خَمْسَةَ تَلِي وَعَشْرَةَ

روية اسماعيل الهزرجي

٣٣٢ نَارِعَ الْخُلَيْفَةَ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فِي أَمْرِهِ قَوَاهُ مِنْ قَرَابَةِ ابْنِ تَوَمَرْتِ وَأَنْتَهُوَا

فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ رَأْيَهُمْ وَرَأْيَ مَنْ وَاقَفَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ عَلَى
 أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ خِيبَاءَهُ لَيْلًا فَيَقْتُلُوهُ . وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ يُخْفِي
 مِنْ أَمْرِهِمْ . وَأَنَّ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ إِذَا قُفِدَ وَلَمْ يُهَاتَمَ مِنْ قَتْلِهِ صَارَ الْأَمْرُ
 إِلَيْهِمْ . لِأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهِ إِذَا كَانُوا أَهْلَ الْإِمَامِ وَقَرَابَتَهُ وَأَوْلَى النَّاسِ بِهِ .
 فَأَعْلِمَ بِمَا أَرَادُوهُ مِنْ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ تَوْرْتٍ مِنْ خِيَارِهِمْ .
 اسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُحْيَى الْهَزْرَجِيُّ . فَاتَى عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ . قَالَ : وَمَا هِيَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ فَجَمِيعُ حَوَائِجِكَ
 عِنْدَنَا مَقْضِيَةٌ . قَالَ : أَنْ تَخْرُجَ عَنِ هَذَا الْخِيبَاءِ وَتَدْعَنِي أَبِيتُ فِيهِ وَلَمْ
 يُعْلَمْهُ بِمُرَادِ الْقَوْمِ . فَظَنَّ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَوْهِبُهُ الْخِيبَاءُ لِأَنَّهُ
 أَنْجَبَهُ فَخَرَجَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ لَهُ . فَبَاتَ فِيهِ إِسْمَاعِيلُ الْمَذْكُورُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ
 أَوْلِيَاكَ الْقَوْمُ فَتَوَلَّوهُ بِالْحَدِيدِ حَتَّى بَرَدَ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ
 يُصِيبُوا عَبْدَ الْمُؤْمِنِ قَرُّوا بِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى أَتَوْا مُرَاكِسَ وَرَامُوا الْقِيَامَ
 بِهَا . فَاتَوَّأَ الْبَوَابِينَ الَّذِينَ عَلَى الْقُصُورِ فَطَلَبُوا مِنْهُمْ الْمَفَاتِيحَ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ .
 فَضَرَبُوا عُنُقَ أَحَدِهِمْ وَقَرَّبَتْهُمُ وَكَادُوا يَغْلِبُونَ عَلَى تِلْكَ الْقُصُورِ .
 ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْجُنْدِ وَخَاصَّةً الْعَبِيدُ فَمَاتَلَوْهُمْ قِتَالًا
 شَدِيدًا مِنْ لَدُنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ . ثُمَّ إِنَّ الْعَبِيدَ غَابَوْهُمْ
 عَلَى أَمْرِهِمْ . وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَتَكَاثَرُونَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ أُخِذُوا قَبْضًا بِالْأَيْدِ
 فَتَمِيدُوا وَجِعِلُوا فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ وَصَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ إِلَى
 مُرَاكِسَ فَقَتَلَهُمْ صَبْرًا . وَقَتَلَ مَعَهُمْ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ هَرَّغَةَ بَلَّغَهُ أَنَّهُمْ

قَادِحُونَ فِي مَكِهِ مُتَرَبِّصُونَ بِهِ . وَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ الْمُتَدِمِّمُ
الذِّكْرِي فِي الْحَبَاءِ مَثُولًا عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا أَعْظَمَ ذَلِكَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ
وَوَجَدَ عَلَيْهِ وَجْدًا مُفْرَطًا أَخْرَجَهُ عَنْ حَدِّ التَّمَاكِ إِلَى حَيْزِ الْجَزَعِ .
فَأَمَرَ بِغَسْلِهِ وَتَكْفِيئِهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ وَدَفِنَ (لعبد الواحد المرادي)

جود حاتم الطائي

٣٣٣ قَالَتْ نَوَارُ امْرَأَةُ حَاتِمٍ : أَصَابَتْنَا سَنَةٌ أَقْشَمَتْ لَهَا الْأَرْضُ
وَأَغْبَرَتْ أَفْقَ السَّمَاءِ . وَرَاحَتْ الْأَيْلُ حَذْبَاءَ حَدَابِيرٍ . وَرَضَّتِ الْمَرَاضِعُ
إِلَى أَوْلَادِهَا فَمَا تَبِضُّ بِقَطْرَةٍ وَأَيُّنَا بِالْهَلَاكِ . فَوَاللَّهِ إِنَّمَا أَتَيْتُ لَيْلَةَ صَبْرٍ
بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ إِذْ تَضَاعَى صَبِيئَتَا جُرْعَاءَ بَدُ اللَّهِ وَعَدِي وَسَدَانَةٍ .
فَقَامَ حَاتِمٌ إِلَى الصَّبِيِّينِ وَقَمَّتْ أَنَا إِلَى الصَّبِيَّةِ فَوَاللَّهِ مَا سَكَّيُوا إِلَّا بَعْدَ
هَذَا مِنْ اللَّيْلِ . وَأَقْبَلَ يُعَلِّمُنِي بِالْحَدِيثِ فَعَرَفْتُ مَا يُرِيدُ فَتَأَوَّزْتُ .
فَلَمَّا تَهَوَّرَتِ النُّجُومُ إِذَا شَيْءٌ قَدْ رَفَعَ كِسْرَ الْبَيْتِ ثُمَّ عَادَ . قَالَتْ : مَنْ
هَذَا . قَالَتْ : جَارُكَ فَلَئِنَّ أَتَيْتُكَ مِنْ عِنْدِ صَبِيَّةٍ يَبْعَادُونَ عُرْوَاءَ
الذَّنَابِ فَمَا وَجَدْتُ دُعُولًا إِلَّا عَلَيْكَ يَا أَبَا عَدِي . قَالَتْ : أَعْجَابِيهِمْ فَقَدْ
أَشْبَعَكَ اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ . فَأَقْبَلَتِ الْمَرْأَةُ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ وَيَمِثِي جَنَابِيهَا
أَرْبَعَةً كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ حَوْلَهَا رِدَالُهَا . فَقَامَ إِلَى فَرَسِهِ فَوَجَّأَ كَبْتَهُ بِمُدِيَّةٍ
فَحَرَ . ثُمَّ كَشَطَهُ عَنْ جِلْدِهِ وَدَفَعَ الْمُدِيَّةَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَ لَهَا : شَأْنُكَ .
فَاجْتَمَعْنَا عَلَى اللَّحْمِ نَشْوِي وَنَأْكُلُ . ثُمَّ جَعَلَ يَمِثِي فِي الْحَيِّ بِأَيْتِيهِمْ بَيْنَمَا
بَيْنَمَا يَقُولُ : هُبُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ بِالنَّارِ . فَاجْتَمَعُوا وَأَنْفَعُ فِي ثَوْبِهِ

نَاحِيَةَ يَنْظُرُ إِلَيْنَا . فَلَا وَاللَّهِ إِنْ ذَاقَ مِنْهُ مُرْعَةً وَإِنَّهُ لَأُخَوِّجُ إِلَيْهِ مِنَّا .
فَأَصْبَحْنَا وَمَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْفَرَسِ إِلَّا عَظْمٌ وَحَافِرٌ . فَأَنْشَأَ حَاتِمٌ يَقُولُ :
مَهْلًا نَوَارُ أَقْلِي اللَّوْمَ وَالْعَدْلَا وَلَا تَقْوِي لِشَيْءٍ قَاتَ مَا فَعَلَا
وَلَا تَقْوِي لِمَالٍ كُنْتُ مَهَاكُهُ مَهْلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الْإِنْسَ وَالْجِبْلَا
يَرَى الْبَغِيلَ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً إِنْ الْجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلًا

إيثار ابن مامة الايادي

٣٣٤ خَرَجَ كَتَبُ بْنُ مَامَةَ الْإِيَادِي فِي قَفْلِ مَعَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
النَّمْرِ . وَكَانَ ذَلِكَ فِي حَرِّ الصَّيْفِ فَضَلُّوا وَشَحَّ مَاؤُهُمْ فَكَانُوا
يَتَصَافَتُونَ الْمَاءَ . وَذَلِكَ أَنْ يُطْرَحَ فِي الْعُتْبِ حَصَاةٌ ثُمَّ يُصَبُّ فِيهِ مِنْ
الْمَاءِ بِمَقْدَرِ مَا يَغْمُرُ الْحَصَاةَ . فَيَشْرَبُ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْرًا مَا يَشْرَبُ الْآخَرُ .
وَلَمَّا تَرَوْا لِلشَّرْبِ وَدَارَ الْعُتْبُ بَيْنَهُمْ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى كَتَبِ رَأَى
الرَّجُلَ النَّمْرِيَّ يَجِدُّ نَزْرَهُ إِلَيْهِ . فَأَثَرَهُ بِمَائِهِ وَقَالَ لِلسَّاقِي : أَسْقِ
أَنَاكَ النَّمْرِيَّ فَشَرِبَ النَّمْرِيَّ صِيبَ كَتَبِ مِنَ الْمَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمَ . ثُمَّ
زَلُّوا مِنْ الْعَدَمِ مَنْزِلَهُمْ الْآخِرَ فَتَصَافَتُوا بِبَقِيَّةِ مَا فِيهِمْ . فَنَظَرَ إِلَيْهِ كَنَظَرِهِ
أَمْسٍ . وَقَالَ كَتَبُ كَقَوْلِهِ أَمْسٍ . وَأَرْتَحِلُ الْيَوْمَ وَقَالُوا : يَا كَتَبُ
أَرْتَحِلُ . فَلَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ لِلنَّهْوِ وَكَانُوا قَدْ قَرَّبُوا مِنَ الْمَاءِ . فَقَالُوا لَهُ :
رُدِّ يَا كَتَبُ إِذْكَ وَارِدُ . فَعَمَزَ عَنِ الْجَوَابِ . وَمَا أَيْسُوا مِنْهُ خِيَمُوا عَلَيْهِ بِثَوْبٍ
يَمْنَعُهُ مِنَ السَّعِ أَنْ يَأْكُلَهُ . وَتَرَكَوهُ مَكَانَهُ فَمَاتَ . فَذَهَبَ ذَلِكَ مَثَلًا
فِي تَفْضِيلِ الرَّجُلِ صَاحِبِهِ عَلَى نَفْسِهِ (أخبار العرب لابن قتيبة)

صنم سومنات

٣٣٥ من عجائب مدينة سومنات هيكلاً فيه صنم كان واقفاً في وسط أليت . لا يقائمة من أسفله تدعّمه ولا بعلاقة من أعلاه تمسكه . وكان أمر هذا الصنم عظيماً عند الهند من رآه وافقاً في الهواء تعجب . وكانت الهند يحجون إليه ويحملون إليه من الأمدايا كل شيء نفيس وكان له من الوقوف ما يزيد على عشرة آلاف قرية . وكانت سدنته ألف رجل من البراهمة لعبادته وخدمة الوفود . وأما أليت فكان مبنياً على ست وخمسين سارية من الساج المصق بالرصاص . وكانت قبة الصنم مظلمة وضواها كان من قناديل الجوهر اللائق . وعنده سلسلة ذهب كلما مضت طائفة من الليل حركت فتصوت الأجراس فيقوم طائفة من البراهمة للعبادة . حكى أن السلطان بين الدولة لما غزا بلاد الهند ورأى ذلك الصنم أعجبه أمره وقال لأصحابه : ماذا تقولون في أمر هذا الصنم ووقوفه في الهواء بلا عماد وعلاقة . فقال بعضهم : إنه علق بعلاقة وأخفيت العلاقة عن النظر . وقال بعض الحاضرين : إني أظن أن القبة من حجر المغناطيس والصنم من الحديد . والصانع بالغ في تدقيق صنعه ورأى تكافؤ قوة المغناطيس من الجوانب . فوافقه قوم وخالفه آخرون . فلما رفع حجرين من رأس القبة مال الصنم إلى أحد الجوانب . فلم يزل يرفع الأحجار والصنم ينزل حتى وقع على الأرض (للقزويني)

الْبَابُ السَّابِعُ عَشَرَ فِي الْأَسْفَارِ

مدح السفر

٣٣٦ قَالَ أَبُو قَاسِمٍ الصَّاحِبُ: لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَلَدٍ نَسَبٌ فَخَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ. السَّفَرُ يُسْفِرُ عَنْ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ فَأَوْحِشْ أَهْلَكَ إِذَا كَانَ فِي إِجْحَاشِهِمْ أَنْسُكَ. وَأَهْجُرْ وَطَنَكَ إِذَا نَبَتَ عَنْهُ نَفْسُكَ. رُبَّمَا أَسْفَرَ السَّفَرُ عَنْ الظُّفْرِ. وَتَعَذَّرَ فِي الْوَطَنِ قَضَاءُ الْوَطْرِ (اليواقيت للشعالبي)
أَنْشَدَ شُكْرُ الْعَلَوِيِّ:

قَوْضُ خِيَامِكَ عَنْ أَرْضِ تِهَانُ بِهَا
وَأَرْحَلُ إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ مَنَقَصَةٌ
وَجَانِبِ الذَّلِّ إِنَّ الذَّلَّ يُجْتَنَبُ
فَأَنْدُلُ الرُّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطْبُ
قَالَ آخَرُ:

إِرْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تَضَامُ بِهَا
مَنْ ذَلَّ بَيْنَ أَهَالِيهِ بِبَلَدَتِهِ
وَلَا تَكُنْ بِفِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرْقٍ
فَالِإِعْتِرَابُ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ الْخُلُقِ
فِي أَرْضِهِ كَالثَّرَى يَبْدُو عَلَى الطَّرْقِ
وَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَنَنِ وَالْحَدَقِ
لَمَّا تَعَرَّبَ نَالَ أَعَزَّ أَجْمَعَهُ
قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا مَا صَاقَ صَدْرُكَ مِنْ بِلَادٍ
عَجِبْتُ لِمَنْ يُقِيمُ بِدَارِ ذَلٍّ
تَرَحَّلَ طَالِبًا أَرْضًا سِوَاهَا
وَأَرْضُ اللَّهِ مُتَّسِعٌ قَضَاهَا

فَذَاكَ مِنَ الرِّجَالِ قَلِيلٌ عَثَلٍ بَايِدُ أَيْسَ يَبَامُ مَا ظَلَمَهَا
 فَنَفْسِكَ فُزِيهَا إِنْ خِفْتَ ضَيْمًا وَخَلَّ الدَّارَ تَنَعَى مَنْ بَنَاهَا
 فَإِنَّكَ وَاجِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ وَنَفْسِكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
 ٣٣٧ كَتَبَ بَعْضُ الكُتَّابِ : جَزَى اللهُ الْفِرَاقَ خَيْرًا فَهُوَ إِلَّا
 زَفْرَةٌ وَعَبْرَةٌ . ثُمَّ اعْتَصَامٌ وَتَوَكُّلٌ . ثُمَّ تَأْمِيلٌ وَتَوَقُّعٌ . وَقَبَّحَ اللهُ
 التَّلَاقَ . فَإِنَّمَا هُوَ مَسْرَّةٌ لِحَظَّةٍ وَمَسَاءَةٌ أَيَّامٍ . وَأَبْتِهَاجٌ سَاعَةٌ وَأَكْتِسَابٌ
 زَمَانٌ . وَإِنِّي لَا أَكْرَهُ الْإِجْتِمَاعَ وَلَا أَكْرَهُ الْفِرَاقَ . لِأَنَّ مَعَ الْفِرَاقِ عَفَّةٌ
 يُحْتَفَى بِهَا تَوَقُّعٌ . إِنْ مَافٍ بِتَأْمِيلِ الْأَوْبَةِ وَالرُّجْمِ . وَمَعَ الْإِجْتِمَاعِ مُحَازَرَةٌ
 الْفِرَاقِ وَقِصْرُ السُّرُورِ . قَالَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ : لَوْ قَاتُ إِيَّيَ لَمْ أَجِدْ
 لِلرَّجِيلِ الْمَاءَ وَاللَّيْلِينَ حَرْقَةً نَمَاتُ حَتْمًا . لِأَنِّي نَمَاتُ بِهِ مِنَ الْعِنَاقِ
 وَأَنْسُ الْفَاءَ مَا كَانَ مَعْدُومًا أَيَّامَ الْإِجْتِمَاعِ وَبِهِ مُصَافِحَةُ التَّسْلِيمِ .
 وَرَجَاءُ الْأَوْبَةِ . وَعِمَارَةُ الْقَلْبِ بِالشُّوقِ . وَالْأَنْسُ بِالسَّكَانَةِ (لِلْمَقْدِسِيِّ)
 قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

وَأَيْسَتْ فِرَّةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا بِمَوْقِفٍ عَلَى تَرَحُّ الْوَدَاعِ
 قَالَ ابْنُ النُّطْرُونِيِّ :

بَايَتْ تَصُدُّعِنِ النَّوَى وَتَقُولُ كَمْ تَتَغَرَّبُ
 إِنَّ الْحَيَاةَ مَعَ النَّسَاءِ عَةِ لِلدَّقَامِ الْأَطْيَبِ
 فَأَجِبْهَا يَا هَذِهِ غَيْرِي بِقَوْلِكَ خَابُ
 إِنَّ الْكَرِيمَ مُفَارِقُ أَوْطَانَهُ إِذْ تَمَجُّبُ

وَالْبَدْرُ حِينَ يَشِينُهُ نُقْصَانُهُ يُتَغَيَّبُ

ذم السفر

٣٣٨ كَانَ يُقَالُ: فِرَاقُ الْأَحْبَابِ . سَمَامُ الْأَلْبَابِ . حَقُّ الْفِرَاقِ أَنْ
تَطِيرَ لَهُ الْقُلُوبُ . وَتَطْيِشَ مَعَهُ الْعُقُولُ . وَتَلْجِجَ عَلَيْهِ النَّفُوسُ . وَفِرَاقُ
الْحَبِيبِ يُشِيبُ الْوَلِيدَ . وَيُذِيبُ الْحَدِيدَ . وَهَوْلُ السِّيَاقِ . أَهْوَنُ
مِنَ الْفِرَاقِ . وَقَالَ النِّزَامُ : لَوْ كَانَتْ لِلْفِرَاقِ صُورَةٌ لَرَأَتِ الْقُلُوبُ
وَهَدَّتِ الْجِبَالُ . وَجَمَرَ النِّعْضَا أَهْوَنُ تَوَهَّجًا مِنْ نَارِهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :
وَمَنْ يَنَاعِنَ دَارَ الْعَشِيرَةِ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ رُعودٌ جَمَّةٌ وَرُوقُ
قَالَ ابْنُ الْهَبَّارِيَّةِ :

قَالُوا أَقْتِ وَمَا رُزِقْتَ وَإِنَّمَا بِالسَّيْرِ يَكْتَسِبُ اللَّيْبُ وَيُذَقُ
فَأَجَبْتُهُمْ مَا كُلُّ سَيْرٍ نَافِعًا أَلْظُ نَفْعٌ لَا الرَّجِيلُ الْمُطْلِقُ
كَمْ سَفَرَةٍ نَفَعَتْ وَأُخْرَى مِثْلَهَا ضَرَّتْ وَيَكْتَسِبُ الْحَرِيصُ وَيُخْفِقُ
كَالْبَدْرِ يَكْتَسِبُ الْكَمَالَ بِسَيْرِهِ وَهِيَ إِذَا حُرِمَ السَّعَادَةُ يَحْقُقُ

سفرة ابن جبير الى جزيرة صقلية (سنة ٥٨١ هجرية و ١١٨٧ مسيحية)
ذكر مدينة مسينة من جزيرة صقلية

٣٣٩ هَذِهِ الْمَدِينَةُ مَوْسِمُ التُّجَّارِ . وَمَقْصِدُ جَوَارِي الْبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ
الْأَقْطَارِ . كَثِيرَةٌ الْأَرْفَاقُ بِرِخَاءِ الْأَسْعَارِ . لَا يَقْرَفُ فِيهَا لِإِسْلِمِ قَرَارِهِ .
مَشْحُونَةٌ بِعَبْدَةِ الصُّلْبَانِ تَعَصُّ بِمَاطِنِهَا . وَتَكَادُ تَضِيقُ ذُرْعًا بِسَاكِنِيهَا .
أَسْوَأُهَا نَائِمَةٌ حَفِيَّةٌ . وَأَرْزَاقُهَا وَاسِعَةٌ بِإِرْعَايِ الْعَيْشِ كَفِيَّةٌ . لَا تَرَالُ

بِهَا لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ فِي أَمَانٍ . وَإِنْ كُنْتَ غَرِيبَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَالْأَسَانِ .
 مُسْتَنِدَةً إِلَى جِبَالٍ قَدْ أَنْتَضَمَتْ حَضِيضُهَا وَخَنَادِقُهَا . وَالْبَحْرُ يَمْتَرِضُ
 أَمَامَهَا فِي الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا . وَمَرَسَاهَا أَعْجَبُ مَرَايِي الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ
 لِأَنَّ الْمَرَائِكِ الْكِبَارَ تَدْنُو فِيهِ مِنَ الْبَرِّ حَتَّى تَكَادُ تَمْسِكُهُ وَيُنْصَبُ
 مِنْهَا إِلَى الْبَرِّ خَشَبَةٌ يُنْصَرَفُ عَلَيْهَا . وَالْحَمَالُ يَصْعَدُ بِحِمْلِهِ إِلَيْهَا وَلَا
 يَحْتَاجُ إِلَى زَوَارِقٍ فِي وَسْقِهَا وَلَا فِي تَفْرِينِهَا إِلَّا مَا كَانَ مُرْسِيًا عَلَى
 الْبَعْدِ مِنْهَا يَسِيرًا . فَتَرَاهَا مُصَطَّعَةً مِنَ الْبَرِّ كَأَصْطَفَافِ الْجِيَادِ فِي
 مَرَابِطِهَا وَإِصْطَبِ أَلْبَانِهَا وَذَلِكَ لِإِفْرَاطِ عُمُقِ الْبَحْرِ فِيهَا . وَهُوَ زَقَاقُ
 مُعْتَرِضٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ بِمَقْدَارِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . وَيُنَابِلُهَا
 مِنْهُ بَلَدَةٌ تُعْرَفُ بِرَيْثَةٍ وَهِيَ عِمَالَةٌ كَبِيرَةٌ . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ مَسِينَةُ رَأْسِ
 جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْمَدُنِ وَالْعِمَارِ وَالضِّيَاعِ . وَطُولُ هَذِهِ
 الْجَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ سَبْعَةٌ أَيَّامٍ . وَعَرْضُهَا مَسِيرَةٌ خَمْسَةٌ أَيَّامٍ . وَبِهَا جَبَلُ
 الْبُرْكَانِ . وَهُوَ يَأْتُرُّ بِالسُّحْبِ لِإِفْرَاطِ سَمُوهِ وَيَعْتَمُ بِالثَّلْجِ شِتَاءً وَصَيْفًا
 دَائِمًا . وَخِصْبُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ . وَكَفَى بِأَنَّهَا ابْنَةُ
 الْأَنْدَلُسِ فِي سَعَةِ الْعِمَارَةِ وَكَثْرَةِ الْخِصْبِ وَالرِّفَاقَةِ . مَشْحُونَةٌ
 بِالْأَرْزَاقِ عَلَى اخْتِلَافِهَا . مَمْلُوءَةٌ بِأَنْوَاعِ الْقَوَاكِمِ وَأَصْنَافِهَا . وَجِبَالُهَا
 كُنُهَا بَسَاتِينَ مُثْمِرَةٌ بِالثَّقَاحِ وَالشَّاهِ بَلُوطَ وَالْبُنْدُقِ وَالْأَجَاصِ
 وَغَيْرِهَا مِنَ الْقَوَاكِمِ . وَلَيْسَ فِي مَسِينَةِ هَذِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا نَفَرٌ
 يَسِيرٌ مِنْ ذَوِي الْمَهَنِ وَلِذَلِكَ لَا يَسْتَوْجِرُ بِهَا الْمُسْلِمُ الْغَرِيبُ .

وَأَحْسَنُ مَدِينًا قَاعِدَةً مُلْكُهَا . وَالْمُسَامِرِينَ يَعْرِفُونَهَا بِالْمَدِينَةِ وَالنَّصَارَى
 يَعْرِفُونَهَا بِبَلْرَمَةَ . وَفِيهَا سَكَنَى الْخَضِرِيِّينَ مِنَ الْأَسَامِيرِ
 وَبَلْرَمَةَ هَذِهِ مَسْكِنٌ مُلْكِهِمْ ذَلِيَامٌ . وَهِيَ أَحْفَلُ مَدِينٍ صِقْلِيَّةٍ
 وَبَعْدَهَا مِسْبَنَةٌ وَشَأْنُ مُلْكِهِمْ هَذَا عَجِيبٌ فِي حُسْنِ السَّيْرِ . وَهُوَ
 كَثِيرُ الْقَعَّةِ بِالْمُسَامِيرِينَ هُمْ أَهْلُ دَوْلَتِهِ وَالْمُرْتَسِمُونَ بِمَخَاصِئِهِ . وَعَالِيَهُمْ يُلُوحُ
 رَوْتَقُ مَمْلَكَتِهِ . لِأَنَّهُمْ مُتَسِعُونَ فِي الْمَالِ بِسِ الْفَاخِرَةِ وَالْمَرَاكِبِ الْقَارِهِةِ .
 وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ لَهُ الْحَاشِيَّةُ وَالْحَوْلُ وَالْأَتْبَاعُ . وَلِهَذَا الْمَلِكُ الْمُصَوِّرُ
 الْمُسَيِّدَةُ وَالْبَسَاتِينَ الْأَنْيَمَةَ وَلَا سِيَّمَا بَصْرَةَ مُلْكِهِ الْمَدِينَةَ الْمَذْكُورَةَ .
 وَلَهُ بِمِسِينَةَ قَصْرٌ أَيْضًا كَالْحَمَامَةِ مُطَّلٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ . وَأَيْسَ فِي
 مُلُوكِ النَّصَارَى أَتْرَفُ فِي الْمَلِكِ وَلَا أَنْتُمْ وَلَا أَرْفَهُ مِنْهُ . وَهُوَ يَتَشَبَّهُ فِي
 تَرْتِيبِ قَوَانِينِهِ وَوَضْعِ أَسَالِيهِ وَتَقْدِيمِ مَرَاتِبِ رِجَالِهِ وَتَفْخِيمِ أَرْبَابِهِ
 الْمَلِكِ وَإِظْهَارِ زِينَتِهِ بِمُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ . وَمَلِكُهُ عَظِيمٌ جِدًّا وَلَهُ الْأَطِبَّاءُ
 وَالْفُقَهَاءُ وَهُوَ كَثِيرُ الْأَعْتِنَاءِ بِهِمْ شَايِدُ الْخِرَاصِ عَلَيْهِمْ . حَتَّى أَنَّهُ مَتَى
 ذَكَرَ لَهُ أَنَّ طَبِيبًا أَوْ فَقِيهًا اجْتَازَ بِبَلَدِهِ أَمَرَ بِإِسَاكِهِ وَأَدْرَكَ لَهُ أَرْزَاقَ
 مَعِيشَتِهِ . وَمِنْ عَجِيبِ شَأْنِهِ الَّتِي تَحْدُثُ بِهِ أَنَّهُ يَتَرَأَى وَيَكْتَبُ بِالْعَرَبِيَّةِ
 وَعَلَامَتُهُ عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ أَحَدُ خِدْمَتِهِ الْمُخْتَصِمِينَ بِهِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ
 وَبِمَدِينَةِ مِسِينَةَ الْمَذْكُورَةَ دَارُ رَسْمَةٍ تَحْتَوِي مِنَ الْأَسَاطِيلِ عَلَى مَا
 لَا يُحْصَى عَدْدُ مَرَاكِبِهِ . فَكَانَ تَرُورًا فِي أَحَدِ الْفَنَادِقِ وَأَقْنَابِهَا تِسْعَةَ
 أَيَّامٍ . فَأَمَّا كَانَ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ الثَّانِي عَشَرَ لِرَمَضَانَ رَكِبْنَا فِي زُورَقِ

مُتَوَجِّهِينَ إِلَى مَدِينَةِ بَلْرَمَةَ . وَسِرْنَا قَرِيبًا مِنَ السَّاحِلِ بِمَحِثٍ يُبْصِرُهُ
رَأْيَ الْعَيْنِ . وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا رِيحًا شَرْقِيَّةً رُخَاءً طَيِّبَةً زَجَّتِ الزُّورَقَ
أَهْنَأَ تَرْجِيَةً . وَسِرْنَا نُسْرِحُ اللَّحْظَ فِي عَمَارٍ وَقُرَى مُتَّصِلَةٍ وَحُصُونٍ
وَمَعَايِلٍ فِي قُنَنِ الْجِبَالِ مُشْرِفَةٍ . وَأَبْصَرْنَا عَنْ يَمِينِنَا فِي الْبَحْرِ تِسْعَ جَزَائِرٍ
قَدْ قَامَتْ خِيَالًا مَرْتَفَعَةً عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ بَرِّ الْجَزِيرَةِ اثْنَانِ مِنْهَا تُخْرَجُ مِنْهَا
النَّارُ دَائِمًا . وَأَبْصَرْنَا الدُّخَانَ صَاعِدًا مِنْهُمَا وَيُظْهِرُ بِاللَّيْلِ نَارًا أَحْمَرَ . ذَاتَ
الْسَّنِّ تَصْعَدُ فِي الْجَوِّ . وَهُوَ الْبُرْكَانُ الْمَشْهُورُ خَبْرُهُ . وَأَعْلَمْنَا أَنَّ خُرُوجَهَا
مِنْ مَنَافِسِ فِي الْجِبَلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ يَصْعَدُ مِنْهَا نَفْسٌ نَارِيَّةٌ بِشَوْءٍ
شَدِيدَةٍ يَكُونُ عَنْهُ النَّارُ . وَرُبَّمَا قَدِفَ فِيهَا الْحَجَرُ الْكَبِيرُ فَتَلْقَى بِهِ إِلَى
السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ ذَلِكَ النَّفْسُ وَتَمْنَعُهُ مِنَ الْإِسْتِمْرَارِ وَالْإِنْتِهَاءِ إِلَى الْقَعْرِ .
وَهَذَا مِنْ أَعْجَابِ الْمَسْمُوعَاتِ الصَّحِيحَةِ . وَأَمَّا الْجَبَلُ الشَّامِخُ الَّذِي بِالْجَزِيرَةِ
الْمَعْرُوفِ بِجَبَلِ النَّارِ فَشَأْنُهُ عَجِيبٌ . وَذَلِكَ أَنَّ نَارًا تُخْرَجُ مِنْهُ كَالسَّلِيلِ
الْعَرِيمِ . فَلَا تَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَحْرَقَتْهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْبَحْرِ . فَتَرْكُ نَجْمَةٍ
عَلَى صَفْحِهِ حَتَّى تَغُوصَ فِيهِ . فَسُبْحَانَ الْمُبْدِعِ فِي عَجَائِبِ مَخْلُوقَاتِهِ
وَحَلَّلْنَا عَشِيَّ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ مَرَسَى مَدِينَةِ شِفْلُودَى

(وَمَدِينَةِ شِفْلُودَى) هِيَ مَدِينَةٌ سَاحِلِيَّةٌ كَثِيرَةُ الْخِصْبِ وَاسِعَةٌ

الْمَرَايِقِ . مُنْتَظِمَةٌ أَشْجَارِ الْأَعْنَابِ وَغَيْرِهَا . مَرْتَبَةٌ الْأَسْوَاقِ تَسْكُنُهَا
طَائِفَةٌ مِنَ الْمَسَامِينِ . وَعَلَيْهَا فُنَّةٌ جَبَلٌ وَاسِعَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ فِيهَا قَاعَةٌ لَمْ
يُرَأْمَعُ مِنْهَا أُتْخَذُوهَا عُدَّةً لِلسُّطُولِ يَفْجَأُهُمْ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ مِنْ جِهَةٍ

الْمُسَامِينِ . وَكَانَ إِقْلَاعُنَا مِنْهَا نِصْفَ اللَّيْلِ فَجِئْنَا مَدِينَةَ ثُرْمَةَ صُخُوعَةَ يَوْمَ
 الْحَمِيسِ بِسَيْرِ رُوَيْدٍ . وَبَيْنَ الْمَدِينَتَيْنِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مِيلًا . فَأَتَيْنَا
 مِنْهَا مِنْ ذَلِكَ الزَّوْرَقِ إِلَى زَوْرَقِ ثَانَ أَكْثَرِنَاهُ لِيَكُونَ الْبَحْرِيَيْنِ
 صَحْبُونَ فِيهِ مِنْ أَهْلِهَا . وَثُرْمَةُ هَذِهِ أَحْسَنُ وَضَعًا مِنْ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا .
 وَهِيَ حَصِينَةٌ رَزَبُ الْبَحْرِ وَتُشْرَفُ عَلَيْهِ . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهَا رِبْضٌ كَبِيرٌ
 لَهُمْ فِيهِ الْمَسَاجِدُ . وَلَهَا قَلْعَةٌ سَامِيَةٌ مَنِيعةٌ . وَفِي أَسْفَلِ الْبَلَدَةِ أَجْمَةٌ قَدْ
 أَغْنَتْ أَهْلَهَا عَنْ اتِّخَاذِ حَمَامٍ . وَهَذِهِ الْبَلَدَةُ مِنَ الْخِصْبِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ
 عَلَى غَايَةٍ . وَالْجَزِيرَةُ بِأَسْرَهَا مِنْ أَعْجَبِ بِلَادِ اللَّهِ فِي الْخِصْبِ وَسَعَةِ
 الْأَرْزَاقِ . فَأَقَمْنَا بِهَا يَوْمَ الْحَمِيسِ الرَّابِعَ عَشَرَ لِشَهْرِ الْمَذْكُورِ وَتَحْنُ قَدْ
 أَرْسَيْنَا فِي وَادٍ بِأَسْفَلِهَا . وَيَطَّلِعُ فِيهِ الْمُدَّيْنِ الْبَحْرَيْنِ ثُمَّ يَنْحَسِرُ عَنْهُ . وَبَيْنَا
 بِهَا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ . ثُمَّ انْقَلَبَ الْهَوَاءُ غَرْبِيًّا فَأَمَّ نَجْدٌ لِلْإِقْلَاعِ سَيْلًا .
 وَبَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ الْمُتَّصِدَةِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ النَّصَارَى بِبَلْرْمَةَ خَمْسَةٌ
 وَعِشْرُونَ مِيلًا . فَخَشِينَا طَوْلَ الْأَقَامِ وَحَمَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ
 مِنْ التَّسْهِيلِ فِي قَطْعِ الْمَسَافَةِ فِي يَوْمَيْنِ . وَقَدْ تَلَبَّثُ الزَّوَارِقُ فِي
 قَطْعِهَا عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ الْعِشْرِينَ يَوْمًا وَالثَّلَاثِينَ يَوْمًا وَنَيْفًا عَلَى ذَلِكَ .
 فَأَصْبَحْنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُنْتَصِفَ الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ عَلَى نِيَّةٍ مِنَ الْمَسِيرِ فِي الْبَرِّ
 عَلَى أَقْدَامِنَا . فَتَحَمَّانَا بَعْضُ أَسْبَابِنَا وَخَطَّفَنَا بَعْضُ الْأَصْحَابِ عَلَى الْأَسْبَابِ
 الْبَاقِيَةِ فِي الزَّوْرَقِ . وَسِرْنَا فِي طَرِيقِ كَأَنَّهَا السُّوقُ عِمَارَةٌ وَكَثْرَةٌ
 صَادِرٍ وَوَارِدٍ . وَطَوَّافُ النَّصَارَى يَتَلَوَّنَا فَيُبَادِرُونَ بِالسَّلَامِ عَيْنًا

وَيُونُسُونَا. قَرَأْنَا مِنْ سِيَاسَتِهِمْ وَإِنْ مَقْصِدِهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِيَّةِ مَا يُوقِعُ
 الْحَبَّ. حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى قَصْرِ سَعْدٍ وَهُوَ عَلَى فَرْخٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَقَدْ أَخَذَ
 بِنَا الْأَعْيَاءَ فَلَمَّا إِلَيْهِ وَبِتْنَا فِيهِ. وَهَذَا الْقَصْرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مُشِيدٌ
 الْبِنَاءِ عَتِيقُهُ قَدِيمُ الْوَضْعِ مِنْ عَهْدِ مَلَكَ الْمُسْلِمِينَ لِلْعَزِيمَةِ. وَبِإِزَائِهِ
 عَيْنٌ تُعْرَفُ بِعَيْنِ الْمَجْنُونَةِ. وَلَهُ بَابٌ وَثِيقٌ مِنَ الْحَدِيدِ. وَدَاخِلُهُ مَسَاكِينُ
 وَعَلَائِبُ مُشْرِفَةٌ وَيُوتُ مُنْتَظِمَةٌ. وَهُوَ كَابِلٌ مُرَافِقُ السُّكْنَى وَفِي
 أَعْلَاهُ مَسْجِدٌ مِنْ أَحْسَنِ مَسَاجِدِ الدُّنْيَا بَهَاءً. مُسْتَطِيلٌ ذُو حَنَائِيَا
 مَفْرُوشَةٌ بِحَصْرِ تَطِيْفُهُ لَمْ يَر أَحْسَنُ مِنْهَا صَنَعَةً. وَقَدْ عَاقَ فِيهِ نَحْوُ
 الْأَرْبَعِينَ قَنَدِيلاً مِنْ أَنْوَاعِ الصُّفْرِ وَالزُّجَاجِ. وَأَمَامَهُ شَارِعٌ وَاسِعٌ
 مُسْتَدِيرٌ بِأَعْلَى الْقَصْرِ وَفِي أَسْفَلِ الْقَصْرِ بَدْرٌ عَذْبَةٌ. فَبِتْنَا فِي هَذَا
 الْمَسْجِدِ أَحْسَنَ مَبِيتٍ وَأَطْيَبَهُ. وَبِشَرْبَةِ مِنْ هَذَا الْقَصْرِ نَحْوُ الْمِيلِ إِلَى
 جِهَةِ الْمَدِينَةِ قَصْرٌ آخَرَ عَلَى صِفَتِهِ يُعْرَفُ بِقَصْرِ جَعْفَرٍ. وَدَاخِلُهُ سِمَاءَةٌ
 تَقُورُ بِمَاءِ عَذْبٍ. وَأَبْصَرْنَا لِلنَّصَارَى فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كَنَائِسَ مُعَدَّةً
 لِمَرْضَى النَّصَارَى. وَلَهُمْ فِي مُدُنِهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي صِفَةِ مَارِسَاتِنَا
 الْمُسْلِمِينَ. وَأَبْصَرْنَا لَهُمْ بَعْكَةً وَبِصُورَ مِثْلَ ذَلِكَ. فَعَجِبْنَا مِنْ أَعْتَابِهِمْ
 بِهَذَا الْقَدْرِ. فَلَمَّا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ تَوَجَّهْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَجِئْنَا لِنَدْخُلَ فَمَنَعْنَا
 وَحَمَّا إِلَى الْبَابِ الْمُتَّصِلِ بِقُصُورِ الْمَلِكِ الْأَفْرَنْجِيِّ غَلِيَامٌ وَأَدِينَا إِلَى
 الْمُسْتَحْفَلِ لَيْسَ لَنَا عَنْ مَقْصِدِنَا. وَكَذَلِكَ فَعَلَهُمْ بِكُلِّ غَرِيبٍ قَسَرْنَا فِي
 يَكْكَ رِحَابٍ وَأَبْوَابٍ وَسَاحَاتٍ مُلُوكِيَّةٍ. وَأَبْصَرْنَا مِنَ الْقُصُورِ الْمَشْرِفَةِ

وَالْيَادِينَ الْمُنْتَظِمَةَ وَالْبَسَاتِينَ وَالْمَرَاتِبِ الْمُتَّخِذَةَ لِأَهْلِ الْخِدْمَةِ مَارَاعَ
أَبْصَارَنَا . وَأَذْهَلَ أَفْكَارَنَا . وَأَبْصَرْنَا فِيهَا أَبْصَرْنَاهُ مُجَلِّسًا فِي سَاحَةِ
فَسِيحَةٍ قَدْ أَحْدَقَ بِهَا بُسْتَانٌ وَأَنْتَضَمَتْ بِجَوَانِبِهَا بِالْأَطَاتُ . وَالْمَجْلِسُ قَدْ
أَخَذَ اسْتِطَالََةَ تِنِكَ السَّاحَةِ كُلِّهَا . فَعَجِبْنَا مِنْ طُولِهِ وَإِشْرَافِ مَنَظَرِهِ .
فَاعْلَمْنَا أَنَّهُ مَوْضِعُ غِذَاءِ الْمَلِكِ مَعَ أَصْحَابِهِ . وَتَكَ الْبَلَّاطَاتُ وَالْمَرَاتِبُ
حَيْثُ تَقْعُدُ حُكَّامُهُ وَأَهْلُ الْخِدْمَةِ وَالْعِمَالَةَ أَمَامَهُ . فَخَرَجَ إِلَيْنَا ذَلِكَ
الْمُسْتَحْفِلُ يَتَهَادَى بَيْنَ خَدِيمَيْنِ يَحْفَانُ بِهِ وَيَرْفَعَانِ أَذْيَالَهُ . فَأَبْصَرْنَا
شَيْخًا طَوِيلَ السَّبَلَةِ أَبْيَضَهَا ذَا أَبْهَةِ . فَسَأَلْنَا عَنْ مَقْصِدِنَا وَعَنْ بَلَدِنَا
بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ لَيْنٍ فَاعْلَمْنَاهُ . فَأَظْهَرَ الْإِشْفَاقَ عَلَيْنَا وَأَمَرَ بِأَنْصِرَافِنَا
بَعْدَ أَنْ أَحْفَى فِي السَّلَامِ وَأَدْعَاءِ فَعَجِبْنَا مِنْ شَأْنِهِ . وَكَانَ أَوَّلَ سُؤَالِهِ
لَنَا عَنْ خَبْرِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعُظْمَى وَمَا عِنْدَنَا مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَا نُعَلِّمُهُ
بِهِ . وَخَرَجْنَا إِلَى أَحَدِ الْفَنَادِقِ فَتَزَلْنَا فِيهِ وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّانِي
وَالْعِشْرِينَ لِذِي جَنَبَرٍ . وَفِي خُرُوجِنَا مِنَ الْقَصْرِ الْمَذْكُورِ سَلَكْنَا بِالْأَطَا
مُتَّصِلًا مَشِينًا فِيهِ مَسَافَةٌ طَوِيلَةٌ وَهُوَ مُسَقَّفٌ حَتَّى أَنْتَهَيْنَا إِلَى كَنِيسَةٍ
عَظِيمَةٍ الْبِنَاءِ . فَاعْلَمْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْبَلَّاطُ مَشَى الْمَلِكُ إِلَى هَذِهِ الْكَنِيسَةِ
(ذِكْرٌ بَلَرْمَا) هِيَ بِهَذِهِ الْجَزَائِرِ أُمُّ الْحَضَارَةِ . وَالْجَامِعَةُ بَيْنَ الْحُسَيْنِ
غَضَارَةِ وَنَضَارَةِ . فَمَا شِئْتُ بِهَا مِنْ جَمَالٍ مَخْبِرٍ وَمَنْظَرٍ . وَمَرَادِ عَيْشٍ يَانِعٍ
أَخْضَرَ . عَتِيقَةٍ أُنِيقَةٍ . مُشْرِقَةٍ مُؤْنِمَةٍ . تَتَطَّلَعُ بِمَرَايِ قَتَانٍ . وَتَخْأِيلُ
بَيْنَ سَاحَاتٍ وَبَسَاطِطٍ كُلِّهَا بُسْتَانٌ . فَسِيحَةُ السِّكِّ وَالشُّوَارِعِ . تَرُوقُ

الْأَبْصَارَ بِحُسْنِ مَنَظَرِهَا الْبَارِعِ عَجِيبَةِ الشَّانِ . قُرْطِيَّةُ الْبَيْتَانِ . مَبَانِيهَا
 كُلُّهَا بِمَخْتَوَاتِ أَحْجَرِ الْمَعْرُوفِ بِالْكَذَّانِ . يَشْقَاهَا نَهْرٌ مَعِينٌ وَيَطْرُدُ فِي
 جَنَابَتِهَا أَرْبَعُ عُيُونٍ قَدْ زَخَرَتْ مِنْهَا لِلْمَلِكِهَا دُنْيَاهُ فَأَتَّخَذَهَا حَاضِرَةً
 مُبَكِّكِهِ الْأَفْرَنْجِيِّ . تَنْتَظِمُ بِأَيْتِهَا قُصُورُهُ أُتْتَظَّمُ الْعُقُودِ فِي نُحُورِ
 الْكُوعَابِ . وَيَتَقَلَّبُ مِنْ بَسَانِينِهَا وَمِيَادِينِهَا بَيْنَ زُهَّةٍ وَمَلَاعِبِ . فَكَمْ
 لَهُ فِيهَا مِنْ مَقَاصِيرَ وَمَصَانِعَ . وَمَنَاظِرَ وَمَطَالِعَ . وَكَمْ لَهُ بِجِبَاهَتِهَا مِنْ دِيَارَاتِ
 قَدْ زَخَرَفَ بِبَيَانِهَا . وَرَفَعَهُ بِالْإِقْطَاعَاتِ الْوَاسِعَةِ رُهْبَانِهَا . وَكُنَائِسَ
 قَدْ صَبِغَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ صَابَانِهَا . وَلَامَسَامِينَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ
 أَرِيَاضٌ قَدْ أَنْفَرَدُوا فِيهَا بِسُكْنَاهُمْ عَنِ النَّصَارَى وَالْأَسْوَاقِ مَعْمُورَةٌ
 بِهِمْ وَهُمْ التُّجَّارُ فِيهَا وَيُصَلُّونَ الْأَعْيَادَ بِخُطْبَةٍ وَدَعَاوُهُمْ فِيهَا لِلْعَبَّاسِيِّينَ .
 وَلَهُمْ بِهَا قَاضٍ يَرْتَفِعُونَ إِلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِمْ . وَلِهَذِهِ الْمَدِينَةُ شَبَّهَ
 بِقُرْطَبَةَ أَنَّ لَهَا مَدِينَةً قَدِيمَةً تُرْفُ بِالْقَصْرِ الْقَدِيمِ هِيَ فِي وَسْطِ
 الْمَدِينَةِ الْحَدِيثَةِ وَعَلَى هَذَا الْمِثَالِ . وَوَضِعُ قُرْطَبَةَ . وَبِهَذَا الْقَصْرِ دِيَارٌ كَانَتْهَا
 الْقُصُورُ الْمُشِيدَةُ . لَهَا مَنَاظِرُ فِي الْجَوْ مُظْلَمَةٌ تَحَارُ الْأَبْصَارُ فِي حُسْنِهَا
 (كَنِيسَةُ بَلْرَمَةَ) وَمِنْ أَعْجَبِ مَا شَاهَدْنَا مِنْهَا مِنْ أُمُورِ النَّصَارَى
 كَنِيسَةُ تُرْفُ بِكَنِيسَةِ الْأَنْطَاكِيِّ أَنْبَرْنَاهَا يَوْمَ الْمِيلَادِ وَهُوَ يَوْمُ
 عِيدِهِمْ عَظِيمٌ . وَقَدْ أَحْتَمَلُوا لَهَا رِجَالًا وَنِسَاءً فَأَبْصَرْنَا مِنْ بَيَانِهَا مَرَأَى
 يَعْجِزُ الْوَصْفُ عَنْهُ وَيَقَعُ الْقَطْعُ بِأَنَّهُ أَعْجَبُ مَصَانِعِ الدُّنْيَا الْمَزْخَرَفَةِ .
 جَدْرُهَا الدَّاخِلَةُ ذَهَبٌ كُلُّهَا وَفِيهَا مِنْ الْأَوْحِ الرُّخَامِ الْمَلُونِ مَا لَمْ يُرْ

مِثْلَهُ قَطُّ قَدْ رُصِّعَتْ كُلُّهَا بِفُصُوصِ الذَّهَبِ وَكَلَّتْ بِأَشْجَارِ النُّصُوصِ
 الْخُضْرِ وَنُظِمَ أَعْلَاهَا بِالشَّمْسِيَّاتِ الْمَذَهَّبَاتِ مِنَ الرُّجَاجِ . فَتَخَطَّفُ الْأَبْصَارَ
 بِسَاطِعِ شُعَاعِهَا وَتُحَدِّثُ فِي النُّفُوسِ فِتْنَةً . وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بَانِيهَا الَّذِي
 تُنْسَبُ إِلَيْهِ أَنْتَفَقَ فِيهَا قَنَائِرَ مِنْ الذَّهَبِ وَكَانَ وَزِيرَ الْجِدِّ هَذَا الْمَلِكِ .
 وَلِهَذِهِ الْكَنِيسَةُ صَوْمَعَةٌ قَدْ قَامَتْ عَلَى أَعْمَدَةٍ سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ
 وَعَلَيْهَا قَبَّةٌ عَلَى أُخْرَى سَوَارٍ كُلُّهَا فَتَعْرِفُ بِصَوْمَعَةِ السَّوَارِيِّ وَهِيَ مِنْ
 أَعْجَبِ مَا يُبْصَرُ مِنَ الْبُنْيَانِ . وَزِيُّ النَّصْرَانِيَّاتِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ زِيُّ
 نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ . فَصِيحَاتُ الْأَلْسُنِ مُنْتَهَاتُ مُنْتَهَيَاتٍ . خَرَجْنَا فِي هَذَا
 الْعِيدِ الْمَذْكُورِ وَقَدْ لَبَسْنَا ثِيَابَ الْحَرِيرِ الْمَذَهَّبِ وَالتَّخْفَنِ اللَّخْفِ الرَّائِقَةِ
 وَالتَّقْبِنِ بِالثُّبِّ الْمَلَوْنَةِ . وَاتَّعَلْنَا الْأَخْفَافَ الْمَذَهَبَةَ . وَبَرَزْنَا
 لِكِنَائِلِسِينَ حَامِلَاتٍ جَمِيعَ زِينَةِ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّحْلِيِّ وَالتَّخْطُوبِ
 وَالتَّعْطُرِ . وَكَانَ مُقَامُنَا بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَتَزَلْنَا بِهَا فِي أَحَدِ
 قَنَادِقِهَا الَّتِي يَسْكُنُهَا الْمُسْلِمُونَ . . . وَخَرَجْنَا مِنْهَا صَبْحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّانِي
 وَالْعِشْرِينَ لِهَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارِكِ وَالثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ لِشَهْرِ دِجْبَرِ إِلَى
 مَدِينَةِ أَطْرَابُشَ بِسَبَبِ مَرْكَبِي بِهَا أَحَدَهَا يَتَوَجَّهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ
 وَالثَّانِي إِلَى سَبْتَةَ . فَسَلَكْنَا عَلَى قُرَى مُتَّصِلَةٍ وَضِيَاعٍ مُتَجَاوِرَةٍ وَأَبْعَرْنَا
 مَحَارِثَ وَمَزَارِعَ لَمْ تَرْمِثْ تَرْتَبًا طَيِّبًا وَكَرَمًا وَإِتْسَاعًا . فَشَبَّهَا بِقُنْبَانِيَّةِ
 قُرْطَبَةَ أَوْ هَذِهِ أَطْيَبُ وَأَمَّنُ . وَبَيْنَا فِي الطَّرِيقِ لَيْلَةٌ وَاحِدَةٌ فِي بَلَدَةٍ
 تُعْرَفُ بِعَلَمَةِ . وَهِيَ كَبِيرَةٌ مُتَسِعَةٌ فِيهَا السُّوقُ وَالْمَسَاجِدُ وَسُكَّانُهَا

وَسَكَانُ هَذِهِ الضِّيَاعِ الَّتِي فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كُلِّهَا مُسْلِمُونَ . وَقَمْنَا مِنْهَا سَحَرَ
 يَوْمَ السَّبْتِ فَأَجْتَرْنَا بِمَقْرَبَةٍ مِنْهَا عَلَى حِصْنٍ يُعْرَفُ بِحِصْنِ الْحَنَّةِ وَهُوَ
 بَلَدٌ كَبِيرٌ فِيهِ حَمَامَاتٌ . وَقَدْ فَجَّرَهَا اللَّهُ يَتَابِعُ فِي الْأَرْضِ وَأَسَاطِيرَ
 عَنَاصِرَ لَا يَكَادُ الْبَدَنُ يُحْتَمِلُهَا لِإِفْرَاطِ حَرِّهَا . فَأَجَزْنَا مِنْهَا وَاحِدَةً عَلَى
 الطَّرِيقِ . فَتَزَلْنَا إِلَيْهَا عَنِ الدَّوَابِّ وَأَرْخْنَا الْأَبْدَانَ بِالِاسْتِحْمَامِ فِيهَا .
 وَوَعَلْنَا إِلَى أَطْرَابُنْشَ عَصْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَتَزَلْنَا فِيهَا فِي دَارِ أَكْثَرِيَّاتِهَا
 (مَدِينَةُ أَطْرَابُنْشَ) وَهِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ السَّاحَةِ . غَيْرَ كَبِيرَةٍ
 الْمَسَاحَةِ . مُسَوَّرَةٌ بِيضَاءِ كَالْحَمَامَةِ . مَرَسَاهَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَرَايِسِ
 وَأَوْفَقَهَا لِلْمَرَاجِبِ . وَلِذَلِكَ كَبِيرًا مَا يَقْصِدُ الرُّومُ إِلَيْهَا وَلَا سِبَا
 الْمُقْلَعُونَ إِلَى بَرِّ الْعُدُودِ . فَإِنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تُونِسَ مَسِيرَةٌ يَوْمٌ وَآيَلَةٌ .
 فَالسَّفَرُ مِنْهَا إِلَيْهَا لَا يَتَعَطَّلُ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا إِلَّا رِيثًا تَهَبُ الرِّيحُ
 الْمُؤَافِقَةُ . فَجَبْرَاهَا فِي ذَلِكَ فَجْرَى الْجَزَارِ الْقَرِيبِ . وَبِهَذِهِ الْمَدِينَةِ السُّوقُ
 وَالْحَمَامُ وَجَمِيعُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِ الْمَدِينِ . لِكِنِّي فِي لَهَوَاتِ الْبَحْرِ
 لِإِحَاطَتِهِ بِهَا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ وَأَتَّصَالِ الْبَرِّ بِهَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ
 ضَيْقَةً . وَالْبَحْرُ فَاغْرُفَاءُ لَهَا مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ . فَأَهْلُهَا يَرُونَ أَنَّهُ لَا يُدْلَهُ
 مِنَ الْأَسْتِيْلَاءِ عَلَيْهَا وَإِنْ تَرَخِيَ مَدَى أَيَّامِهَا . وَهِيَ مُؤَافِقَةٌ لِرِخَاءِ
 السَّعْرِ بِهَا لِأَنَّهَا عَلَى مَحْرَبٍ عَظِيمٍ . وَسَكَانُهَا الْمُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى
 وَالْكَرَّالَةَ الْقَرِيبِينَ فِيهَا الْمَسَاجِدُ وَالْكَنَائِسُ . وَبِرُكْنِهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ
 مَا نَبَلَّ إِلَى الشِّمَالِ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهَا جَبَلٌ عَظِيمٌ مُفْرِطٌ السَّمْوِ مُتَّسِعٌ . فِي

أَعْلَاهُ قُنَّةٌ تَنْقَطِعُ عَنْهُ وَفِيهَا مَعْقِلٌ لِلرُّومِ . وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَبَلِ قَنْطَرَةٌ
 وَيَتَّصِلُ بِهِ فِي الْجَبَلِ لِلرُّومِ بَلَدٌ كَبِيرٌ . وَهَذَا الْجَبَلُ الْكُرُومُ وَالْمَزَارِعُ .
 وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بِهِ نَحْوَ أَرْبَعِمِائَةٍ عَيْنٍ مُتَجَجِرَةٍ . وَهُوَ يُعْرَفُ بِجَبَلِ حَامِدٍ
 وَالصُّمُودُ إِلَيْهِ هَيِّنٌ مِنْ إِحْدَى جِهَاتِهِ . وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْهُ يَكُونُ فَتْحُ
 هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَلَا سَبِيلَ أَنْ يَتْرُكُوا مُسْلِمًا يَصْعَدُ إِلَيْهِ . وَلِذَلِكَ أَعَدُّوا
 فِيهِ ذَلِكَ الْمَعْقِلَ الْحَصِينَ . فَلَوْ أَحْسَوْا بِحَادِثَةِ حَصْنُوا حَرَمَهُمْ فِيهِ وَقَطَعُوا
 الْقَنْطَرَةَ . وَأَعْتَرَضَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الَّذِي فِي أَعْلَاهُ خَنْدَقٌ كَبِيرٌ .
 وَشَأْنُ هَذَا الْبَلَدِ عَجِيبٌ فَمِنْ الْعَجَبِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنَ الْعُيُونِ الْمَتَجَجِرَةِ
 مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَأَطْرَابُشُ فِي هَذَا الْبَسِيطِ وَلَا مَاءَ لَهَا إِلَّا مِنْ بئرٍ
 عَلَى الْبُعْدِ مِنْهَا . وَفِي دِيَارِهَا آبَارٌ فَصِيرَةٌ الْأَرْضِيَّةُ مَاؤُهَا كَمَا شَرِبْتُ
 لَا يُسَاعُ . وَأَقِيمْنَا الْمَرْكَبِينَ الَّذِينَ يَرُومَانِ الْإِقْلَاعَ إِلَى الْمَغْرِبِ بِهَا .
 وَتَمَحْنُ أَنْ شَاءَ اللَّهُ نُؤَبِلُ زَكُوبَ أَحَدِهَا وَهُوَ الْقَاصِدُ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ .
 وَاللَّهُ بِمَعْهُودِ صُنْعِهِ الْجَمِيلِ كَفِيلٌ بِنَيْهِ . وَفِي غَرْبِي هَذِهِ الْبَلَدَةُ
 أَطْرَابُشُ ثَلَاثُ جَزَائِرٍ فِي الْبَحْرِ عَلَى نَحْوِ فَرْسَخَيْنِ مِنْهَا . وَهِيَ صِنَارٌ
 مُتَجَاوِرَةٌ . إِحْدَاهَا تُعْرَفُ بِمَلِيطَةَ وَالْأُخْرَى بِبَابِيسَةَ وَالثَّلَاثَةُ تُعْرَفُ
 بِالرَّاهِبِ نُسِبَتْ إِلَى رَاهِبٍ يَسْكُنُهَا فِي بِنَاءِ أَعْلَاهَا كَأَنَّهُ الْحِصْنُ وَهُوَ
 مَكْمَنٌ لِلْعَدُوِّ . وَالْجَزِيرَتَانِ لِأَعْمَارَةٍ فِيهِمَا وَلَا يَعْمُرُ الثَّلَاثَةَ سِوَى
 الرَّاهِبِ الْمَذْكُورِ . ثُمَّ اتَّفَقَ كِرَاؤُنَا فِي الْمَرْكَبِ الْمَتَوَجِّهِ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ
 وَنَظَرْنَا فِي الزَّادِ وَاللَّهُ الْمُتَكَفِّلُ بِالتَّيسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ (لابن جبير)

أَلْبَابُ الثَّامِنِ عَشَرَ فِي عَجَائِبِ الْمَخْلُوقَاتِ

في شرح عجب الموجودات

٣٤٠ قَالَ الْقَزْوِينِيُّ: الْعَجَبُ حَيْرَةٌ تَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ لِقُصُورِهِ عَنِ مَعْرِفَةِ سَبَبِ الشَّيْءِ أَوْ عَنِ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَأْثِيرِهِ فِيهِ . مِثَالُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى خَلِيَّةَ النَّحْلِ وَلَمْ يَكُنْ شَاهِدَهُ قَبْلُ تَعْتَرِيهِ حَيْرَةٌ أَعْدَمَ مَعْرِفَةَ فَاعِلِهِ . فَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلِ النَّحْلِ لَتَعَيَّرَ أَيْضًا . مِنْ حَيْثُ إِنَّ ذَلِكَ الْحَيَوَانَ الضَّعِيفَ كَيْفَ أَحَدَثَ هَذِهِ الْمَسَدَّاتِ الْمُنَسَاوِيَةَ الْأَضْلَاعَ الَّتِي عَجَزَ عَنِ مِثْلِهَا الْمُهَنْدِسُ الْحَازِقُ مَعَ الْفَرَجَارِ وَالْمِسْطَرَّةِ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا الشَّمْعُ الَّذِي اتَّخَذَتْ مِنْهُ بُيُوتَهَا الْمُنَسَاوِيَةَ الَّتِي لَا يُخَافُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَأَنَّهَا أَفْرَعَتْ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا الْعَسَلُ الَّذِي أَوْدَعَتْهُ فِيهَا ذَخِيرَةً لِلشَّتَاءِ . وَكَيْفَ عَرَفَتْ أَنَّ الشِّتَاءَ يَأْتِيهَا وَأَنَّهَا تَفْقِدُ فِيهِ الْأَعْدَاءَ . وَكَيْفَ أَهْتَدَتْ إِلَى تَغْطِيَةِ خِزَانَةِ الْعَسَلِ بِغِشَاءٍ رَقِيقٍ لِيَكُونَ الشَّمْعُ مُحِيطًا بِالْعَسَلِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ فَلَا يَنْشَفُّهُ الْهَوَاءُ وَلَا يُصِيبُهُ الْغُبَارُ . وَتَبَقَى كَأَلْبُرْنِيَّةِ الْمُضْمَمَةِ الرَّأْسِ بِالْكَأَعْدِ . فَهَذَا مَعْنَى الْعَجَبِ . وَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ إِلَّا أَنَّ الْإِنْسَانَ يُدْرِكُهُ فِي صِبَاهُ عِنْدَ فَقْدِ الشَّجَرِيَّةِ . ثُمَّ تَبْدُو فِيهِ غَرِيذَةُ الْعَقْلِ قَلِيلًا وَهُوَ مُسْتَرْقُ الْمَهْمِ فِي قِضَاءِ حَوَائِجِهِ وَتَحْصِيلِ شَهَوَاتِهِ وَقَدْ أُنِسَ بِمُدْرَكَاتِهِ

وَمَحْسُوسَاتِهِ فَتَقَطُّ عَنْ نَظَرِهِ بِطُولِ الْأَنْسْرِ بِهَا . فَإِذَا رَأَى بَقْعَةً
 حَيَوَانًا غَرِيبًا أَوْ نَبَاتًا نَادِرًا أَوْ فِعْلًا خَارِقًا لِعَادَاتِ أَنْطَاقِ لِسَانِهِ
 بِالسَّبِيحِ فَهَلْ يَسْتَجِيبُ اللَّهُ . وَهُوَ يَرَى طُولَ عُمرِهِ أَشْبَاهَ تَخَيُّرٍ فِيهَا
 عُقُولَ الْعُقَلَاءِ وَتَدَهُّشٍ فِيهَا نَفُوسَ الْأَذْكَاءِ

فَمَنْ أَرَادَ صِدْقَ هَذَا الْقَوْلِ فَلْيَنْظُرْ بَيْنَ الْبَصِيرَةِ إِلَى هَذِهِ
 الْأَجْسَامِ الرَّفِيعَةِ وَسَعَتِهَا وَصَلَابَتِهَا وَحِفْظِهَا عَنِ التَّغْيِيرِ وَالْأَسَادِ فَإِنَّ
 الْأَرْضَ وَالْهَوَاءَ وَالْبِحَارَ بِالإِضَافَةِ إِلَيْهَا كَمِثْلَةِ مُلَاقَاةِ فِي فَلَاقَةٍ . ثُمَّ
 يَنْظُرُ إِلَى دَوْرَانِهَا مُخْتَلِفًا فَإِنَّ بَعْضَهَا يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النَّارِ رَحْوِيَّةً . وَبَعْضُهَا
 حَمَائِلِيَّةٌ . وَبَعْضُهَا دَوْلَابِيَّةٌ . وَبَعْضُهَا يَدُورُ سَرِيعًا . وَبَعْضُهَا يَدُورُ بَطِيئًا .
 ثُمَّ إِلَى دَوَامِ حَرَكَاتِهَا مِنْ غَيْرِ قُتُورٍ . ثُمَّ إِلَى إِمْسَاكِهَا مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ
 تَتَعَمَّدُ بِهِ أَوْ عِلَاقَةٍ تَتَدَلَّى بِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى كَوَاكِبِهَا وَشَمْسِهَا وَقَمَرِهَا
 وَإِخْتِلَافِ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا لِإِخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ
 نُشُوءِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ . ثُمَّ إِلَى سَيْرِ كَوَاكِبِهَا وَكَثْرَتِهَا وَإِخْتِلَافِ
 أَلْوَانِهَا . فَإِنَّ بَعْضَهَا يَمِيلُ إِلَى الْحُمْرَةِ وَبَعْضُهَا إِلَى الْبَيَاضِ وَبَعْضُهَا
 إِلَى لَوْنِ الرَّصَاصِ . ثُمَّ إِلَى مَسِيرِ الشَّمْسِ فِي فَلَكِهَا مُدَّةَ سَنَةٍ وَطُلُوعِهَا
 وَغُرُوبِهَا كُلَّ يَوْمٍ . لِإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ وَتَمْيِيزِ
 وَقْتِ الْمَعَاشِ عَنِ وَقْتِ الإِسْتِرَاحَةِ . ثُمَّ إِلَى إِمَالَتِهَا عَنِ وَسْطِ السَّمَاءِ
 إِلَى الْجَنُوبِ وَإِلَى الشِّمَالِ حَتَّى وَقَعَ الصَّيْفُ وَالشِّتَاءُ وَالرَّبِيعُ وَالْحَرِيفُ .
 ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى جِزْمِ الْقَمَرِ وَكَيْفِيَّةِ انْكِسَابِهِ النُّورَ مِنَ الشَّمْسِ لِيُنُوبَ

عَنْهَا بِاللَّيْلِ . ثُمَّ إِلَى أَمْتِلَانِهِ وَأَنْعَاقِهِ . ثُمَّ إِلَى كُسُوفِ الشَّمْسِ
وَكُسُوفِ الْقَمَرِ وَإِلَى الْمَجْرَةِ وَهُوَ الْبَيَاضُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ سُرْجُ
السَّمَاءِ . وَهُوَ عَلَى فَلَكَ يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَارِ حَوِيَّةَ . وَعَجَابُ السَّمَاوَاتِ
لَا مَطْمَعُ فِي إِحْصَاءِ عَشْرِ عَشْرِهَا وَفِي مَا ذَكَرْنَاهُ تَبَصُّرَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ أَنْقِضَاضِ الشَّهْبِ
وَالنُّيُومِ وَالرُّعُودِ وَالْبُرُوقِ وَالصَّوَاعِقِ وَالْأَمْطَارِ وَالتَّلُوجِ وَالرِّيَّاحِ
الْمُخْتَلِفَةِ الْمَهَابِ . وَاتِّتَابِ السَّحَابِ الثَّقِيلِ الْكَثِيفِ الْمُظَامِ كَيْفَ اجْتَمَعَ
فِي جَوْ صَافٍ لَا كُدُورَةَ فِيهِ وَكَيْفَ حَمَلَ الْمَاءَ . وَتَسْخِيرِ الرِّيَّاحِ فَإِنَّهَا
تَلْعَبُ بِهِ وَتَسُوقُهُ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ فُتْرِشُ بِالْمَاءِ
وَجَهَ الْأَرْضِ وَتُرْسِلُهُ قَطْرَاتٍ مُتَفَاصِلَةً . لَا تُدْرِكُ قَطْرَةٌ مِنْهَا قَطْرَةً
لِيُصِيبَ وَجَهَ الْأَرْضِ بِرَفْقٍ . فَلَوْ صَبَّهُ صَبًّا لَأَفْسَدَ الزَّرْعَ بِجَدِّهِهِ وَجَهَ
الْأَرْضِ . وَيُرْسِلُهَا مِقْدَارًا كَافِيًا لَا كَثِيرًا زَائِدًا عَنِ الْحَاجَةِ فَيَقْنُ
النبَاتُ . وَلَا نَاقِصًا فَلَا يَتِمُّ بِهِ النُّمُوءُ . ثُمَّ إِلَى اخْتِلَافِ الرِّيَّاحِ فَإِنَّ مِنْهَا
مَا يَسُوقُ السُّحْبَ وَمِنْهَا مَا يَنْشُرُهَا . وَمِنْهَا مَا يَجْمَعُهَا وَمِنْهَا مَا يَعْصِرُهَا .
وَمِنْهَا مَا يُلْقِحُ الْأَشْجَارَ . وَمِنْهَا مَا يُرِيي الزَّرْعَ وَأَشْمَارَهُ . وَمِنْهَا مَا يُجَفِّفُهَا
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى الْأَرْضِ وَجَعْلِهَا وَنُورِهَا لِتَكُونَ فِرَاشًا وَمِهَادًا ثُمَّ إِلَى
سَعَةِ كَنَافِهَا وَبُعْدِ أَقْطَارِهَا حَتَّى عَجَزَ الْآدَمِيُّونَ عَنْ بُلُوغِ جَمِيعِ
جَوَانِبِهَا . ثُمَّ إِلَى جَعْلِ ظَهْرِهَا مَحَلًّا لِلْأَحْيَاءِ وَبَطْنِهَا مَقْرًا لِلْأَمْوَاتِ .
فَقَرَّاهَا وَهِيَ مَيْتَةٌ فَإِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَظْهَرَتْ

أجناس المِعادِنِ وَأَنْبَتِ أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَخْرَجَتْ أَصْنَافَ الْحَيَوَانِ .
 ثُمَّ إِلَى إِحْكَامِ أَطْرَافِهَا بِالْجِبَالِ الشَّامِخَةِ كَأَنَّهَا لَبَنٌ مِنْ أَنْ تَمِيدَ .
 ثُمَّ إِلَى إِيْدَاعِ الْمِيَاهِ فِي أَوْشَاحِهَا كَالْحِرْزَانَاتِ لِتَخْرُجَ مِنْهَا قَلِيلًا قَلِيلًا فَتَسْتَجِرَّ
 مِنْهَا الْعُيُونُ وَتَجْرِي مِنْهَا الْأَنْهَارُ . فَيَحْيَا بِهَا الْحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ إِلَى وَقْتِ
 زُرُولِ الْأَمْطَارِ مِنَ السَّنَةِ الْآتِيَةِ . وَيَنْصَبُ فَاصِلُهَا إِلَى الْأَجَارِ دَائِمًا .
 ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى الْبَحَارِ الْعَمِيَّةِ الَّتِي هِيَ خِلْجَانٌ مِنَ أَعْجَرِ الْأَعْظَمِ
 الْمُحِيطِ بِجَمِيعِ الْأَرْضِ حَتَّى إِنْ جَمِيعَ الْمَكْشُوفِ مِنَ الْبُؤَادِي وَالْجِبَالِ
 بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَاءِ كَحَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ فِي بَحْرِ عَظِيمٍ وَبَقِيَّةِ الْأَرْضِ
 مَسْتَوْرَةٍ بِالْمَاءِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْجَوَاهِرِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ
 إِنْ خَلَّتِ الْوُؤُوفُ فِي صَدْفِهِ تَحْتَ الْمَاءِ . ثُمَّ إِلَى إِنْبَاتِ الْمَرْجَانِ فِي صَحْبِ
 الصَّخْرِ تَحْتَ الْمَاءِ وَهُوَ نَبَاتٌ عَلَى هَيْئَةِ شَجَرَةٍ يَنْبْتُ مِنَ الْحَجَرِ . ثُمَّ إِلَى
 مَا عَدَاهُ مِنَ الْعَذْبِ وَأَعْنَافِ النَّفَاسِ الَّتِي يَشْدِفُهَا الْبَحْرُ وَاسْتَخْرَجَ
 مِنْهُ . ثُمَّ إِلَى السُّفْنِ كَيْفَ سِيرَتْ فِي الْبَحَارِ وَسُرْعَةَ جَرِيئِهَا بِالرِّيَّاحِ
 وَإِلَى اتِّخَاذِ آلائِهَا وَمَعْرِفَةِ النَّوَاتِي مَوَارِدِ الرِّيَّاحِ وَمَهَابِهَا وَمَوَافِقِهَا .
 وَعَجَابِ الْبَحَارِ كَثِيرَةٍ لَا مَطْمَعُ فِي إِحْصَائِهَا
 ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَنْوَاعِ الْمَعَادِنِ الْمَوْدَعَةِ تَحْتَ الْجِبَالِ مِنْهَا مَا يَنْطَبِعُ
 كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَالرَّصَاصِ وَالْحَدِيدِ . وَمِنْهَا مَا لَا يَنْطَبِعُ
 كَالْقَيْرُوزِجِ وَاللِّياقُوتِ وَالزَّبْرَجِدِ . ثُمَّ إِلَى كَيْفِيَّةِ اسْتِخْرَاجِهَا وَتَنْقِيَّتِهَا
 وَاتِّخَاذِ الْجَلِيِّ وَالْآلَاتِ وَالْأَوَانِي مِنْهَا . ثُمَّ إِلَى مَعَادِنِ الْأَرْضِ كَالنَّطِ

وَالْكَبْرِيَّةِ وَالْقَبْرِ وَغَيْرِهَا وَأَجْلَهَا الْمَلْحُ قَلَوَخَاتٍ مِنْهُ بِلَدَةٍ لَتَسَارِعَ
 أَنْفَسَادُ إِلَى أَهْلِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَصْنَافِ الْقَوَاكِبِ
 الْمُخْتَلِفَةِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ وَالطُّعْمِ وَالْأَرَائِيحِ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ
 وَيَفْضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ مَعَ اتِّحَادِ الْأَرْضِ وَالْهَوَاءِ وَالْمَاءِ .
 فَتَخْرُجُ مِنْ نَوَاةٍ مُخَلَّةٍ مُطَوَّقَةٍ بِعَنَاوِيدِ الرُّطْبِ وَمِنْ حَبَّةٍ سَبْعُ سَنَابِلٍ
 فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَرْضِ الْبَوَادِي وَتَشَابُهِ أَجْزَائِهَا
 فَإِنَّهَا إِذَا نَزَلَ الطَّرُّ عَلَيْهَا أَهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بِهَيْجٍ .
 ثُمَّ إِلَى أَشْكَالِهَا وَالْوَانِيَا وَطُعْمِهَا وَرَوَائِحِهَا وَأَخْتِلَافِ طَبَائِعِهَا وَكَثْرَةِ
 مَنَافِعِهَا . فَلَمَّ تَبَيَّنَتْ مِنَ الْأَرْضِ وَرَقَّةٌ إِلَّا وَفِيهَا مَنَفَعَةٌ أَوْ مَنَافِعٌ يَقِفُ
 فِيهِمُ الْبَشَرُ دُونَ إِذْرَاكِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ وَأَنْتِيسَامِهَا إِلَى
 مَا يَطِيرُ وَيَسْبُجُ وَيَمِشِي . وَإِلَى أَشْكَالِهَا وَصُورِهَا وَأَخْلَاقِهَا لِيَرَى عَجَائِبَ
 تَدْهَشُ مِنْهَا الْعُقُولُ . بَلْ فِي الْبَقَّةِ أَوْ النَّحْلِ أَوْ الْعَنْكَبُوتِ أَوْ النَّحْلِ فَإِنَّهَا
 مِنْ ضِعَافِ الْحَيَوَانَاتِ . لِيَرَى مَا يَتَّخِذُ مِنْهُ مِنْ بِنَائِهَا الْبَيْتَ وَجَمْعِهَا الْغِذَاءَ
 وَأَدْخَارِهَا لَوْفَتِ الشِّتَاءِ وَحِذْقِهَا فِي هَنْدَسَتِهَا وَنَصْبِهَا الشَّبَكَةَ لِلصَّيْدِ
 وَمَا مِنْ حَيَوَانٍ إِلَّا وَفِيهِ مِنْ الْعَجَائِبِ مَا لَا يُحْصَى . وَإِنَّمَا سَقَطَ التَّعْجِيبُ
 مِنْهَا لِلْأَنْسِ بِهَا بِكَثْرَةِ الْأَشَاهِدَةِ

في جرم الشمس ووضعا

الطبيعي الكرة الرابعة. (*) زعم المتجمون أن الشمس بين الكواكب
 كالملك وسائر الكواكب كالأعوان والجنود. والقمر كالوزير وولي
 العهد. وعطارد كالكتيب. والريخ كصاحب الشرطة. والمشتري
 كالقاضي. وزحل كصاحب الخزان. والزهرة كالخدم والجواري.
 والأفلاك كالأقاليم. والبروج كالبلدان. والدرجات كالساكنين.
 والدقائق كالحال. والثواني كالمنازل. وهذا تشبيه جيد

ومن عجائب لطف الله تعالى جعل الشمس في وسط الكواكب
 السبعة لتبقى الطبايع والمطبوعات في نظم العالم بحركتها على حدها
 الاعتدالي. إذ لو كانت في فلك الثوابت لفسدت الطبايع
 بشدة البرد. ولو أنها انحدرت إلى فلك القمر لاحترق هذا العالم
 بالكآبة. ولطف آخر من الله تعالى أن خلقها سائرة غير موقفة
 إلا لأشدت السخونة في موضع وأشد البرد في غيره فلا يخفى
 فسادهما. لكن تطلع كل يوم من المشرق (*) ولا تزال تغشى
 موضعا بعد موضع حتى تنتهي إلى المغرب. فلا يبقى موضع
 مكشوف مواز لها إلا ويأخذ خطأ من شعاعها. ويميل في كل
 سنة مرة إلى الجنوب ومرة إلى الشمال لتعم فائدها أما إلى الجهة

(*) ذلك زعم الأقدمين أما المتأخرون فعلى أن الشمس في جوف الملك ومن حولها
 تدور سائر الأفلاك واقربها إلى الشمس عطارد ثم الزهرة ثم الأرض ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل
 (**) وهذا من آراء الأوائل. فقد ثبت الآن عند العلماء أن الأفلاك تدور حول الشمس
 وأصل ما اعتقده القدماء من أن الشمس تدور من حول الأفلاك

الْجَنُوبِيَّةِ قَتْمِيلُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ قَابِ الْأَمْرَبِ .
 وَهُوَ مَطْلَعُ أَقْصَرِ يَوْمٍ فِي السَّنَةِ . وَأَمَّا إِلَى الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ قَتْمِيلُ حَتَّى
 تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ السَّمَاءِ الرَّاحِ وَهُوَ مَطْلَعُ أَطْوَلِ يَوْمٍ فِي
 السَّنَةِ . ثُمَّ تَرْجِعُ تَمِيلُ إِلَى الْجَنُوبِ

في كسوف الشمس وبعض خواصها

٣٤٢ وَسَبَبُهُ كَوْنُ الْقَمَرِ حَائِلًا بَيْنَ الشَّمْسِ وَبَيْنَ أَبْصَارِنَا لِأَنَّ
 جِرْمَ الْقَمَرِ كَمَدٍ فَيَجِبُ مَا وَرَاءَهُ عَنِ الْأَبْصَارِ . فَإِذَا قَارَنَ الشَّمْسَ
 وَكَانَ فِي إِحْدَى نَقْطَتِي الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ فَإِنَّهُ يَمُرُّ تَحْتَ
 الشَّمْسِ فَيَصِيرُ حَائِلًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَبْصَارِ . ثُمَّ الشَّمْسُ إِذَا انْكَسَفَتْ
 لَا يَكُونُ لِكُسُوفِهَا مَكَثٌ لِأَنَّ فَاعِدَةَ مَخْرُوطِ الشُّعَاعِ إِذَا انْطَبَقَ عَلَى
 صَفْحَةِ الْقَمَرِ انْحَرَفَ عَنْهُ فِي الْحَالِ . فَتَبْتَدِئُ الشَّمْسُ بِالْإِنْجِلَاءِ . لَكِنْ
 يَخْتَلِفُ قَدْرُ الْكُسُوفِ بِاخْتِلَافِ أَوْضَاعِ الْمَسَاكِينِ بِسَبَبِ اخْتِلَافِ
 الْمَنْظَرِ . وَقَدْ لَا تَنْكَسِفُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ أَصَلًا

وَأَمَّا تَأْثِيرَاتُ الشَّمْسِ فِي الْعُلُويَّاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ فَعَجِيبَةٌ . أَمَّا فِي
 الْعُلُويَّاتِ فَاخْفَاؤُهَا جَمِيعَ الْكَوَاكِبِ بِكَمَالِ شُعَاعِهَا وَإِعْطَاؤُهَا لِقَمَرِ
 النُّورِ . وَأَمَّا فِي السُّفْلِيَّاتِ فَمِنْهَا تَأْثِيرُهَا فِي الْبِحَارِ . فَإِنَّهَا إِذَا اشْرَقَتْ عَلَى
 الْمَاءِ أَصْعَدَتْ مِنْهُ ابْجِرَةً بِسَبَبِ السُّخُونَةِ . فَإِذَا بَلَغَ الْبِحَارَ إِلَى الْهَوَاءِ
 الْبَارِدِ تَكَاثَفَ مِنَ الْبَرْدِ وَأَنْعَمَدَ سَحَابًا . ثُمَّ تَذْهَبُ بِهِ الرِّيَّاحُ إِلَى
 الْأَمَاكِنِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْبِحَارِ فَيَنْزِلُ اللَّهُ قَطْرًا يُجِيئُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ

موتها . وتظهر منه الأنهار والعيون فيصير سببا لبقاء الحيوان وخروج
النبات . ومنها أمر النبات فإن الزروع والأشجار والنبات لا تثبت
بنمو إلا في المواضع التي نطلع عليها الشمس . ولذلك لا ينبت تحت
التخيل والأشجار العظام التي لها ظلال واسعة شي من الزروع
لأنها تمنع شعاع الشمس عما تحتها . وحسبك ما ترى من تأثير الشمس
بحسب الحركة اليومية في البلور والآذريون وورق الخروع فإنها
تنمو وترداد عند أخذ الشمس في الارتفاع والصعود . فإذا زالت
الشمس أخذت في الذبول حتى إذا غابت الشمس ضعفت وذابت
ثم عادت اليوم الثاني إلى حالها . ومنها تأثيرها في الحيوانات فإننا
نرى الحيوان إذا طلع نور الصبح خاق الله تعالى في أبدانها قوة
فتظهر فيها قراةة وانتعاش قوة . وكلما كان طلوع نور الشمس أكثر
كان ظهور قوة الحيوان في أبدانها أكثر إلى أن وصلت إلى وسط
سمائها . فإذا مالت عن وسط سمائها أخذت حركاتهم وقواهم في
الضعف ولا تزال تزداد ضعفا إلى زمان غيوبها . فإذا غابت الشمس
رجعت الحيوانات إلى أماكنها ولزمتها كما لو ترى فإذا طلعت عليها
الشمس في اليوم الثاني عادوا إلى الحالة الأولى (للقزويني)

فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته

٣٤٣ وأما القمر فهو كوكب مكانه الطبيعي الملك الأسفل وهو
جرم كئيف . ظلم قابل للضياء إلا القليل منه على ما يرى في ظاهره .

فَالنِّصْفُ الَّذِي يُوَاجِهُهُ الشَّمْسُ مُضِيٌّ أَبَدًا فَإِذَا فَارَتِ الشَّمْسُ كَانَ
النِّصْفُ الْمُظْلَمُ مُوَاجِهًا لِلأَرْضِ . فَإِذَا بَعْدَ عَنِ الشَّمْسِ إِلَى الْمَشْرِقِ
وَمَا لَ النَّصْفِ الْمُظْلَمِ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي يَلِي الْمَغْرِبَ إِلَى الأَرْضِ فَيَظْهَرُ
مِنَ النَّصْفِ الْمُضِيِّ قِطْعَةٌ هِيَ الْهَلَالُ . ثُمَّ يَتَزَايِدُ الْإِنْحِرَافُ وَيَزْدَادُ
يَتَزَايِدُهُ الْقِطْعَةُ مِنَ النَّصْفِ الْمُضِيِّ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي مُقَابَلَةِ الشَّمْسِ
كَانَ النَّصْفُ أَمُوجَهُ الشَّمْسِ هُوَ النَّصْفُ الْمُوَاجِهَ لَنَا . فَتَرَاهُ ثُمَّ يَقْرُبُ
مِنَ الشَّمْسِ فَيَنْقُصُ الْخَبِيَاءُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي بَدَأَ بِهِ عَلَى التَّرْتِيبِ الْأَوَّلِ .
حَتَّى إِذَا صَارَ فِي مُقَارَنَةِ الشَّمْسِ يَنْحَقُّ نُورُهُ وَيَعُودُ إِلَى الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ
وَسَبَبُ خُسُوفِهِ تَوَسُّطُ الأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَإِذَا كَانَ الْقَمَرُ
فِي إِحْدَى نُقْطَتِي الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ عِنْدَ الْإِسْتِقْبَالِ
تَوَسَّطَ الأَرْضُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَيَقَعُ فِي ظِلِّ الأَرْضِ وَيَبْقَى عَلَى
سَوَادِهِ الْأَصْلِيِّ قَيْرَى مُنْخَسَفًا . وَتَأْثِيرَاتُهُ عَجِيبَةٌ . زَعَمُوا أَنَّ تَأْثِيرَاتِهِ
كُلَّمَا بَوَاسِطَةَ الرُّطُوبَةِ كَمَا أَنَّ تَأْثِيرَاتِ الشَّمْسِ بَوَاسِطَةَ الْحَرَارَةِ .
وَيَدُلُّ عَلَيْهَا أَعْتَابُ أَهْلِ التَّجَارِبِ . مِنْهَا أَمْرُ الْبَحَّارِ فَإِنَّ الْقَمَرَ إِذَا صَارَ
فِي أَفْقٍ مِنْ أَفَاقِ الْبَحْرِ أَخَذَ مَاؤُهُ فِي الْمَدِّ مُبْلَاغَ الْقَمَرِ وَلَا يَزَالُ
كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ الْقَمَرُ فِي وَسْطِ سَمَاءِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ . فَإِذَا صَارَ
هُنَاكَ أَنْتَهَى الْمَدُّ مُنْتَهَاهُ فَإِذَا انْحَطَّ الْقَمَرُ مِنْ وَسْطِ سَمَائِهِ جَزَرَ الْمَاءُ .
وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ رَاجِعًا إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْقَمَرُ مَغْرِبَهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ
يَنْتَهِي الْجَزْرُ مُنْتَهَاهُ . وَمَنْ كَانَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ وَقَدْ ابْتَدَأَ الْمَدُّ

أَحْسَ لَأَمَادِ حَرَكَةٍ مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ وَيَرَى لَهُ انْتِفَاحًا وَتَهَيُّجًا فِيهَا
رِيَّاحٌ عَوَافِفٌ وَأَوَاجٌ. وَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْجُزْرِ يَنْقُصُ جَمِيعُ ذَلِكَ. وَمَنْ
كَانَ فِي الشُّطُوطِ وَالسَّوَاحِلِ فَإِنَّهُ يَرَى لِلْمَاءِ زِيَادَةً وَانْتِفَاحًا وَجَرِيًّا
وَعُلُوًّا وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَجْزُرَ وَيَرْجِعَ الْمَاءُ إِلَى النَّجْرِ. وَابْتِدَاءُ
قُوَّةِ الْمَدِيِّ فِي الْبِحَارِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ عَمِيقٍ وَاسِعٍ كَثِيرِ الْمَاءِ
فِي الْحِجْرَةِ وَالْكِرَاكِبِ الثَّوَابِتِ

٣٤٤ وَهِيَ أَيْبَاضُ الَّذِي يَرَى فِي السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ سُرُجُ السَّمَاءِ إِلَى
زَمَانِنَا هَذَا لَمْ يُسْمَعْ فِي حَقِيقَتِهَا قَوْلُ شَافِيٍّ. زَعَمُوا أَنَّهَا كَوَاكِبُ صَغَارٌ
مُتَقَارِبَةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَالْعَرَبُ تُسَمِّيهَا أُمَّ النُّجُومِ لِاجْتِمَاعِ النُّجُومِ
فِيهَا. وَزَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ تَقَارَبَتْ مِنَ الْحِجْرَةِ فَطَمَسَ بَعْضُهَا بَعْضًا
وَعَمَّاتٌ كَأَنَّهَا سَحَابٌ. وَهِيَ تَرَى فِي الشِّتَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي نَاحِيَةِ مَنْ
السَّمَاءِ. وَفِي الصَّيْفِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ مُتَمَدَّةً مِنَ الشِّمَالِ إِلَى
الْجَنُوبِ. وَبِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا تَدُورُ دَوْرًا رَاحِيًّا فَتَرَاهَا نِصْفَ اللَّيْلِ مُتَمَدَّةً
مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَفِي آخِرِ اللَّيْلِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشِّمَالِ...
وَأَمَّا الْكَوَاكِبُ الثَّوَابِتُ فَإِنَّ عَدَدَهَا مِمَّا يَقْصُرُ ذَهْنُ الْإِنْسَانِ عَنْ
ضَبْطِهَا. لَكِنَّ الْأَوَائِينَ قَدْ ضَبَطُوا مِنْهَا أَلْفًا وَأَتْنِينَ وَعِشْرِينَ كَوْكَبًا.
ثُمَّ وَجَدُوا مِنْ هَذَا الْجَمْعِ تِسْعِمِائَةً وَسَبْعَةَ عَشَرَ كَوْكَبًا يَنْتَظِمُ
مِنْهَا ثَمَانٌ وَأَرْبَعُونَ صُورَةً. كُلُّ صُورَةٍ مِنْهَا تَشْتَمِلُ عَلَى كَوْكَبِيهَا. وَهِيَ
الصُّورَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا بَطْلِمُوسُ فِي كِتَابِ الْمِحْطِيِّ بَعْضُهَا فِي النِّصْفِ

الشَّمَالِي مِنَ الْكُرَّةِ وَبَعْضُهَا عَلَى مِنْطَقَةِ فَلَكِ الْبُرُوجِ الَّتِي هِيَ طَرِيقَةُ
السِّيَّارَاتِ . وَبَعْضُهَا فِي النِّصْفِ الْجَنُوبِيِّ . فَسَمِيَ كُلُّ صُورَةٍ بِاسْمِ
الشَّيْءِ الْمَشْبَهِ بِهَا فَوَجَدَ بَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ كَالْجُوزَاءِ .
وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الْحَيَوَانَاتِ النَّجْرِيَّةِ كَالسَّرَطَانِ . وَبَعْضُهَا عَلَى
صُورَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ كَالْحَمَلِ . وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الطَّيْرِ كَالْعُقَابِ .
وَبَعْضُهَا خَارِجًا عَنْ شَبهِ الْحَيَوَانَاتِ كَالْمِيزَانِ وَالسَّفِينَةِ . وَوَجَدَ مِنْ هَذِهِ
الصُّورِ مَا لَمْ يَكُنْ تَامًّا الْخَلْقَةَ مِثْلَ الْفَرَسِ وَمِنْهَا مَا بَعْضُهُ مِنْ صُورَةِ
حَيَوَانَاتٍ وَالْبَعْضُ الْآخَرُ مِنْ صُورَةِ حَيَوَانَاتٍ آخَرَ كَالرَّامِيِّ وَإِنَّمَا
أَقْوَاهُ هَذِهِ الصُّورِ وَتَمَّوْهَا بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ لِيَكُونَ لِكُلِّ كَوْكَبٍ اسْمٌ
يَعْرِفُ بِهِ مَتَى أَشَارُوا إِلَيْهِ وَذَكَرُوا مَوْقِعَهُ مِنْ الصُّورَةِ . وَمَوْقِعُهُ مِنْ
فَلَكَ الْبُرُوجِ وَبَعْدَهُ مِنَ الشَّمَالِ أَوْ الْجَنُوبِ عَنِ الدَّائِرَةِ الَّتِي تَرْتَفِعُ
بِأَوْسَاطِ الْبُرُوجِ لِمَعْرِفَةِ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ وَالطَّامِعِ فِي كُلِّ وَقْتٍ

فصل في ارباع السنة

٣٤٥ من جملة لطف الله بعباده أن أعطى لكل فضل طبعاً مغايراً لما
قبله في كيفية أخرى ليكون وزود الأصول على الأبدان بالتدرج .
فلو أثقل من الصيف إلى الشتاء دفعة لأدى ذلك إلى تشبير عظيم
في الأبدان . فحسبك ما ترى من تشبير الهواء في يوم واحد من الحر
إلى البرد كيف يظهر متضاه في الأبدان . فكيف إذا كان مثل هذا
التشبير في الأصول . فسبحانه ما أعظم شأنه . وأكثر امتنانه

أَمَّا الرَّبِيعُ فَهُوَ وَقْتُ زُرُوقِ الشَّمْسِ أَوَّلِ بُرْجِ الحَمَلِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
أَسْتَوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِي الْأَقَالِيمِ وَأَعْتَدَلَ الزَّمَانُ . وَطَابَ الهَوَاءُ
وَهَبَّ السَّيْمُ . وَذَابَتِ الثَّلُوجُ وَسَالَتِ الْأَوْدِيَةُ . وَمَدَّتِ الْأَنْهَارُ
وَنَبَعَتِ الْعُيُونُ . وَارْتَفَعَتِ الرُّطُوبَاتُ إِلَى أَعْلَى فُرُوعِ الْأَشْجَارِ وَنَبَتَ
العُشْبُ . وَطَالَ الزَّرْعُ وَتَلَأَلَ الزَّهْرُ . وَأَوْرَقَ الشَّجَرُ وَأَنْفَعَمَ النُّورُ .
وَأَخْضَرَ وَجْهَ الْأَرْضِ وَطَلَبَ عَيْشُ أَهْلِ الزَّمَانِ . وَتَكَوَّنَتِ الْحَيَوَانَاتُ
وَدَبَّ الدَّيْبُ . وَنَجَتْ الْبَهَائِمُ وَدَرَّتِ الضَّرُوعُ . وَأَنْتَشَرَ الْحَيَوَانُ فِي
الْبِلَادِ عَنِ أَوْطَانِهِ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا جَارِيَةٌ شَابَةٌ تَجَلَّتْ وَتَرَيَّتْ
لِلنَّاطِرِينَ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ دَائِبًا وَدَابُّ أَهْلِهَا إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ
أَخِرَ الْجُوزَاءِ . فَحِينَئِذٍ أَنْتَهَى الرَّبِيعُ وَأَقْبَلَ الصَّيْفُ
وَأَمَّا الصَّيْفُ فَهُوَ وَقْتُ زُرُوقِ الشَّمْسِ أَوَّلِ السَّرَطَانِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
تَنَاهَى طُولُ النَّهَارِ ثُمَّ أَخَذَ اللَّيْلُ فِي الزِّيَادَةِ وَدَخَلَ الصَّيْفُ . وَأَشْتَدَّ
الْحَرُّ وَسَخَنَ الهَوَاءُ . وَتَقَوَّى أَكْثَرُ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ . وَأَذْرَكَ الثَّمَارُ
وَجَفَّتِ الْحُبُوبُ وَقَلَّتِ الْأَنْدَاءُ . وَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا وَسَمِتَتِ الْبَهَائِمُ .
وَأَشْتَدَّتْ مَوْتَةُ الْأَبْدَانِ وَكَثُرَ الرِّيفُ . وَأَنْتَشَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ عَلَى
وَجْهِ الْأَرْضِ لِعُمُومِ الخَيْرِ وَكَثُرَتِ الدَّيْبُ . وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ
الزَّمَانِ . وَكَثُرَتِ السَّمُومُ . وَنَقَصَتِ الْأَنْهَارُ وَنَضَبَتِ الْمِيَاهُ . وَبَيْسَتِ
العُشْبُ وَأَذْرَكَ الحِصَادُ . وَدَرَّتِ الْأَخْلَافُ وَأَتَّسَعَ لِلنَّاسِ الصُّوتُ
وَاللِّطِيرُ الحَبُّ وَاللِّبَهَائِمُ العَلْفُ . وَتَكَامَلَ زُخْرُفُ الْأَرْضِ وَصَارَتِ

الدُّنْيَا كَأَنَّهَا عُرُوسٌ مُنْعَدَةٌ بِاللَّغَةِ كَامِلَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ وَرَوْتِقٍ . فَلَا يَزَالُ
 الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ السُّنْبَلَةِ فَيَحْتَدِثُ أَقْبَلَ الْحَرِيفِ
 وَأَمَّا الْحَرِيفُ فَهُوَ وَقْتُ نُزُولِ الشَّمْسِ الْمِيزَانَ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَسْتَوِي
 اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَّةً أُخْرَى . ثُمَّ أَسْتَوِي بِالزِّيَادَةِ . وَكَمَا ذَكَرْنَا أَنَّ
 الرَّبِيعَ زَمَنُ نُشُوءِ الْأَشْجَارِ وَبَدَأِ النَّبَاتِ وَظُهُورِ الْأَزْهَارِ فَالْحَرِيفُ
 زَمَانُ ذُبُولِ النَّبَاتِ وَتَنْبِيرِ الْأَشْجَارِ وَسُقُوطِ أَوْرَاقِهَا . فَيَحْتَدِثُ بِرَدِّ الْمَاءِ
 وَهَبَّتِ الشَّمَالُ . وَتَغَيَّرَ الزَّمَانُ وَنَقَصَتِ الْمِيَاهُ . وَجَفَّتِ الْأَنْهَارُ وَغَارَتِ
 الْعُيُونُ . وَبَيَسَتِ أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَفَنِيَتِ الشِّجَارُ . وَأَحْرَزَ النَّاسُ الْحَبَّ
 وَالْأَمْرَ وَعَرِيَّ وَجَهَ الْأَرْضِ مِنْ دَيْبِيهَا . وَمَاتَتِ الْهَوَامُّ وَأَبْجَحَّتِ
 الْحَشْرَاتُ . وَأَنْصَرَفَ الطَّيْرُ وَيَطَّابُ الْوَحْشُ الْبَلْدَانَ الدَّافِئَةَ
 وَأَحْرَزَ النَّاسُ قُوَّةَ الشِّتَاءِ وَدَخَلُوا الْبُيُوتَ وَلَبَسُوا الْجُلُودَ الْغَلِيظَةَ مِنْ
 الشِّبَابِ . وَتَغَيَّرَ الْهَوَاءُ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا كَهْمَةٌ قَدِ وَلَّتْ أَيَّامُ شَبَابِهَا
 إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْقَوْسِ وَقَدْ أَنْتَهَى الْحَرِيفُ وَأَقْبَلَ الشِّتَاءُ
 وَأَمَّا الشِّتَاءُ فَهُوَ وَقْتُ نُزُولِ الشَّمْسِ أَوَّلَ الْجَدِيِّ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنَاهَى
 طَوْلُ اللَّيْلِ وَقَصُرَ النَّهَارُ . ثُمَّ أَخَذَ النَّهَارُ فِي الزِّيَادَةِ وَأَشْتَدَّ الْبَرْدُ .
 وَخَسُنَ الْهَوَاءُ وَتَعَرَّى الْأَشْجَارُ عَنِ الْأَوْرَاقِ . وَفَنِيَتِ بَطُونُهَا وَفَاتَ
 أَكْثَرُ النَّبَاتِ . وَأَبْجَحَّتِ الْحَيَوَانَاتُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَكُهُوفِ
 الْجِبَالِ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَكَثْرَةِ الْأَنْدَاءِ . وَأَنْشَأَتِ الْغُيُومُ وَأَظْلَمَ الْجَوُّ
 وَكَلَّحَ وَجْهَ الزَّمَانِ . وَهَزَّتِ الْبِهَائِمُ وَضَعِفَتِ قُوَى الْبَدَانِ . وَمَنْعَ

أَلْبَرْدُ النَّاسَ مِنَ التَّصَرُّفِ وَصَرَاعِشُ أَكْثَرِ الْحَيَوَانَ . وَطَالَ اللَّبْلُ
 الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سَكَنًا وَلِبَاسًا وَبَرَدَ الْمَاءُ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ . وَأَنْقَطَعَ
 الذُّبَابُ وَالْبَعُوضُ وَعُدِمَ ذَوَاتُ السُّمُومِ مِنَ الْهُوَامِ . وَيَطِيبُ فِيهِ
 الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ . وَهُوَ زَمَانُ الرَّاحَةِ وَالِاسْتِهْتَاعِ كَمَا أَنَّ الصَّيْفَ
 زَمَانُ الْكَدِّ وَالْتَمَبِ . حَتَّى قِيلَ : مَنْ لَمْ يَغْلُ دِمَاعَهُ صَانِقًا لَمْ تَغْلُ
 قَدْرَهُ شَاتِيًا . وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا عَجُوزٌ هَرِمَةٌ دَنَامِنَهَا الْمَوْتُ . فَلَا
 يَزَالُ كَكَذَلِكَ إِلَى أَنْ تَبَاعَ الشَّمْسُ آخِرَ الْحَوْتِ وَقَدِ انْتَهَى الشِّتَاءُ
 وَأَقْبَلَ الرَّبِيعُ مَرَّةً أُخْرَى

فصل في تولد الانهار

٣٤٦ إِذَا وَقَعَتِ الْأَمْطَارُ وَالثَّلُوجُ عَلَى الْجِبَلِ تَنْصَبُ الْأَمْطَارُ إِلَى
 الْمَغَارَاتِ وَتَذُوبُ الثَّلُوجُ وَتَفِضُ إِلَى الْأَهْوَابِ الَّتِي فِي الْجِبَالِ . فَتَبْقَى
 مَخْرُونَةٌ فِيهَا وَتَمْتَلِي الْأَوْشَالُ مِنْهَا فِي الشِّتَاءِ . فَإِذَا كَانَ فِي آسَافِ الْجِبَالِ
 مَنَافِذُ ضَمِيمَةٌ تَخْرُجُ الْمِيَاهُ مِنَ الْأَوْشَالِ فِي ذَاكَ الْمَنَافِذِ فَيَحْضُلُ مِنْهَا
 جَدَاوِلُ . وَيَجْتَمِعُ بَعْضُهَا إِلَى الْبَعْضِ فَيَحْضُلُ مِنْهَا أَوْدِيَةٌ وَأَنْهَارٌ . فَإِنْ
 كَانَتْ أُنْزَانَاتُ فِي أَعَالِي الْجِبَالِ يَسْتَمِرُّ جَرِبَانُهَا أَبَدًا لِأَنَّ مِيَاهَهَا
 تَنْصَبُ إِلَى سَفْحِ الْجِبَالِ وَلَا تَقْطَعُ مَادَّتُهَا لِيُوصَلَ مَدَدُهَا مِنَ
 الْأَمْطَارِ . وَإِنْ كَانَتْ الْخِرَازِنَاتُ فِي آسَافِ الْجِبَالِ فَتَجْرِي مِنْهَا
 الْأَنْهَارُ عِنْدَ وُصُولِ مَدَدِهَا وَتَقْطَعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْمَدَدِ . وَتَبْقَى أَمِيَاهُ
 فِيهَا وَاقِفَةٌ كَمَا تَرَى فِي الْأَوْدِيَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ثُمَّ

تَقَطُّعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ مَادَّتِهَا . وَكُلُّ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَبْتَدِي مِنَ الْجِبَالِ
وَتَنْتَهِي إِلَى الْبِحَارِ أَوْ الْبَطَانِحِ . وَفِي مَرِّهَا تَسْقِي الْمَدْنَ وَالْقَرْيَ وَمَا
فَضَلَ يَنْصَبُ إِلَى الْبِحَارِ . ثُمَّ يَرِقُّ وَيَاطْفُ وَيَتَصَاعَدُ فِي الْهَوَاءِ بُخَارًا
وَيَتَرَاكُمُ مِنْهُ الْغَيْومُ وَتَسُوْقُهُ الرِّيحُ إِلَى الْجِبَالِ وَالْبَرَارِيِّ . وَيَمَطُرُ
هُنَاكَ وَيَجْرِي فِي الْأَوْدِيَةِ وَالْأَنْهَارِ وَيَسْقِي الْبِلَادَ وَيَرْجِعُ فَاصِدًا إِلَى
الْبِحْرِ . وَلَا يَزَالُ هَذَا دَائِبًا وَيَدُورُ كَالرَّحَا فِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ

جسم الارض ودورانها وهيئتها

٣٤٧ الأَرْضُ جِسْمٌ بَسِيطٌ طِبَاعُهُ أَنْ يَكُونَ بَارِدًا يَابِسًا . وَإِنَّمَا خُلِقَتْ
بَارِدَةً يَابِسَةً لِأَجْلِ الْفَلَظِ وَالْتِمَاسِكِ إِذْ لَوْلَاهُمَا مَا أَمَكَّنَ قَرَارُ
الْحَيَوَانَ عَلَى ظَهْرِهَا . وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ مُحِيطَانِ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا إِلَّا
الْمِقْدَارَ الْبَارِزَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَقَرًّا لِلْحَيَوَانَ . ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ
فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَقَفَ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ يَكُونُ رَأْسُهُ أَبَدًا مِمَّا يَلِي
السَّمَاءَ . وَرِجْلُهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ وَهُوَ يَرَى مِنَ السَّمَاءِ نِصْفَهَا وَإِذَا
انْتَقَلَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ظَهَرَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ مِقْدَارٌ مَا خَفِيَ لَهُ مِنَ
الْجَانِبِ الْآخَرِ . ثُمَّ إِنَّ الْبِحْرَ الْمُحِيطَ الْأَعْظَمَ لِحَاطِ بِأَكْثَرِ وَجْهِ
الْأَرْضِ وَالْمَكْشُوفُ مِنْهَا قَلِيلٌ نَاقِيٌ عَلَى الْمَاءِ . عَلَى مِثَالِ بَيْضَةِ
غَائِصَةٍ فِي الْمَاءِ يُخْرَجُ مِنَ الْمَاءِ مُحْدَبًا . وَلَيْسَتْ هِيَ مُسْتَدِيرَةً مَسَاءً
وَلَا مُصَمَّتَةً بَلْ كَثِيرَةٌ الِارْتِفَاعِ وَالِانْتِخَافِ مِنَ الْجِبَالِ وَالْتَلَالِ
وَالْأَوْدِيَةِ وَالْأَهْوَابَةِ وَالْكَهُوفِ وَالْمَغَارَاتِ وَلَهَا مَنَافِذُ وَخَلْعَانُ . وَكُلُّهَا

مَمْلُوءَةٌ مِيَاهًا وَبُخَارَاتٍ وَرَطُوبَاتٍ ذُهْنِيَّةٌ . وَمَا فِي الْأَرْضِ مَوْضِعٌ
شِبْرٍ إِلَّا وَهُنَاكَ مَعْدِنٌ أَوْ نَبَاتٌ أَوْ حَيَوَانٌ بِاخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا
وَصُورِهَا وَمِزَاجِهَا وَأَلْوَانِهَا لَا يَعْلَمُ تَفْصِيلَهَا غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ صَاحِبُهَا
وَمُدَبِّرُهَا . مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ
وَلَا يَأْبِسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

وَأَمَّا هَيْئَةُ الْأَرْضِ فَقَدْ اخْتَلَفَ آرَاءُ الْقَدَمَاءِ فِيهَا قَالَ بَعْضُهُمْ :
إِنَّهَا مَبْسُوطَةٌ فِي السَّطْحِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هِيَ عَلَى شَكْلِ التَّرْسِ وَلَوْلَا
ذَلِكَ لَمَا ثَبَتَ عَلَيْهَا بِنَاءٌ وَلَا مَشَى عَلَيْهَا حَيَوَانٌ . وَالَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ
جَمَاهِيرُهُمْ أَنَّ الْأَرْضَ مُدَوَّرَةٌ كَالْكُرَّةِ . وَمِنْ الْقَدَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ
فِتَاعُورُسَ مَنْ قَالَ : إِنَّ الْأَرْضَ مُتَحَرِّكَةٌ دَائِمًا عَلَى الْأَسْتِدَارَةِ وَالَّذِي
يُرَى مِنْ دَوْرَانِ الْكَوَاكِبِ إِنَّمَا هُوَ دَوْرُ الْأَرْضِ لَا دَوْرُ الْكَوَاكِبِ

في السحاب والمطر وما يتعلق بهما

٣٤٨ زَعُمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى الْمَاءِ حَلَّتْ مِنْ الْمَاءِ أَجْزَاءً
لَطِيفَةً مَائِيَّةً تُسَمَّى بُخَارًا وَمِنْ الْأَرْضِ أَجْزَاءً أَطِيفَةً أَرْضِيَّةً تُسَمَّى دُخَانًا .
فَإِذَا أَرْتَفَعَ الْبُخَارُ وَالْدُخَانُ فِي الْهَوَاءِ وَتَدَافَعُ الْهَوَاءُ إِلَى الْجِهَاتِ
وَتَكُونُ مِنْ قُدَامِهِمَا جِبَالٌ شَائِخَةٌ مَائِعَةٌ وَمِنْ فَوْقِهَا يَرْدُ الزَّمْهَرِيُّ وَمِنْ
أَسْفَلِهَا مَادَّةُ الْبُخَارِ مُتَصَاةٌ فَلَا يَزَالُ الْبُخَارُ وَالْدُخَانُ يَكْتُرَانِ وَيَنْظُرَانِ
فِي الْهَوَاءِ وَتَدَاخَلُ أَجْزَاءُ بَعْضِهَا فِي بَعْضِهَا حَتَّى يَنْخَنَ فَيَتَكَوَّنُ مِنْهَا
سَحَابٌ مُؤَلَّفٌ مُتَرَائِمٌ . ثُمَّ إِنَّ السَّحَابَ كُلَّمَا أَرْتَفَعَ انْتَصَمَتْ أَجْزَاءُ الْبُخَارِ

ثُمَّ تَأْتِيهِمْ تِلْكَ الْأَجْزَاءُ الْمَائِيَّةُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَتَصِيرُ قَطْرًا . فَتَذَاتُ
 وَأَخَذَتْ رَاجِعَةً إِلَى أَسْفَلٍ . فَإِنْ كَانَ صُعُودُ ذَلِكَ الْبُخَارِ بِاللَّيْلِ
 وَالْهَوَاءُ شَدِيدَ الْبَرْدِ مَنَعَهُ مِنَ الصُّعُودِ وَاجْتَدَهُ أَوْلًا فَصَارَ تَحَابًا رَاقِعًا .
 وَإِنْ كَانَ الْبَرْدُ مُفْرِطًا أَجْدَدَ الْبُخَارِ فِي الْعَمِيمِ وَكَانَ ذَلِكَ تَلْجَالًا لِأَنَّ الْبَرْدَ
 يُجَمِّدُ الْأَجْزَاءَ الْمَائِيَّةَ وَتَخَاطُطُ بِالْأَجْزَاءِ الْهَوَائِيَّةِ وَيَنْزِلُ بِالرِّفْقِ فَلِذَلِكَ
 لَا يَكُونُ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَقَعٌ شَدِيدٌ كَمَا لِلدَّخَانِ وَالْبَرْدِ . وَإِنْ كَانَ الْهَوَاءُ
 دَائِمًا أُرْتَفِعَ الْبُخَارُ فِي الْغُيُومِ وَتَرَكَمُ السُّحُبُ طَبَقَاتٍ بَعْضُهَا فَرَقٌ
 بَعْضٍ كَمَا تَرَى فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ وَالْحَرِيفِ كَأَنَّهَا جِبَالٌ مِنْ قُطْنٍ
 مَسْدُوفٍ . فَإِذَا عَرَضَ لَهَا بَرْدُ الرَّهْرِ مِنْ فَوْقِ غَاظِ الْبُخَارِ وَصَارَ مَاءٌ
 وَانْحَمَّتْ أَجْزَاؤُهَا فَصَارَ قَطْرًا . وَعَرَضَ لَهَا الْهَلْهُلُ فَأَخَذَتْ تَهْوِي مِنْ
 سَمَكِ السُّحَابِ وَمِنْ تَرَكَمِهَا تَأْتِيهِمْ تِلْكَ الْأَطْرَافُ الصِّغَارُ بَعْضُهَا إِلَى
 بَعْضٍ حَتَّى إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَسْفَاهَا صَارَتْ قَطْرًا كَثِيرًا . فَإِنْ عَرَضَ لَهَا
 بَرْدٌ مُفْرِطٌ مِنْ طَرِيقِهَا جَمَدَتْ وَصَارَتْ بَرْدًا قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ الْأَرْضَ . وَإِنْ
 لَمْ تَبْلُغِ الْأَبْجُرَةَ إِلَى الْهَوَاءِ الْبَارِدِ فَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً صَارَتْ ضَابَا بَا وَإِنْ
 كَانَتْ قَلِيلَةً وَتَكَاثَفَتْ فَإِنْ لَمْ يُجَمِّدْ نَزْلًا وَابًا وَإِنْ انْجَمَدَ نَزَلَ صَقِيمًا

في الرد والبرق وما يتعلق بذلك

٣٤٩ زَعَمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا شَرَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ حَاتَتْ مِنْهَا أَجْزَاءُ
 نَارِيَّةٌ تُخَالِطُهَا أَجْزَاءُ أَرْضِيَّةٌ وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْمَجْمُوعُ دُخَانًا . ثُمَّ الْأَدْخَانُ
 يُمَارِجُهُ الْبُخَارُ وَيُرْتَفِعَانِ مَعًا إِلَى الطَّبَقَةِ الْبَارِدَةِ مِنَ الْهَوَاءِ . فَيَنْعَقِدُ

أَلْبُخَارُ سَحَابًا وَيَحْتَسِبُ الدُّخَانُ فِيهِ . فَإِنْ بَقِيَ عَلَى حَرَارَتِهِ قَصَدَ الصُّعُودَ
 وَإِنْ صَارَ بَارِدًا قَصَدَ النُّزُولَ . وَأَمَّا مَا كَانَ يَمِزُّقُ السَّحَابَ تَمَزِيقًا عَنِيفًا
 فَيَحْدُثُ مِنْهُ الرِّعْدُ وَرُبَّمَا يَشْتَعِلُ نَارًا لِشِدَّةِ الْحَمَاكَةِ فَيَحْدُثُ مِنْهُ الْبَرْقُ
 إِنْ كَانَ لَطِيفًا وَالصَّاعِمَةُ إِنْ كَانَ غَلِيظًا كَثِيرًا (*) فَتَحْرَقُ كُلُّ شَيْءٍ أَصَابَتْهُ
 فَرُبَّمَا تُذَوِّبُ الْحَدِيدَ عَلَى الْبَابِ وَلَا تَضُرُّ الْحَشَبَةَ وَرُبَّمَا تُذَوِّبُ الذَّهَبَ
 فِي الْحِرَّةِ وَلَا تَضُرُّ الْحِرَّةَ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى الْجَبَلِ فَتَشْتَعِلُهُ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى
 الْمَاءِ فَيَحْرَقُ فِيهِ حَيَوَانَهُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الرِّعْدَ وَالْبَرْقَ كِلَاهُمَا يَحْدُثَانِ مَعًا
 لَكِنَّ تَرَى الْبَرْقَ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَ الرِّعْدَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الرُّوْيَةَ تَحْصُلُ
 لِمُحَادَاةِ النَّظَرِ وَأَمَّا السَّمْعُ فَيَتَوَقَّفُ عَلَى وُضُوعِ الصَّوْتِ إِلَى الصَّخْرِ
 وَذَلِكَ يَتَوَقَّفُ عَلَى تَمُوجِ الْهَوَاءِ . وَذَهَابُ النَّظَرِ أَسْرَعُ مِنْ وُضُوعِ
 الصَّوْتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ أَهْضَارًا إِذَا ضَرَبَ الثُّوبَ عَلَى الْحَجَرِ فَإِنَّ النَّظَرَ
 يَرَى ضَرْبَ الثُّوبِ عَلَى الْحَجَرِ . ثُمَّ السَّمْعُ يَسْمَعُ صَوْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بَرَمًا
 وَالرِّعْدُ وَالْبَرْقُ لَا يَكُونَانِ فِي الشِّتَاءِ لِغَلَاةِ الْبُخَارِ الدُّخَانِيِّ . وَلِهَذَا لَا
 يُوْجَدَانِ فِي الْبِلَادِ الْبَارِدَةِ وَلَا عِنْدَ نُزُولِ الشَّلْجِ لِأَنَّ الْبَرْدَ يَطْفِئُ الْبُخَارَ
 الدُّخَانِيَّ . وَالْبَرْقُ الْكَثِيرُ يَقَعُ عِنْدَهُ مَطَرٌ كَثِيرٌ لِكَثَافَةِ أَجْزَاءِ النِّعَامِ .
 فَإِنَّمَا إِذَا تَكَاثَفَتْ انْتَحَصَرَ الْمَاءُ فَإِذَا نَزَلَ نَزَلَ بِشِدَّةٍ كَمَا إِذَا احْتَبَسَ الْمَاءُ
 ثُمَّ انْطَلَقَ فَإِنَّهُ يَجْرِي جَرًّا شَدِيدًا (كُلُّهُ مِنْ عَجَائِبِ الْخَلْقَاتِ لِلْقُرُونِيِّ)

(*) قد اتضح الآن للطبيعيين المحدثين ان البروق والرعود مسمتة عن الكهربية وقد
 اتوا على شرح ذلك في كتبهم

الْبَابُ التَّاسِعُ عَشَرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتاب الحق الطوسي الى صاحب حلب بعد فتح بغداد سنة ٦٥٥هـ (١٢٥٢ م)
٣٥٠ أما بعد فقد تر لنا بغداد فساء صباح المنذرين فدعونا ما لكها إلى
طاعتنا فأبى. فحق القول عليه فأخذناه أخذاً أو بيلاً وقد دعوناك إلى طاعتنا
فإن أتيت فروح ووريمان وجنة نعيم. وإن أبيت فلا ساطن منك عليك.
فلا تكن كالباحث عن حنفيه بظنفيه. والجادع مارن أنفه بكفه. والسلام
ذكر مراسلة تيمور سلطان عراق العجم ابا النوارس شاه شجاع

٣٥١ إن الله تعالى سلطني عليكم وعلى ظلمة الحكم والجائرين
من ملوك الأنام. ورفعني على من ناوأني ونصرني على من خالفني. وقد
رأيت وسمعت فإن أجبت وأطعت فيها ونعمت. وإلا فأعلم أن قدام
قدمي ثلاثة أشياء الخراب والتفحط والتوباء. وإثم كل ذلك عائد
عليك ومنسوب إليك (اخبار تيمور لابن عربشاه)

كتاب الحسن بن زكويه الى بعض عماله

٣٥٢ بسم الله الرحمن الرحيم. من عند المهدي المنصور الناصر
لدين الله القائم بأمر الله إلى جعفر بن حميد الكردي سلام عليك.
فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فقد أنهي إلينا ما
حدث قبلك من أخبار أعداء الله الكفرة وما فعلوه بناجيتك من

الظلم وأعبث وأفسد في الأرض . فأعظمتنا ذلك ورأينا أن نهد
إلى ما هناك من جيوشنا من يتقم لنا الله به ومن أعدائنا الظالمين الذين
يسعون في الأرض فسادا . فأنفذنا جماعة من المؤمنين إلى مدينة
حمص ونحن في إثرهم وقد أوعزنا إليهم في أمير إلى ناحيتك لطأب
أعداء الله حيث كانوا . ونحن نرجو أن يجربنا الله فيهم على أحسن
عوائده عندنا في أمثالهم . فينبغي أن يكون قلبك وقلوب من
أتبعك من أوليائنا وثيقا بالله ويضمره الذي لم يزل يعودنا في كل
من مرق من الطاعة وانحرف عن الإيمان . وتبادر إيانا بأخبار الناحية
وما يحدث فيها ولا تُخف عنا شيئا من أمرها . سبحانك اللهم والحمد
لله رب العالمين (تاريخ حاب لكامل الدين)

كتاب سلطان مراکش الى سلطان فرنسة لويس الرابع عشر

٣٥٣ صدر هذا المكتوب العليُّ الإماميُّ عن الأضرِّ الذي
دانت إطاغته الكريمة ممالكه الإسلامية . وأنه أدت لدعوته الشريفة
الأقطار المغربية . وخضعت لأوامره العلية جبايرة الملوك السودانية .
وأقطارها القاصية والدانية . إلى الملك الذي له بين ملوك الأعرانية
والمملِّ السجدة الرتبة العلية والمنزلة الرفيعة السامية . سلطان
فرانصة لويز ابن السلاطين الذين لهم المكناة السامية النار
أما بعد حمد الله مولى الحمد ومستحقه فكتابنا هذا إليكم من حاضرنا
العليَّة مدينة مراکش ولا زائد إلا ما سنأه لإياتنا الشريفة من عوائد

النَّصْرَ وَالْإِقْبَالَ. وَصَنَائِعَ اللَّهِ الْجَمِيلَةَ الْمُنْفَعَةَ السَّجَالِ. الْمَثَالَةَ فِي الْبُكَرِ
وَالْأَصَالِ. لِلَّهِ الْمِنَّةُ وَالشُّكْرُ. هَذَا مُوجِبُهُ إِلَيْكُمْ التَّعْرِيفُ أَنَّهُ لَمَّا وَرَدَ
خَدِيمُكُمْ الْمَرْعِيُّ الْخُرَظُ الرَّزِيلِيُّ نَلَى مَرَسَى ثَغْرِ أَسْفَى الْخُرُوسِ بِاللَّهِ
وَأَسْلَمَ كِتَابَكُمْ الْمَضْحُوبَ مَعَهُ لِحَدَائِنَا الَّذِينَ بِالْثَغْرِ بَادِرُوا بِوُصُولِهِ إِلَيْنَا
فِي الْقُورِ. فَوَقَفْنَا مِنْهُ عَلَى جَمِيعِ مَا أَوْدَعْتُمْ فِيهِ مِنْ تَقْرِيدِ الْحَقِّهِ وَتَأْيِيسِ
الْهُدَنَةِ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ. إِلَى مَا أَثَرْتُمْ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ الْأَسَارَى الْفَرَانِصِيِّينَ
الَّذِينَ رَغِبْتَ مِنْ مَقَامِنَا الْعَلِيِّ تَسْرِيمَهُمْ. فَأَخَذْنَا فِي ذَلِكَ أُمَّمَ الْأَخَذِ
وَأَكْمَلَهُ. إِلَى أَنْ اسْتَوْفِيَ ذَلِكَ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ وَأَجْمَلِهِ. وَأَجْبَانَكُمْ
عَنْ فُضُولِ كِتَابِكُمْ كُلِّهَا فَوَجَّهْنَا بِهِ وَبِالنَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ صُغْبَةَ خَدِيمِنَا
الْوَجِيهِ الْأَثِيرِ النَّبِيلِ النَّبِيِّ الْقَائِدِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ الْجَنَاتِيِّ. فَصَدَّ أَنْ
يَأْتِيَ مَعَ خَدِيمِكُمْ الْمَذْكُورِ إِنْ تَأْتَى لَهُ الْإِجْتِمَاعُ مَعَهُ فِي الْبَرِّ. وَإِنْ
تَعَدَّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ يَبْعَثُ لِحَدِيمِنَا مَنْ يَتَوَمَّ مَقَامَهُ مِمَّنْ هُوَ مِثْلُهُ وَبِمِثْلِيهِ
فِي أَعْرَاضِكُمْ لِيَسَامَ لَهُ النَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ وَيَتَكَلَّمَ مَعَهُ فِي أَعْرَاضِ
الْجَانِبَيْنِ. ثُمَّ إِنَّ خَدِيمِنَا الْمَذْكُورَ لَمَّا بَانَ ثَغْرَ أَسْفَ فَقَدَّ خَدِيمِكُمْ مِنْ
الْمَرَسَى فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ: قَدْ أَقْلَعُ مِنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ. فَأَوْصَصَ بِنُصْ
الْحُدَامِ أَثْرَهُ فِي الْبَجْرِ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَثْرًا. هَذَا وَقَدْ كَانَ خَدِيمُكُمْ عَلَى عَامِ
وَيَمِينِ أَنْ خَدِيمِنَا الْمَذْكُورَ قَادِمٌ إِلَيْهِ وَفِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ فَتَقَى قَبْلَ
وُصُولِهِ. وَالْحُدِيمُ الَّذِي يَكُونُ بِمَدَدِ أَعْرَاضِ ضَيْفِهِ لَا يَسْتَفْرِهُ شَيْءٌ
عَنْ قَضَائِهِ أَوْ لَا يَنْبَغِي لَهُ الْإِزْعَاجُ قَبْلَ اسْتَيْفَانِهَا. فَعَرَفْنَاكُمْ بِالْوَاقِعِ

لِتَوْفُوا أَنْتَا نُنْقِصِرْ فِي أَنْغْرَاضِكُمْ الْمُلْتَقَاةِ لَدَيْنَا بِالْقَبُولِ وَيِهْ وَجَبَ
أَلِكْتَبُ إِلَيْكُمْ فِي ٢٦ مِنْ رَيْبِ النَّبَوِيِّ سَنَةِ ١٠٤٠ (١٦٣٠ م)

كتاب سلطان مراکش الى لويس السادس عشر سلطان فرنسا

٣٥٤ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . عَنْ أَمْرِ
السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ سُلْطَانِ مَرَاكِشَ وَنَاسِ وَكَافَّةِ الْأَقَالِيمِ الْمَغْرِبِيَّةِ
خَلَّدَ اللَّهُ نَصْرَهُ . وَأَعَزَّ أَمْرَهُ . وَأَدَامَ سُمُوهُ وَفَخْرَهُ . وَأَشْرَقَ فِي فَلَاحِ
السَّعَادَةِ شَمْسَهُ وَبَدَرَهُ . إِلَى عَظِيمِ جِنْسِ الْإِفْرَنْصِيصِ الْمَتَوَلِّي
أَمْرَهُمُ الرِّي لُوِيْزَ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ أَسْمِهِ . سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهَدْيِ
أَمَا بَعْدُ فَقَدْ وَرَدَّ عَلَيَّ حَضْرَتَنَا الْعَلِيَّةِ بِاللَّهِ كِتَابُكَ الَّذِي تَأْرِيخُهُ ثَانِي
عَشَرَ مِنْ مَائَةِ عَامٍ أَرْبَعَةٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَلْفِ الْمَتَّصِنِ الْإِخْبَارِ
بِمَوْتِ جَدِّكَ الرِّي لُوِيْزَ الْخَامِسَ عَشَرَ عَلَيَّ يَدِ نَائِبِ قَوْنُصُوكُمْ بَرْطَالْمِي
دِبُطْنِيرَ . وَبَقِيَ فِي خَاطِرِنَا جَدُّكَ لُوِيْزَ كَبِيرًا حَيْثُ كَانَتْ لَهُ مَحَبَّةٌ فِي
جَانِبِنَا الْعَلِيِّ وَكَانَ مِمَّنْ يُحْسِنُ السِّيَاسَةَ فِي قَوْمِهِ . وَلَهُ خَزَانَةٌ فِي رَعِيَّتِهِ
وَحِفْظُ عَهْدٍ مَعَ أَصْحَابِهِ . وَفَرِحْنَا حَيْثُ كَانَ بَاقٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يَخْلُقُهُ
فِي الْمُلْكَةِ وَالْجُلُوسِ عَلَيَّ سَرِيرِ الْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ . وَمَا زَالَتْ تَسْعُدُ بِكَ
رَعِيَّتُكَ أَكْثَرًا مِمَّا كَانَتْ فِي حَيَاةِ جَدِّكَ وَنَحْنُ مَعَكَ عَلَيَّ الْمُهَادَنَةِ وَالصُّلْحِ
كَمَا كَانَ مَعَ جَدِّكَ . ثُمَّ فَاعْلَمْ أَنَّ سُنْفًا مِنْ سُنْفِ الْفَرَنْصِيصِ حَرَّثُوا
بِأَقْصَى آيَاتِنَا الْمُبَارَكَةِ فِي الصَّخْرَاءِ وَتَفَرَّقَ جَمِيعٌ مِنْ سَلِيمٍ مِنَ الْفَرَقِ
مِنَ النَّصَارَى فِي أَيْدِي الْعَرَبِ . وَحَيْثُ بَلَّغْنَا ذَلِكَ سِيرْنَا بَعْضَ

خُدَامِنَا لِلصَّخْرَاءِ لِنُوجِّهَهُمْ إِلَيْكُمْ بَعْدَ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ رَعِيًّا لِلْمُهَادَنَةِ
وَالصُّلْحِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . وَيَصِلُكَ سِتَّةٌ مِنَ الْخَيْلِ مِنْ عِتَاقِ خَيْلِنَا
صِلَةٌ مِنَّا إِلَيْكُمْ . وَخَدِيمِنَا الْمَذْكُورُ لَا يُبْطِئُ وَهُوَ عِنْدَكُمْ وَوَجْهُهُ إِلَيْنَا عَزْمًا
بَعْدَ قَضَاءِ الْفَرَضِ الَّذِي وَجَّهْنَاهُ إِلَيْهِ وَنَحْنُ مَعَكُمْ عَلَى الْمُهَادَنَةِ وَالصُّلْحِ .
أَتَتْهُ . صَدَرَ الْأَمْرُ بِكِتَابِهِ مِنْ حَاضِرَةِ مَكْنَسَةِ الزُّيْتُونِ فِي عَاشِرِ
جُمَادَى الثَّانِيَةِ عَامِ ١١٨٨ لِلْهِجْرَةِ (١٧٧٥ للمسيح)

في الاشواق وحسن التواصل

فصل لسعيد بن عبد الملك

٣٥٥ أَنَا صَبُّ إِلَيْكَ سَائِي الطَّرْفِ تَحْوِكَ وَذِكْرُكَ مُلْصِقٌ بِسَائِي .
وَأَتَمُّكَ حُلُوقٌ عَلَى لَهْوَاتِي وَشَخْصُكَ مَائِلٌ بَيْنَ عَيْنِي . وَأَنْتَ أَقْرَبُ
النَّاسِ مِنْ قَلْبِي وَأَخْذُهُمْ بِجَمَاعٍ هَوَايَ . صَادَقْتُ مِنْكَ جَوْهَرَ نَفْسِي
فَأَنَا غَيْرُ مَحْمُودٍ عَلَى الْإِنْقِيَادِ لَكَ بِغَيْرِ زِمَامٍ لِأَنَّ النَّفْسَ يَفُودُ بَعْضُهَا
بَعْضًا وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَلِلْقَابِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَايِدُ وَأَشْبَاهُ

• كتاب الحسين بن سهل الى صديق له يدعوهُ الى مَادِيَةِ

٣٥٦ نَحْنُ فِي مَادِيَةِ لَنَا تُشْرِفُ عَلَى رَوْضَةٍ تُضَاحِكُ الشَّمْسَ حُسْنًا
قَدْ بَاتَتْ السَّمَاءُ تَعْلَاهَا فِيهِ مُشْرِقَةٌ بِمَائِنِهَا . حَالِيَةُ بُنُورِهَا . قَرَأْتُكَ
فِينَا لِنَكُونَ عَلَى سَوَاءٍ مِنْ أَسْتِمَاعِ بَعْضِنَا بِبَعْضٍ

(فَكْتَبَ إِلَيْهِ): هَذِهِ صِفَةٌ لَوْ كَانَتْ فِي أَقَاصِي الْأَطْرَافِ لَوَجِبَ
 أَنْجَاعُهَا وَحَثُ الْمَطْبِيِّ فِي ابْتِعَانِهَا. فَكَيْفَ فِي مَوْضِعٍ أَنْتَ تَسْكُنُهُ
 وَتَجْمَعُ إِلَى أَنْبِقِ مَنْظَرِهِ حُسْنَ وَجْهِكَ وَطِيبَ شِمَائِكَ. وَأَنَا الْجَوَابُ
 ٣٥٧ كَتَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ: أَلْمُودَّةُ تَجْمَعُنَا
 مَحَبَّتَهَا. وَالصَّنَاعَةُ تُوَلِّهُنَا أَسْبَابَهَا. وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ تَرَاحٍ فِي لِقَاءِ أَوْ
 تَخَلُّفٍ فِي مَكَانَةٍ مَوْضُوعٌ بَيْنَنَا يُوجِبُ الْعُذْرَ فِيهِ

كتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى احمد بن يوسف

٣٥٨ الشُّوقُ إِلَيْكَ وَإِلَى عَهْدِ أَيَّامِنَا الَّتِي حَسَنْتَ كَانَهَا أَعْيَادًا.
 وَقَصُرَتْ كَانَهَا سَاعَاتٌ لِقَوْتِ الصَّفَاءِ. وَمِمَّا يُجَدِّدُهُ وَيُكَثِّرُ دَوَاعِيَهُ
 تَصَافُّ الدِّيَارِ وَقُرْبُ الْجَوَارِ. ثُمَّ اللَّهُ لَنَا النِّعْمَةُ الْمُجَدِّدَةُ فِيكَ بِالنَّظَرِ
 إِلَى الْفِرَّةِ الْمُبَارَكَةِ لَتِي لَا وَحْشَةَ مَعَهَا وَلَا أَنْسَ بَعْدَهَا (لَابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ)
 ٣٥٩ (كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ إِلَى أَخِي لَهُ): أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ عَانِيَ
 الظَّمَا بِفُرْقَتِكَ أَسْتَوْجِبَ الرَّيِّ مِنْ رُؤَيْتِكَ. وَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُجَرِّدَ
 لِي مِيعَادًا بِزِيَارَتِكَ أَتُوقُ بِهِ إِلَى وَقْتِ رُؤَيْتِكَ وَيُؤَسِّنِي إِلَى حِينِ
 إِتَائِكَ فَعَلْتُ. (فَأَجَابَهُ): أَخَافُ أَنْ أَعِدَّكَ وَعَدًّا يَهْتَرِضُ دُونَ الْوَفَاءِ
 بِهِ مَا لَا أَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ فَتَكُونُ الْحَسْرَةُ أَعْظَمَ مِنَ الْفِرْقَةِ

٢٦٠ (وَكُتِبَ فِي بَابِهِ): يَوْمًا طَابَ أَوَّلُهُ وَحَسُنَ مُسْتَقْبَلُهُ وَأَتَتْ
 السَّمَاءُ بِطَارِهَا. فَحَاتِ الْأَرْضَ بِأَنْوَارِهَا. وَبِكَ تَطِيبُ الثَّمَرُ وَيُسْفَى
 الْعَيْلُ. فَإِنْ تَأَخَّرَتْ فَرَّقَتْ شِمَائَنَا. وَإِنْ تَعَجَّلَتْ إِلَيْنَا نَظَّمَتْ أَمْرَنَا

٣٦١ كَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَمِيرٍ: ضَعِنِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِكَ حَيْثُ
وَضَعْتُ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ . أَصَابَ اللَّهُ بِعَمْرُوكَ مَوَاضِعَهُ وَبَسَطَ
بِكُلِّ خَيْرٍ يَدَكَ (للتبرواني)

كتاب زبيدة الى المأمون بعد قتله بنها الامين

٣٦٢ كُلُّ ذَنْبٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ عَظُمَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ .
وَكُلُّ زَلَلٍ وَإِنْ جَلَّ حَقِيرٌ عِنْدَ صَفْحِكَ . وَذَلِكَ الَّذِي عَوَّدَكَ اللَّهُ
فَأَطَالَ مُدَّتَكَ وَتَمَّ نِعْمَتَكَ . وَأَدَامَ بِكَ الْخَيْرَ وَدَفَعَ بِكَ الشَّرَّ .
هَذِهِ رُقْعَةٌ أُلْوَاهِ الَّتِي تَرْجُوهُ فِي الْحَيَاةِ لِتَوَائِبِ الدَّهْرِ . وَفِي الْمَوَاتِ
لِجَلِيلِ الذِّكْرِ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرْحَمَ ضَنْبِي وَأَسْتَكِنْتَنِي وَقَلَّةَ حِبَابِي
وَأَنْ تَهْلِلَ رَجْمِي وَتَحْتَسِبَ فِيمَا جَمَعَاكَ اللَّهُ لَهُ طَالِبًا بَارِفِيهِ رَاغِبًا فَاغْفَلُ .
وَتَذَكَّرَ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ

(فلما وقف المأمون عليها بكى على أخيه الأمين ورق لها وكتب إليها الجواب :)

٣٦٣ وَصَلَتْ رُقْعَتِكَ يَا أُمَّهُ (حَاطَكَ اللَّهُ وَتَوَلَّاهُ بِالرَّعَابَةِ)
وَوَقَفْتُ عَلَيْهَا . سَاءَ نِي شَهِدَ اللَّهُ جَمِيعُ مَا أَوْضَعْتَهُ فِيهَا . لَكِنَّ الْأَقْدَارُ
نَافِذَةٌ وَالْأَحْكَامُ جَارِيَةٌ وَالْأُمُورُ مُتَصَرِّفَةٌ وَالْمُخْلَرِقُونَ فِي قَبْضَتِهَا
لَا يَمْدِرُونَ عَلَى دِفَاعِهَا . وَالدُّنْيَا كُلُّهَا إِلَى شَتَاتٍ . وَكُلُّ حَيٍّ إِلَى مَمَاتٍ
وَالْعَدْرُ وَالنَّبِيُّ حَتْفُ الْإِنْسَانِ وَالْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ
بِرَدِّ جَمِيعِ مَا أَخَذَ لَكَ . وَلَمْ تَفْقِدِي مِمَّنْ ضَمَّنِي إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا وَجْهَهُ
وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَكَ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا تَخْتَارِينَ وَالسَّلَامُ

ثم أمر برد ضياعها وجميع ما أخذ منها واقطعها ما كان في يدها واطاعها الى حالتها الاولى
في الكرامة والحشمة
(حديقة الأفراح لليمني)

فصول في الهدايا

كتب رجل الى المتوكل وقد اهدى اليه قارورة من دهن الأترج :

٣٦٤ إِنَّ الْهَدِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ كَلَّمَا لَطَّفَتْ
وَدَقَّتْ كَانَتْ أَبْهَى وَأَحْسَنَ . وَكَلَّمَا كَانَتْ مِنَ الْكَبِيرِ إِلَى الصَّغِيرِ
كَلَّمَا عَظُمَتْ وَجَلَّتْ كَانَتْ أَنْفَعَ وَأَوْفَعَ . وَأَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ قَصَّرَتْ
بِي هِمَّةٌ أَصَارَتْ بِي إِلَيْكَ وَلَا أُحْرِي إِرْشَادُ دَلِّي عَلَيْكَ وَأَقُولُ :
مَا قَصَّرَتْ هِمَّةٌ بَلَّغَتْ بِهَا بِأَبِكَ يَا ذَا الْأَنْدَاءِ وَالْكَرَمِ .
حَسْبِي بِوَدِّكَ أَنْ ظَفِرْتُ بِهِ ذُخْرًا وَعِزًّا يَا وَاحِدَ الْأُمَمِ .

كتب احمد بن ابي طهر مع هدية :

٣٦٥

مِنْ سُنَّةِ الْأَمْلَاقِ فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ وَإِقْبَالِهِ
هَدِيَّةُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ فِي جِدَّةِ الدَّهْرِ وَإِجْلَالِهِ
فَقُلْتُ مَا أَهْدِي إِلَى سَيِّدِي حَالِي وَمَا خُوِّلْتُ مِنْ حَالِهِ
إِنْ أَهْدَيْتَنِي فَمِنْ نَفْسِهِ أَوْ أَهْدَيْتَنِي فَمِنْ مَالِهِ
فَلَيْسَ إِلَّا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالْمَدْحُ الَّذِي يَبْقَى لِأَمْسَالِهِ .

أهدت جارية من جواري المأمون تفاعاة له وكتبت اليه :

٣٦٦ إِنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا رَأَيْتُ تَنَافُسَ الرَّعِيَّةِ فِي الْهَدَايَا إِلَيْكَ
وَتَوَاتَرَ اللَّطَائِفِمْ عَلَيْكَ فَفَكَّرْتُ فِي هَدِيَّةٍ تَخْفُ مَوْنَهُمْ وَأَتَهُونَ كَلْفَتَهَا
وَيَعْظُمُ خَطَرُهَا وَيَجِلُّ مَوْقِعُهَا . فَلَمْ أَجِدْ مَا يَجْتَمِعُ فِيهِ هَذَا أَلْتَمَسْتُ

وَيَكْمُلُ فِيهِ هَذَا الْوَصْفُ إِلَّا التَّفَاحَ فَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا وَاحِدَةً فِي
 الْعَدَدِ كَثِيرَةً فِي التَّقَرُّبِ . وَأَحْيَيْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أُعْرِبَ لَكَ عَنْ
 فَضْلِهَا وَأَكْشِفَ لَكَ عَنْ مَحَاسِنِهَا وَأَشْرَحَ لَكَ لَطِيفَ مَعَانِيهَا . وَمَا
 قَالَتِ الْأَطْبَاءُ فِيهَا وَتَفَنَّنَ الشُّعْرَاءُ فِي أَوْصَافِهَا حَتَّى تَرْمَقَهَا بَيْنَ
 الْجَلَالَةِ وَتَلْحَظَهَا بِمَثَلَةِ الصِّيَانَةِ . فَقَدْ قَالَ أَبُوكَ الرَّشِيدُ : أَحْسَنُ
 أَلْوَاصِيَةِ التَّفَاحِ أَجْتَمَعَ فِيهِ بَيَاضُ النِّصَّةِ وَلَوْنُ التَّبَرِّ . يَلِدُ بِهَا مِنْ
 الْحَوَاسِ الْعَيْنُ بِبَهْجَتِهَا وَالْأَنْفُ بِرِيحِهَا وَالْفَمُ بِطَعْمِهَا

فصول في التهنئة

كتب بعض الشعراء الى بعض أهل السلطان في المهرجان :

٣٦٧ هَذِهِ أَيَّامٌ جَرَتْ فِيهَا الْمَادَةُ بِالطَّافِ الْعَيْدِ لِلْسَادَةِ . وَإِنْ
 كَانَتْ الصَّنَاعَةُ تَقْصُرُ عَمَّا نَبْلُغُهُ الْهِمَّةُ فَكْرِهْتُ أَنْ أَهْدِيَ فَلَا أَبْلُغُ
 مِقْدَارَ الْوَاجِبِ . فَجَعَلْتُ هَدِيَّتِي هَذِهِ الْأَيَّامَ وَهِيَ :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ ذَوِي التَّصَابِي تَبَارَوْا فِي هَدَايَا الْمَهْرَجَانِ
 جَعَلْتُ هَدِيَّتِي وَدًّا مُقِيمًا عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ وَلِزْمَانِ
 وَعَبْدًا حِينَ تَكْرِمُهُ ذَلِيلًا وَلَكِنَّ لَا يِعِزُّ عَلَى الْهَوَانِ
 تَزِيدُكَ حِينَ تُعْطِيهِ خُضُوعًا وَيَرْضَى مِنْ نَوَالِكَ بِالْأَمَانِي

كتاب السلطان العزيز الى ابن مقشر الطبيب النصراني يهنئه ببرقه من مرضه

٣٦٨ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى طَبِيبِ سَلَمَةِ اللَّهِ سَلَامُ اللَّهِ الطَّيِّبِ
 وَأَتَمُّ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ . وَصَلَتْ إِلَيْنَا الْبِشَارَةُ بِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ عَافِيَةِ الطَّيِّبِ

وَبُرْنِهِ . وَاللَّهُ الْعَظِيمُ لَمَّا عَدَلَ عِنْدَنَا مَا رَزَقْنَاهُ نَحْنُ مِنَ الصِّحَّةِ فِي
جِسْمِنَا أَقَالَكَ اللَّهُ الْعَثْرَةَ . وَأَعَادَاكَ إِلَى أَفْضَلِ مَا عَوَّدَكَ مِنْ صِحَّةِ
الْجِسْمِ وَطَيِّبَةِ النَّفْسِ وَخَفْضِ الْعَيْشِ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ (لابي الفرج)

في التوصية

كتاب ابي بكر الى يزيد ابن ابي سفيان

٣٦٩ إِذَا بَرَّتَ فَلَا تُعْتَفِ عَلَى أَصْحَابِكَ فِي السَّيْرِ وَلَا تُغْضِبْ قَوْمَكَ
وَسَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ . وَأَسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ وَبَاعِدْ عَنْكَ الظُّلْمَ وَالْجُورَ .
فَإِنَّهُ مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ ظَلَمُوا وَلَا نَصَرُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ . وَإِذَا لَقَيْتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمْ الْأَذْبَارَ . وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُرَّةً إِلَّا مُنْحَرِقًا
لِقَتَالِ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ . وَإِذَا نُصِرْتُمْ عَلَى
عَدُوِّكُمْ فَلَا تَقْتُلُوا وِلْدَانًا وَلَا شَيْخًا وَلَا أَمْرَأَةً وَلَا طِفْلًا . وَلَا تَمْرُبُوا أَخْلَاءَ
وَلَا تُحْرِقُوا زُرْعًا . وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرًا مُشْرَبًا . وَلَا تَقْرُوا بِهَيْبَةِ إِلَّا
بِهَيْبَةِ الْمَأْكُولِ . وَلَا تَغْدِرُوا إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَقْضُوا إِذَا صَاحْتُمْ .
وَسَمِّرُونَ عَلَى أَقْوَامٍ فِي الصَّوَامِعِ رُهْبَانٍ تَرَهَّبُوا لِلَّهِ فَدَعُوهُمْ وَمَا
أَنْقَرَدُوا إِلَيْهِ وَأَرْتَضَوْهُ لِأَنَّهُمْ فَلَا تُهْدِمُوا صَوَامِعَهُمْ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ
وَالسَّلَامُ (تاريخ الشام للواقدي)

كتاب عمر بن الخطاب لابنه عبد الله

٣٧٠ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ . وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَمَنْ
شَكَرَ لَهُ زَادَهُ . وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَزَاهُ . فَأَجْعَلِ التَّقْوَى عِمَادَ قَلْبِكَ وَجَلَاءَ

بَصْرِكَ . فَإِنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ . وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ . وَلَا
جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَاقَ لَهُ

(للقيرواني)

كتاب عمر بن الخطاب الى عتبة بن غزوان عامله على البصرة

٣٧١ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ أَصْبَحْتَ أَوْ يَرَا تَقُولُ فَيَسْمَعُ لَكَ وَتَأْمُرُ فَيَنْفِذُ أَمْرَكَ .
فِيهَا نِعْمَةٌ إِنْ لَمْ تَرْفَعْكَ فَوْقَ قَدْرِكَ وَتُطَاعِكَ عَلَى مَنْ دُونَكَ فَاحْتَرِسْ
مِنَ النِّعْمَةِ أَشَدَّ مِنْ احْتِرَاسِكَ مِنَ المُّصِيبَةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتُطِ
سَقَطَةً لِأَشْوَى لَهَا وَتَعْرَ عَثْرَةً لَا لَمَالَهَا (أَي لَا إِفَالَةَ) . وَالسَّلَامُ

كتاب عمر الى سعد بن ابي وقاص ومن معه من الاجناد

٣٧٢ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي آمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللَّهِ عَلَى
كُلِّ حَالٍ . فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ الْعُدَّةِ عَلَى الْعُدُوِّ وَأَقْرَى الْمَكِيدَةِ فِي
الْحَرْبِ . وَآمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاسًا مِنْ الْمَعْصِي
مِنكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ . فَإِنَّ ذُنُوبَ الْجَيْشِ أَخْوَفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ .
وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ أَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ وَلَا عُدَّتُنَا
كَعُدَّتِهِمْ . فَإِنْ أُسْتَوِينَا فِي الْمَعْصِيَةِ كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ .
وَإِلَّا نَصَرَ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ تَغْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا . فَأَعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي سَيْرِكُمْ
حَفَظَةً مِنَ اللَّهِ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ . وَأَسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ
عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصَرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ . أَسْأَلُ اللَّهَ ذَلِكَ لَنَا
وَلَكُمْ . وَتَرَفَّقَ بِالْمُسَامِينِ فِي مَسِيرِهِمْ وَلَا يُجَشِّمُهُمْ مَسِيرًا يُتَعَبُّهُمْ . وَلَا
يُقَصِّرُ بِهِمْ عَنْ مَنَزِلٍ يَدْفُقُ بِهِمْ حَتَّى يَبْأُوا عَدُوَّهُمْ . وَالسَّفَرُ لَمْ يَدْخُصْ

قوتهم فإنهم سارون إلى عدو مقيم حامي الأنفس والكراع . وأقم
 بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة . حتى تكون لهم راحة يُحْيُونَ فِيهَا
 أَنفُسَهُمْ وَيَدْمُونَ أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتِعَتَهُمْ . وَنَحْ مَنْكَزِلَهُمْ عَنْ قُرَى أَهْلِ
 الصُّلْحِ وَالذِّمَّةِ فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَقَى بِيَدِيهِ . وَإِلَيْكَ عِنْدَكَ
 مِنَ الْعَرَبِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى نَصِيحِهِ وَصِدْقِهِ . فَإِنَّ
 الْكُذُوبَ لَا يَنْفَعُكَ خَبْرُهُ وَإِنْ صَدَقَكَ فِي بَعْضِهِ . وَلَيْكُنْ مِنْكَ عِنْدَ
 دُؤُوكَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تَكْثُرَ الْأَطْلَاعُ وَتَبْتَ السَّرَايَا بَيْنَكَ
 وَبَيْنَهُمْ . ثُمَّ أَذْكَ أَحْرَاسِكَ عَلَى عَسْكَرِكَ وَتَيَقُّظٍ مِنَ الْبَيَاتِ جُهْدِكَ .
 وَاللَّهُ وَبِيُّ أَمْرِكَ وَمَنْ مَعَكَ وَوَلِيُّ النُّصْرِ لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ

فصول في الذم

فصل لآحمد بن يوسف

٣٧٣ أما بعد فإني لا أعرف للمعروف طريقاً أوعر من طريقه
 إليك . فالمعروف لديك ضائع والشكر عندك معجور . وإنما غايتك في
 المعروف أن تحقره . وفي وليه أن تكفره

كتاب أبي العتاهية إلى الفضل بن . من بن زائدة

٣٧٤ أما بعد فإني توصلت إليك في طلب نائلك بأسباب الأمل
 وذرائع الحمد فراراً من الفقر ورجاءً لآغني وأزددت بهما بعداً مما
 فيه تقربت وقرباً مما فيه تبعدت . وقد قسمت الألائمة بيني وبينك
 لآتي أخطأت في سؤالك وأخطأت في مني . أمرت بالياس من

أَهْلِ الْبُخْلِ فَسَأَلْتَهُمْ . وَنَهَيْتَ عَنْ مَنَعَ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فَنَنَّتَهُمْ

فصل لابراهيم بن المهدي

٣٧٥ إِنْ مَوَدَّةَ الْأَشْرَارِ مُتَّصِلَةٌ بِالذَّلَّةِ وَالصَّغَارِ تَمِيلُ مَعَهُمَا وَتُصْرَفُ فِي آثَارِهِمَا . وَقَدْ كُنْتُ أُحِلُّ مَوَدَّتَكَ بِالْحَلِّ النَّفِيسِ وَأُزِلُّهَا بِالْمَنْزِلِ الرَّفِيعِ حَتَّى رَأَيْتُ ذِلَّتَكَ عِنْدَ الضَّمَّةِ وَضُرْعَتَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَتَعْيُرَكَ عِنْدَ الْأَسْتِغْنَاءِ وَأَطْرَاحَكَ لِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ . فَكَانَ ذَلِكَ أَقْوَى سَبَابِ عُذْرِي فِي قَطِيعَتِكَ عِنْدَ مَنْ يَتَصَحَّحُ أَمْرِي وَأَمْرَكَ بِعَيْنِ عَدْلٍ لَا تَمِيلُ إِلَى هَوَى وَلَا تَرَى أَتَمِّحَ حَسَنًا

فصل في العتاب لعبد الله بن معاوية ذي الجناحين

٣٧٦ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ عَافَيْتَنِي الشُّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . أَتَبَدَأْتَنِي بِالطَّفِيفِ عَنْ غَيْرِ خَبْرَةٍ وَأَعْقِبْتَهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ . فَأَظْمَعِنِي أَوْلَكَ فِي إِخَانِكَ وَأَيْسِنِي آخِرَكَ مِنْ وَفَائِكَ . فَسُبْحَانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . فَأَقْمِنَا عَلَى ائْتِلَافٍ . وَأَفْتَرَقْنَا عَلَى ائْتِلَافٍ

وله ايضا في هذا الباب

٣٧٧ لَوْ كَانَتْ الشُّكُوكُ تَمْتَحِنُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ إِخَانِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَنِّي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُتُبِي وَأَحْتِبَّاسِ جَوَابَاتِي عَنِّي . وَلَكِنَّ الثِّقَّةَ بِمَا تَقْدِمُ عِنْدِي تَعْدِرُكَ وَتَحْسِنُ مَا يُقْبِحُهُ جَفَاؤُكَ . وَاللَّهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

فصل لابن المدبر

٣٧٨ وَصَلَ كِتَابُكَ أَمَقَّتَعُ بِالْعِتَابِ الْجَمِيلِ وَاتَّقَرِعَ اللَّطِيفِ
 فَلَوْلَا مَا غَابَ عَلَيَّ مِنَ السُّرُورِ بِسَلَامَتِكَ لَتَقَطَّعْتُ غَمًّا بِعِتَابِكَ الَّذِي
 لَطَفَ حَتَّى كَادَ يُخَنِّقُنِي عَنْ أَهْلِ الرِّقَّةِ وَالْفِطْنَةِ . وَغَلِظَ حَتَّى كَادَ يَفْهَمُهُ
 أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْبَلَه . فَلَا أَعْدَمُنِي اللَّهُ رِضَاكَ مُجَازِيًا بِهِ دَلَى مَا اسْتَحَقَّ
 عَتَبِكَ . فَأَنْتَ ظَالِمٌ فِيهِ وَعِتَابُكَ لِي الْمَخْرَجُ مِنْهُ (لابن عبد ربه)

كتب صاحب البريد بخراسان الى الرشيد ويحيى جالس بين يديه :

٣٧٩ إِنَّ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى مُتَشَاغِلٌ بِالصَّيْدِ وَإِذْمَانِ اللَّذَاتِ عَنِ
 النَّظَرِ فِي أُمُورِ الرَّعِيَّةِ

فلسا قرأه الرشيد رمى به الى يحيى وقال له : بأبي إقرأ هذا الكتاب وكتب اليه بما يردته
 عن هذا . فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد :

حَفِظَكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ وَأَمْتَعَكَ بِكَ . قَدْ أَنْتَهَى إِلَى أَمِيرِ الْأُمُومِينَ مِمَّا
 أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّشَاغُلِ بِالصَّيْدِ وَمُدَاوِمَةِ اللَّذَاتِ عَنِ النَّظَرِ فِي أُمُورِ
 الرَّعِيَّةِ مَا أَنْكَرَهُ فَعَاوِذًا هُوَ أَرِزُنُ بِكَ . فَإِنَّهُ مَنْ عَادَ إِلَى مَا يَزِينُهُ أَوْ
 يَسِينُهُ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ دَهْرِهِ إِلَّا بِهِ وَالسَّلَامُ (لابن خاكان)

كتب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد الى ابراهيم بن المهدي

٣٨٠ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَيْتِ الْخِلَافَةِ
 بِغَيْرِ كَلَامِ الْأَمْرَةِ وَسَلَامِهَا . غَيْرَ أَنَّهُ بَأَعْنِي عَنْكَ أَنْتَ مَا نِلُّ الْهُوَى
 وَالرَّأْيِ لِلنَّاكِ الْمَخْلُوعِ . فَإِنْ كَانَ كَمَا بَلَّغَنِي فَقَلِيلٌ مَا كَتَبْتُ بِهِ
 لَكَ . وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ

وَبَرَكَاتِهِ . وَقَدْ كَتَبْتُ فِي أَسْفَلِ كِتَابِي آيَاتًا فَتَدِيرُهَا :
 رُكُوبُكَ الْهُولَ مَا لَمْ تَلْقَ فُرْصَتَهُ جَهْلٌ رَمَى بِكَ بِالْإِقْحَامِ تَغْرِيدُ
 أَهْمُونَ بِدُنْيَا يُصِيبُ الْخُطُوبُونَ بِهَا حَظُّ الْمُصِيبِينَ وَالْمَعْرُورُ مَعْرُورُ
 فَارْزَعْ صَوَابًا وَخُذْ بِالْحَزْمِ حَيْطَتَهُ فَلَئِنْ يُذَمَّ لِأَهْلِ الْحَزْمِ تَدْبِيرُ
 فَإِنْ ظَفِرْتَ مُصِيبًا أَوْ هَلَكْتَ بِهِ فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَعْدُورُ
 وَإِنْ ظَفِرْتَ عَلَى جَهْلٍ فَظَفِرْتَ بِهِ قَالُوا جَهْلٌ أَعَاتَهُ الْمُقَادِيرُ

فصول في المدح والشكر

فصل لمحمد بن الجهم

٣٨١ إِنَّكَ لَزِمْتَ مِنَ الْوَفَاءِ طَرِيقَةَ مَحْمُودَةٍ وَعَرَفْتَ مَنَاقِبَهَا
 وَشَهْرَتَ بِمَجَاسِينِهَا . فَتَنَاقَسَ الْإِخْوَانُ فِيكَ يَتَدِيرُونَ وَدَكَ
 وَيَتَمَسَّكُونَ بِجَبَلِكَ . فَمَنْ أَثَبَتَ لَهُ عِنْدَكَ وَدَا وَضَعَ حُلَّتَهُ مَوْضِعَ حِرْزِهَا

كتب ابن مكرم الى احمد بن المدبر :

٣٨٢ إِنَّ جَمِيعَ أَكْفَانِكَ وَنُظْرَانِكَ يَتَنَازِعُونَ الْفَضْلَ فَإِذَا أَنْتَهُوا
 إِلَيْكَ أَقْرُوا لَكَ . وَيَتَنَافَسُونَ الْمَنَازِلَ فَإِذَا بَانَعُوكَ وَقَفُوا دُونَكَ .
 فَزَادَكَ اللَّهُ وَزَادَنَا بِكَ وَفِيكَ . وَجَعَلْنَا مِمَّنْ يَقْبَلُهُ رَأْيُكَ . وَيُقَدِّمُهُ
 اخْتِيَارُكَ . وَيَقَعُ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْقِعِ بُؤَافَتِكَ . وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ
 طَاعَتِكَ . (وَه) . إِنَّ مِمَّا يُطْمَعُنِي فِي بَقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ وَبِرِيْدِي
 بَصِيرَةٌ فِي الْعَالَمِ بِدَوَامِهَا لَدَيْكَ أَنْتَ أَخَذْتَهَا بِحَقِّهَا وَأَسْتَوْجِبْتَهَا بِمَا
 فِيكَ مِنْ أَسْبَابِهَا . وَمِنْ شَأْنِ الْأَجْنَاسِ أَنْ تَتَأَلَّفَ . وَشَأْنِ الْأَشْكَالِ

أَنْ تَتَّوَمَ . وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَلَقَّلُ إِلَى مَعْدِنِهِ وَيَجْنُ إِلَى عُنْصُرِهِ . فَإِذَا
صَادَفَ مَنِيَّتَهُ وَزَلَّ فِي مَغْرِبِهِ ضَرَبَ بِعِرْقِهِ وَسَبَقَ بِفِرْعِهِ . وَتَمَكَّنَ
تَمَكَّنَ الْإِقَامَةَ وَتَفَتَّكَ تَفَتَّكَ الطَّيْبَةَ

فصل له ايضا

٣٨٣ السِّيفُ الْعَتِيقُ إِذَا أَصَابَهُ الصَّدَا أَسْتَعْنَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْجَلَاءِ
حَتَّى تَعُودَ جِدَّتُهُ وَيَظْهَرَ فِرْنَدُهُ لِلَّيْنِ طَبِيعَتِهِ وَكَرَمِ جَوْهَرِهِ . وَلَمْ
أَصِفْ نَفْسِي لَكَ عَجَابًا بَلْ شُكْرًا . (وَلَهُ) زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ
عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ . وَعِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ . (أَخَذَهُ الشَّاعِرُ) فَقَالَ :
زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ
تَدَنَسَاهُ كَأَن لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ

فصل للعتابي

٣٨٤ أَنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَارِثُ سَالِكَ وَبَقِيَّةُ أَعْلَامِ أَهْلِ بَيْتِكَ
الْمَسْدُودِ بِهِ تَأْمَهُمُ الْجُدْدِ بِهِ قَدِيمُ شَرَفِهِمْ وَأَنْحِيَا بِهِ أَيَّامُ سَعْيِهِمْ .
وَإِنَّهُ لَمْ يَخْمَلْ مِنْ كُنْتِ وَارِثُهُ . وَلَا دَرَسَتْ آثَارُ مَنْ كُنْتَ سَالِكَ
سَبِيلِهِ . وَلَا أَنْحَتِ أَعْلَامُ مَنْ خَلَفْتَهُ فِي رُتْبَتِهِ

فصول في التعازي

فصل لعمر بن بحر الجاحظ

٣٨٥ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ الْبَاقِي لَكَ وَالْبَاقِي بَعْدَكَ الْمَاجُورُ
فَكَ . وَإِنَّمَا يُؤَوِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (وَلَهُ) : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ

فِي اللَّهِ أَعْرَاءٌ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ وَالْخَلْفَ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ . وَإِنَّهُ مَنْ
لَمْ يَتَعَزَّ بِعَزَاءِ اللَّهِ تَنَقَّطَ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا حَسْرَةً . (وَلَهُ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ
الصَّبْرَ يُقْبِلُ الْأَجْرَ وَالْجَزَعَ يُعَقِّبُهُ الْهَلْعُ . فَتَمَسَّكَ بِحَبْطِكَ مِنَ الصَّبْرِ تَمَثَّلْ
بِهِ الَّذِي تَطْلُبُ وَتُذْرِكُ بِهِ الَّذِي تَأْمَلُ (لابن عبد ربه)

كتب ابن السماك الى هارون الرشيد يعزيه بولده :

٣٨٦ أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ أُسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ شُكْرُكَ حَيْثُ وَهَبَهُ لَكَ
فَأَفْعَلْ . فَإِنَّهُ حَيْثُ قَبِضَهُ مِنْكَ أَحْرَزَ أَلَيْكَ هِبَتَهُ . وَلَوْ بَقِيَ لَمْ تَسْلَمْ مِنْ
فِتْنَتِهِ . أَرَأَيْتَ جَزَعَكَ عَلَى ذَهَابِهِ وَتَلَهُّفَكَ عَلَى فِرَاقِهِ . أَرْضَيْتَ الدَّارَ
لِنَفْسِكَ فَتَرْضَاهَا لِأَبْنِكَ . أَمَّا هُوَ فَقَدْ خَلَصَ مِنَ الْكُدْرِ وَبَقِيَتِ أَنْتَ
مُتَعَلِّقًا بِالْخَطَرِ وَالسَّلَامِ (الكنز المدفون للسيوطي)

عزى شيب بن شبة المنصور على اخيه ابي العباس فقال :

٣٨٧ جَعَلَ اللَّهُ ثَوَابَ مَا رُزِيتَ بِهِ لَكَ أَجْرًا . وَأَعْقَبَكَ عَلَيْهِ صَبْرًا .
وَوَخَّمَ ذَلِكَ أَلَيْكَ بِعَافِيَةٍ تَامَةٍ وَنِعْمَةٍ عَامَةٍ . فَثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ وَمَا
عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْكَ . وَأَحَقُّ مَا صَبَرَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ إِلَيْ تَغْيِيرِهِ سَبِيلٌ
رسائل الى علي

٣٨٨ لَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الْأَعْتِمَامِ بِعِلَّتِكَ حَالِ الْمَشَارِكِ
فِيهَا بِأَنْ يَنَالَنِي نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا . بَلِ اجْتَمَعَ عَلَيَّ مِنْهَا أَنِّي
مُخْصُوصٌ بِهَا دُونَكَ مُؤَلِّمٌ مِنْهَا بِمَا يَرِي أَمُكَ . فَأَنَا عَلِيلٌ مَصْرُوفُ الْعِنَايَةِ
إِلَى عَلِيلٍ كَأَنِّي سَلِيمٌ . فَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ

أَنْ يُخَصَّنِي بِمَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ . (وَفِي هَذَا الْبَابِ) : إِنَّ
الَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَلَى الْمُدَافَعَةِ عَنْ حَوْبَائِكَ .
فَلَوْ قُلْتَ إِنَّ الْحَقَّ قَدْ سَطَطَ عَنِّي فِي عِيَادَتِكَ لِأَنِّي عَائِلٌ بِعِلَّتِكَ لَقَامَ
بِذَلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي ضَيْرِكَ وَأَثْرٌ بَادٍ فِي حَالِي لِغَيْبَتِكَ . وَأَصْدَقُ
الْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ الْأَثْرُ وَأَفْضَلُ الْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ

فصول في وصاة

كتب الحسن بن وهب الى مالك بن طارق يوصي ابن ابي الشيص :

٣٨٩ كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطْتُهُ بِيَمِينِي وَفَرَعْتُ لَهُ ذَهَبِي . فَمَا ظَنُّكَ
بِحَاجَةِ هَذَا مَوْقِعِهِ مِنِّي . أَتُرَانِي أَقْبَلُ الْعُذْرَ فِيهَا أَوْ أَقْصِرُ فِي الشُّكْرِ
عَاطِيهَا . وَأَبْنُ أَبِي الشَّيْصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَنَسَبَهُ وَصِفَاتِهِ . وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا
تَبْسِطُ بِيَرِهِ مَا عَدَانَا إِلَى شَيْءٍ نَا فَانْتَفٍ بِهَذَا مِنَّا . (وَهْ) : كِتَابِي إِلَيْكَ
كِتَابٌ مَعْنِي بِمَنْ كَتَبَ لَهُ وَاتَّقِ بِمَنْ كَتَبَ إِلَيْهِ . وَلَنْ يَضِيعَ بَيْنَ
الثِّقَةِ وَالْعِنَايَةِ حَامِلُهُ

فصل للحسن بن سهل

٣٩٠ فَلَانَ قَدْ اسْتَعْنَى بِأَصْطِنَاعِكَ إِيَّاهُ عَنْ تَحْرِيكِ إِيَّاكَ فِي أَمْرٍ .
فَإِنَّ الصَّنِيعَةَ حُرْمَةٌ لِلْمَصْنُوعِ إِلَيْهِ وَوَسِيلَةٌ إِلَى مُضْطَنِّعِهِ . فَبَسَطَ اللَّهُ
يَدَكَ بِالْخَيْرَاتِ وَجَعَلَكَ مِنْ أَهْلِهَا وَوَصَلَ بِكَ أَسْبَابَهَا . (وَهْ) : وَوَصَلَ
كِتَابِي إِلَيْكَ أَنَا فَكُنْ لَهُ أَنَا . وَتَأَمَّلْهُ بِسَبَبِ مُشَاهَدَتِي وَخِطَّتِي .
فَلِسَانُهُ أَشْكُرُ مَا أَتَيْتَ إِلَيْهِ وَأَذَمُّ مَا قَصَّرْتَ فِيهِ (لابن عبد ربه)

الْبَابُ الْعِشْرُونَ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ

نظر في أمة العرب وطبائعهم وسكناتهم

٣٩١ إَعْلَمَ أَنَّ الْعَرَبَ مِنْهُمْ الْأُمَّةُ الرَّاحِلَةُ النَّاجِعَةُ . أَحْيَامُ
لِسُكْنَاهُمْ وَالْحَيْلُ لِرُكُوبِهِمْ وَالْأَنْعَامُ لِكَسْبِهِمْ . يَقُومُونَ عَلَيْهَا وَيَقْتَاتُونَ
مِنْ أَلْبَانِهَا . وَيَتَّخِذُونَ الدَّفَّ وَالْأَثَاثَ مِنْ أَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا . وَيَحْمِلُونَ
أَثْقَالَهُمْ عَلَى ظُهُورِهَا . يَتَنَازَلُونَ جِلَالًا مُتَفَرِّقَةً وَيَتَتَوَّنُونَ الرِّزْقَ فِي
غَايِبِ أَحْوَالِهِمْ مِنْ الْقَنْصِ وَتَخَطْفِ النَّاسِ مِنَ السُّبُلِ . وَيَتَقَلَّبُونَ
دَائِمًا فِي الْمَجَالَاتِ فِرَارًا مِنْ حَمَارَةِ الْقَيْظِ تَارَةً وَصَبَارَةَ الْبَرْدِ أُخْرَى .
وَأَنْتِجَاعًا لِمُرَاعِي غَنِيهِمْ . وَأَرْتِيَادًا لِمَصَالِحِ إِيْلِهِمْ الْكَفِيلَةَ بِمَعَاشِهِمْ وَحَمْلَ
أَثْقَالِهِمْ وَدِقْفِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ فَاخْتَصَّوْا لِذَلِكَ بِسُكْنَى الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ .
فَعَمَرُوا أَيْمَنَ وَالْحِجَازَ وَمَجْدًا وَتِهَامَةَ وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ لِاخْتِصَاصِ هَذِهِ
الْبِلَادِ بِالرَّمَالِ وَالْقَعَارِ الْمُحِيطَةِ بِالْأَرْيَافِ الْإِهْلَةِ بِمَنْ سِوَاهُمْ مِنْ
الْأُمَّمِ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ وَزُخْرَفِ الْأَرْضِ لِرِعْيِ الْكَلْبِ وَالْعُشْبِ
فِي مَنَابِتِهَا وَالتَّثْقُلِ فِي نَوَاحِيهَا إِلَى فَصْلِ الصَّيْفِ لِمُدَّةِ الْأَقْوَاتِ فِي
سَنَتِهِمْ مِنْ حُبُوبِهَا . وَرُبَّمَا يَلْحَقُ أَهْلَ الْعُرْنَانِ أَمْنَاءُ ذَلِكَ مَعْرَاتٍ مِنْ
أَضْرَارِهِمْ بِإِفْسَادِ السَّابِلَةِ وَرِعْيِ الزَّرْعِ مُخَضَّرًا وَأَوْتِيَابِهِ قَائِمًا وَحَصِيدًا .
إِلَّا مَا حَاطَتْهُ الدَّوْلَةُ وَذَادَتْ عَنْهُ الْحَامِيَةُ فِي الْمَمَالِكِ الَّتِي لِسُلْطَانِ عَلَيْهِمْ

فِيهَا . ثُمَّ يَعْبُدُونَ فِي فَصْلِ الْخَرِيفِ إِلَى الْقِقَارِ لِرَعْيِ شَجَرِهَا وَنِتَاجِ
 إِبْلِهِمْ فِي رِمَالِهَا وَهَذَا أَحَاطَ بِهِ عَمَلُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا . وَفِرَارًا بِأَنْفُسِهِمْ
 وَظَمَانِهِمْ مِنْ أَذَى الْبَرْدِ إِلَى دِفْءِ مَشَاتِيهَا . فَلَا يَزَالُونَ فِي كُلِّ عَامٍ
 مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ الرِّيفِ وَالصَّخْرَاءِ مَا بَيْنَ الْإِفَاجِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ
 صَاعِدِينَ وَمُنْحَدِرِينَ عَلَى مَمَرِ الْأَيَّامِ . شِعَارُهُمْ لُبْسُ الْخَيْطِ فِي الْغَالِبِ
 وَلُبْسُ الْعِمَامَةِ تَبَيُّنًا عَلَى رُؤُسِهِمْ . لَقِنُوا مِنْ أُمَّةِ الْبَرَبْرِ فِي حَمْلِ السِّلَاحِ
 أَعْتَقَالَ الرِّمَاحِ الْخَطِيئَةَ وَهَجَرُوا تَكْثُفَ الْقِسِيِّ (تاريخ ابن خلدون)

ذكر نسب العرب وتقاسيتهم

٣٩٢ قَالَ الْمَطْرِزِيُّ : اُخْتَلَفَ فِي نِسْبَتِهِمْ وَقِيلَ إِنَّ أَسْمَهُمْ أَشْتَقُّ مِنَ
 الْإِبَانَةِ لِقَوْلِهِمْ أَعْرَبَ الرَّجُلُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ إِذَا أَبَانَ عَنْهُ . وَالْأَصَحُّ
 أَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى عَرَبَةٍ فَهِيَ مِنْ تَهَامَةٍ وَدَعِيَ جِيلُهُمْ جَيْلَ الْجَاهَلِيَّةِ لِمَا
 كَانَ عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالْكَبْرِ وَالشُّجْرِ . وَقَدْ
 قَسَمَ الْمُؤَرِّخُونَ الْعَرَبَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ عَرَابِيَّةٍ وَمُتَعَرَّبِيَّةٍ وَمُسْتَعَرَّبِيَّةٍ .
 أَمَّا الْعَرَابِيَّةُ فَهِيَ الْعَرَبُ الْأُولَى الَّذِينَ ذَهَبَتْ عَنْهَا تَفَاصِيلُ أَخْبَارِهِمْ
 لِتَقَادُمِ عَهْدِهِمْ . وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُتَعَرَّبِيَّةُ فَهِيَ عَرَبُ أَيْمَنٍ مِنْ وُلْدِ قَحْطَانَ .
 وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُسْتَعَرَّبِيَّةُ فَهِيَ وُلْدُ إِسْمَاعِيلَ (نهاية الارب للنويري)

اخبار العرب العاربة او البائدة وهم القسم الاول

٣٩٣ هُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ عَادٌ وَثَمُودٌ وَطَسَمٌ وَجَدِيسٌ وَجَرَاهِمٌ
 الْأُولَى . وَقَدْ نَسِيَ هَذَا الْجَيْلُ الْعَرَبَ الْبَائِدَةَ بِمَعْنَى الْهَالِكَةِ لِأَنَّهُ لَمْ

يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ نَسْلِهِمْ . وَقَدْ سُمِّيَ أَهْلُ هَذَا الْجَبَلِ
 الْعَرَبِيَّةَ إِمَّا بِمَعْنَى الرِّسَاخَةِ بِالْعُرُوبِيَّةِ كَمَا يُقَالُ لَيْلُ الْأَيْلِ وَصَوْمُ
 صَائِمٍ أَوْ بِمَعْنَى الْقَاعِيَةِ لِلْعُرُوبِيَّةِ وَالْمُبْتَدِعَةِ لَهَا بِمَا كَانَتْ أَوَّلَ أَجْيَالِهَا
 وَأَمَّا بَنُو عَادٍ فَكَانَتْ مَوَاطِنُهُمُ الْأُولَى بِأَحْقَافِ الرَّمْلِ بَيْنَ
 الْيَمَنِ وَعُمَانَ إِلَى حَضْرَمُوتَ وَالشَّحْرِ وَكَانَ أَبُوهُمْ عَادُ أَوَّلَ مَلِكٍ مِنَ
 الْعَرَبِ . وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ : أَنَّ الَّذِي مَلَكَ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ عَادٍ
 شَدَادٌ . وَهُوَ الَّذِي سَارَ فِي أَمَالِكِ وَأَسْتَوْلَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ
 الشَّامِ وَالْهِنْدِ وَالْعِرَاقِ . وَلَمَّا اتَّصَلَ مَلِكُ عَادٍ وَعَظَمَ طُغْيَانُهُمْ وَعَتَوْهُمْ
 اتَّخَلَّوْا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ أَبَادَهُمُ اللَّهُ وَهَلَكُوا عَنْ أَقْصَاهُمْ
 وَأَمَّا ثَمُودُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْحِجْرِ وَوَادِي الثُّرَى فَمَا بَيْنَ الْحِجَازِ
 وَالشَّامِ وَكَانُوا يَنْحَتُونَ بُيُوتَهُمْ فِي الْجِبَالِ وَكَانُوا أَهْلَ كُفْرٍ وَبُغْيٍ .
 فَأَنْذَرَهُمْ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ فَمَنْ يُصِغُوا إِلَى دُعَائِهِ . فَوَلَّكَ جَمِيعَهُمْ حَيْثُ
 كَانُوا مِنَ الْأَرْضِ وَدَرَجُوا فِي النَّارِ

وَأَمَّا جَدِيسٌ وَطَسَمٌ فَكَانَتْ دِيَارُهُمُ الْيَمَامَةَ وَهِيَ إِذْ ذَاكَ مِنَ
 أَخْصَبِ الْبِلَادِ وَأَعْمَرُهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَارًا وَحَدَائِقَ وَقُصُورًا . وَكَانَ مَلِكُ
 طَسَمٍ غَشُومًا مُصَادًّا لَجَدِيسٍ مُسْتَدِلًّا لَهُمْ حَتَّى قَامَ الْأَسْوَدُ وَقَتْلَهُ غِيلَةً
 وَأَمَّا جُرَّهُمُ الْأُولَى فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْيَمَنِ وَكَانُوا يَتَكَاوَنُونَ
 بِالْمِبْرَانِيَّةِ فَكَانُوا عَلَى عَهْدِ عَادٍ وَلِئِنَّهُمْ أَنْتَرَأَضِهِمْ ذَهَبَتْ عَنَّا حَقَائِقُ
 أَخْبَارِهِمْ وَأَنْقَطَعَتْ عَنَّا أَسْبَابُ الْعِلْمِ بِأَثَرِهِمْ . وَأَمَّا جُرَّهُمُ الثَّانِيَّةُ

فَإِسْوَاءٍ مِنَ الْبَائِدَةِ بَلْ هُمْ مِنْ وُلْدِ قَحْطَانَ وَبِهِمْ اتَّصَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ

العرب المتعربة بنو قحطان وهم القسم الثاني

٣٩٤ وَسُمِّيَ هَذَا الْجِيلُ الْعَرَبُ الْمُتَعَرِّبَةَ لِتُرُوبِهِمْ بِالْبَادِيَةِ مَعَ الْعَرَبِ

الْعَرَبِيَّةِ وَتَخَلَّفَهُمْ بِأَخْلَاقِهِمْ . وَهُمْ بَنُو قَحْطَانَ بْنِ عَابِرِ بْنِ شَالِحِ بْنِ

أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامٍ . وَقَحْطَانُ هَذَا مُعَرَّبُ يُقْطَانٍ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ مَلَكَ

أَرْضَ الْيَمَنِ وَلَيْسَ التَّاجُ (٢٠٣٠ قبل المسيح) وَكَانَ بَنُو قَحْطَانَ

مُعَاصِرِينَ لِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الْعَرَبِيَّةِ وَمُظَاهِرِينَ لَهُمْ عَلَى أُمُورِهِمْ .

وَلَمْ يَزَالُوا مُجْتَمِعِينَ فِي مَجَالَاتِ الْبَادِيَةِ مُبْعَدِينَ عَنِ رِثَةِ الْمَلِكِ وَتَرْفِهِ

الَّذِي كَانَ لِأَوَّلِكَ فَأَصْبَحُوا بِمِنْحَاةٍ مِنَ الْهَرَمِ الَّذِي يَسُوقُ إِلَيْهِ التَّرْفُ

وَالنَّضَارَةُ . فَتَشَعَّبَتْ فِي أَرْضِ الْقَضَاءِ فَصَا بَأْهُمْ وَتَعَدَّدَ فِي جَوِ الْقَفْرِ

أَفْحَازُهُمْ وَعَشَائِرُهُمْ . وَغَيَّ عَدَدُهُمْ وَكَثُرَتْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْعِمَالَةِ فِي

آخِرِ جِيلِهِمْ . وَزَاوَهُمْ بِمَنَّاكِبِهِمْ وَأَسْتَجَدُّوا خُلُقَ الدَّوْلَةِ بِمَا أَسْتَأْنَفُوهُ

مِنْ عِزِّهِمْ . وَكَانَتِ الدَّوْلَةُ لِبَنِي قَحْطَانَ مُتَّصِلَةً فِيهِمْ (لابن خلدون)

ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان

٣٩٥ وَكَانَ يَعْربُ بْنُ قَحْطَانَ مِنْ أَعْظَمِ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَيُسَمَّى يَمْنَاوِيَّةَ

سُمِّيَتْ أَلْيَنُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ وَوَلَدَهُ بِالْحَيَّةِ : أَيْتِ اللَّعْنِ وَأَنْعَمُ صَبَاحًا .

وَقِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّةِ . قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ :

تَعَلَّمْتُمْ مِنْ مَنْطِقِ الشَّيْخِ يَعْربِ أَيْبِنَا فَصِرْتُمْ مُعَرَّبِينَ ذَوِي نَفْرِ

وَكَنتُمْ قَدِيمًا مَا لَكُمْ غَيْرَ عَجْمَةٍ كَلَامٌ وَكَنتُمْ كَالْبَهَائِمِ فِي الْقَفْرِ

وَمَلِكٌ بَدَّ يَغْرِبُ ابْنَهُ يُشْجِبُ . وَكَانَ وَاهِي الْأَعْرِيضِ وَأَسْتَبَدَّ أَعْمَامَهُ بِمَا
 فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَمَالِكِ . وَمَلِكٌ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ عَبْدُ الشَّمْسِ وَأَكْثَرُ
 الْغَزْوِ فِي أَقْطَارِ الْبِلَادِ فَسُمِّيَ سَبَأً . وَكَانَتْ قَاعِدَةُ مُلْكِهِ مَدِينَةَ صَنْعَاءَ
 وَمِنْ مَدِينِهِ مَأْرِبُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاجِلٍ مِنْهَا (للنوري وابن الاثير)

سَدَّ مَأْرِبَ وَتَفَرَّعَ بَنِي سَبَأَ

٣٩٦ فَبَنَى سَبَأٌ فِي مَأْرِبَ سُدَّامًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ بِالْعَنْخَرِ وَالْقَارِ فَحَقَّنَ
 بِهِ مَاءَ الْعَيْونِ وَالْأَمْطَارِ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَاذِيًا وَتَرَكَ فِيهِ خُرُوقًا
 عَلَى قَدَرٍ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَقْيِهِمْ . وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْعَرَمَ وَمَاتَ
 قَبْلَ إِتَامِهِ فَأَتَتْهُ مُلُوكُ حَمِيرٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأَقَامُوا فِي جَنَاتِهِ عَنِ الْيَمِينِ
 وَالشَّمَالِ . وَدَوَلَّتْهُمْ يَوْمَئِذٍ أَوْفَرُ مِمَّا كَانَتْ وَأَتْرَفُ وَأَبْدَخُ وَأَعْلَى يَدَا
 وَأَظْهَرُ . فَلَمَّا طَغَوْا وَأَعْرَضُوا أَجْحَفَهُمُ السَّيْلُ رَاغَرَقَ جَنَاتِهِمْ وَخَرِبَتْ
 أَرْضُهُمْ وَتَفَرَّقَ مُلْكُهُمْ وَسَارُوا أَحَادِيثَ . وَكَانَ هَوْلَاءُ التَّبَاعِيَّةُ مُلُوكًا عَادَةً
 فِي عُصُورٍ مُتَّاقِيَةٍ وَأَحْقَابِ مُتَّارِلَةٍ لَمْ يَضْطَبْطَهُمُ الْحَضَرُ وَلَا تَقَيَّدَتْ
 مِنْهُمْ الشُّوَارِدُ . وَرَبَّمَا كَانُوا يَتَجَاوَزُونَ مُلْكَ الْيَمَنِ إِلَى مَا بَعْدَ عَنْهُمْ مِنَ
 الْعِرَاقِ وَالْهِنْدِ وَالْمَغْرِبِ . فَأَخْتَلَمَتْ أحوَالُهُمْ وَوَقَعَ الْأَبْسُ فِي نَقْلِ أَيَّامِهِمْ .
 فَلَنَاتِ بِمَا صَحَّ مِنْهَا مُتَعَرِّيًا جُهْدَ الْإِسْتِطَاعَةِ عَنِ طُوسٍ مِنَ الْكُفْرِ وَأَقْتِفَاءِ
 التَّقَايِيدِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهَا وَالْأُؤُولِ الْمُعْتَمِدِ عَلَى نَقَاهَا وَعَدَمِ التَّوْقُوفِ عَلَى
 أَخْبَارِهِمْ مُدَوَّنَةً فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ . وَكَانَ إِسْبَاحًا مِنْ الْوَالِدِ كَثِيرًا أَشْهَرَهُمْ
 حَمِيرٌ وَعَمْرُو وَكَهْلَانُ فَيَغْزِي التَّبَاعِيَّةَ إِلَى حَمِيرٍ وَالْمَنَادِرَةَ إِلَى عَمْرِو وَيَأْتِي

النسائية إلى كهلان . وسنورد بالتلخيص أخبارهم (لابن خلدون)

ملك التبابعة بني حمير في اليمن
(ذكر حمير وشذاد وتع الاول)

٢٩٧ قَالَ الْمَسْعُودِيُّ : قِيلَ لِلْمُلُوكِ الْيَمَنِيِّينَ تَبَاعُةٌ لِأَنَّهُ يُتَّبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كُلَّمَا هَلَكَ وَاحِدٌ قَامَ آخَرٌ . وَلَمْ يَكُونُوا يُسَمُّونَ الْمَلِكَ مِنْهُمْ بِتَبِعٍ حَتَّى يَمْلِكَ الْيَمَنِيِّينَ وَالشَّحْرَ وَحَضْرَمَوْتَ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا فَيَسْمَى مَلِكًا وَلَا يُقَالُ لَهُ تَبِعٌ . وَأَمَّا خَيْرٌ فَقَدْ يُعْرَفُ أَيْضًا بِالْعَرَبِيِّجِ (١٤٣٠ ق م) . وَقِيلَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَتَوَجَّعَ بِالذَّهَبِ وَأَخْرَجَ ثَمُودَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْحِجَازِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ وَائِلٌ . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ عَلَى الْيَمَنِ حَتَّى مَضَتْ قُرُونٌ وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى شَدَادٍ فَغَزَا الْبِلَادَ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَقْصَى الْمَغْرِبِ وَبَنَى الْمَدَائِنَ وَالْمَصَانِعَ وَأَبْقَى الْأَنْبَارَ الْعَظِيمَةَ . ثُمَّ اضْطَرَبَتْ أَحْوَالُ خَيْرٍ وَصَارَ مُلْكُهُمْ طَوَائِفَ إِلَى أَنْ اسْتَمَرَّ فِي الْحَارِثِ وَهُوَ تَبِعُ الْأَوَّلِ وَفِي بَنِيهِ التَّبَاعَةُ . وَقَدْ لُقِّبَ الْحَارِثُ بِالرَّائِسِ لِأَنَّهُ رَأَسَ النَّاسَ بِالْعَطَاءِ مِمَّا كَانَ أَصَابَهُ فِي زَوَاتِهِ مِنَ السَّلْبِ وَالْفَنَائِمِ (لحمزة الاصفهاني)

ملك افريقس وذوي الازعار وشرجيل

٣٩٨ ثُمَّ مَلَكَ أَبْرَهَةَ ذُو الْمَنَارِ ثُمَّ أَفْرِيقُسُ (١٠٩٨ ق م) وَذَهَبَ بِبَابِلَ الْعَرَبِ إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَبِهِ سُمِّيَتْ وَسَاقَ الْبَرَبَرِ إِلَيْهَا مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ فَأَتَرَهُمْ بِهَا . وَيُقَالُ إِنَّهُ الَّذِي سَمَّى الْبَرَابِرَةَ بِهَذَا الْإِسْمِ لِأَنَّهُ لَمَّا أَفْتَحَ الْمَغْرِبَ وَسَمِعَ رَطَابَتَهُمْ قَالَ : مَا أَكْثَرَ بَرَبِرَتَهُمْ . فَسَمُوا الْبَرَابِرَةَ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ أَقْرَبِئْسَ أَخُوهُ عَمْرُو ذُو الْأَذْعَارِ وَلَمْ يُحْسِنِ السِّيْرَةَ فِي
 الرِّعْيَةِ . وَلَمَّا يَغْبَأُ بِوَصَاةِ أَبِيهِ أَرْهَةً وَكَانَ أَنْشَدَهُ عِنْدَ وَقَاتِهِ :
 يَا عَمْرُو إِنَّكَ مَا جِهْتَ وَصِيَّتِي إِيَّاكَ فَأَحْفَظْهَا فَإِنَّكَ تُرْشِدُ
 يَا عَمْرُو لَا وَاللَّهِ مَا سَادَ الْوَرَى فِيمَا مَعْنَى إِلَّا الْمَعِينُ الْمُرْفِدُ
 يَا عَمْرُو مَنْ يَشْرِي الْعَلَى بِنَوَالِهِ كَرَمًا يُقَالُ لَهُ الْجَوَادُ السَّيِّدُ
 كُلُّ أَمْرِي يَا عَمْرُو حَاصِدُ زَرْعِهِ وَالزَّرْعُ شَيْءٌ لَا مَحَالَةَ يُحْصَدُ
 وَلَمَّا ذَعِرَتْ خَمِيرٌ مِنْ جَوْرِهِ خَلَمَتْ طَاعَتَهُ وَقَدَّتِ الْمَلَكَ شَرَحِيلَ .
 فَجَرَى بَيْنَ شَرَحِيلَ وَذِي الْأَذْعَارِ قِتَالٌ شَدِيدٌ قُتِلَ فِيهِ خَاقٌ كَثِيرٌ .
 وَأَسْتَقَلَّ شَرَحِيلُ بِالْمَلَكَ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْهُدْهَادُ . (١٠٦٥ ق م)

ملك بلقيس وناشر النعم وشمرو عرش ومزيقيا

٣٩٩ ثُمَّ مَلَكَتْ بَلْقِيسُ ابْنَةُ الْهُدْهَادِ وَكَانَتْ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ وَوَقَدَّتْ
 عَلَيْهِ بِنْفِيسِ الْهُدَايَا وَبَقِيَتْ فِي مُلْكِ الْإِمْنِ عِشْرِينَ سَنَةً . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهَا
 بِالْمَلَكَ مَا الْكُتُّ نَاشِرُ النَّعْمِ . لِأَنَّهُ قَدَّ أَعْنَاقَ رَعِيَّتِهِ أَطْوَاقَ الْإِنْعَامِ وَالْمِثْنِ
 وَسَارَ غَازِيًا إِلَى الْمَغْرِبِ فَبَلَغَ وَاوْدِي الرَّمْلِ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مَجَازًا الْكَثْرَةَ
 الرَّمْلِ وَعَبَّرَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرْجِعُوا . فَأَمَرَ بِصَنْمٍ مِنْ نَحَاسٍ نُصِبَ
 عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي وَكُتِبَ فِي صَدْرِهِ بِالْحَطِّ الْمُسْتَدِ : هَذَا الصَنْمُ لِنَاشِرِ
 النَّعْمِ الْجَمِيرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ . فَلَا يَتَكَلَّفُ أَحَدٌ ذَلِكَ فَيَعْتَبَ .
 ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ نَاشِرِ هَذَا ابْنُهُ شَمْرُ مَرْعِشُ ثُمَّ بِذَلِكَ لِارْتِعَاشِ كَانَ بِهِ
 وَهَذَا هُوَ تَبَعُ الْآخِرِ . وَهُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مُلُوكِ التَّبَايَعَةِ ذُو الْمَغَازِي

وَالْأَثَرِ الْبَعِيدَةِ . فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي الْأَعْدَاءِ
 وَأَبْعَدِهِمْ مَنَارًا (٨٥٠ قبل المسيح) وَيُقَالُ إِنَّهُ وَطِئَ أَرْضَ الْعِرَاقِ
 وَفَارِسَ وَخُرَاسَانَ أَفْتَحَ مَدَائِنَهُمْ وَخَرَّبَ مَدِينَةَ الصُّغْدِ وَرَاءَ
 جَبْحُونَ . فَقَالَتِ الْعَجَمُ سَمِرَ كَنْدَايَ سَمِرَ خَرَّبَ . وَبَنَى مَدِينَةَ هَذَاكَ
 فَسَمِيَتْ بِاسْمِهِ هَذَا وَعَرَّبَتْهُ الْعَرَبُ فَصَارَ سَمِرَقَنْدَ . وَشَخَّصَ مِنَ الْيَمَنِ
 غَازِيَا وَمَرَّ بِالْحِيرَةِ فَتَحَيَّرَ عَسْكَرُهُ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْيَمَنِ وَهَابَتْهُ الْمُلُوكُ
 وَهَادُوا نَوْهَ . وَأَخَذَ بَدِينِ الْيَهُودِيَّةِ بِأَنْعَاءِ بَعْضِ أَحْبَابِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي
 قُرَيْظَانَ . ثُمَّ عَادَ إِلَى غَزْوِ بِلَادِ فَارِسَ فَوَطَأَ الْمَمَالِكَ وَذَلَّلَهَا وَعَمَدَ إِلَى
 الصِّينِ . قَالَ النُّوَيْرِيُّ : وَكَانَ الْمَلِكُ الصِّينِي فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَزِيرٌ شَدِيدُ
 الْبَاسِ سَامِي أُمَمَةٍ . فَلَمَّا بَلَغَهُ مَسِيرُ مَلِكِ الْيَمَنِ جَدَعَ أَنْفَهُ وَلَحِقَ بِأَبِي
 كَرِبٍ وَسَعَى إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ وَتَشَكَّى مِنْ مَلِكِ الصِّينِ . وَتَظَاهَرَ أَنَّهُ يَدُلُّ
 أَبَا كَرِبٍ عَلَى خَلْلِ يَمُكِّنُهُ الْفُرْعَةَ لِإِنَاءِ بِلَادِهِمْ بِأَقْيَادٍ وَقَفْحًا . فَسَرَّ
 بِهِ تَبِعٌ وَبَالِغٌ فِي إِكْرَامِهِ وَأَصَاحَ لِقَوْلِهِ . فَهَضَّ الْوَزِيرُ بِجَيْشِهِ وَهُوَ
 يَقْدُمُهُمْ حَتَّى أَتَتْهُمُ إِلَى أَرْضِ سَبْجَةَ . فَتَوَعَّلُوا فِي قَلَوَاتِ سَبْجَةَ
 لَأَمَاءَ فِيهَا فَأَجْهَدَهُمُ الْعَطَشُ فَهَلَكُوا . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو مَالِكٍ
 وَهَلَكَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ . ثُمَّ أَنْتَقَلَ الْمَلِكُ مُدَّةً إِلَى بَنِي كَهْلَانَ
 حَتَّى مَلَكَ عَمْرُو بْنُ عَامِرِ الْأَزْدِيِّ وَقِيلَ لَهُ مُزَيِّقِيَا . لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ
 كُلَّ يَوْمٍ بَدَلَةً فَإِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ إِلَى مَجْلِسِهِ رَمَى بِهَا فُرْقَتًا لِلتَّلَاجِدِ
 أَحَدٌ فِيهَا مَا يَلْبَسُهُ . وَقِيلَ إِنَّهُ عَلَى عَهْدِهِ صَارَ سَيْلُ الْعَرَمِ (١٠٢ ب م) .

فَانْفَجَرَتْ مِيَاهُ سُدِّ مَارِبَ فَأَحْتَمَلَ السَّيْلُ أَنْعَامَهُمْ وَخَرَبَ دِيَارَهُمْ
فَتَفَرَّقَتِ الْقَبَائِلُ الْمَجَاوِرَةُ لَهُ أَيْدِي سَبَا (لابن الاثير والمسعودي)

ذكر ذي نواس وشهداء النصرانية في نجران

٤٠٠ . وَلَمْ تَرَ لِنُتَوَالِي الْمُلُوكِ عَلَى خَيْرِ حَتَّى صَارَ الْمَلِكُ إِلَى ذِي نُوَاسٍ .
(٤٩٠ ب م) وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ كُلُّهُمْ أَنَّ ذَا نُوَاسٍ هُوَ ابْنُ تَبَانِ
أَسْعَدُ وَأَتَمَّهُ زُرْعَةُ . وَأَنَّهُ لَمَّا تَعَلَّبَ عَلَى مُلْكِ آبَائِهِ التَّبَاعَةَ لَتَمَّى
يُوسُفَ وَتَعَصَّبَ لِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ قَبَائِلُ الْيَمَنِ . فَأَسْتَجَمَتَ مَعَهُ
خَيْرٌ عَلَى ذَلِكَ . وَأَرَادَ أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَيْهَا وَكَانُوا مِنْ بَيْنِ الْعَرَبِ يَدِينُونَ
بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَهُمْ فَضْلٌ فِي الدِّينِ وَأَسْتِقَامَةٌ عَلَى حُكْمِ أَهْلِ الْأَنْجِيلِ .
وَلَهُمْ رَأْسٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَاسِرٍ . وَكَانَ هَذَا الدِّينُ وَقَعَ إِلَيْهِمْ فَنَدِيمًا
مِنْ بَنِيَّةِ أَصْحَابِ الْحَوَارِيِّينَ مِنْ رَجُلٍ سَطَطَ لَهُمْ مِنْ مُلْكِ التَّبَعِيَّةِ
يُقَالُ لَهُ فَيْمُونُ . وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ مُجَابِ الدَّعْوَةِ
وظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ الْكِرَامَاتُ فِي شِفَاءِ الْمَرْضَى . وَكَانَ يَطْلُبُ الْخَفَاءَ عَنِ
النَّاسِ جُهْدَهُ . وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ كَسْبِ يَدِهِ وَيُعْظَمُ يَوْمَ الْأَحْدِ
فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا . فَقَطِنَ إِشَانَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ أُنْمَهُ صَالِحٌ
فَلَزِمَهُ وَخَرَجَا فَارِّينَ بِأَنْفُسِهِمَا حَتَّى وَطَّابِ لَادِ الْعَرَبِ . فَأَخْتَطَفَتْهُمَا
سَيَّارَةٌ فَبَاعُوهُمَا بِنَجْرَانَ . وَأَهْلُ نَجْرَانَ يَوْمئِذٍ عَلَى دِينِ الْعَرَبِ يَعْبُدُونَ
تَخْلَةً لَهُمْ طَوِيلَةً وَيُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا فِي الْأَعْيَادِ مِنْ حُلِيِّهِمْ وَثِيَابِهِمْ
وَيَعْكِفُونَ عَلَيْهَا أَيَّامًا . وَكَانَ قَدِ ابْتَعَ فَيْمُونُ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَأَبْتَعَ

صَالِحًا آخِرُ . فَكَانَ فَيُؤْنُ إِذَا قَامَ فِي اللَّيْلِ فِي بَيْتٍ لَهُ أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ
سَيِّدُهُ أُسْتَسْرَجَ لَهُ الْبَيْتُ نُورًا وَهُوَ فِي غَيْرِ مِصْبَاحٍ حَتَّى يُصْبِحَ
الصَّبَاحُ . فَأَعْجَبَ سَيِّدُهُ مَا رَأَى مِنْهُ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ . فَأَخْبَرَهُ بِهِ
وَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ . وَلَوْ
دَعَوْتُ عَلَيْهَا إِلَهِي الَّذِي أَعْبُدُهُ لَأَهْلَكَهَا وَهُوَ وَحْدَهُ لَا نِدَّ لَهُ . فَقَالَ لَهُ
سَيِّدُهُ : أَفَعَلَّ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذَا دَخَانًا فِي دِينِكَ وَتَرَكْنَا مَا نَحْنُ
عَلَيْهِ . فَدَعَا فَيُؤْنُ فَأَرْسَلَ اللَّهُ رِيحًا فَجَعَلَتْ الْخَلَّةَ مِنْ أَصْلَاهَا . وَأَطْبَقَ
أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَى اتِّبَاعِ دِينِ عِيسَى فَمِنْ هُنَاكَ كَانَتِ النَّصْرَانِيَّةُ بِنَجْرَانَ .
وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَامِرٍ فَكَانَ يَجْلِسُ إِلَى فَيُؤْنُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَسْتَمِعُ مِنْهُ شَرَائِعَ
النَّصْرَانِيَّةِ حَتَّى قَفَّ فِيهَا وَظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ الْخَوَارِقُ وَالنَّهْجَاتُ وَدَانَ
الْكُلُّ بِدِينِهِ . فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَاسٍ بِجُنُودِهِ وَأَسْتَدْعَى رَأْسَهُمْ عَبْدَ اللَّهِ
ابْنَ تَامِرٍ فَأَحْذَرَهُ وَقَالَ لَهُ : أَفَسَدْتَ عَلَيَّ أَهْلَ بَلَدِي وَخَالَتَ دِينِي
وَدِينَ آبَائِي . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُقْتِلَ وَعَرَضَ عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ الْقَتْلَ فَلَمْ
يَذْهَبُوا إِلَّا جَمَاحًا . فَخَدَّدَ لَهُمُ الْأَخَادِيدَ وَأَوْقَدَ لَهُمْ نَارًا ثُمَّ أَمْتَحَنَهُمْ .
فَجَعَلَ يَهْوِلُ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ : إِمَّا أَنْ تَتْرَكَ دِينَكَ وَإِمَّا أَنْ نَقَذَكَ فِي
النَّارِ فَيُقْوَلُ : مَا أَنَا تَارِكُ دِينِي لِشَيْءٍ فَيُقَذَفُ فِيهَا فَيُحْرَقُ . فَبَقِيَتْ
أَمْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ رَضِيَعٌ عُمُرُهُ سَبْعَةٌ أَشْهُرٌ فَجَزَعَتْ وَتَهَيَّتْ . فَقَالَ لَهَا
الْغُلَامُ : يَا أُمَّاهُ لَا تُتَافِقِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ ذِي قَبْلِ .
فَأَحْرَقَتْ . وَقَتْلَ وَحَرَقَ ذُو نُوَاسٍ حَتَّى أَهْلَكَ مِنْهُمْ فِيمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ

عِشْرِينَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَ . وَأَقْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ سَبَأٍ يُقَالُ لَهُ دُوسٌ ذُو
تُعْلَبَانَ فَسَلَكَ الرَّمْلَ عَلَى قَرِيهِ فَأَعْجَزَهُمْ . فَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ صَاحِبِ
الرُّومِ يَسْتَنْصِرُهُ عَلَى ذِي نُوَاسٍ (معجم البلدان لياقوت)

استيلاء الحبشة على ملك اليمن

٤٠١ فَبَعَثَ قَيْصَرٌ إِلَى مَلِكِ الْحَبَشَةِ بِأَمْرِهِ بِنَصْرِهِ . فَجَاءَتْهُ السُّنُنُ
وَأَجَازَ فِيهَا الْعَسَاكِرَ مِنَ الْحَبَشَةِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَرْيَاطَ رَجُلًا مِنْهُمْ . وَعَوَّدَ
إِلَيْهِ بِتَلْمِيهِمْ وَسَبْيِهِمْ وَخَرَابِ بِلَادِهِمْ . فَرَكِبُوا الْبُحْرَ وَنَزَلُوا سَاحِلَ
الْيَمَنِ فَلَقِيَهُمْ ذُو نُوَاسٍ فِيمَنْ مَعَهُ فَأَنْهَزَهُمْ . فَلَمَّا رَأَى ذُو نُوَاسٍ مَا نَزَلَ بِهِ
وَبَقُومِهِ وَجَهَ بِفَرَسِهِ إِلَى الْبُحْرِ وَخَاضَ ضَخْمَ صَاحِهِ . ثُمَّ أَفْضَى بِهِ إِلَى
غَمْرَةٍ فَأَقْبَحَهُ فِيهَا فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ وَأَنْقَرَضَ أَمْرَ التَّبَاعَةِ .
(٥٢٩ ب م) وَوَطِئَ مِنْ ثُمَّ أَرْيَاطُ الْيَمَنِ بِالْحَبَشَةِ وَأَذَلَّ رِجَالَ
خَيْرٍ وَهَدَمَ حُصُونَ الْمَلِكِ . ثُمَّ أَنْتَقَضَ عَلَى أَرْيَاطِ أَرْهَةَ أَحَدُ رُؤَسَاءِ
جَيْشِهِ وَجَذَبَ مَعَهُ رِعَاعَ الْحَبَشَةِ وَعَصَى أَرْيَاطَ وَدَعَاهُ لِلْحَرْبِ فَأَتَمَّحَارَ
إِلَى أَرْيَاطِ عُظَمَاءِ الْحَبَشَةِ وَعَطَّارِيْفُهُمْ فَأَقْتَتَلُوا . فَحَمَلَ أَرْيَاطُ عَلَى
أَرْهَةَ وَعَلَا وَجْهَهُ بِالْحَرْبِ فَشَرَمَ أَنْفَهُ وَبِذَلِكَ لُتِبَ بِالْأَشْرَمِ . وَحَمَلَ
أَرْهَةَ عَلَى أَرْيَاطِ بِالسَّيْفِ وَعَلَا بِهِ رَأْسَهُ فَأَسْرَعَ السَّيْفُ فِي دِمَاعِهِ
وَسَقَطَ عَنْ جَوَادِيهِ . فَمَالُوا حَيْثُ جَمِيعًا وَصَارُوا مَعَ أَرْهَةَ وَأَقَامُوا مَلِكًا .
وَكَانَ أَرْهَةَ رَجُلًا قَصِيرًا حَادِرًا لِحِيًا دَحْدَاحًا ذَا دِينَ فِي النَّصْرَانِيَّةِ .
فَبَنَى بِصَنْعَاءَ إِلَى جَانِبِ عُثْمَانَ كَنِيسَةً تُحْكَمُ الْعَمَلُ وَسَمَّاهَا

الْقَلْبِيسَ (*) فَأَنْتَشَرَ خَبْرُ بِنَاءِ هَذَا الْبَيْتِ فِي الْعَرَبِ . وَبِأَهْلِكَ أَنْزَهَهُ
 (٥٧١ ب م) مَلِكٌ مَكَانَهُ أَبْنُهُ يَكْسُومُ وَبِهِ كَانَ يَكْنَى وَأَسْتَحْلَ مَلِكُهُ
 وَأَذَلَّ خَمِيرَ وَقَبَائِلَ الْيَمَنِ . فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَأَسْتَحْدَمَ أَبْنَاءَهُمْ . ثُمَّ هَلَكَ
 يَكْسُومٌ فَهَلَكَ مَكَانَهُ أَخُوهُ مَسْرُوقٌ وَسَاءَتْ سِيرَتُهُ وَكَثُرَ عَسْفُهُ (اللازرقى)

اخبار سيف بن ذي يزن

٤٠٢ وَا مَا طَالَ بِلَاءُ الْحَبْشَةِ عَلَى أَهْلِ الْيَمَنِ خَرَجَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنِ
 الْحَمِيرِيِّ مِنَ الْأَذْوَاءِ بَقِيَّةُ ذَلِكَ السَّلَفِ وَعَقِبُ أَوْلِيكَ الْمُلُوكِ . وَدِيَالُ
 الدَّوْلَةِ الْمُؤَفَّضُ لِلْحُمُودِ . وَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ (مُورِيقِي) يَسْتَجِدُّهُ عَلَى
 الْحَبْشَةِ . فَأَبَى وَقَالَ : الْحَبْشَةُ عَلَى دِينِ النَّصَارَى . فَرَجَعَ إِلَى كِسْرَى
 وَقَدِمَ الْحَبْرَةَ عَلَى النُّعْمَانَ بْنِ الْمُنْذِرِ عَامِلِ قَارِسَ عَلَى الْحَبْرَةِ وَمَا يَلِيهَا
 مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ فَشَكَرَ إِلَيْهِ . وَأَسْتَمَلَهُ النُّعْمَانُ إِلَى حِينٍ وَفَادَتْهُ عَلَى
 كِسْرَى وَأَوْفَدَمَعَهُ وَسَأَلَهُ النَّصْرَ عَلَى الْحَبْشَةِ وَشَاوَرَ أَهْلَ دَوْلَتِهِ .
 فَقَالُوا : فِي سُجُونِكَ رِجَالٌ حَبَسْتَهُمْ لِأَقْتَلِ . أَبْعَثْهُمْ مَعَهُ فَإِنْ هَلَكُوا كَانَ

(٥) وكان القبايس مرتباً متوي الترتيب وجعل طولهُ في السماء ستين ذراعاً وحولهُ
 سورٌ بينهُ وبين القبايس ماثناً ذراعٍ مطيفٌ به من كل جانب وجعل بين ذلك كلباً حجارة
 تسمىها اهل اليمن الجروب منقوشة مطابقة لا يدخلُ بين اطباقها الابرة مطبقة . وكان
 له باب من نحاس يفضي الى بيت في جوفهِ طولهُ ثمانون ذراعاً في اربعين ذراعاً معلقُ العمل
 بالساج المنقوش ومسامير الذهب والفضة وعقوده معروبة بالفسيفساء مشجرة بين اضعاها
 كواكب الذهب ظاهرة . ثم يدخل من البيت الى قبة حُدِّها بالفسيفساء وفيها صلبٌ منقوشة
 بالذهب والفضة وفيها رخامة مما يلي مطلع الشمس من البلق مربعة تفشي عين من نظر اليها من
 بطن القبة . تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة . وكان تحت الرخامة منبر من خشب
 اللبخ وهو الانوس مفصل بالمعاج ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة (لابن اسحاق)

الَّذِي أَرَدَتْ بِهِمْ وَإِنْ مَلَكَوْا كَانَ مُلْكًا أَزْدَدْتُهُ إِلَى مُلْكِكَ . فَأَهْضَمُوا
 ثَمَانِيَةَ وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ أَفْضَاهُمْ وَأَعْظَمَهُمْ بَيْتًا وَأَكْبَرَهُمْ نَسَبًا وَكَانَ
 وَهَزَرَ الدَّيْلَمِيَّ . فَتَوَافَقُوا لِلْحَرْبِ وَأَمَرَ وَهَزْرًا ابْنَهُ أَنْ يُتَاوَشَهُمُ الْقِتَالَ
 فَتَمَلَّوهُ وَأَحْفَظَهُ ذَلِكَ . وَقَالَ : أَرُونِي مَلِكَهُمْ فَأَرَوْهُ إِيَّاهُ عَلَى فَيْلٍ عَلَيْهِ
 تَاجُهُ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ . فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَصَلَّتِ الْيَاقُوتَةُ بَيْنَ
 عَيْنَيْهِ وَتَغَلَّغَلَ فِي دِمَاقِهِ وَتَنَكَّسَ عَنْ دَابَّتِهِ وَدَارُوا بِهِ . فَحَمَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِمْ
 وَأَنْهَزَمَ الْحَبْشَةُ فِي كُلِّ وَجْهِ . وَفِي مَلِكِهِمْ فِي الْيَمَنِ بَعْدَ أَنْ تَوَارَثَهُ مِنْهُمْ
 أَرْبَعَةٌ فِي ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً . (٦٠١) وَأَنْعَرَفَ وَهَزْرًا إِلَى كِسْرَى
 بَعْدَ أَنْ خَلَفَ سَيْفَا عَلَى الْيَمَنِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفُرسِ سَمَّوْا بِهِ عَلَى
 قَرِيضَةٍ يُؤَدِّيهَا كُلُّ عَامٍ . وَجَعَلَهُمْ لِنَظَرِ ابْنِ ذِي يَزْنَ وَأَنْزَلَهُ بِصَنَمَاءَ .
 وَأَنْفَرَدَ ابْنُ ذِي يَزْنَ بِسُلْطَانِهِ وَنَزَلَ قَصْرَ الْمَلِكِ وَهُوَ رَأْسُ عُثْمَانَ .
 يُقَالُ إِنْ الصَّخَّارَ بَنَاهُ عَلَى اسْمِ الزُّهْرَةِ وَهُوَ أَحَدُ الْبَيْوتِ السَّبْعَةِ الْمَوْضُوعَةِ
 عَلَى أَسْمَاءِ الْكَوَاكِبِ وَرُوحَانِيَّتِهَا . خَرِبَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ . وَلَمَّا اسْتَرْثَقَ
 لِذِي يَزْنَ الْمَلِكُ جَعَلَ يَعْتَسِفُ الْحَبْشَةَ وَيَهْتَلِمُ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا
 الْقَلِيلُ جَعَلَهُمْ خَوْلًا وَأَتَّخَذَ مِنْهُمْ طَوَابِيرَ يَسْمَعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْحِرَابِ .
 فَخَرَجَ يَوْمًا وَهُمْ يَسْمَعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا أَنْفَرَدُوا بِهِ عَنِ النَّاسِ رَمَوْهُ
 بِالْحِرَابِ فَتَمَلَّوهُ . فَأَرْسَلَ كِسْرَى عَامِلًا عَلَى الْيَمَنِ وَأَتَمَّرَتْ عَمَّالُهُ إِلَى أَنْ
 كَانَ آخِرُهُمْ بِأَذَانَ فَأَسْلَمَ وَصَارَتْ الْيَمَنِ لِلْإِسْلَامِ (لابن خلدون)

خبر الملوك المناذرة بني كهلان في العراق
تملك ملك بن فهم وجديعة الابرش

٤٠٣ أما أخبار العرب بالعراق في الجيل الأول فلم يصل إلينا
تفاصيلها وشرح حالها . إلا أنه لما حدث سيل العرم تمزقت عرب
اليمن من مدينة مأرب إلى العراق والشام . فكانت تنوخ وقضاعة
وهما حيان من أحياء الأزدي من بني كهلان ممن تمزق إلى العراق .
فقال ملك بن فهم الأزدي لماك بن القضاعي : نقيم بالبحرين
وتحالف على من نوانا فتحالفوا . فسموا تنوخ وذلك في أيام ملوك
الطوائف فنظروا إلى العراق وعليها طائفة من ملوكها وهي شاعرة
فخرجوا عن البحرين وسارت الأزدي إلى العراق مع ملك بن فهم
الأزدي . وسارت قضاعة إلى الشام مع مالك القضاعي

٤٠٤ وأول من تملك على تنوخ في العراق ملك بن فهم (١٩٥ للمسيح)
وكان منزله بالأنبار فبقي بها إلى أن رماه سليمة بن مالك رمية بالليل
وهو لا يعرفه . فلما علم أن سليمة رماه قال :

جزاني لا جزاه الله خيرا سليمة إنه شر جزاني

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

فلما قال هذين البيتين فاظ وهرب سليمة ثم ملك من بعد ملك

جديعة الأبرش . (٢١٥ ب م) وكان ثاقب الرأي بعيد المغار شديد
الكفاية ظاهر الحزم . وهو أول من غزا بالجيوش وشن الغارات على

قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَكَانَ بِهِ بَرَصٌ فَأَكْبَرَتْهُ الْعَرَبُ عَلَى أَنْ تَنْعَتَهُ بِهِ إِعْظَامًا
فَسَمَّيْتَهُ جَذِيمَةَ الْأَبْرَشِ وَجَذِيمَةَ الْوَضَّاحِ . وَأَسْتَوَى عَلَى السَّوَادِ مَا بَيْنَ
الْحَيْرَةِ وَالْأَنْبَارِ وَسَائِرِ الرُّيِّ الْمَجَاوِرَةِ لِبَادِيَةِ الْعَرَبِ وَكَانَ يَجْبِي
أَمْوَالَهَا . وَغَزَا طَسْمًا وَجَدِيسًا فِي مَنَازِلِهَا مِنْ الْيَامَةِ . وَفِيهِ قَالَ الشَّاعِرُ :
أَضْحَى جَذِيمَةً فِي الْأَنْبَارِ مَنْزِلُهُ قَدْ حَارَ مَا جَمَعَتْ فِي عَصْرِهَا عَادُ
فَطَالَ مُلْكُهُ إِلَى أَنْ أَدْرَكَ مُلْكَ سَابُورَ بْنِ أَشَكٍ . وَكَانَ جَذِيمَةُ
مَلِكًا مَعَدًى وَبَعْضَ الْيَمَنِ وَغَزَا فِي آخِرِ عُمُرِهِ الشَّامَ فَهَتَلَ عَمْرُو بْنُ حَسَّانَ
ابْنَ أُذَيْنَةَ وَالِدَ الزَّبَاءِ مَلَكَ الطَّوَائِفِ . فَأَنْطَوَتْ لَهُ الزَّبَاءُ عَلَى طَلَبِ الثَّارِ
حَتَّى قَتَلَتْهُ . وَكَانَ مُلْكُ جَذِيمَةَ تَحْوِيسَتَيْنِ سَنَةً بِالتَّقْرِيبِ (لحمزة الاصفهاني)

ملك عمرو بن عدي

٤٠٥ فَوَرِثَ الْمَلِكَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُ أُخْتِهِ عَمْرُو بْنُ عَدِيِّ (٢٦٨) وَأُمُّهُ
رَقَاشٌ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْحَيْرَةَ مَنْزِلًا مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ . وَأَوَّلُ مَلِكٍ
بَعْدَهُ الْحَيْرِيُّونَ فِي كَثِيرٍ مِنْ مُلُوكِ عَرَبِ الْعِرَاقِ وَمُلُوكِ الْعِرَاقِ إِلَيْهِ
يَنْتَسِبُونَ وَهُمْ عَمْرُو يَطْلُبُ الثَّارَ مِنَ الزَّبَاءِ بِخَالِهِ جَذِيمَةَ . فَلَمَّا أَحْسَتْ
الزَّبَاءُ بِنَيْتِهِ تَحَصَّنَتْ فِي مَعْقِلٍ فَصَارَتْ أَمْنٌ مِنْ عِقَابِ . فَعَمِدَ عَمْرُو إِلَى
قَصِيرٍ وَزَيْرِهِ فَجَدَعَ أَنْفَهُ بِمَوَاطِئِهِ مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ . فَلَحِقَ بِالزَّبَاءِ يَشْكُو مَا
أَصَابَهُ مِنْ عَمْرُو وَأَنَّهُ أَتَمَّهُ بِمُدَاخَلَةِ الزَّبَاءِ فِي أَمْرِ خَالِهِ جَذِيمَةَ فَقَالَ :
وَمَا رَأَيْتُ بَعْدَ مَا فَعَلْتُ بِِي أَنْ كُنِّي لَهُ مِنْ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ . فَأَكْرَمَتْهُ وَقَرَّبَتْهُ
حَتَّى إِذَا رَضِيَ مِنْهَا مِنَ الْوُثُوقِ بِهِ غَرَّهَا وَأَسْلَمَ حِصْنَهَا إِلَى عَمْرُو . فَلَحَمَهَا

بِالسَّيْفِ وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنْكَرًا رَاجِعًا . فَبَقِيَ عَمْرٌو مَلِكًا
مُدَّةَ عَمْرِهِ مُتَقَرِّدًا بِمَلِكِهِ مُسْتَبِدًّا بِأَمْرِهِ يَنْزُو الْمَغَازِي وَيُصِيبُ الْغَنَائِمَ
وَتُجِبِي إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ وَتَفِدُ عَلَيْهِ الْوُفُودُ دَهْرَهُ الْأَطْوَلُ . لَا يَدِينُ
لِلْمُلُوكِ الطَّوَاقِفِ بِالْعِرَاقِ حَتَّى قَدِمَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ فِي أَهْلِ فَارِسَ
أَرْضَ الْعِرَاقِ . فَضَبَطَهَا وَقَهَرَ مَنْ كَانَ لَهُ بِهَا مَنَاقِبًا حَتَّى حَمَلَهُمْ عَلَى مَا
أَرَادَ مِمَّا يُوَافِقُهُمْ وَمِمَّا لَا يُوَافِقُهُمْ . فَكَرِهَ كَثِيرٌ مِنْ تُوُخِ مُجَاوِرَةِ الْعِرَاقِ
عَلَى الصَّمَارِ . فَخَرَجَ مِنْ كَانٍ مِنْهُمْ مِنْ فَبَائِلِ قُضَاعَةَ الَّذِينَ كَانُوا أَقْبَلُوا
مَعَ مَلِكٍ فَلَحِقُوا بِالشَّامِ وَأَنْضَمُوا إِلَى مَنْ هُنَاكَ مِنْ قُضَاعَةَ . فَكَانَ أَنَاسٌ
مِنَ الْعَرَبِ يُجَدِّثُونَ أَحْدَاثًا فِي قَوْمِهِمْ أَوْ تَضِيقُ مَيْشَتَهُمْ فَيَخْرُجُونَ
إِلَى رَيْفِ الْعِرَاقِ وَيَنْزِلُونَ الْحَيْرَةَ فَكَانَ ذَلِكَ عَلَى أَكْثَرِهِمْ هُجْرَةً .
فَصَارَ أَهْلُ الْحَيْرَةِ ثَلَاثَةَ أَثْلَاقٍ . الْأَثْلُكُ الْأَوَّلُ تُوُخُ وَهُمْ مَنْ كَانَ
يَسْكُنُ الْمِظَالَ وَبُيُوتَ الشَّعْرِ وَالْوَبْرِ فِي غَرْبِي الْفُرَاتِ مَا بَيْنَ الْحَيْرَةِ
إِلَى الْأَنْبَارِ فَمَا فَوْقَهَا . وَالْأَثْلُكُ الثَّانِي الْعِبَادُ وَهُمْ الَّذِينَ سَكَنُوا رُقْعَةَ
الْحَيْرَةَ فَأَبْتَوْا بِهَا . وَالْأَثْلُكُ الثَّلَاثُ الْأَخْلَافُ . وَعَمَرَتِ الْحَيْرَةَ أَيَّامَ
مَلِكِ عَمْرٍو بْنِ عَدِيٍّ بِأَخْذِهِ مَنَزِلًا إِيَّاهَا . وَعَظُمَ شَأْنُهَا إِلَى أَنْ وُضِعَتِ
الْكُوفَةُ وَتَرَلَهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ . (للنويري وجمرة الاصفهاني)

ملك امرئ القيس البداء والحرق والنعمان الاعور السامح

٤٠٦ ثم ملك من بعد عمرو بن عددي امرؤ القيس البداء وهو الأول
في كلامهم (٢٨٨ - ٣٣٨ ب م) وهو أول من تنصر من ملوك آل

نَصْرَ وَعَمَالِ الْفَرَسِ . ثُمَّ وَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ عَمْرُو (٣٣٨-٣٦٣) ثُمَّ
عَقِبَهُ أَوْسُ بْنُ قَلَامِ الْعَمَلِيَّةِ خَمْسَ سِنِينَ . ثُمَّ تَارَ بِهِ حُجْبًا أَحَدُ بَنِي
فَازَانَ قَتَلَهُ . (٣٦٨ ب م) وَوَلِيَ مَكَانَهُ مُدَّةً ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ أَمْرُو
الْقَيْسِ (الثاني) . (٣٦٨-٣٩٠ ب م) وَيُصْرَفُ أَمْرُو الْقَيْسِ هَذَا
بِالنَّذِيرِ وَالْمُحَرَّقِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَاقَبَ بِالنَّارِ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَسْوَدُ
ابْنُ يَمْرُوفٍ فِي قَوْلِهِ : مَاذَا أَوَمِلُ بَعْدَ آلِ الْمُحَرَّقِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ
النُّعْمَانُ الْأَعْوَرُ السَّامِيُّ وَهُوَ بَابِي الْخَوَزَنِيِّ وَالسَّيِّدِ (*) وَكَانَ
النُّعْمَانُ هَذَا فِي أَيَّامِ يَزْدَجَرْدَ فَدَفَعَ إِلَيْهِ ابْنُهُ بِهَرَامَ لِيُرِيَهُ وَأَمَرَ
بِبِنَاءِ الْخَوَزَنِيِّ مَسْكِنًا لِابْنِهِ فَاسْكَنَهُ أَيَّامَهُ . وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ وَتَأْدِيبَهُ .
وَجَاءَهُ مِنْ يَمِينِهِ الْجَلَالُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ وَالْفُرُوسِيَّةِ حَتَّى أَتَمَّلَ
عَلَى ذَلِكَ بِمَارِضِيَّةٍ . وَكَانَ النُّعْمَانُ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي
الْأَعْدَاءِ وَأَبْعَدَهُمْ مَعَارًا قَدِ اتَى الشَّامَ مِرَارًا كَثِيرَةً وَكَثُرَ الْمَصَابِ
فِي أَهْلِهَا وَسَبَى وَعَنِمَ . وَكَانَ مَلِكُ فَارِسَ يُنْقِذُ مَعَهُ كَتِيبَتَيْنِ الشَّهْبَاءِ
وَأَهْلَاهَا الْفَرَسُ وَدَوَسَرَ وَأَهْلَاهَا تَوَخَّ . فَكَانَ يَفْرُو بِهِمَا مِنْ لَأَيْدِيهِ لُهُ مِنْ
الْعَرَبِ . وَكَانَ عَارِمًا حَازِمًا ضَابِطًا لِلْمَلِكِ قَدِ اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالْحَوَالِ وَالرَّقِيقِ مَا لَمْ يَمْلِكْ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ الْحِيرَةِ . وَالْحِيرَةُ يَوْمَئِذٍ
سَاحِلُ الْفُرَاتِ . وَلَمَّا أَتَى عَلَى النُّعْمَانِ ثَلَاثُونَ سَنَةً تَنَصَّرَ عَلَى يَدِ بَعْضِ
وُزَرَائِهِ ثُمَّ زَهَدَ وَتَرَكَ الْمُلْكَ وَلَيْسَ لِمُسُوحٍ وَذَهَبَ فَلَمْ يُوْجَدْ لَهُ أَثَرٌ (*)

ملك المنذر الاول والنعمان الثاني والاسود رافر القيس الثالث

٤٠٧ ولما ترهد النعمان قولى الأمر ابنه المنذر الأول (٤٢٠ ب م)
 وكان أهل فارس ولوا عليهم مخصا من ولد أزد شير وعدلوا عن بهرام
 لنشبه بين العرب وخلوة من آداب النجم. وأستجد بهرام بالعرب
 فجهز المنذر العساكر لبهرام لطلب ملكه. وحاصر مدينة الملك فأذعن
 له فارس وأطاعوه. وأستوهب المنذر ذنوبهم من بهرام فغفرتهم وأجمع
 أمره. ورجع المنذر إلى بلاده وشغل باللهو إلى موته. (٤٦٢ ب م)
 ومالك مكانه النعمان الثاني وكان وزيره عدي بن زيد النصراني
 فترهدا (٤٦٩). (*) ومالك مكانه أخوه الأسود وهو الذي أتصر
 على عساكر عرب الشام وأسر عدة من ملوكهم ثم هلك (٤٩١). ومالك
 أخوه منذر الثاني سبع سنين ثم ابن أخيه (٤٩٨) نعمان الثالث. ثم
 استخاف أبو يفر بن علقمة الذميلي (٥٠٣) وذميل بطن من لحم. ثم
 ملك أمرؤ القيس الثالث (٥٠٦) هذا هو الذي غزا بكر يوم أواره
 في دارها فكانت بكر قبله تقيم أود ملوك الحيرة وتعصدهم. وهو
 أيضا باني العذيب والصنبر وفيهما يقول جبير بن بلوغ:
 لیت شعري متى تخب بنا الناقة نحو العذيب والصنبر

ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس

٤٠٨ ولما هلك أمرؤ القيس الثالث ملك المنذر الثالث ابنه وهو ذو

الْقَرْنَيْنِ اِضْفِيرَتَيْنِ كَانَتْ لَهٗ مِنْ شَعْرِهِ وَاُمُّهُ مَاءُ السَّمَاءِ . قَالَ الْجَنَابِيُّ :
وَكَانَ هَذَا الْقَبَالِ اِبْنِ عَامِرِ الْاَزْدِيِّ لِاَنَّهُ كَانَ يُعِيْمُ مَالَهٗ مَقَامَ الْقَطْرِ اَيُّ
عَطَاءٍ وَجُودًا فَغَلَبَ عَلَيَّ بِذِيهِ لِاَنَّهُمْ خَلَفُوْهُ . وَذَكَرَ اَنْ مَرَّةً بَنَ كَثُوْمُ
قَتَلَهُ لِحَمْسِيْنَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ . (٥٦٢ ب م) ثُمَّ مَلَكَ بِنْدَهُ ابْنُهُ عَمْرُو بْنُ
هِنْدِ الْمَلَّبُ بِأَحْرَقِ رَهْنَدُ أُمَّهُ . وَكَانَ شَدِيْدَ السُّلْطَانِ غَزَا تَمِيْمًا
فِي دَارِهَا فَقَتَلَ مِنْ بَنِي دَارِمٍ مِائَةً يَوْمَ اَوَارَةَ الثَّانِي بِأَخِيهِ اَسْعَدَ بْنَ
الْمُنْدِرِ وَكَانَ مُلْكُهُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً . (٥٧٨) ثُمَّ وَلِيَ شَقِيْقُهُ قَابُوْسُ اَرْبَعِ
سِنِيْنَ فِي زَمَنِ اَنُوْشِرْوَانَ . وَكَانَ فِيْهِ لِيْنٌ وَكَانَ ضَعِيْفًا مَهِيْنًا قَتَلَهُ رَجُلٌ
مِنْ يَشْكُرَ وَسَلَبَهُ . (٥٨٢) ثُمَّ مَلَكَ الْمُنْدِرُ الرَّابِعُ اَخُوهُ سَنَةً وَاجِدَةً
ثُمَّ اَلْتَعْمَانَ الرَّابِعُ اَبُو قَابُوْسٍ (٥٨٢ - ٦٠٤) وَهُوَ صَاحِبُ النَّابِغَةِ
الَّذِي اَنِيَّ الَّذِي بَنَى الْقَرِيْبِيْنَ وَتَنَصَّرَ (لَانُوْرِيِّ وَالْمَسْعُوْدِيِّ)

خبر تصر النعمان

٤٠٩ كَانَ اَلْتَعْمَانُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ الْمَلَّبُ بِاَبِي قَابُوْسٍ قَدْ نَادَمَهُ
رَجُلَانِ مِنْ بَنِي اَسَدٍ اَحَدُهُمَا خَالِدُ بْنُ الْمُضَلَّلِ وَالْاُخْرُ عَمْرُو بْنُ
مَسْعُوْدٍ فَاعْتَضَبَاهُ فِي بَعْضِ الْمُنْطِقِ . فَاصْرَبَانَ يُحْفَرُ لِكُلِّ وَاحِدٍ حَفِيْرَةٌ
يُظْهَرُ اَلْيِرَّةُ ثُمَّ يُجْعَلُ فِي تَابُوْتَيْنِ وَيُدْفَنَانِي الْخَفْرَتَيْنِ . فَفَعَلَ ذَلِكَ
بِهِمَا حَتَّى اِذَا اَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُمَا اَبَا خَيْرٍ بِمَا لَا كِيْمَا . فَقَدِمَ عَلَيَّ ذَلِكَ وَعَمَّهُ
وَفِي عَمْرُو بْنِ مَسْعُوْدٍ وَخَالِدِ بْنِ الْمُضَلَّلِ يَقُوْلُ شَاعِرُ بَنِي اَسَدٍ :
يَا قَبْرُ بَيْنَ يُوْتِ اَلْمُحْرَقِ جَادَتْ عَلَيْكَ رَوَاعِدٌ وَرُوقُ

أَمَا الْبُكَاءُ فَقَلَّ عَنْكَ كَمِيرُهُ وَلَنْ بَكَيْتَ فَلِلْبُكَاءِ خَلِيقُ
 ثُمَّ رَكِبَ النُّعْمَانَ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَمَرَ بِنِيبَاءِ الْغَرِيِّينَ عَلَيْهِمَا . فَنِيبَا
 وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ يَوْمَيْنِ فِي السَّنَةِ يَجْلِسُ فِيهِمَا عِنْدَ الْغَرِيِّينَ يُسَمِّي أَحَدَهُمَا
 يَوْمَ نَعِيمٍ وَالْآخَرَ يَوْمَ بُؤْسٍ . فَأَوَّلُ مَنْ يَطَّلِعُ عَلَيْهِ يَوْمَ نَعِيمِهِ يُعْطِيهِ
 مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ شُومًا أَي سُودًا . وَأَوَّلُ مَنْ يَطَّلِعُ عَلَيْهِ يَوْمَ بُؤْسِهِ
 يُعْطِيهِ رَأْسَ ظَرْبَانَ أَسْوَدَ ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ فَيَذْبَحُ وَيُعْرِي بِدَمِهِ الْغَرِيَّانِ .
 فَأَيْتَ بِذَلِكَ بَرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ حَتَّى مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ طَيْءٍ يُقَالُ لَهُ
 حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَفْرَاءَ . كَانَ أَوَى النُّعْمَانَ فِي خِيبَاتِهِ يَوْمَ خَرَجَ إِلَى
 الصَّيْدِ وَأَنْفَرَدَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ بِسَبَبِ الْمَطْرِ . فَرَحَّبَ بِهِ حَنْظَلَةُ وَهُوَ لَا
 يَعْرِفُهُ وَذَبَحَ لَهُ شَاةً فَأَطْعَمَهُ مِنْ لَحْمِهَا وَسَقَاهُ لَبَنًا . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ
 النُّعْمَانُ وَافِدًا إِلَيْهِ سَاءَ ذَلِكَ وَقَالَ لَهُ : يَا حَنْظَلَةُ هَلَّا أَتَيْتَ فِي شَيْرِ
 هَذَا الْيَوْمِ . فَقَالَ : أَيْتَ الْأَمْنِ لَمْ يَكُنْ لِي عِلْمٌ بِمَا أَتَيْتَ فِيهِ . فَقَالَ لَهُ :
 أَنْبِرْ بِقَتْلِكَ . فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ قَدْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا لِأَهْلِي مِنْ خَيْرِكَ
 مَا رَأَيْتَ أَفَلَا تَكُنْ مِيرْتُهُمْ قَلْبِي . فَقَالَ : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ فَأَسْأَلُ حَاجَةَ
 أَقْضِيهَا لَكَ فَقَالَ نَوَّجَانِي سَنَةً أَرْجِعُ فِيهَا إِلَى أَهْلِي وَأَحْكِمْ مِنْ أَمْرِهِمْ
 مَا أُرِيدُ ثُمَّ أَصِيرُ إِلَيْكَ فَأَنْقِذَ فِي حُكْمِكَ . فَقَالَ : وَمَنْ يَكْفُلُ بِكَ
 حَتَّى تَعُودَ فَنَظَرَ فِي وُجُوهِ جُلَسَائِهِ فَعَرَفَ مِنْهُمْ شَرِيكَ بْنَ عَمْرِوٍ فَأَنْشَدَ :
 يَا شَرِيكَ يَا ابْنَ عَمْرِوٍ يَا أَخَا مَنْ لَا أَخَالَه
 يَا أَخَا شَيْبَانَ فَكَ الْيَوْمَ رَهْنَا قَدْ أَنَالَه

يَا أَخَا كُلِّ مُصَابٍ وَحَيًّا مِنْ لَأَحْيَا لَه
 إِنَّ شَيْبَانَ قَيْلٌ أَكْرَمَ اللَّهُ رِجَالَهُ
 وَأَبُوكَ الْخَيْرُ عَمْرُو وَشَرَّاحِيلُ الْحَمَالَةَ
 رَقِيَّكَ الْيَوْمَ فِي الْمَجْدِ وَفِي حُسْنِ الْمَقَالَةِ

فَوَثَبَ شَرِيكَ وَقَالَ : أَيْتَ اللَّعْنِ يَدِي بِيَدِهِ وَدَمِي بِدَمِهِ
 وَأَمَرَ لِلطَّاءِيِّ بِخَمْسِ مِائَةِ نَاقَةٍ . وَقَدْ جَعَلَ الْأَجَلَ عَامًا كَامِلًا مِنْ
 ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ الْقَابِلِ . فَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْأَجَلِ
 يَوْمٌ وَاحِدٌ قَالَ النُّعْمَانُ لِشَرِيكَ : مَا أَرَاكَ إِلَّا هَالِكًا غَدًا اخِذْ لِحْنِظْلَةَ .
 فَقَالَ شَرِيكَ : فَإِنْ بَكَ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلِي فَإِنَّ غَدًا إِنَّا ظِرُّهُ قَرِيبٌ .
 فَذَهَبَ قَوْلُهُ مَهْلًا . وَلَا أَسْبَحَ وَقَفَ النُّعْمَانُ بَيْنَ قَبْرِي نَدِيمِيهِ وَأَمَرَ
 بِمَقْتَلِ شَرِيكَ . فَقَالَ لَهُ وَزَرَاؤُهُ : لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ
 يَوْمَهُ . فَتَرَكَهُ النُّعْمَانُ وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمُتَ لَه لِيُنْتَحَى الطَّاءِيُّ . فَلَمَّا
 كَادَتْ الشَّمْسُ تَمِيبُ قَامَ شَرِيكَ مُجْرَدًا فِي إِزَارٍ عَلَى النَّطْعِ وَالسِّيَافِ
 إِلَى جَانِبِهِ . وَكَانَ النُّعْمَانُ أَمَرَ بِمَقْتَلِهِ فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِرَاكِبٍ قَدْ ظَهَرَ
 فَإِذَا هُوَ حَنْظَلَةُ الطَّاءِيِّ قَدْ تَكَمَّنَ وَتَحَنَّنَ وَجَاءَ بِنَادِيَتِهِ . فَلَمَّا رَأَاهُ
 النُّعْمَانُ قَالَ : مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ وَقَدْ أَفَلْتَ مِنَ الْقَتْلِ . قَالَ : الْوَفَاءُ .
 قَالَ وَمَا دَعَاكَ إِلَى الْوَفَاءِ . قَالَ : إِنَّ لِي دِينًا يَمْنَعُنِي مِنَ الْغَدْرِ . قَالَ :
 وَمَا دِينُكَ . قَالَ : النَّصْرَانِيَّةُ . قَالَ : فَأَعْرِضْهَا عَلَيَّ . فَأَعْرَضَهَا فَتَصَرَّرَ
 النُّعْمَانُ . وَتَرَكَ تِلْكَ السَّنَةَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَعَفَا عَنْ شَرِيكَ وَالطَّاءِيِّ .

وَقَالَ : مَا أَذْرِي أَيْكُمَا أَكْرَمُ وَأَوْفَى أَهَذَا الَّذِي نَجَا مِنَ السَّيْفِ فَعَادَ
إِلَيْهِ أَمْ هَذَا الَّذِي ضَمِنَهُ . وَأَنَا لَا أَكُونُ الْأُمَّ الثَّلَاثَةَ . قَالَ الْمِيدَانِيُّ : وَتَنَصَّرَ
مَعَ النُّعْمَانَ أَهْلَ الْحَيْرَةِ أَجْمَعُونَ وَبَنَى النُّعْمَانُ فِي حَاضِرَةِ مُلْكِهِ الْكِنَانِسَ
الْعَظِيمَةَ . وَقَتْلَهُ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزٍ أَيْرُوتِي (٦٠٤ ب م) وَأَنَّهُ طَعَّ الْمَلِكُ
عَنْ لَحْمِهِ . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ زَمَانٍ (الْإِغَانِي)

٣ العساسة ملوك الشام بنوكهلان

٤١٠ كَانَ آلُ جَفْنَةَ عُمَالِ الْقِيَاصِرَةِ عَلَى عَرَبِ الشَّامِ تَحَا كَانِ
الْمُنَادِرَةُ آلُ نَصْرِي فِي آخِرِ أَمْرِهِمْ عُمَالًا لِلْأَكْبِيرَةِ عَلَى عَرَبِ الْعِرَاقِ .
وَأَصْلُهُمْ مِنَ الْيَمَنِ مِنَ الْأَزْدِ بَنِي كَهْلَانَ لِأَنَّ الْأَزْدَ لَمَّا أَحْسَتْ
بِمَارِبِ انْتِقَاضِ الْعَرَمِ وَخَشِيَتْ السَّيْلَ تَفَرَّقَتْ . فَتَشَاهَمَ قَوْمٌ فَنَزَلُوا
عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ غَسَّانٌ فَصَيَّرُوهُ شَرِبَهُمْ فَسَمُّوا غَسَّانَ . ثُمَّ أَنْزَلَهُمْ ثَعْلَبَةُ
ابْنُ عَمْرِو النَّسَائِيُّ بِبَادِيَةِ الشَّامِ وَالْمُلُوكُ بِهَا مِنْ قَبْلِ الْقِيَاصِرَةِ . وَكَانُوا
يَدِينُونَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَمَّا نَزَلَتْ غَسَّانُ فِي أَرْضِ الشَّامِ كَانَ بِهَا قَوْمٌ
مِنْ سَلِجٍ فَضَرَبُوا عَلَى النَّسَائِنَةِ الْإِتَاوَةَ وَكَانَ الَّذِي بَلَى جِبَابَتَهَا سَيْطَانًا
مِنْهُمْ فَاسْتَبَطَّاهُمْ . فَتَمَّصَدَ سَيْطَانُ ثَعْلَبَةَ رَأْسَهُمْ وَقَالَ : تَهَجَّانِي لِى الْإِتَاوَةَ
أَوْ لَا خُذْنِ أَهْلَكَ . وَكَانَ ثَعْلَبَةُ حَلِيمًا قَالَ : هَلْ لَكَ فِي مَنْ يُزِيحُ عِلَّتَكَ
بِالْإِتَاوَةِ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : عَلَيْكَ بِأَخِي جِدْعِ بْنِ عَمْرِو . وَكَانَ جِدْعٌ فَايَنَّا .
فَأَتَاهُ سَيْطَانٌ وَخَاطَبَهُ بِمَا كَانَ خَاطَبَ بِهِ ثَعْلَبَةَ فَخَرَجَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ سَيْفٌ
مُنْهَبٌ وَقَالَ فِيهِ عِوَضٌ مِنْ حَقِّكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ لَكَ الْإِتَاوَةَ . قَالَ :

نعم . قال : فخذهُ . فتناول سبيطُ جفنِ السيفِ وأستلَّ جذعُ نصله
 وضربَ به . فقيل : خذ من جذعِ ما أعطاك فذهبت مثلاً . فوفعت
 الحربُ بينَ سليحٍ وعتسانَ فأخرجت عتسانَ سليحاً من الشامِ وصاروا
 ملوكاً . وأستقرَّ ملكُ الفسائنةِ ٤٠٠ سنةً يديفٍ (*) (لمزة الاصفهاني)

ملك كندة

* (لما كان من قصدنا استيفا . أخبار العرب اضفنا اليها اخبار كندة) هم بنو زيد بن
 كهلان . وكانت كندة قبل أن يملك حجرٌ عليهم بعير ملكٍ تأكل القوي الضعيف حتى ملك
 حجرٌ وكان تبع حين أتبل سائرًا الى العراق استعمله عليهم . فسدد أمورهم وساسهم احسن
 سياحة وانزع من الضمين ارضهم وبقي وجره في مملكته مطاعاً لحسن سيرته (٥٠٣ ب م) .
 ثم ملك بده ابنه المقصور لانه اقتصر على ملك أبيه . ثم استخفه الحارث وعظم شأنه حتى
 ولّاه قباز ملك العجم على العراق مدة ثم طرده انوتروان واربع المئزر الثالث فهرب
 الحارث من وجهه ودخل ديار بني كلب ولم يلبث ان مات عندهم . وكان للحارث اربعة
 بنين ولآم عن قبائل كندة . وكان حجر اكبرهم متولياً على بني اسد فقتلوا امره وقتلوه . فقام
 امرؤه القيس واستنجد بيكر وتقلب على بني اسد فأنجدوه وهربت بنو اسد منهم وتبعهم فلم يظفر
 بهم . ثم تخاذلت عنه بكرٌ وتقلب وتطلبه المئزر بن ماء السماء . فتفرقت جموع امرء القيس
 خوفاً من المئزر وخاف امرؤه القيس من المئزر . وصار يدخل على قبائل العرب وينتقل من
 أناس الى أناس حتى قصد السموءل بن عادياة اليهودي فآكرمه وأنزله . وأقام امرؤه القيس
 عند السموءل ما شاء الله . ثم سار امرؤه القيس الى قصر ملك الروم مستنجداً به وأودع أدرءه
 عند السموءل بن عادياة المذكور . ومرّ على حماة وشيزر ونال في مسيره قصيدته المشهورة

بكي صاحبي لما رى الدرب دونه وألحق إننا لاحتقان بقبصرا
 فقلت له لا تبك عينك إنمأ نحاول ملكاً أو نموت فذمدا

فأت امرؤه القيس بعد عوده من عند قيصر عند جبل يقال له عيب . ولما علم بموته هالك قال :

أجارتنا إن الخطوب تنوب وإني مُقيم ما أقام عيب

ولما مات امرؤه القيس سار الحارث بن أبي شمر الفسائي الى السموءل وطالبه بادرع
 امرؤه القيس وما له عنده وكانت الأدرع مائة وكان الحارث قد أسر ابن السموءل . فلما
 امتنع السموءل من تسليم ذلك الى الحارث قال الحارث : إما أن تُسلم الأدرع وإما قتلت
 ابنك . فقال السموءل : لست أخفِرُ ذمتي فاصنع ما شئت . فذبح ابنه والسموءل ينظر اليه

ذكر العرب المستعربة بني اسماعيل وهم القسم الثالث

٤١١ وَهُمْ بَنُو عَدْنَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ وَزَلُّوا الْحِجَازَ وَتَوَلَّوْا سَدَانَةَ
الْكَعْبَةِ . وَإِنَّمَا الْحِجَازُ وَتِهَامَةُ كَانَا دِيَارَ الْعَمَالِقَةِ . وَكَانَ لَهُمْ مَلِكٌ
هُنَالِكَ وَكَانَتْ جُرْهُمُ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ . وَكَانَتْ دِيَارُهُمْ أَيْمَنُ بَعْدَ
إِخْوَانِهِمْ مِنْ حَضْرَمَوْتِ . وَأَصَابَ الْيَمِينَ قَحْطٌ قَهْرُوا نَحْوَ تِهَامَةَ يَطْلُبُونَ
الْمَاءَ وَالرَّمْعَى وَعَثَرُوا فِي طَرِيقِهِمْ بِإِسْمَاعِيلَ مَعَ أُمِّهِ هَاجِرَ . فَأَخْتَلَوْا
أَسْفَلَ مَكَّةَ وَأَقْتَلُوا مَعَ الْعَمَالِقَةَ فَأَبَادُوهُمْ . وَنَشَأَ إِسْمَاعِيلُ بَيْنَ
جُرْهُمَ وَتَكَامَ بِلِقَابِهِمْ وَتَرَوَّجَ مِنْهُمْ وَدَعَاَهُمْ إِلَى الْوَجِيدِ وَتُوُفِيَ لِمِائَةِ
وِثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ عَمْرِهِ . وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ جُرْهُمَ يَعْظُمُ بِمَكَّةَ وَيَسْتَفْجِلُ حَتَّى
وَلَّوْا الْبَيْتَ الْحَرَامَ . وَكَانُوا وُلائِهِ وَحُجَّابَهُ وَوِلاةَ الْأَحْكَامِ بِمَكَّةَ . وَلَمَّا
طَالَتْ وِلايَةُ جُرْهُمَ اسْتَحَلُّوا مِنْ الْحَرَمِ أُمُورًا عِظَامًا وَأَسْتَحَلُّوا بِجُرْمَةِ
الْبَيْتِ الْعَتِيقِ قَطَعَ اللَّهُ دَارَهُمْ لِأَنَّهُ لَمَّا خَرِبَ سَدُّ مَارِبٍ سَارَ عَمْرُو
أَبْنُ عَامِرٍ وَقَوْمُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ لَا يَطَّأُونَ بَلَدًا إِلَّا غَلَبُوا عَلَيْهِ . فَلَمَّا
قَارَبُوا مَكَّةَ أَبَتْ جُرْهُمُ أَنْ تَفْسَحَ لَهُمْ وَاسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَقَالُوا :
مَا نَحِبُّ أَنْ تَنْزِلُوا فَتَضَيُّهُوا عَلَيْنَا مَرَاتِنَا وَمَوَارِدَنَا فَأَرَحَلُّوا عَنَّا حَيْثُ

وانصرف الملك على يأس . فضرب العرب به المثل في الوفاء . وقال السموءل :

وفيت بأدرج الكدي إلي إذا ما خان أقوامٌ وفيت

بني لي حاديا حصنا حصينا وما كَلِمَا شئت استقيت

وفيعا تزلق العقبا عنه إذا ما نابني ضم أبيت

وأوصى حاديا قديما بألا تُحدم يا سموءل ما بنيت

(لابي العداة)

أُحْيِيْتُمْ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِبِجْوَارِكُمْ . فَأَقَامْتُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَأَنْهَزْتُمْ جُرْهُمُ فَلَمْ
يُفَاتَ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ فَهَدَرَدَمُهُ (٢٠٧ م) . ثُمَّ تَفَرَّقَتْ قَبَائِلُ الْيَمَنِ
وَأَخْرَجَتْ خُرَاعَةَ بَيْكَةَ فَوَلُّوا أَمْرَ مَكَّةَ وَحِجَابَةَ الْكَعْبَةِ . وَسَأَلَ بَنُو
إِسْمَاعِيلَ السُّكْنَى مَعَهُمْ فَأَذِنُوا لَهُمْ . وَتَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ لُحْيٌ وَهُوَ رَيْبَعَةٌ
أَبْنُ حَارِثَةَ وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا سَيِّدًا مُطَاعًا وَبَلَغَ بِمَكَّةَ مِنَ الشَّرَفِ
مَا لَمْ يَبْلُغْ عَرَبِيٌّ قَبْلَهُ . وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ اسْمُهُ فِي الْعَرَبِ كُلِّ مَذْهَبٍ
وَقَوْلُهُ فِيهِمْ دِينًا مُتَّبَعًا . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَعْلَمَ الْحَاجَّ بِبَيْكَةِ سَدَائِفِ
الْأَيْلِ وَالْحَمَانِهَا عَلَى التَّرِيدِ . وَعَمَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ جَمِيعَ حَاجِ الْعَرَبِ
بِثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ مِنْ بُرُودِ الْيَمَنِ وَهُوَ الَّذِي بَحَرَ الْبَحِيرَةَ وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ
وَحَمَى الْحَسَامَ وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ وَنَصَبَ الْأَصْنَامَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ . فَكَانَتْ
قُرَيْشٌ وَالْعَرَبُ تَسْتَسِيمُ عِنْدَهُ بِالْأَزْلَامِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ الْحَنِينِيَّةَ
دِينَ إِبْرَاهِيمَ . وَأَقَامَتْ خُرَاعَةُ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ فِي سِدَانَةِ الْبَيْتِ حَتَّى
قَامَ قُصَيُّ الْقُرَيْشِيِّ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلِ . وَعَظُمَ شَرْفُهُ فُرَأِيَ أَنَّهُ أَحَقُّ
بِالْكَعْبَةِ وَبِأَمْرِ مَكَّةَ . وَكَانَتْ وِلَايَةُ الْكَعْبَةِ لِأَبِي غَبْشَانَ الْخَزَاعِيِّ
فَبَاعَهَا مِنْ قُصَيِّ بْنِ زَيْدِ خَمْرِ قَبِيلٍ فِيهِ أَخْسَرُ مِنْ صَفْقَةِ أَبِي غَبْشَانَ .
ثُمَّ دَعَا قُصَيُّ إِلَيْهِ رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ وَأَجْمَعَ لِحَرْبِ خُرَاعَةَ فَتَنَاجَزُوا
وَكَثُرَ الْقَتْلُ . ثُمَّ صَالِحُوهُ عَلَى أَنْ يَحْكُمُوهُ الْكَعْبَةَ (٥٠٧ ب م) . فَصَارَ
لِقُصَيِّ لِيُوَاءِ الْحَرْبِ وَحِجَابَةَ الْبَيْتِ وَتَمَنَّتْ قُرَيْشٌ بِرَأْيِهِ وَصَرَفُوا
مَشُورَتَهُمْ إِلَيْهِ فِي قَلِيلٍ أُمُورِهِمْ وَكَثِيرِهَا . فَأَتَّخَذُوا دَارَ النَّدْوَةِ إِزَاءَ

الْكُعبَةِ فَكَانَتْ مُجْتَمَعِ الْمَلَأِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مُشَاوَرَاتِهِمْ وَمَعَاقِدِهِمْ .
 ثُمَّ تَصَدَّى لِإِطْعَامِ الْحَاجِّ وَفَرَضَ عَلَى قُرَيْشٍ خَرَاجًا يُؤَدُّونَهُ . ثُمَّ
 هَلَكَ قُصِيٌّ وَقَامَ بِأَمْرِهِ بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ بِالْقِيَادَةِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ حَتَّى
 جَاءَ الْإِسْلَامُ (ملخص عن كتاب اخبار مكة للازرقى)

(ملحق بتاريخ العرب)

أ
 اديان العرب

٤١٢ كانت العرب في أول أمرها على دين ابرهيم واسماعيل حتى قديم عمرو بن لحي بصنم
 يقال له هبل . وكان من أعظم اصنام قريش عندهما فكان الرجل اذا قدم من سفر بدأ به
 على أهله بعد طوافه بالبيت وحلق رأسه عنده . وكان هبل من خزالمعيق على هورة انسان
 وكانت يده اليمنى مكسورة فأدركته قريش فجمعت له يدا من ذهب . وكانت له خزنة
 للقربان . وكانت له سبعة قدام يضربون بما اذا مستهم الحاجة ويقولون : إنا اختلفنا فوب
 السراحا . ان لم تقله فسر القداحا

وكان بالكعبة على يمينها حجر اسود . وما زال هذا الحجر معظماً في الجاهلية والاسلام .
 تبارك الناس به وقرؤونه وتقبله . وكان بأسفل مكة قد نصب صنم يعرف بالتماسة فكانوا
 يلبسوها القلائد ويحدون اليها الشعير والحنطة . ويصبون عليها اللبن ويذبحون لها ويهيمون
 عليها بيض النعام . وكان لهم اصنام نصبوها على اسم السيارات من كواكب . وهي المشري
 وقيل ان اصل اسمه ذوشراء اي ساطع النور . والرهرة وزحل والاربع وغيرها من التوابت .
 ومن معبوداتهم أيضاً المناة واللات وعزى . وصكات المناة على ساحل النحر مما يلي ابيد .
 وكانت حفرة تراق عليها دماء الذبائح ويتسبون منها المطر في الحذب . وكانت اللات أيضاً
 حفرة صنم للشمس اذا مر عليها الحاج يتنوخها بالسويق . وقيل أصلها من لاه اي علا وعظم
 ومنه اسم الجلالة . وأما العزى فكانت شجرة معظمها قريش وبنوكنانة . ويطوفون بها بمد
 طواقم بالكعبة ويهكفون عندها يوماً . قال الكلبي : وصكات اللات والعزى ومناة في كل
 واحدة منهن شيطان يكلمهم . وتراعى للسدنة وهم الحجبة وذلك من صنم إبليس وأمره . وكان
 بنو حنيفة في الجاهلية المخذرا لها عبده دهرأ طويلاً ثم أصابهم مجاعة فاكلوه . فقيل في ذلك :

أكلت حنيفة رجماً زمن التعمم والجاه
 لم يخذروا من رجم سوء العقوبة والتباه

ومن أديانهم الجوسية أو الصابئة ونصبوا بحسب تلك الآراء الصابئية أصنام الذهب الشمس
وأصنام الفضة للقمر . وقسموا المعادن والأقاليم للكواكب . وزعموا أن قوى الكوكب
تفيض على تلك الأصنام . فتتكلم تلك الأصنام وتوحي للناس اعني الأصنام . وتعلم
الناس منافعهم وكذلك قالوا في الأشجار التي هي من قسمة تلك الكواكب . إذا أفردت تلك
الشجرة لذلك الكوكب وغرست له وفعل لها كذا فاضت روحانية ذلك الكوكب على تلك
الشجرة . وتوحي للناس وتكلمهم في النوم . ومن أديانهم اليهودية في حمير وكنانة وبنو الحارث
ابن كعب وكندة . واما النصرانية فكانت انتشرت فيهم . قال الفيروزبادي : ان قبائل شتى من
بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة وهم العباد . وإن كثيراً من ملوك اليمن والحيرة
تنصروا . وأما ملوك غسان فكانوا كاهن نصارى وكانت النصرانية في ربيعة وأضاعة وجرم
وتبوخ وتغلب وبعض طي . وكانت قريش نصبت في جملة أصنامها في الكعبة بمثل مريم مزوقاً
وابنها عيسى في حجرها قاعدًا مزوقاً . وذلك في العمود الذي يلي باب الكعبة ولم تطمس
صورهما بل بقيتا الى عهد ابن زبير فهلكتا في الحريق

٢ علوم العرب وآاجم

٤١٣ فاما علم العرب الذي كانوا يتفاخرون به فعلم لسانهم واحكام لغتهم ونظم الأشعار
وتأليف الخطب . وكانوا موسومين بين الامم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلافة
في اللسان . وكان لهم مع هذا معرفة بأوقات . طالع النجوم ومغارحها وطلم بانواء الكواكب
وامطارها . على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول الخبرة لاحتياجهم الى معرفة ذلك في
اسباب العيشة لا على طريق تعلم الحقائق . واما علم الفلسفة فلم يحفهم الله شيئاً منه ولا هيباً
طبائهم العناية به . وكان الشعر ديوان خاصة العرب ونهتهى حكمتها والنظوم من كلامها
ولمقيده لأيامها والشاهد على حكاياها . به يأخذون واليه يصيرون . وكانوا لا يجشون الا بفلام
يولد او شاعر يبيع فيهم او فرس تتج . قال الصفي : بل ما كان للعرب ما تفخر به الا (السيف
والضيف والبلاغة . وكانوا كل حول يتقاطرون الى سوق ككاظ ويتبايعون ويتناشدون
ويتفاخرون ويتعاطفون . ولقد بلغ من كلف العرب بالشر ونفسيها له أن عمدت الى سبع
قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة . فقبل لها مذهبات وقد يقال
لها مآقات لاخا علفت في أستار الكعبة . أما الكتابة فحكوا أن ثلاثة نفر من طيء كانوا على دين
عيسى فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية . فتعلمه قوم من الأبار وجاء
الإسلام وليس أحد يكتب العربية غير بضعة عشر إنساناً . ولقلة القرايطس عندهم عمدوا الى
كتيف الحيوان فكتبوا عليها . وكان الاس فرقتين أهل الكتاب والاميون . والاتي من كان
لا يعرف الكتابة . فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والاميون بمكة (لاي الفرج والهومري)

تم بحوله تعالى

فهرس الجزء الثالث من كتاب مجاني الادب

وجه	وجه
٦٣	٣
٦٤	٣
٦٥	٤
٦٨	٧
٦٨	٩
٦٩	١٢
٧٢	١٥
٧٦	١٦
٧٩	١٦
٨٣	١٧
٨٥	١٧
٩١	١٨
٩٢	١٩
٩٤	٢٩
٩٤	٣٠
٩٧	٣٢
٩٩	٣٥
١٠٣	٣٨
١٠٣	٤٦
١٠٥	٥٠
١٠٧	٥٢
١٠٩	٥٤
١٢٠	٦٢
١١٣	٦٢
١١٤	٦٣
١١٤	
١١٩	

الباب الاول في التدئين

في كمالته تعالى
الدعاء لله

منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب
حمة الله والثقة به
الاستعفار الى الله
العالم العقلي

الباب الثاني في الزهد

في الخوف زهد النعمان و امرئ القيس
عدي بن زيد والنعمان
ذلة الدنيا وزوالها
الراعب الجرجاني وشيخ عمر الصيني
حفظ الحواس
الدمر وحوادثه
ذكر الموت
التوبة الى الله

الباب الثالث في المراثي

الباب الرابع في الحكم
نوادير بزرجمهر حكيم الفرس
حكم شاتاق الهندي
اشعار حكيمية

الباب الخامس في الامثال

فصل من نوادر كلام العرب
نبد من كلام الرخشري والبستي

وجب

- ٢٨٧ فصل في المدح والشكر
٢٨٨ فصول في التمازي
٢٩٠ فصول في وصاة

الباب العشرون في تاريخ العرب ٢٩١

- ٢٩١ نظر في امة العرب وطبايعهم وكنام
٢٩٢ ذكر نسب العرب وتقاسيمهم
٢٩٢ اخبار عرب العاربة او البائدة
٢٩٤ العرب المتعربة بنو قحطان
٢٩٤ ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان
٢٩٥ سد مأرب وتفرع بني سبا

٢٩٦ ملك التباة بني حمير في اليمن

٢٩٦ ملك شداد وتبع وافريقس وذو الازعار

٢٩٧ ملك بلقيس وناثر العم وشمر مرعس

٢٩٩ ذونواس وشهداء الصرائية في نجران

٣٠١ استيلاء الحبشة على ملك اليمن

٣٠٢ اخبار سيف بن ذي يزن

٣٠٤ ملك الماذرة بني كهلان في العراق

٣٠٤ ملك بن فهم وحذيفة الابرش وابن عدي

٣٠٦ امرؤ القيس البدء والمحرق والعمان

٣٠٨ المنذر والعمان والاسود وامرؤ القيس

٣٠٨ ملك المذرتالك والعمان قابوس

٣٠٩ خبر نصر عمان

٣١٢ المساسنة ملوك الشام بنو كهلان

٣١٣ ملوك كندة

٣١٤ ذكر العرب المستعربة بنو اسماعيل

٣١٦ ملحق بتاريخ العرب

٣١٦ اديان العرب

٣١٧ ملوم العرب وآداجم

وجب

- ٢٣٥ هجرة ظهرت في حصار مدينة وبذ
٢٣٦ مشهد الحسين
٢٣٧ مروءة اسماعيل العزرجي
٢٣٩ جود حاتم الطائي
٢٤٠ ايثار ابن مامة الايادي
٢٤١ صنم سوناة

الباب السابع عشر في الاسفار ٢٤٢

- ٢٤٢ مدح السفر
٢٤٤ ذم السفر
٢٤٤ سفرة ابن حبير الى جزيرة صقلية

الباب الثامن عشر في عجائب المخلوقات

- ٢٥٥ في شرح عجب الموجودات
٢٥٩ في جرم الشمس ووضعها
٢٦١ في كسوف الشمس وبعض خواصها
٢٦٢ فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته
٢٦٤ في الحجر والكرابك التوابت
٢٦٥ فصل في ارباع السنة
٢٦٨ فصل في توارد الاخبار
٢٦٩ جسم الارض ودورانها وهيئتها
٢٧٠ في السحاب والمطر وما يتعلق بها
٢٧١ في الرعد والبرق وما يتعلق بذلك

الباب التاسع عشر في المراسلات ٢٧٣

- ٢٧٣ في المراسلات بين الملوك والامراء
٢٧٧ في الاشواق وحن التواصل
٢٨١ فصل في الترشة
٢٨٢ في التوصية
٢٨٤ فصول في الذم